(هذا كتاب)

تاج الابتهاج على النور الوهاج فى

الاسراء والمعراج للعلامة الامام مفتى مدينة سيد

الانام السيد زين العابدين البرزنجى تأليف الفاضل

الهمام شيخنا العلامة السيد جعفر بن السيد

اسمعيل البرزنجى المدنى المفتى

بالمدينة الشريفة المذكورة

متعنا الله بحياته

ونفعنا ببركاته

آمين

﴿ وبهامشه قصة المعراج لمؤلفها الفاضل النحرير ﴾

﴿ مولانا الهمام السيد زين العابدين البرزنجى ﴾

﴿ رحمه الله على نمط مولده المبارك ﴾

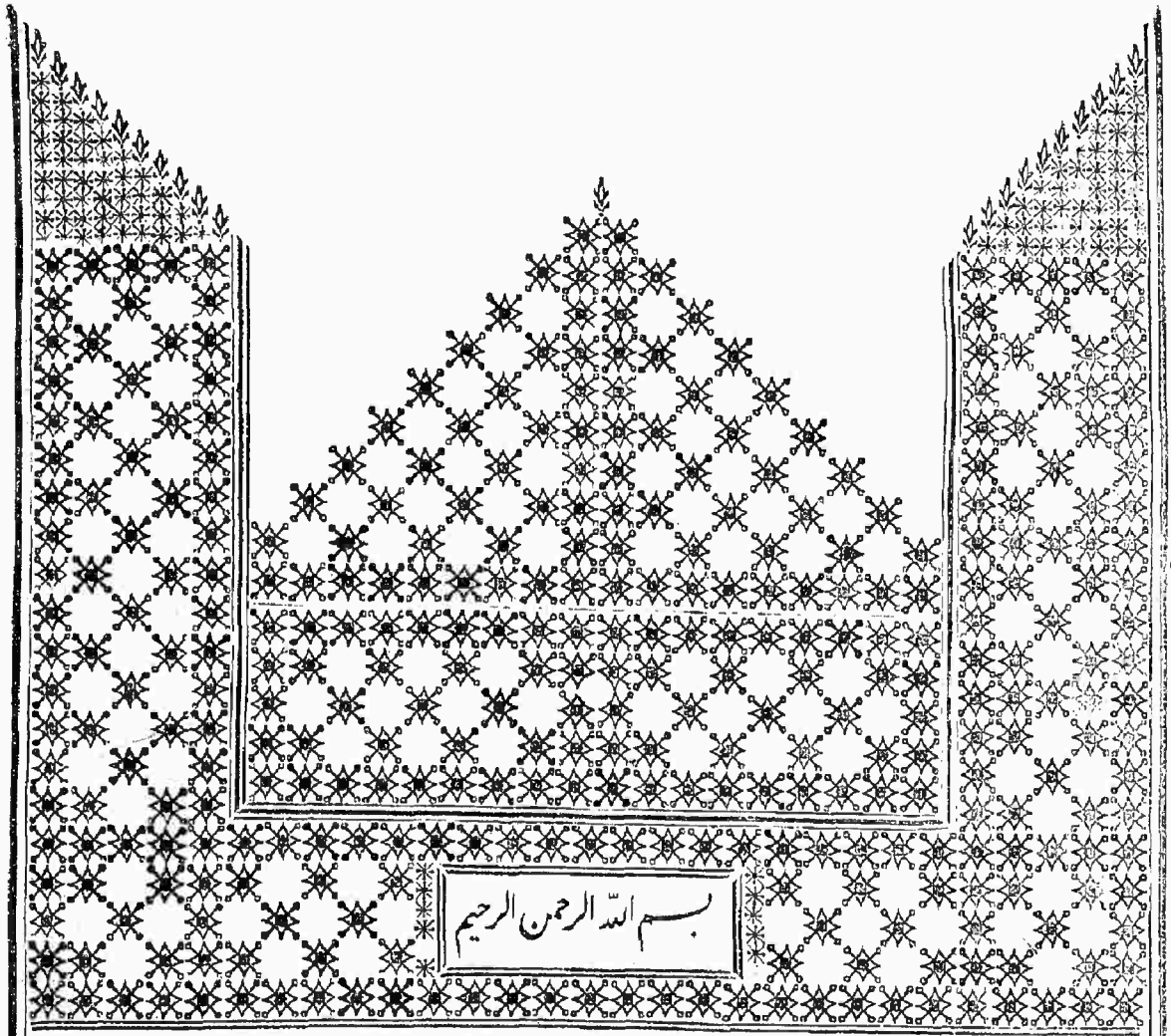

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اختار عبده محمدا لرسالته وخصه مفاجأة على البراق بالاسراء وعرج به على معارج الكمال الى السموات العلى ليريه من آيات ربه الكبرى الى السدرة المنتهى التي ينتهي اليها علم كل نبي مرسل وملك مقرب وعندها جنة المأوى الى مستوى سمع فيه صريف الاقلام بما جرى ويجرى الى العرش والرفرف وتجلى له بالرؤية وناجاه في مقام المكالمة بالخطاب الفهوانيه وآنس وحشته وأسكن خشيته في تلك العوالم البرزخيه فالقى عليه ما ألقى وأوحى اليه ما أوحى وعلمه ما علم وافهمه ما افهم وأراه من الآيات الملكية والملكوتيه الدالة على وحدانية وكمال عظمته الجبروتيه وعجائب قدرته الربانيه وجليل حكمته الصمدانيه فسبحانه من اله لا يغرب عن ادراكه مسموع وان خفي ويعلم السر والنجوى بل ما هو أدق وأخفى يدرك دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء وأشهد أن لا اله الا الله المقدس عن انطباع الصور والألوان في ذاته المنزه عن الشريك له في صفاته ومصنوعاته وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي رفع قدره فلم تطاوله سماء ولا ارقى رقيه أحد من الانبياء كيف وقد مثلوا له ببيت المقدس وقدمه جبريل عليهم فاتمهم في محلتهم وأوقفه على اماكنهم في السموات ومقاماتهم ليدل ذلك على أنه الرئيس الاعظم والامام المقدم الاقدم وشهد له سبحانه بانه الهادي في علمه والرشيد الراشد في عمله ونزه نطقه عن الهوى والهوان وفؤاده عن تكذيب بصره وبصره عن الزيغ والطغيان فشاهد ربه بعيني رأسه في مقام القرب والعبوديه ولا قصر عن كشف حقيقة الامر وتلقي ما يلقى

(قوله خصه مفاجأة) قال ابن المنير كانت كرامته صلى الله عليه وسلم في المناجاة على سبيل المفاجأة كما أشار اليه بقوله بينا انا وفي حق موسى عليه الصلاة والسلام عن ميعاد واستعداد فحمل عنه صلى الله عليه وسلم ألم الانتظار ويؤخذ من ذلك ان مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى مقام موسى مقام المراد بالنسبة الى مقام المريد انتهى نجم الغيطي فالاسراء به مفاجأة خصوصية كما أن الاسراء بجسمه الى تلك الحضرات العليه من خصوصياته وقد عده الجلال السيوطي من خصائصه صلى الله عليه وسلم اه

اليه من الجزئية والكلية أوحى اليه سرا بسر من سر في سريانها ما جرى أفتمارونه بالمكابرة والمجاحدة له على مايرى فطوبى لمن آمن به وصدق وحاق ضلال الكفر وعن الغي مرق صلى الله عليه وعلى آله أولي الهداية والتمكين واصحابه الطيبين الطاهرين الحاملين اعباء الوراثة المحمديه الذابين عن الدين القويم بكل صقيل مهند فنصروا وفازوا في دار الخلد بالمقامات العنديه ﴿أما بعد﴾ فيقول المرتجي عفو ربه المنجي السيد جعفر بن السيد اسمعيل ابن السيد زين العابدين المدني البرزنجي لما كان الكتاب المسمى بالنور الوهاج في قصة الاسراء والمعراج للعلامة الامام والفهامة الهمام جدي المرحوم السيد زين العابدين مفتي مدينة سيد المرسلين أجل كتاب صنف في هذا الباب كيف وقد أتى فيه من البيان اجلاه ومن البديع أحلاه تتلمظ ألسن القارئين بحلاوة فصاحة الفاظه الرقيقه وتتقرط آذان السامعين بجواهر معانيه الانيقه جمع أحاديث القصة الشريفة ورصعها أحسن ترصيع والتزم سردها على قافيتين من أنواع البديع يوقف في الاولى على تاء التأنيث قبلها التحتية مفتوحة مشدوده وفي الثانية على الهاء قبلها ألف ممدوده ناسقا دراريها على نسق قصة المولد النبوي لجدنا العارف بالله السيد جعفر بن حسن ناسجا على منواله بنسج رائق حسن ونكتة الوقف في القافية الاخيرة على آه التبرك بذكر اسم الله والتأوه والتوجع من خشية الله والاتصاف بالصفة الابراهيمية ان ابراهيم لحليم أواه شرعت في شرح يحل عقود جواهره الرصيعه ويكشف النقاب عن وجوه مخدرات عرائسه المنيعه ليس بقصير مخل ولا طويل ممل بثيبة خالصه وعزيمة قانصه رجاء أن يعم به الانتفاع كما عم بأصله في جميع البقاع ﴿وسميته﴾ تاج الابتهاج على النور الوهاج اسأله سبحانه أن يجعله خيرا جاريا بعدي اذا صرت رهين لحدي وذخرا الى يوم يقوم الحساب وحرزا من عذاب رب الارباب وحصنا حصينا يوم العرض والعقاب ووسيلة الى الصفو ودخول دار النعيم بلا عتاب وأسأله العفو عما زل به القدم أو طغى به القلم فأقول وعلى الله اعتمادي واليه استنادي قال المؤلف رحمه الله (بسم الله الرحمن الرحيم افتتح) الافتتاح الابتداء بالشئ أي ابتدئ أتي بهذه الصيغة أي بقوله افتتح ولم يقل افتتح اشارة الى كثرة اعتنائه بما هو بصدده من ذكر القصة الشريفة المعراجية في هذا التأليف الشريف لان زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى غالبا (تحبير) قال في المصباح حبرت الشئ حبرا من باب قتل زينته وفرحته أي تزيين (ابراد) بفتح الهمزة وسكون الموحدة جمع برد بضم الموحدة وسكون الراء فانه يجمع على ابراد وبرود وهو ثوب مخطط معروف استعير هنا لجمل الكلام للمشابهة في النفع والرغبة (ايراد) بكسر الهمزة وسكون المثناة التحتية مصدر أورد يورد ايرادا والايراد ايصال الشئ الى محله والمراد ذكر ما ورد من (الاخبار) بفتح الهمزة وسكون الخاء المعجمة جمع خبر اسم ما ينقل ويتحدث به من قصة الاسراء والمعراج الشريفين (المحمديه) بشد المثناة التحتية المنسوبة الى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واضافة ابراد الى ايراد الاخبار من اضافة المشبه به للمشبه وفي الكلام استعارة حيث شبه ما أورد من الاخبار الواردة في هذا الشأن ببرود محبرة بجامع حصول الفرح والسرور بكل على سبيل الاستعارة التصريحية ويصح استعارة بالكناية فيكون قد شبه الاحاديث الواردة بانسان ذي

بسم الله الرحمن الرحيم
افتتح تحبير أبراد ايراد
الاخبار المحمديه *

شرف لشبهه له فى حصول النفع وطوى ذكر المشبه به وهو الانسان ورمز له بشئ من لوازمه وهو الايراد وهو القرينة والتعبير ترشيح وبين ايراد وايرادا الجناس اللاحق (مهذبا) بضم الميم وفتح الهاء وكسر الذال المعجمة المشددة آخره موحدة منصوب حال من فاعل افتتح من التهذيب وهو التنقية والتحسين أى منقيا ومحسنا (حواشيها) بفتح الحاء المهملة جمع حاشية بكسر الشين المعجمة قال فى المختار والحاشية واحدة حواشى الثوب وهو جوانبه استعيرهنا لاطراف جمل الكلام البليغ والضمير يعود الى الاخبار (بفرائد) بفتح الفاء والراء المهملة فالف فشناة تحتية آخره دال مهملة جمع فريدة وهى الجوهرة النفيسة العظيمة الثمن وفى المختار الفريدة الدراة نظم وفصل بغيره وقيل فرائد الدر كبارها انتهى وهذا يخالف قول من قال الفريدة اللؤلؤة العظيمة الثمن المفردة فى ظرف حفظا لها من اختلاطها بغيرها (فوائد) بفتح الفاء والواو فالف فشناة تحتية آخره دال جمع فائدة من الفيد لا من الفود وهى لغة ما أستفيد من علم أو مال أو جاه واصطلاحا كما قال بعضهم ما يكون الشئ أحسن حالا به منه بدونه وعبارة شيخنا فى حاشية السلم واصطلاحا المصلحة المترتبة على الفعل من حيث انها ثمرته ونتيجته وخرج بالحيثية المذكورة الغاية فانها تلك المصلحة من حيث انها فى طرف الفعل والغرض فانه المصلحة المذكورة من حيث انها مطلوبة للفاعل من الفعل والعلة الغائية فانها تلك المصلحة من حيث انها باعثة للفاعل على الفعل فالاربعة السابقة متحدة بالذات مختلفة بالاعتبار لكن الاولان أعم من الآخرين مطلقا لانفرادهما عنهما فيما لو حفر بئرا مريد الماء فظهر له كنز فانه يقال له فائدة وغاية لا غرض وعلة غائية لانه ليس مطلوبا من الفعل ولا باعثا عليه انتهى والمراد هنا ما يستفاد من خواص (بسم الله) اى بسم الله الرحمن الرحيم وبركاتها فانها آية عظيمة لها فضائل وبركات كثيرة وخواص شهيرة افردها العلماء بالتصانيف ذكرنا بعضها فى الكوكب الانور ولا شك أن هذا التأليف بهذه الفوائد أحسن حالا منه بدونها لانه بغيرها يكون ابتر ناقصا قليل البركة كما فى الحديث وانما قلنا بسم الله الرحمن الرحيم لثبوتها فى كلام المصنف كما فى أكثر النسخ فيكون قوله افتتح الخ اخبارا عما حصل منه أولا وحينئذ يكون المضارع فى قوله افتتح بمعنى الماضى أى افتتحت والغرض من هذا التوجيه الجواب عن لزوم تقديم البسملة الشريفة امام المقصود كما هو الادب والاقتداء بالكتاب العزيز وعملا بالحديث المشهور ولان هذا الكتاب أحق بالبداءة بالبسملة من كثير من التصانيف لاشتماله على فضائل أفضل الانبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام واضافة الفرائد الى الفوائد من اضافة المشبه به للمشبه أو الموصوف لصفته وتوضيح ذلك أن تقول الاصل فرائد شبيهة بالفوائد هذا ان جعل ذلك تركيبا اضافيا فان جعل تركيبا توصيفيا فالمعنى فرائد صفتها انها فوائد وكان فى كلامه استعارة تصريحية فيكون قد شبه طوائف المسائل بمعنى الفرائد واستعار اسم المشبه به للمشبه فالاضافة على الاول من اضافة المشبه به للمشبه وعلى الثانى من اضافة الموصوف لصفته وعلى كل فقوله مهذبا حواشيها ترشيح للتشبيه أو للاستعارة وبين فرائد وفوائد الجناس المضارع وهو توافق الكلمتين فى عدد الحروف وهيآتها وترتيبها مع اختلافهما فى حرفين متقاربى المخرج اما فى الاول أو فى الوسط أو فى الآخر وهنا فى الوسط فان الراء والواو بينهما

مهذبا حواشيها بفرائد فوائد بسم الله

تقارب فى المخرج كذا قال شيخنا العلامة الباجورى فى حاشيته على السمرقندية والظاهر انه من الجناس اللاحق وذلك أن الحروف اما حلقى أو لسانى أو شفوى فهذه ثلاثة مخارج وفى كل مخرج مخارج متقاربة مشتملة على أنواع من الحروف فمتى كانت المقاربة بين المبدل والمبدل منه فى مخرج من المخارج الثلاثة بان كانا حلقيين أو لسانيين أو شفويين سمى مضارعا ومتى كانت من غير مخرجه بان كان أحدهما حلقيا والآخر لسانيا أو احداهما لسانيا والآخر شفويا كالفرائد والفوائد فان الراء لسانى والواو شفوى سمى لاحقا وهذا فرق دقيق دق عن كثير من الافهام فقد قل من فرق بينه وبين المضارع والمراد بالمضارع هنا المشابهة فمن أمثلة الاول دأمس وطامس وينهون وينئون والخيل والخبر ومن الثانى همزة لمزة وشهيد وشديد وأمر وأمن (وأشنف) بضم الهمزة وفتح الشين المعجمة وكسر النون المشددة آخره فاء من الشنف بفتح الشين وسكون النون القرط الاعلى أو معلاق فى قوف الاذن أو ما علق فى أعلاها وأما ما علق فى أسفلها فقرط جمعه شنوف ذكره فى القاموس وفيه واشنف الجارية جعل لها شنفا فتشنفت انتهى والمراد وازين (أوانى الاسماع) الاوانى بفتح الهمزة جمع آنية وهى جمع اناء بكسر الهمزة قال فى المصباح والآناء والآنية الوعاء والاوعية وزنا ومعنى والاوانى جمع الجمع انتهى والاسماع جمع سمع قال فى المصباح وطرق الكلام السمع والمسمع بكسر الميم والجمع اسماع ومسامع انتهى وفى القاموس السمع حسن الاذن والاذن وما وقر فيها من شئ تسمعه والذكر المسموع ويكسر كالسماع ويكون للواحد والجمع اى لقوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم لانه فى الاصل مصدر قولك سمع الشئ بالكسر سمعا وسماعا وقد يجمع على أسامع وأسمع وجمع الاسماع أسامع فان كان المراد بالاسماع الكلمات المسموعة فاضافة الاوانى بمعنى الآذان اليه من اضافة المحل الى الحال فيه وان كان المراد بها الاذان وبالآوانى الاوعية فالاضافة بيانية أى أوان هما الاسماع أو من اضافة المشبه به للمشبه (بمنشور) بالشين المعجمة ما ينشر من الخبر ويذاع يقال نشر الخبر اذاعه وفى نسخة بالثاء المثلثة بمعنى ما ينثر أى يرمى به متفرقا ويقال نثرت الفاكهة ونحوها فالمراد هنا ما يذكر متفرقا من الاخبار فهو بمعنى الاول (لئالى) بفتح اللام الاولى فهمزة ممدودة جمع لؤلؤة قال فى القاموس اللؤلؤ الدر واحده بهاء وفى المختار اللؤلؤة الدرة والجمع اللؤلؤ واللئالى والليالى انتهى والمراد الاحاديث الصحيحة الواردة فى قصة الاسراء والمعراج الشريفين المشتهرة فى الحسن والرغبة وتوقان النفس واشتياق القلب وميله اليها باللؤلؤ النفيس والقرينة النشر (الليالى) بزيادة ياء فى آخره جمع ليل على غير القياس اذ قياسه ليال بغير ياء وهو من غروب الشمس الى طلوع الفجر الصادق أو الشمس وفى المختار الليل واحد بمعنى جمع وواحدته ليلة مثل تمرة وتمر فعليه الليل اسم جمع وفى القاموس الليل يجمع على ليال وليائل انتهى والليلة تجمع على ليلات مثل بيضة وبيضات وبين اللئالى والليالى الجناس اللاحق (الاسرائيه) بكسر الهمزة وشد ياء النسبة أى المنسوبة الى الاسراء جمعها باعتبار كل ليلة من كل سنة تصادف الليلة التى اسرى به صلى الله عليه وسلم فيها (رافعا) بالنصب والتنوين حال من فاعل أفتتح (أكف) بفتح الهمزة وضم الكاف وشد الفاء جمع كف بفتح الكاف وهى اليد أو الى الكوع كما فى القاموس قال فى المصباح وهى من الانسان

وأشنف أوانى الاسماع بمنشور لآلى الليالى الاسرائيه * رافعا أكف

وغيره انتهى قال ابن الانبارى وزعم من لا يوثق به ان الكف مذكر ولا يعرف تذكيرها من يوثق بعلمه وأما قولهم كف مخضب فعلى معنى ساعد مخضب وجمعها كفوف وأكف مثل فلس وفلوس وأفلس قال الازهرى الكف الراحة مع الاصابع سميت بذلك لانها تكف الاذى عن البدن انتهى (الافتقار) بكسر الهمزة وسكون الفاء من الفقر بفتح الفاء وضمها الاحتياج والتذلل (لاستمطار) أى طلب مطر (غوادى) بفتح الغين والواو فالف فدال مكسورة آخره مثناة تحتية جمع غادية السحابة تنشأ غدوة أى صباحا أو مطرة الغداة كما فى القاموس (بركات) جمع بركة هى لغة الزيادة والنماء والسعادة وعرفا ثبوت الخير الالهى فى الاشياء والظاهر صحة ارادة كل منها شبه البركات الالهية بالسحابة التى تنشأ صباحا بجامع حصول كثرة النفع فى كل (شكره) بضم الشين المعجمة وسكون الكاف هو لغة الحمد عرفا لكن بابدال الحامد بالشاكر وعرف صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من السمع وغيره الى ما خلق لاجله والمراد شكر الله فى الجملة اذ لا طاقة للبشر الاتيان بالشكر على الوجه الاتم فانه لا غاية للنعم قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وجمعوا قوله تعالى واذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم على أجناس معلومة وذلك يكفى فى التذكر الذى يفيد العلم بوجود الصانع الحكيم (وثناه) بفتح المثلثة فنون فالف ممدودة قال فى المصباح أثنيت على زيد بالالف والاسم الثناء بالفتح والمدوهو هنا بمعنى الحمد وهو أعم من الشكر لان الشكر لا يكون الا فى مقابلة الصنيع بخلاف الثناء فانه يكون فى مقابلة الصنيع والصفات (وأعطر) بضم الهمزة وفتح العين وكسر الطاء المشددة أى أدعو الله فى تعطير وتطييب والمراد انزال الرحمة على (معاطس) جمع معطس كمجلس الانف (المحافل) بالميم والحاء المهملة فالف ففاء آخره لام جمع محفل اسم للموضع الذى يجتمع فيه مثل مجلس ومجالس أى معاطس أهل المحافل أو فيه استعارة بالكناية حيث شبه المحافل بالانسان وطوى ذكره ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو المعاطس وهو القرينة (بنشر) أى اذاعة (خصوص) بضم الخاء المعجمة خلاف العموم أى ما يخص من (نصوص) بضم النون جمع نص بفتحها رفع الحديث الى من أحدثه وقد يراد به ما أزداد وضوحا على الظاهر لمعنى فى التكلم وهو سوق الكلام لاجل ذلك المعنى وقد يراد به ما لا يحتمل الا معنى واحدا وقيل ما لا يحتمل التأويل والمراد هنا الاقتصار على الاحاديث المرفوعة من حيث هى الواردة فى (خصائصه) بالمثناة التحتية أى فضائل الاسراء وان لم يرفع سندها الى آخره فيه أن الاسراء أى والمعراج من خصوصياته صلى الله عليه وسلم أى وقوعهما بالروح والجسم الى تلك الحضرة العلية لم يقع لاحد من الانبياء والمرسلين غيره صلى الله عليه وسلم كما سيأتى (العبهريه) بفتح العين المهملة وسكون الموحدة فهاء أى المنسوبة الى العبهر وهو الترجس والياسمين فى طيب الرايحة فالمعنى أعطر معاطس المجتمعين بنشر طيب الاحاديث الواردة فى قصة الاسراء الشبيهة فى القبول والرغبة فيه بطيب يشبه طيب الترجس والياسمين وفيه استعارة مكنية حيث شبه ما يتعلق من الاحاديث بالاسراء والخصائص بطيب الترجس والياسمين بجامع أن كلا ترتاح اليه النفوس وتشتاق واستعار اللفظ الدال على المشبه به وهو العبهر للمشبه وهو المنصوص والقرينة النشر والعبهر ترشيح (مرشفا) بضم الميم من أرشف يرشف ارشافا

الافتقار لاستمطار غوادى بركات شكره وثناه * وأعطر معاطس المحافل بنشر خصوص نصوص خصائصه العبهريه * مرشفا

وقد يشدد للمبالغة فيقال رشف بالتخفيف والتشديد استقصى فى شربه فلم يبق شيأ فى الاناء والرشيف كأمير أخذ الماء بالشفتين وهو فوق المص وفى المثل الرشف أنقع أى ترشف الماء قليلا قليلا اسكن للعطش أى مسقيا (أفواه) جمع فوه الفم من الانسان والحيوان أصله فوه بفتحتين ولهذا يجمع على أفواه مفعول أول لرشفا (المسامع) بفتح الميم الاولى جمع مسمع بكسرها وعاء السمع وهو الاذن قال فى القاموس والمسمع الاذن كالسامعة جمعه مسامع وأما المسمع كمقعد الموضع الذى يسمع منه وهو منى بمرأى ومسمع بحيث أراه وأسمع كلامه انتهى واستعمال الافواه للاذان اما مجاز أو على سبيل الاستعارة بالكناية على سبيل التخييل وهى القرينة والرشف ترشيح فالاضافة على الاول حقيقية وعلى الثانى من اضافة المشبه به للمشبه ويحتمل أن تكون بيانية أى أفواه هى المسامع (حميا) بضم الحاء وفتح الميم وشد المثناة التحتية مفعول ثانى لرشفا وهى أول سورة الخمر ثم استعمل فيه وقد تطلق مجازا على المشروب ولو معنويا كما هنا واضافته الى (وصفه) من اضافة المشبه به للمشبه (البديع) الحسن الغاية فى الحسن فهو صفة كاشفة (من كؤس) بضم الكاف والهمزة المشمومة بالواو [٢] جمع كاس قال فى المصباح والكاس بهمزة ساكنة ويجوز تخفيفها القدح مملوء من الشراب فلا تسمى كاسا الا وفيها الشراب وهى مؤنثة والجمع كؤس وأكؤس مثل فلس وأفلس وفلوس وكئاس مثل سهام وهو قول ابن الاعرابى قال فى القاموس الاناء يشرب فيه أو مادام الشراب فيه والشراب ونقل مجىء جمعها على كاسات أيضا (الشفاه) بكسر الشين المعجمة والوقف على هاء التأنيث للسجع جمع شفة بفتح الشين وقد تكسر ومنهم من يجعل لامها هاء ويقول الاصل شفهة وتجمع على شفاه مثل كلبة وكلاب وعلى شفهات مثل سجدة وسجدات وتصغر على شفيهة ومنهم من يجعلها واوا ويقول الاصل شفوة وتجمع على شفوات مثل شهوة وشهوات وتصغر على شفيه ونقل ابن الفارس القولين عن الخليل وقال الازهرى أيضا قال الليث تجمع الشفة على شفهات وشفوات والهاء أقيس والواو أعلم وناقض الجوهرى فانكر ان يقال أصلها الواو ومن ثم اقتصر المجد فى القاموس على أن لامها هاء ولا تكون الشفة الا من الانسان ففى كلامه استعارة حيث شبه ما يقر أمن الاوصاف الشريفة بالخمر بجامع حصول الانتعاش والمسرة والتلذذ بكل عند الشرب والسماع وطوى ذكر المشبه به وهو الخمر ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو الحميا وهو السورة الحاصلة عند أول الشرب واثبت لها الكأس تخييلا والكأس القرينة والبديع ترشيح على سبيل الاستعارة التخييلية واضافة الكاس الى الشفاه من اضافة المشبه به للمشبه (واستنزل) أى اطلب النزول (من صيب) بفتح الصاد المهملة وكسر المثناة التحتية مشددة اسم السحاب فيه الصوب والصوب المطر تسمية بالمصدر يقال سحاب صيب ذو صوب أى سحاب (الفيض) بالفاء والضاد المعجمة أصله مصدر فاض الماء اذا كثر حتى سال على شفة الوادى يقال فاض الخير كثر فالمراد بالفيض الخير الكثير أى اطلب نزول وسيلان الخير الكثير (الالهى) المنسوب الى الله سبحانه وتعالى شبه الرحمة الالهية بسحاب ذى مطر بجامع النفع والخير والبركة فى كل وطوى ذكر المشبه به وهو المطر ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو الصيب واثبت لها الفيضان تخييلا والفيض قرينة والاستنزال ترشيح (ديم)

أفواه المسامع حميا وصفه البديع من كؤس الشفاه * واستنزل من صيب الفيض الالهى ديم

[٢] (قوله المشمومة بالواو) قال فى الصحاح واشمام الحروف أن تشمه الضمة أو الكسرة وهو أقل من روم الحركة لانه لا يسمع وانما يتبين بحركة الشفة انتهى منه

بكسر الدال المهملة وفتح المثناة التحتية آخره ميم منصوب على المفعولية لفاعل قوله استنزل جمع ديمة بكسر الدال المطر الذى ليس فيه رعد ولا برق وهو أكثر نفعا وبركة (صلوات) جمع صلاة وهى من الله الرحمة المقرونة بالتعظيم ومما سواه من الملائكة وغيرهم الدعاء اذ الحقيق أن الصلاة معناها العطف فان اضيف الى الله كان بمعنى الرحمة والى غيره بمعنى الدعاء لان الاصل عدم تعدد الوضع وخص الانبياء بلفظها فلا تستعمل فى غيرهم الا تبعا تمييزا لهم لمراتبهم الرفيعة والحق بهم الملائكة لمشاركتهم لهم فى العصمة واضافة الديم الى الصلوات من اضافة المشبه به للمشبه فيكون قد شبه الصلوات بالسحابة وطوى ذكره ورمز له بالديم والقرينة الصيب والفيض ترشيح (مسكيه) أى منسوب للمسك من نسبة الموصوف لصفته والمسك بكسر الميم وسكون السين المهملة آخره كاف هو فى الاصل دم دمل يتجمد فى جلدة عند سرة بعض الظباء فى زمن معين بناحية من أقصى بلاد الترك تسمى تبت بمثناتين فوقيتين أولهما مضمومة بينهما موحدة مشددة اذا بلغت أورثت الحكمة فتحكه حتى تلفيه وهذا هو المشهور وفى شرح البخارى للقسطلانى نقلا عن ابن الصلاح عن ابن عقيل البغدادى أن الناجفة فى جوف الظبية كالانفحة فى الجدى وأنه سافر الى بلاد المشرق حتى حمل هذه الدابة الى بلاد المغرب فحلف جرى فيها وقيل انها تلقيها من جوفها كما تلقى البيضة الدجاجة وذكر القزوينى أن دابة المسك تخرج من الماء كالظباء فى وقت معلوم والناس يصيدون منها شيأ كثيرا فتذبح فيوجد فى سرتها دم وهو المسك لا يوجد له رائحة هناك حتى يحمل الى غير ذلك الموضع من البلاد انتهى وذكر فى المروج عن مشاهدة انه دم ينزل من حيوان دون الظباء قصير الرجل بالنسبة الى اليد له نابان معقوفان الى الارض وقرنان فى رأسه ينعوجان الى ذنبه شديد البياض فيهما منافس يستنشق منها الهواء عوض المنخرين والمسك أربعة أنواع تبتى وهو ما فى النوافج وهو ما يخرج من الاول وتركى وهو دم الحيوان الذى ذكره فى المروج ينزل منه كالحيض ويوجد جامدا على الاحجار ويعرف بشدة الرائحة والصفرة واستطالة القطع وصلابتها وعليه يحمل التنجيس عند من قال به وصينى وهو المأخوذ بمعالجة الظبية حتى يجتمع الدم فينشق وينشف ويعرف بالكمودة والصلابة وهندى وهو دم أخذ منها بالذبح وضرب مع كبدها ويعرف وجف ويعرف بالرزانة والشقرة ومتى رعت الساذج والسنبل والمرو ونحوها ولم تشرب كان بالغا فى الجودة والعبر يسقط فوته ذكر ذلك فى التذكرة وغيرها وهو فارسى معرب مشك بضم الميم والشين المعجمة وكانت العرب تسميه المشموم وخصه بالذكر لانه أطيب الطيب وأفضله ففى مسلم من حديث أبى سعيد مرفوعا المسك أطيب الطيب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ترغيبا فى ابقاء أثر الصوم قال الفراء المسك مذكر وقال غيره يذكر ويؤنث فيقال هو المسك وهى المسك واستدل بعضهم على التأنيث قول الشاعر

والمسك والعنبر خير طيب * أخذتا بالثمن الرغيب

والمعنى أطلب كثرة تنزل الرحمات الالهية المقرونة بالتعظيم الشبيهة فى الكثرة بالسيل وفى البركة بالمطر الذى ينزل بلا رعد ولا برق فانه أنفع للنمو والزيادة ويكون خيرها أعم والشبيهة بالمسك فى الاطيبية والافضلية والرغبة فيه لما فيها من الخير والبركة وتكون تلك الصلوات

صلوات مسكيه*

بحيث (يغمر) بالغين المعجمة وضم الميم أى يعلو قال فى المصباح وغمره البحر غمرا من باب قتل علاه وفى القاموس وغمره الماء غمرا واغتمره غطاه (غيداقها) بفتح الغين المعجمة وسكون المثناة التحتية فدال مهملة فالف فقاف الناعم كما فى القاموس وقد يحذف ألفه فيقال ثياب غيدق أى ناعم أى يعلو ويغطى ناعم تلك الصلوات المشبهة فى الكثرة بالبحر والنعومة بالحرير (بحدث) بفتح الجيم والدال المهملتين آخره مثلثة القبر ويجمع على أجداث مثل سبب وأسباب وهذه لغة تهامه وأما أهل نجد فيقولون جدف بالفاء ويجمع على أجدث أيضا (صفى) بفتح الصاد المهملة كفنى الحبيب المصافى ومن الغنيمة ما اختاره الرئيس لنفسه قبل القسمة وخالص كل شئ والمراد به المصطفى صلى الله عليه وسلم فلا شك أنه الحبيب الذى اختاره الله قبل كل شئ واستخلصه من خالص الاشياء واتخذه حبيبا واختاره لنفسه وعده صفيا فهو الصفوة المصطفاة صلى الله عليه وسلم (حضرة) أى قرب وفناء (القدس) بضم القاف والدال وقد يسكن الدال تخفيفا الطهر اسم ومصدر ومنه قيل للجنة حظيرة القدس قال فى المختار وقدوس بالضم اسم من أسماء الله تعالى وهو فعول من القدس وهو الطهارة أى فالمراد بحضرة القدس الله سبحانه وتعالى لتقدسه وتنزهه وتطهره عن كل ما لا يليق به سبحانه وتعالى أى صفى الله (ومجتباه) أى مختاره (الاب الاكبر والجد الاعلى) الاب امامجرور على البدلية أو مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف والاكبر صفته والجد معطوف على الاب يعرب باعرابه أشار به المؤلف الى أنه من نسله الشريف وفرعه المنيف تحدثا بتلك النعمة العظمة والفضيلة الجسيمة وأيضا قد يطلق عليه الاب الاكبر لانه صلى الله عليه وسلم كان فى الرحمة والشفقة على أمته كالاب فى ذلك على ولده ولكونه صلى الله عليه وسلم أصل جميع الموجودات كما فى حديث جابر ان الله تعالى خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره وهو الذى عليه المحققون وهذا هو المعنى بقول بعضهم لما تعلقت ارادة الحق بايجاد خلقه ابرز الحقيقة المحمدية من الانوار الصمدية فى الحضرة الاحدية ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها فهو أصل جميع الخلق على الاطلاق وقد أشار الى ذلك بقوله (الذى سعد) بفتح السين وكسر العين المهملتين من باب تعب فى الدين والدنيا (الكون) الحدث والمراد ما كونه الله أى أوجده وأحدثه من الاشياء (بطوالعه) جمع طالع وهو فى اصطلاح الفلكيين درجات فلك البروج حين طلوعها من افق المشرق والمراد اشراق ما أفاض الله عليه من أنوار التجليات من ابراج السعادة حتى طمست سائر الانوار فالمراد ظهور وجوده الشريف صلى الله عليه وسلم جمعها باعتبار معاليه وما أفاض الله على باطنه من أنوار التجليات الالهية وحسن الاخلاق والصفات وما خص به من الفضائل والفواضل (الاسعديه) الاسعد السعود الاكبر والمراد المبالغة فى السعد وذلك لان المولود حين ولادته ينظر فى طالعه وهو الجزء الذى يكون يبرز من افق المشرق ذلك الحين يعلم منه طالعه فى السعادة وغيرها ولا شك أن طالع ولادته صلى الله عليه وسلم أسعد الطوالع فانه الاسعد الذى سعديه جميع الخلق وسعادته لامته أى امة الاجابة بالهداية الى الدين القويم وما يترتب عليه من الخير والثواب العظيم والبعد عن العذاب والعقاب الاليم ولغير امته يعنى امة الدعوة بالامن مما كان يقع فى الامم قبله من الخسف والمسخ وغير ذلك (وسادت أمته) أى امة الاجابة على

يغمر غيداقها احدث صفى حضرة القدس ومجتباه الاب الاكبر والجد الاعلى الذى سعد الكون بطوالعه الاسعديه * وسادت أمته

غيرها من الامم بالمجد والشرف حيث خاطبهم الله تعالى على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام بما فيه فضلهم وامتيازهم على سائر الامم فقال (كنتم خير أمة) من كان الناقصة دلت على خيريتهم فيما مضى ولم تدل على عدم سابق أو لاحق كقوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم في علم الله أي وفيما لا يزال أو في اللوح المحفوظ أو فيما بين الامم المتقدمين وقيل معناه أنتم (خير أمة أخرجت للناس) أي أظهرت لهم (تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) استئناف بين به كونهم خير أمة أو خبر ثان لكنتم (وتؤمنون بالله) يتضمن الايمان بكل ما يجب أن يؤمن لان الايمان به انما يحق ويعتد به اذا حصل الايمان بكل ما أمر أن يؤمن به وانما أخره وحقه أن يقدم لانه قصد بذكره الدلالة على أنهم أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه واستدل بهذه الآية على أن الاجماع حجة لانها تقتضي كونهم آمرين بكل معروف وناهين عن المنكر اذ اللام فيهما للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان أمرهم على خلاف ذلك واعلم أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له كل أحد اذ المتصدي له شروط لا يشترك فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن من القيام بها ولذا قال تعالى ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر فمن في قوله تعالى منكم للتبعيض فيكون خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على أنه واجب على الكل حتى لو تركوه رأسا اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية أو للتبيين بمعنى وكونوا أمة تامرون بالمعروف كقوله تعالى كنتم خير امة أخرجت للناس تامرون بالمعروف ذكر ذلك القاضي البيضاوي في تفسيره وسيأتي الكلام في خيرية امته صلى الله عليه وسلم هل هي في حق من كانوا في القرون التي أخبر صلى الله عليه وسلم بخيريتها أو تشمل من بعدهم أواخر الكتاب تفصيلا

كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله التعيين الاول

(التعين) بفتح المثناة الفوقية وفتح العين المهملة وضم الياء المثناة التحتية مشددة آخره نون فيه من الاعراب ما تقدم في الاب هو ما به امتياز الشئ عن غيره بحيث لا يشاركه فيه غيره كما نص عليه السيد الجرجاني في تعريفاته (الاول) هو مفتتح العدد وهو الذي له ثان ويكون بمعنى الواحد ومنه في صفات الله تعالى هو الاول أي هو الواحد الذي لا ثاني له وعليه استعمال المصنفين في قولهم وله شروط الاول كذا الايراد به السابق الذي يترتب عليه شئ بعده بل المراد الواحد وقول القائل أول ولد تلده الامة حر محمول على الواحد أيضا حتى يتعلق الحكم بالولد الذي تلد سواء ولدت غيره ام لا اذا تقرر أن الاول بمعنى الواحد فالمراد بالتعين الاول الحقيقة المحمدية المعبر عنها بحقيقة الحقائق عند المحققين من الصوفية وهي الذات مع التعين الاول كما ذكر ذلك السيد الجرجاني في تعريفاته قال وهو الاسم الاعظم وقد أوضح ذلك المرشد الكامل المحقق الشيخ ابراهيم الكوراني في بعض رسائله وأنا أنقل عبارته مع بعض ايضاح وزيادات تناسب المقام قال رحمه الله تعالى اعلم أن المحققين من المشايخ قالوا أن التعين الاول أول مرتبة للذات الاقدس وأول مراتب العلم من حيث أنه عين الذات لا نعت زائد عليها والعلم بحسب المرتبة الاولى التي هي التعين الاول هو ظهور الذات لنفسه وامتيازه باندراج اعتبارات الواحدية فيها فانه علم ذاته الذي هو شئ واحد لا كثرة فيه ولا تعدد بالحقيقة لان الاعتبارات

المذكورة لا تنافى الوحدة الحقيقية كفروع الشجرة بالنظر لاصلها ولله المثل الاعلى وأما العلم
فى المرتبة الثانية فهو ظهور الذات لنفسها من حيث تظاهر تلك الشؤون المسماة صفات
وحقائق فيها اى فى هذه المرتبة فكان متعلقا بمعلومات متميزة متغايرة وهى الصفات المذكورة
وكل تلك الصفات لكونها اعتبارات لا تعدد لها فى الخارج عين واحدة فى الوحدة الحقيقية
التى هى التعين الاول الذى هو أول مراتب العلم وهذه الوحدة الحقيقية انتشت منها شيآن
الاول الاحدية والثانى الواحدية فالاحدية سقوط الاعتبارات عنها أى عن الوحدة الحقيقية
بالكلية والواحدية ثبوت الاعتبارات لها مع اندراجها فى أول رتبة الذات فالوحدة الحقيقية
لها وجهان وجه ينظر الى التعين الاول الذى هو احدية الذات باندراج الصفات فيها ووجه
ينظر الى التعين الثانى الذى هو الواحدية التى يكون تميز الصفات وتعددها الاعتباريان
فالوحدة هو البرزخ الجامع بين الاحدية والواحدية وأصل كل قابلية من حيث الاحدية
وفاعلية من حيث الواحدية ولهذا عبروا عنها بحقيقة الحقائق والحقيقة المحمدية يشيرون بها الى
هذه الحقيقة المسماة بحقيقة الحقائق لكونها أصل كل حقيقة الهية وكونية فتلخص من جميع
هذه العبارة أن الحقيقة المحمدية وحقيقة الحقائق عبارتان عن وحدة الذات المقدسة بالمعنى
المذكور وعلم المعنى المراد من التعين الاول واطلاقه على حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم التى هى
الظهور الاول بهذا الاعتبار وفى التحفة المرسلة الاعيان الثابتة هى صور العالم فى مرتبة التعين
الثانى لان للعالم ثلاث مواطن أحدها التعين الاول ويسمى فيه شؤنا وثانيها التعين الثانى ويسمى
فيه أعيانا ثابتة وثالثها التعين فى الخارج ويسمى فيه أعيانا خارجية انتهى وقال غيره التعين هو
التشخص والتعين الاول عند الصوفية هو مرتبة الوحدة والتعين الثانى عندهم هو مرتبة
الواحدية انتهى (والكنز) فى اللغة المال المجموع والمدفون تسمية بالمصدر قيل هو معرب
كنج والمراد هنا الشئ النفيس الذى لا أنفس منه (المطلسم) اسم مفعول من طلسمه فهو
مطلسم والطلسم بفتح الطاء وكسر اللام المخففة وقيل بكسر الطاء والسين وقيل بكسر الطاء
واللام المشددة وسكون السين المهملة قال ابن الرومى وفى لطفك طلسم * لحالى أى طلسم
جمعه طلسمات قال بعضهم هو الخارق الذى مبدؤه القوى السماوية الفعالة المزوجة بالقوابل
الارضية المنفعلة لتحدث به الامور الغريبة فان لحدوث الكائنات العنصرية التى أسبابها
القوى السماوية شرائط مخصوصة غريبة عجيبة كذا قال وفى شرح المواقف ان الطلسم
عبارة عن تمزيج القوى السماوية الفعالة بالقوى الارضية المنفعلة الى آخر ما تقدم عن البعض
قال الخفاجى فى شفاء الغليل وفى السر المكتوم هو عبارة عن علم باحوال تمزيج القوى الفعالة
السماوية بالقوى المنفعلة الارضية لاجل التمكن من أظهار ما يخالف العادة والمنع مما يوافقها
انتهى قال العلامة ابن حجر فى كتابه قواطع الاسلام والطلسمات نقش أسماء خاصة لها تعلق
بالافلاك والكواكب على زعم أهل هذا العلم فى أجسام من المعادن أو غيرها فلا بد فى الطلسم
هذه الثلاثة الاسماء المخصوصة وتعلقها ببعض أجزاء الفلك وجعلها فى جسم من الاجسام
ولا بد مع ذلك من قوة نفس صالحة لهذه الاعمال فليس كل النفوس مجبولة على ذلك انتهى قال
الخفاجى هو لفظ يونانى لم يعربه من يوثق به وكونه مقلوبا من مسلط وهم لا يعتد به أى وان جرى

والكنز المطلسم

عليه في الفتوحات المكية وفي لسان العرب طلسم كره وجهه وقطبه وأطرق وفي الصحاح في طرسم أطرق وطلسم مثله وهذا يقتضي كون اللفظة عربية بهذا المعنى ولا ينافي كونها يونانية بالمعنى السابق قال داود في التذكرة هو علم اخترعه ارشميدس على ما حرر وقيل أول ما وضع فيه مكعب افلاطون وهو علم مادته الفلك وأنواع المولدات وصورته كمال الهياكل وغايته محاكاة الطبيعة الاصلية وفاعله الحكيم ويحتاج الى الطب في أحكام الطبائع وتحرير دخنه وأجزاء بخوراته وما يتعلق بموازين درجها قال ثم مطلق العلم ان كان موضوعه روحانيا في روح فالسحر او جسدانيا في جسد فالكيمياء أو روحانيا في جسد فالطلسم وهو مشابهته الطبيعيات قهرا بنسب عددية واسرار فلكية انتهى ويعلم مما تقرر أن المراد من الطلسم هو ما يتخذه أربابه من الهياكل على نحو الكنوز بقصد الاخفاء بالكلية أو عدم تسلط أحد عليه أو حفظها لاربابها هذا معنى الكنز والطلسم في الاصل والمراد بذلك هنا النبي صلى الله عليه وسلم لانه كنز الوحي ومعدن الاسرار الالهية والمعارف الربانية أخفى الله حقيقته على عباده فليس في طاقة البشر ادراك حقيقة ما حواه صلى الله عليه وسلم من المعاني والصفات ولا تعدادها فحقيقة ذاته الشريفة لا تعلم لان ذلك من مواقف العقول فحقيقته هي الكنز المخفي التي هي الهوية الاحدية المكنونة في الغيب وهو أبطن كل باطن فمن أراد رفع حكم هذا الطلسم الالهي فقد طلب المحال فان الطلسم لا يرتفع أبدا فانه وضع الهي وكذلك جميع الطلسمات الالهية لا ترتفع أعيانها ولا ترتفع أحكامها في الموضع الذي جعل الحق تعالى حكمها فيه فهو صلى الله وسلم الكنز في ذاته وصفاته وفي اشتماله على الذخائر النفيسة المنتفع بها الامة حالا ومآلا (والدرة الحجبية) الدرة بضم الدال المهملة وفتح الراء المشددة آخره هاء اللؤلؤة العظيمة الكبيرة والجمع در بحذف الهاء ودرر مثل غرفة وغرف والحجبية بضم الحاء المهملة والجيم أي منسوبة الى الحجب كذلك جمع حجاب بكسر الحاء قال في القاموس والحجاب ما احتجب به جمعه حجب انتهى وفي المصباح حجبه حجبا من باب قتل منعه ومنه قيل للستر حجاب لانه يمنع المشاهدة وقيل للبواب حاجب لانه يمنع من الدخول والاصل في الحجاب جسم حائل بين جسمين وقد استعمل في المعاني فقيل الجهل حجاب بين الانسان ومراده انتهى شبه ذات المصطفى صلى الله عليه وسلم بالدرة الثمينة العظيمة ونسبها الى الحجب لكونها ليس في طاقة البشر الوقوف على حقيقتها كما تقدم في قوله الكنز المطلسم فالاطلاع على حقيقتها ممنوع بالمنع الالهي هذا بالنسبة الى كنه ذاته الشريفة وحقيقتها ولعل فيه اشارة الى الحجب الواردة في حديث ابن عباس الآتي عند قوله فرفضه جبريل وخر ساجدا الخ (والنور) مقتبس من قوله تعالى قد جاءكم من الله نور قيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل القرآن فهو صلى الله عليه وسلم نور الله الذي لا يطفأ وبابى الله الا أن يتم نوره وحقيقة النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره (المبين) قال تعالى حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال تعالى وقل اني أنا النذير المبين ومعناه البين أمره ورسالته لعظيم آياته الظاهرة ومعجزاته الباهرة أو المبين من الله ما بعثه به كما قال لتبين للناس ما نزل اليهم أو المبين بمعنى أنه عربي اللسان وهو أفصح العرب (الذي اكتحلت أعين) جمع عين الباصرة فانها تجمع على أعين وأعيال وعيون (الوجود) بضم الواو خلاف العدم والمراد ما أوجده الله من العدم من المخلوقات فيشمل الجمادات وغيرها واثبات العين لها مجاز وقد كان صلى

والدرة الحجبية * والنور المبين الذي اكتحلت أعين الوجود

الله عليه وسلم يعرفه الحجر والمدر ففيه تشبيه الوجود بانسان ذى بصر على سبيل الاستعارة بالكناية (باثمد) بكسر الهمزة والميم هو حجر الكحل يؤتى به من اصفهان ومن المغرب وهو حجر صلب براق مركب من جوهر كبريتى وجوهر زيبقى والكبريتى أغلب ولذلك يقبض ويجفف بلا لذع ويدمل القروح ويذيب لحمها الزائد لشدة التجفيف ويقوى العين بالقبض والتجفيف ومنع سيلان الفضول اليه ويقطع الرعاف الذى يكون من حجب الدماغ ويقطع النزف الرحمى احتمالا (رؤياه) لدى ظهوره مصدر كرجعى يطلق على نفس الرؤية وعلى الشئ المرئى والثانى هو المراد ويختص بالنوم كاختصاص الرؤية بالعين أى فهو مختص بما يقع فى النوم والذى فى اليقظة رؤية وقيل انها تطلق على الرؤية بالبصر قال تعالى وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس وهى رؤية بصر كما سيأتى فى الكلام على هذه الآية آخر القصة الشريفة وهذا الثانى هو المقصود هنا أيضا واضافة الاثمد الى رؤياه من اضافة المشبه به للمشبه أو اضافة بيانية أى اثمد هو رؤياه ووجه المشابهة حصول القوة والانجلاء للعين بكل وان كان ما يحصل برؤيته صلى الله عليه وسلم أقوى وأجلى فهو النور المبين الذى فرق الله به بين الحق وهو الدين القويم المفضى وبين الباطل وهو الجهل والكفر المظلم فقد فرق الله به أعين المخلوقات كلها جنها وانسها وملائكتها من أول أمره عند ما خلق الله نوره وهكذا من لدن آدم عليه السلام الى يوم القيامة ولذا كان يفتخر كل عصر هو فيه على العصر الذى قبله بكمال أعلى مما قبله ولو فى ضمن الآباء لكن أعظمها افتخارا عصر بروزه الى هذا العالم ثم عصر نشأته ثم عصر رضاعه ثم عصر شق بطنه ثم عصر تعبده بحراء وغيره ثم عصر نبوته ثم عصر رسالته ثم عصر دعائه الخلق الى الله تعالى ثم عصر اقباله عليهم ثم عصر معارجه ثم عصر هجرته ثم عصر جهاده ثم عصر سراياه وبعوثه ثم عصر فتوحه ثم عصر دخول الناس فى الدين أفواجا ثم عصر حجه ثم عصر اتباعه على تفاوتهم الى يوم القيامة كما دل على ذلك حديث لا تزال طائفة من أمتى الحديث فرؤياه التى قرت بها أعين الوجود وجلت بها بصيرة كل موجود تتزايد فى كل عصر من أعصار حياته على ما قبله وبحسب ذلك يكون افتخار ذلك العصر على غيره وكذلك عصر اتباعه تتفاوت مزاياهم المستمدة من مزياه فيفتخر كل عصر على غيره بحسب ذلك أيضا وأعمالهم المتضاعفة له تضاعفا يفوق الحصر لان كل عامل يتضاعف له صلى الله عليه وسلم عمله وكذلك كل واسطة بينه وبينه لانه الدال للكل ومن دل على خير فله مثل أجر فاعله فكل دال يتضاعف له بحسب تضاعف من بعده ويتضاعف للنبى صلى الله عليه وسلم بحسب تضاعف الجميع وهذا شئ يقصر عن ادراكه كثرة العقل ثم عصر مقامه المحمود وشفاعته العظمى فى فصل القضاء ثم عصر حوضه ثم عصر فضيلته ووسيلته التى يعطاها فى الجنة مما لا تدرك غايته ولا تحد نهايته فكل عصر من هذه الاعصر قد قرت وتقر بنوره بحسب ما وقع وما يقع من أنوار الشريعة النبوية والآيات والمعجزات وغير ذلك من سائر الكمالات المنتشرة اشعتها من نور ذاته الشريفة وعلم مما تقرر أن له صلى الله عليه وسلم وفى كل عصر مرتبة أعلى مما قبلها وأعلى منها ما بعدها وهكذا الى ما لا نهاية له ودليل ذلك قوله تعالى وقل رب زدنى علما ولا شك ان علومه ومعارفه متزايدة متفاوتة الى ما لا نهاية له وسيأتى ما له تعلق بهذا المبحث عند قول المصنف وبسائر امته المخصوصة بالخيريه

باثمد رؤياه

أواخر الكتاب (واستمنح) بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وفتح المثناة الفوقية وسكون الميم وكسر النون آخره حاء مهملة أي أطلب المنح بفتح الميم وسكون النون وهو العطاء (مانح) اسم فاعل منح وهو الله سبحانه وتعالى أي المعطي (المنح) بكسر الميم وفتح النون جمع منحة بكسر الميم وسكون النون وفتح الحاء آخره تاء تأنيث قال في القاموس منحه كمنعه وضربه أعطاه والاسم المنحة ومنحه الناقة جعل له وبرها ولبنها وولدها وهي المنحة والمنيحة واستمنحه طلب عطيته وفي المصباح المنحة بالكسر في الاصل الشاة أو الناقة يعطيها صاحبها رجلا يشرب لبنها ثم يردها اذا انقطع اللبن ثم كثر استعماله حتى أطلق على كل عطاء انتهى و يجمع على منح ومنائح (نوافح) بكسر الفاء وبالحاء المهملة جمع نفحة وهي الرائحة الطيبة يقال نفحت الريح نفحا من باب نفع هبت و يقال نفح الطيب فاح وله نفحة طيبة أي رائحة طيبة قال الاصمعي ما كان من الرياح نفح فهو برد وما كان لفح أي باللام فهو حر والنوافح بالجيم الريح و يصح ايراده هنا أيضا أي روائح (تسليمات) جمع تسليم والمراد الدعاء بالتسليم أي السلامة من مكروهات الدنيوية والاخروية وفي الكلام استعارة بالكناية (عنبرية) المنسوبة للعنبر نوع من الطيب و يؤنث قيل هو روث دابة بحرية وقيل هو نبات ينبت في قعر البحر يأكله بعض دواب البحر وتميل منه جدا فيقذفه أو هو روثه وقيل هو صمغ شجرة في البحر وقيل يحصل من زبد البحر وقيل هو طل يقع على البحر ثم يجتمع وقال بعض علماء الطب العنبر فيما أظن نبع عين في البحر وصححه في التذكرة فقال الصحيح أنه عيون بقعر البحر تقذف دهنيته فاذا فارت على وجه الماء جمدت فيلقيها البحر في الساحل انتهى والذي يقال انه زبد البحر أو روث دابة فيه بعيد وقيل بل الحق أنه يحصل من عسل النحل ببلاد الهند فان النحل هناك ترتعي أزهار الاقاوية وأورافها و يعمل العسل بجبال هناك فيكون ذلك العسل طيب الرائحة جدا فيجيء السيل من كثرة الامطار التي تكون هناك و يغسله و يذهب به الى البحر فينمحي الاجزاء العسلية في ماء البحر و يبقى الاجزاء الشمعية وهي طيبة الرائحة فيذوب بحر الشمس في الماء و يتصفى و يلقيه الموج الى الساحل فتكون هي العنبر وكل ما كان ذوبانه وتصفيته أكثر كان أشد بياضا وكثيرا ما تبلعه دابة بحرية شبيهة بالبقر لما فيه من بقية الحلاوة فلا ينحدر من جوفها فتموت فيخرج العنبر من بطنها وقد تغير لونه الى السواد ورائحته الى السموكة أي ريح السمك أو صداء الحديد وهو العنبر الاسود المشهور بالزنجي و بسبب هذا ظن بعض الناس أنه روث البقر البحري وأجوده الاشهب الخفيف الوزن القليل الدسومة الذي يغلب رائحته رائحة المسك و بعده الازرق المعروف بالفستقي و بعده الاسود وعبارة التذكرة وأجوده الاشهب العطر و يليه الارزق فالاصفر فالفستقي والذي يمضغ و يمط ولم يتقطع فهو خالص وغيره ردي، و يغش بالجص واللاذن والشمع بنسب تركيبية لا تعرف الا للحذاق قال بعضهم و يمتحن بان يوضع على الجمر في زجاجة فان ذاب بتمامه وسال على الزجاجة مثل الدهن فهو الخالص والا فلا وموضعه بحر عمان والمندب وساحل الخليج المغربي وكثيرا ما يقذف بنيسان وتبلغ القطعة منه ألف مثقال وخالصه توجد فيه أظفار الطيور لانها تنزل عليه فيجذبها يقوى القلب و ينفع الحواس وسائر أمراض الدماغ الباردة طبعا وغيرها خاصية وله خاصية شديدة في تقوية القلب وفي التفريح و يعينها في ذلك

واستمنح مانح المنح نوافح تسليمات عنبرية *

عطريته القوية مع مافيه من التلطيف والمتانة والمزوجة فلاجتماع هذه الخصال فيه يقوى جوهر جميع الارواح ويزيده وينفع من الجنون والشقيقة والنزلات وامراض الاذن والانف وعلل الصدر والسعال والربو والغشى والخفقان وقروح الرئة وضعف المعدة والكبد والاستسقاء واليرقان والطحال وامراض الكلى والرياح الغليظة والفالج واللقوة والمفاصل والنساشما واكلا وكيف كان فهو أجل المفردات فى كل ماذكر شديد التفريح خصوصا بمثله بنفسج ونصفه صمغ أوفى الشراب مفردا ويحفظ الارواح وينعش القوى ويعيد ما أذهبه الدواء والجماع ويهيج الشهوتين وان لوزم بماء العسل أعاد الشهوة بعد اليأس وكذا أن مرخ به مع الغالية ودخانه يطرد الهوام ويصلح الهواء ويمنع من الوباء والاسود منه يحدث المباشر فى المحرور ويصلحه الكافور قيل ويضر المعاء ويصلحه الصمغ وشربته دانق وهو باذزهر السموم مطلقا واذا خلا منه معجون ضعف فعله والى غير ذلك مما هو مذكور فى محله من كتب الطب (تعطر) نوافح التسليمات (أضرحة) بفتح الهمزة وسكون الضاد المعجمة فراء وحاء مهملتين آخره هاء جمع ضريح القبر أوشق فى وسطه أو بلا لحد وهو فعيل بمعنى مفعول ويجمع على ضرائح أيضا (آله وأصحابه) جمع صحب وليس صحب جمعا لصاحب لان صيغة فعل ليست من أوزان الجموع كما حققه بعض المحققين وقد عرفوا الصحابى بانه هو من اجتمع به صلى الله عليه وسلم بعد بعثه مؤمنا به بيدنه فى محل التعارف ومات على ذلك أى على وجه الارض بالجسد والروح ولو لحظة وان لم يره ولم يروعنه شيأ أولم يميز على الصحيح ويخرج بقيد الاجتماع به بيدنه من آمن به فى زمنه ولم يجتمع به كالنجاشى فهو ليس بصحابى بل هو تابعى لانه أسلم على يد صحابى فى حياته ويدخل بقوله فى محل التعارف عيسى والخضر والياس والملائكة الذين اجتمعوا به فى الارض ويخرج بقيد بالجسد بقية الانبياء فانهم وان اجتمعوا به فى محل التعارف فى المسجد الاقصى ليلة الاسراء لكن كان اجتماعهم به بالارواح على الراجح ويدخل بقوله وان لم يره ابن ام مكتوم ونحوه من العميان وبقوله لم يميز من حنكه أووضع يده على رأسه أوغير ذلك (الحاجة) بفتح الجيم والحاء المهملة فى الاولى وكسرها وفتح الحاء فى الثانية آخره هاء جمع حجحاج وفى القاموس والحجحج السيد كالحجاج جمعه حجاجع وحجاجعة وحجاجيح والفضل من الرجال (السراه) بفتح السين المهملة قيل جمع سرى بفتحها وكسر الراء وشد المثناة على غير القياس بمعنى الرئيس والشريف والاسم منه السرو ومنه الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه اليوم تسرون أى يقتل سريكم أى شريفكم فقتل حمزة رضى الله عنه فى الصحاح هو جمع عزيز لا يكاد يوجد له نظير اذ لا يجمع فعيل على فعله انتهى قيل ويجمع السراة على سروات بمعنى الاشراف وفى شرح شواهد الرضى للعلامة عبد القادر بن عمر البغدادى والسراة بالفتح قال أهل اللغة قاطبة هو جمع سرى بمعنى الشريف ويرد عليهم ان فعيلا لا يجمع على فعله بالتحريك ولهذا قال الشارح المحقق فى شرح الشافية الظاهر انه اسم جمع لا جمع وذهب السهيلى فى الروض الانف الى انه مفرد لا جمع ولا اسم جمع قال لا ينبغى أن يقال فى سراة القوم انه جمع سرى لا على القياس ولا على غير القياس وانما هو مثل كاهل القوم وسنامهم والعجب كيف خفى هذا على النحويين حتى قاد الخالف منهم السالف فقالوا سراة جمع سرى ويا سبحان الله كيف يكون جمعا له وهم

تعطر أضرحة آله وأصحابه الحاجة السراه *

يقولون جمع سراة سروات مثل قطاة وقطوات يقال هؤلاء من سروات الناس كما تقول من رؤسهم ولو كان السراة جمعا ما جمع لانه على وزن فعله ومثل هذا البناء في الجموع لا يجمع وانما سري فعيل من السرو وهو الشرف فان جمع على لفظه قيل سري واسريا كغني واغنيا ولكنه قليل وجوده وقلة وجوده لا تدفع القياس فيه وقد حكاه سيبويه انتهى (واستدر) بكسر الدال المهملة وشد الراء أي أطلب الدر والدر بالفتح اللبن ومنه لله دره فارسا وأصله مصدر درا اذا نزل وسال أولان أوانفق أواضاء أوكثر أوحسن ودرت السماء بالمطر درا ودرورا فهي مدرار والسوق نفق متاعها والشئ لان والسراج أضاء فالمعنى اطلب نزول أوأضاءة أوكثرة (درر) بضم الدال المهملة وفتح الراء الاولى جمع درة وهي اللؤلؤة الثمينة واضافته الى (التوفيق) من اضافة المشبه به للمشبه كما في لجين الماء أي توفيقا كالدر في الصفاء وكمال الحسن والرغبة فيه أوهي جمع درة بكسر الدال كثرة اللبن وسيلانه أي اطلب سيلان التوفيق والتوفيق خلق قدرة الطاعة في العبد والمراد به السداد وموافقته الاعمال للصواب وعبارة السيد الجرجاني في بعض تعاليقه التوفيق جعل الله فعل عباده موافقا لما يحبه ويرضاه وقيل غير ذلك والحاصل ان التوفيق لغة جعل الاسباب متوافقة للمطلوب أي متوافقة الحصول والتأدي الى المسبب وحاصلة توجيه الاسباب بأسرها نحو المسببات وأما في عرف العلماء فعند المعتزلة الدعوة الى الطاعة وقيل اللطف لتحصيل الواجب وعند الاشعري واكثر اصحابه خلق القدرة على الطاعة وهو مناسب للوضع اللغوي اذ خلق القدرة على الطاعة سبب للطاعة وقال امام الحرمين خلق الطاعة لا خلق القدرة اذ لا تأثير للقدرة ولهذا لا يستعمل في العرف والشرع الا في الخير وقيل تسهيل طريق الخير وسد طريق الشر والخذلان عكسه وقيل هو درك الاسباب موافقة للصواب وقيل هو الوقوع على الخير من غير استعداد له قال الغزالي هو عبارة عن التأليف والتلفيق بين ارادة العبد وقضاء الله وقدره وهذا يشمل الخير والشر لكن جرت العادة بتخصيصه بما يوافق السعادة من جملة قضاء الله تعالى وقدره ويقرب من هذا ما قيل هو جعل التدبر موافقا للتقدير هكذا يستفاد من شرح المواقف والعلمي ومما ذكر أبو الفتح في حاشيته على الحاشية الجلالية في الخطبة وعند أهل البديع هو التناسب (و) درر (الاعانة) بكسر الهمزة يقال اعانه بفتح الهمزة يعينه اعانة مأخوذ من العون وهو الظهير وفي القاموس واستعنته وبه فاعانني وعونني والاسم العون وفي المصباح والاسم المعونة وفي المختار والعون الظهير على الامر والجمع اعوان والمعونة الاعانة قال الكسائي والمعون أيضا المعونة وقال الفراء هو جمع معونة ويقال ما اخلاني فلان من معاونته وهو جمع معونة ورجل معوان كثير المعونة للناس واستعان به فاعانه وعاونه وفي الدعاء رب أعني ولا تعن على وتعاون القوم أعان بعضهم بعضا انتهى والمراد خلق القدرة فيه على اتمام ما هو بصدده وهو هذا التأليف أوعلى ما هو أعم والمراد الكسب والانفراد به لا المشاركة فيه لاستحالتها في حقه تعالى (و) درر (خلوص النيه) بضم الخاء المعجمة من خلص الماء من الكدر صفا يقال أخلص لله العمل أي جعل عمله خالصا لله لا يشوبه سمعة ولا رياء ولا غيرهما والمراد بخلوص النية الصدق فيها ويكون ذلك بالتبري من الحول والقوة قال تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء وفي الحديث انما يحفظ الرجل على

واستدر درر التوفيق والاعانة وخلوص النيه *

قدر نيته وفي رواية انما يعطى الناس على قدر نياتهم وقالوا ترك العمل لاجل الناس رياء والعمل لاجل الناس شرك والاخلاص أن يعافيك الله منهما وقال بعضهم الاخلاص أن تستوى أفعال العبد في الظاهر والباطن وقال غيره افرادا لحق في الطاعة بالقصد وهو أن يريد بطاعته التقرب الى الله دون شئ آخر من تصنع المخلوق أو اكتساب محمدة عند الناس أو محبة مدح من الخلق أو معنى من المعاني سوى التقرب الى الله قال الجرجاني في تعريفاته الاخلاص في اللغة ترك الرياء في الطاعات وفي الاصطلاح تخليص القلب عن شائبة الشوب المكدر بصفائه وتحقيقه أن كل شئ يتصور أن يشوبه غيره فاذا صفا عن شوبه وخلص عنه يسمى خالصا ويسمى الفعل الخالص اخلاصا قال الله تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا فانما خلوص اللبن أن لا يكون فيه شوب من الفرث والدم وقيل الاخلاص تصفية الاعمال من الكدورات والفرق بين الاخلاص والصدق أن الصدق أصل والاخلاص فرع وهو تابع وفرق آخر الاخلاص لا يكون الا بعد الدخول في العمل وقدم طلب التوفيق والاعانة على طلب الاخلاص في النية لان النية في قبول العمل لا يتم الا بالاخلاص والاخلاص لا يحصل الا بالتوفيق فاذا حصل التوفيق من الله للعبد أخلص نيته في العمل فيحصل القبول وذلك لان النية للعمل كالروح للبدن واخلاصها سبب للوصول والعمل بدونه بعيد عن القبول ولذلك يقال الطالبون كثير والواصلون قليل وطلب الاعانة وخلوص النية من الله لانه لا قدرة للعبد على فعل شئ الا باعانة مولاه سبحانه وتعالى واذا أعانه على فعل شئ لا يضح فاسده ولا يكمل ناقصه ولا يتم ثوابه الا بخلوص النية وصدق العزم فيه بان يكون عمله خالصا لله عز وجل (فانما) الفاء تعليل لقوله استدراج وانما تارة تقتضي الحصر المطلق وتارة تقتضي حصرا مخصوصا ويفهم ذلك بالقرائن والسياق الاول كقوله تعالى انما الله اله واحد والثاني كقوله تعالى انما أنت منذر بالنسبة الى من لا يؤمن والا فالنبي صلى الله عليه وسلم لا تحصى صفاته الجميلة من البشارة والشجاعة والكرم والحلم وغير ذلك فحيث دل السياق على الحصر في شئ مخصوص فعل به والا فالاصل الاطلاق قال العلامة ابن حجر في شرح الاربعين هي التقوية الحكم الذي في حيزها اتفاقا ومن ثم وجب أن يكون معلوما للمخاطب أو منزلا منزلته ولا فادة الحصر وضعا على الاصح فيهما عند جمهور الاصوليين خلافا لجمهور النحاة وهو اثبات الحكم لما بعدها ونفيه عما عداه ثم أطال في تقرير ذلك (الاعمال) البدنية أقوالها وأفعالها فرضها ونفلها قليلها وكثيرها الصادرة من المكلفين المؤمنين صحيحة أو مجزءة أو كاملة فالاعمال هي حركات البدن فتدخل فيها الاقوال ويجوز بها عن حركات النفس وآثارها على الافعال امثلا تتناول أفعال القلوب وهي لا تحتاج الى نية يوال فيها للعهد الذهني أي غير العادية لعدم توقف صحتها على نية أو للاستغراق وهو ما حكي عن جمهور المتقدمين ولا يرد عليه نحو الاكل والشرب من العاديات ونحو قضاء الديون من الواجبات لان من أراد الثواب عليه احتاج الى نية لا مطلقا لحصول المقصود بوجود صورته (بالنيات) بتشديد الياء جمع نية من نوى قصد وأصل نية نوية ثم أعلت كسيدة وقيل بالتخفيف من ونى ابطأ لانه يحتاج في تصحيحها الى نوع ابطاء كذا نقله ابن حجر وسكت عنه وهو غير جيد لاختلاف المادتين ولانه لا يتأتى الا على أحد أنواع القلب ولا حاجة الى تكلف ذلك مع وجود ما يدل على المقصود من أصل المادة وقال القسطلاني وقيل

فائدة الاعمال بالنيات

من النوى بمعنى البعد فكان الناوى للشئ يطلب بقصده وعزمه ما لم يصل اليه بجوارحه وحركاته الظاهرة لبعده عنه فجعلت النية وسيلة الى بلوغه وفيه نوع تكلف ويحتمل أن يكون من نوى بمعنى التحول من مكان الى آخر لانه يتحول العمل بالنية من فساد الى صحة ومن نقص الى كمال وغير ذلك والباء فى بالنيات تحتمل المصاحبة والسببية أى الاعمال ثابتة ثوابها بسبب النيات ويظهر أثر ذلك فى أن النية شرط أو ركن والاشبه عند الغزالى انها شرط وعند الاكثرين انها من الاركان والسببية صادقة مع الشرطية وهو واضح لتوقف المشروط على الشرط ومع الركنية لان بترك جزء من الماهية تنتفى الماهية والحق أن ايجاد هاذكرا فى أوله ركن واستصحابها حكما بان تعرى عن المنافى شرط كاسلام الناوى وتمييزه وعلمه بالمنوى قال ابن حجر بالنيات أى بسببها أو مصاحبة لها فعلى الاول هى جزء من العبادة وهو الاصح وعلى الثانى هى شرط وافردت فى رواية لانها مصدر وجمعت فى هذه لاختلاف أنواعها وهى لغة القصد أى عزم القلب وشرعا قصده المقترن بالفعل فان تراخى عنه كان عزما أو يقال قصد الفعل ابتغاء وجه الله وامتثالا لامره وانما لم يوجبوا المقارنة فى الصوم ونحو الزكاة للعسر فعلم أن حكمها الوجوب ومحلها القلب فلا يكفى النطق مع الغفلة ويستحب النطق بها ليساعد اللسان القلب ولئن سلمنا أنه لم يرو عنه ولا عن أحد من أصحابه النطق بها لكن نجزم بانه عليه الصلاة والسلام نطق بها لانه لاشك أن الوضوء المنوى مع النطق به أفضل والعلم الضرورى حاصل بان أفضل الخلق لم يواظب على ترك الافضل طول عمره ولم يثبت عندنا انه أتى بالوضوء العارى عنه والشك لا يعارض اليقين فثبت انه أتى بالوضوء المنوى مع النطق وقيل محلها الدماغ ورد بان هذا المجال للرأى فيه بل يتوقف على السمع والادلة السمعية دالة على الاول وأيضا فالاخلاص اللازم لها محله القلب اتفاقا ومتعلق هذا اللفظ الصحة اذهى أكثر لزوما للحقيقة من الكمال فالحمل عليها أولى لان ما كان ألزم للشئ كان أقرب خطورا بالبال عند اطلاق اللفظ لا الكمال فلا يصح عمل كالوضوء خلافا لابى حنيفة رضى الله عنه ولا نسلم أن الماء مطهر بطبعه وكالتيمم خلافا لاوزاعى الا بنية مالم يقم دليل على التخصيص وتقدير الحنفية انما الاعمال كاملة يوهم انهم لا يشترطون النية فى العبادات وليس كذلك فان الخلاف ليس الا فى الوسائل أما المقاصد فلا اختلاف فى اشتراط النية فيها ومن ثم لم يشترطوها فى الوضوء لانه مقصود لغيره لا لذاته فكيف ما حصل حصل المقصود وصار كستر العورة وباقى شروط الصلاة التى لا تفتقر الى نية ومما يعين تقدير الصحة وأن الحصر فيها عام الادليل خبر البيهقى لا عمل لمن لا نية له وخبر غيره ليس للمرء من عمله الا ما نواه وغير ذلك من الاخبار وقيل لا حاجة الى تقدير محذوف من الصحة والكمال أونحوهما لان الاضمار خلاف الاصل وانما المراد حقيقة العمل الشرعى فلا يحتاج الى اضمار ووقتها أول الفرض كاول غسل جزء من الوجه فى الوضوء فلو نوى فى اثناء غسل الوجه كفت ووجب اعادة المغسول منه قبلها وشرعت تمييزا للعبادة عن العادة كالغسل يكون تنظيفا وعبادة أو تمييزا لرتب العبادة بعضها عن بعض كالتيمم للجنابة والحدث وصورتهما واحدة وكالصلاة تكون فرضا ونفلا فلا تجب فى عبادة لا تكون عادة اذ لا تلبس بغيرها كالايمان بالله تعالى والمعرفة والخوف والرجاء والنية والقراءة والاذكار حتى خطبة الجمعة

على

على الاوجه ولا تجب فى التروك كترك الزنا الا لحصول ثواب الترك لان القصد اجتناب المنهى وهو حاصل بانتفاء وجوده وأن لم تكن نية قال البيهقى كسب العبد أما بقلبه أو بلسانه أو بجوارحه فالنية أحدهما وأرجحها لانهما تابعان لها صحة وفسادا وثوابا وحرمانا ولا يتطرق الرياء ونحوه بخلافهما أى لانها عمل القلب بخلاف عمل اللسان والجوارح ومن ثم وردت نية المرء خير من عمله وهو ضعيف لا موضوع خلافا لمن زعمه ويدل لخيريتها خبر أبى يعلى يقول الله تعالى للحفظة يوم القيامة اكتبوا لعبدى كذا وكذا من الاجر فيقولون ربنا لم نحفظ ذلك عنه ولا هو فى صحفنا (وانما لكل امرئ) بكسر الراء المهملة يقال امرء وامرؤ قال الله تعالى واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وفى المؤنث امرأة وامرأة ومرة بوزان سنة بغير همزة فى الاخير أى لكل رجل وكذا لكل امرأة مانوت لان النساء شقائق الرجال وفى القاموس والمرء مثلثة الميم الانسان أو الرجل (ما) أى جزاء الذى (نواه) دون ما لم ينوه ودون ما نواه غيره وصلته نوى وصرح بالعائد وأن لم يصرح به فى الحديث لاجل موافقته ما التزمه فى السجع فاستفيد من هذه الجملة دون الذى قبلها وجوب التعيين فى نية ما يلتبس دون غيره كالطهارة والزكاة والكفارة والنسك للخبر الصحيح خلافا لمن طعن فيه أنه صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يلبى بالحج عن رجل قال أحججت عن نفسك قال لا قال هذه عن نفسك ثم حج الرجل ووجه فهم ذلك من هذه الجملة الثانية ان أصل النية فيما يلتبس علم من الجملة الاولى ومنع الاستنابة فى النية علم من الجملة الثانية نعم يستثنى منه نية الوكيل فى تفرقة الزكاة اذا فوضت اليه لانها حينئذ تابعة ونية الصبى فى الحج والحاج عن غيره وتغسيل نحو المجنونة لعدم تأهل المنوى عنهم لها فاقيمت نية الناوى مقام نيتهم وغير ذلك وقيل مفاد الاول أن صلاح العمل وفساده بحسب النية من خير أو شر وهاتان كلمتان جامعتان أو قاعدتان محليتان لا يشذ عنهما شئ قال بعضهم أن جميع النيات المعتبرة فى العبادات لا بد لها من المقارنة للفعل الا الصوم والكفارة فانه يجوز تقديمها فيهما على الفعل والشروع وذهب القرطبى الى أن الجملة اللاحقة مؤكدة للسابقة فيكون ذكر الحكم بالاولى وأكده بالثانية تنبيها على سر الاخلاص وتحذيرا من الرياء المانع من الاخلاص وقد علم أن الطاعات فى أصل صحتها واضاعفها مرتبط بالنيات وبها ترفع الى خالق البريات (وبعد) بالبناء على الضم لحذف المضاف اليه ونية معناه والواو نائبة عن نائب مهما وهو أما والتقدير أما بعد البسملة وما بعدها قيل ويجوز بناؤه على النصب من غير تنوين لحذف المضاف اليه ونية لفظه وقد رأى بعضهم أن المدار على بعد فاختصر عليه وتبعه غير واحد منهم المؤلف رحمه الله ولو أتى بأما بعد كان أولى لانه الوارد عنه صلى الله عليه وسلم وهذه الكلمة تؤتى بها للانتقال من أسلوب الى أسلوب آخر أى من نوع من الكلام الى نوع آخر فالمنتقل منه هنا هو البسملة وما بعدها والمنتقل اليه هو بيان السبب الحامل على التأليف وفى ان أول من نطق بأما بعد داود وكانت له فصل الخطاب أو كعب أو يعرب أو قس أو سحبان أو يعقوب أو أيوب عليهما السلام أقوال وفى غرائب مالك للدارقطنى أن يعقوب أول من قالها قال الزرقانى قال الحافظ فان ثبت وقلنا أن قحطان من ذرية اسماعيل فيعقوب أول من قالها مطلقا وان قلنا أن قحطان قبل ابراهيم فيعرب أول من قالها انتهى (فلما كان) أى فاقول لما كان

وانما لكل امرئ ما نواه * وبعد فلما كان

الخ حذف القول وأقيم الفاء مقامه وماذكره بعضهم من أنه اذا حذف القول وجب حذف الفاء معه غير متفق عليه ففي همع الهوامع قول بابقاء الفاء مع حذف القول وجرى عليه المصنف رحمه الله والفاء واقعة في جواب أما المقدرة والواو النائبة عنها (حاملوا) بحذف النون لاضافته الى (أعباء) بفتح الهمزة وسكون العين المهملة وفتح الباء الموحدة ممدودا جمع عبء بكسر العين آخره همزة قال في المصباح مثل ثقل وزنا ومعنى وحملت أعباء القوم أي أثقالهم من دين وغيره انتهى وفي القاموس العبء هو الحمل والثقل من كل شئ (الوراثة) بكسر الواو مصدر بمعنى اسم مفعول أي الشئ الموروث والمراد به ماتركه النبي صلى الله عليه وسلم لامته من الكتاب والسنة وكان صلى الله عليه وسلم هو الحامل لاحكام الشريعة المأمور بتبليغها للامة من قبل الله سبحانه وتعالى ولايخفى مافي تبليغ الاحكام من المشقة الكاملة كما يشهد لذلك ماقاساه صلى الله عليه وسلم من الشدائد والمشاق من ابتداء بعثته الى حين وفاته وبعد وفاته انتقل ذلك الامر المأمور به الى علماء امته كما قال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء فكانوا هم ورثته المحملين اعباء تبليغ ما كان صلى الله عليه وسلم مأمورا بتبليغه من أحكام الشريعة (المصطفوية) أي المنسوبة الى المصطفى صلى الله عليه وسلم هو واوي أصله مصتفو بوزن مفتعل من الصفو وهو الخلوص من الكدر والمراد هنا المختار بين سائر الخلق قلبت تاء الافتعال طاء لوقوعها بعد حرف الاطباق وهو الصاد فصار مصطفو تحركت الواو وانفتح ماقبلها انقلبت الفا فصار مصطفا والالف اذا وقعت خامسة فصاعدا وجب حذفها عند النسب كما قال ابن مالك * والالف الجائز أربعا ازل * فقول العامة مصطفوي ومصطفاوي لحن كما صرح به العلامة الخضري في حواشيه على شرح ابن عقيل على الالفية وفي قوله أعباء استعارة تصريحية أصلية شبهت معاني الاحكام بمعاني الاحمال الثقيلة بجامع الصعوبة والمشقة في كل واستعير لفظ الاعباء لها على سبيل الاستعارة التصريحية الاصلية واضافة الاعباء الى الوراثة من اضافة المسبب الى السبب وهي القرينة وحاملوا ترشيح لانه يلائم جانب المشبه به (قد ضمخوا) بفتح الضاد المعجمة والميم المشددة للمبالغة يقال ضمخه بالطيب فتضمخ بمعنى لطخه فتلطخ حتى كأنه يقطر أي عطروا (وجوه) جمع وجه مستقبل كل شئ (الطروس) بضم الطاء المهملة جمع طرس بكسرها ويجمع على اطراس مثل حمل وحمول وأحمال أي صحائف القراطيس التي كتب فيها (بعنبر) بفتح العين المهملة وسكون النون تقدم الكلام عليه واضافته الى (مداد) بكسر الميم مايكتب به من اضافة المشبه به للمشبه وفي كلامه تشبيه الطروس بالعروس واثبات الوجه لها تخييل والقرينة التخييل وكل من قوله ضمخوا وبعنبر ترشيح على سبيل الاستعارة المكنية وآثر العنبر على غيره من أنواع الطيب لانه من اطيب ماتعطر به العروس وللمشابهة بينه وبين المداد في السواد (أخبار) جمع خبر والمراد الاحاديث الواردة في قصة الاسراء والمعراج واضافة مداد الى أخبار لادنى ملابسة (ليلة مسراه) أي التي أسري به صلى الله عليه وسلم فيها والاضافة من اضافة الظرف للظروف (وفاض) بالفاء كثر وسال (جعفر) بفتح الجيم على وزن عنبر النهر الصغير والكبير الواسع ضد أو النهر الملآن أو فوق الجدول كما في القاموس (الفيض) بفتح الفاء أي الخير الكثير (بحسن) بضم الحاء وسكون السين المهملتين صفة كاشفة لما بعده لان

حاملوا اعباء الوراثة المصطفويه * قد ضمخوا وجوه الطروس بعنبر مداد أخبار ليلة مسراه * وفاض جعفر الفيض بحسن

المواهب اللدنيه * وسطع الضوء الوهاج المحمدى وضاء سناه *

المواهب لا تكون الا حسنا (المواهب) بفتح الميم وكسر الهاء جمع موهبة بفتح الميم والهاء العطية أى العطايا بمعنى الاعطاآت أى عطايا حاصلة باعطاء الله تعالى بلا سبب سابق ولا استحقاق ولا مقابلة ولا جزاء (اللدنيه) بفتح اللام المشددة وضم الدال المهملة وكسر النون وفتح المثناة التحتية المشددتين أى المنسوبة للدن ظرف بمعنى عند أى المواهب التى هى من عند الله لا ينسب منها لغيره منها شئ لان ما جرت العادة بحصول مثله من كسب العبد ينسب له وما كان بالغا فى النفاسة ينسب الى الله اشارة الى أنه لا يمكن حصوله من غيره عادة لعزته على نحو قول العرب لله دره قال الطوخى وعلمناه من لدنا علما أى من عندنا وهذا هو متعلق الصوفية وأهل السلوك فى اثبات العلم اللدنى نسبته الى لدن وهو الهام المعرفة بالحقائق الغيبية وغيرها وقال غيره العلم اللدنى يراد به العلم الحاصل بلا كسب ولا عمل للعبد فيه سمى لدنيا لحصوله من لدن ربنا لا من كسبنا قال الزرقانى وقد صنف الغزالى كتابا فى بيان هذا وبين فيه كيفية حصوله وانه لا يمكن أن يحصل بكسب ولا يشكل بقوله صلى الله عليه وسلم انما العلم بالتعلم وسنده حسن لجواز أن المراد علم الاحكام والقرآن والاحاديث النبوية اذ لا طريق الى معرفتها الا بالتعلم وهناك علوم وهبية من غير تعلم والكل من عند الله سبحانه وتعالى والظاهر أن المراد هنا الاول فأل عهدية وفى قوليه جعفر والمواهب اللدنيه نورية فان الاول اسم جده العلامة السيد جعفر صاحب القصة الشريفة المولدية التى ألف المؤلف هذه القصة المعراجية على نمطها وقد شرحناها شرحا لائقا بها والثانى اسم كتاب ألفه العلامة القسطلانى وهو كتاب حافل فى السيرة المصطفوية (و) كان قد (سطع) بفتح السين والطاء المشالة آخره عين مهملات أى ارتفع (الضوء) بفتح الضاد المعجمة وسكون الواو والنور (الوهاج) بفتح الواو والهاء المشددة أى المتلألئ الوقاد من وهجت النار اذا أضاءت صفة لازمة لان الضوء لا يكون الا وهاجا أى ولما ارتفع النور الوهاج (المحمدى) أى المنسوب لمحمد صلى الله عليه وسلم وفيه نورية بكتاب يسمى ضوء الوهاج فى قصة الاسراء والمعراج اختصره جده العلامة السيد جعفر البرزنجى ثم لخصه المصنف رحمه الله ورصعه بهذا الترصيع المنيع ورتبه على هذا الترتيب الرفيع البديع وسماه النور الوهاج فى قصة الاسراء والمعراج (وضاء سناه) بفتح السين المهملة أى نوره وهو مجاز عن علوم القرآن المحيط بعلوم الاولين والآخرين وغيرهما التى اختصه الله بها وأمره أن يسأله بان يزيده منها وهذا مقتبس من تسمية الله القرآن نورا فى آيات كثيرة من كتابه ومما اختصه الله به من جمال المنظر الظاهر بما أتاه من الحسن فى خلقه بما لم يلحقه فيه يوسف عليه السلام فضلا عن غيره كما أخبر به صلى الله عليه وسلم وفى خلقه بما أبان الله تعالى رفعته فيه الى الغاية بقوله عز وجل وانك لعلى خلق عظيم وهذا مقتبس من تسمية الله تعالى لنبيه نورا فى نحو قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وكان صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء بان الله تعالى يجعل كلا من حواسه واعضائه وبدنه نورا اظهارا للوقوع ذلك وتفضل الله عليه به ليزداد شكره وشكر أمته على ذلك كما انا أمرنا بالدعاء الذى فى آخر البقرة مع وقوعه وتفضل الله به لذلك ومما يؤيد أنه صلى الله عليه وسلم كان نورا أنه كان اذا مشى فى الشمس أو القمر لا يظهر له ظل لانه لا يظهر الا لكثيف وهو صلى الله عليه وسلم قد خلصه الله من سائر الكثائف الجسمانية وصيره نورا صرفا لا يظهر له ظل

أصلا خرقا للعادة كما خرقت له فى شق صدره وقلبه الشريف مرارا ولم يتأثر بذلك (لمعت) جواب لما أى فلما كانت الخ لمعت وهو بفتح الميم والعين المهملة أى اضاءت (ببصيرة) قال ابن كمال البصيرة قوة للقلب المنور بنور القدس ترى حقائق الاشياء وبواطنها بمثابة البصر للعين ترى به صورة الاشياء وظاهرها قال الراغب البصر الجارحة كالعين والبصر القوة التى فيها ويقال لقوة القلب المدركة بصيرة وبصر ولا يكاد يقال للجارحة بصيرة انتهى (الناهج نهجهم) أى السالك طريقهم الواضح البين (القويم) أى المستقيم (لامعة) بكسر الميم وفتح العين المهملة من لمع البرق كمنع لمعا ولمعانا محركة اضاء أى بارقة (ربانيه) المنسوبة الى الرب أى المربى عباده بنعم لا تحصى (فانار) أى اضاء (بارق) قال الجد سحاب ذو برق (لمعها) أى لمع تلك اللامعة (الباهر) أى الغالب ضوؤه من بهر القمر كمنع غلب ضوؤه ضوء الكواكب كما فى القاموس (سواده) أى شخصه (وسويداه) تصغير سواد بمعنى حبة القلب قال الجد والسواد الشخص والمال الكثير ومن البلدة قراها والعدد الكثير ومن الناس عامتهم ومن القلب حبته كسودائه وأسوده وسويدائه وفى المصباح وكل شخص من انسان وغيره يسمى سوادا وجمعه أسودة مثل جناح وأجنحة ومتاع وأمتعة فالمراد هنا بالسواد الشخص وبالسويداء حبة القلب والضمير فيها يعود الى الناهج والتقدير اضاء بارق لمع تلك اللامعة ظاهر الناهج وباطنه أى انار منه ذلك بنور القدس بحيث علمه حقائق الاشياء وبواطنها (وسفحت) بفتح السين المهملة والفاء والحاء المهملة أى انصبت فانه قد يستعمل لازما فيقال سفح الماء اذا انصب فهو مسفوح وسافح وجمعه سوافح كما فى القاموس والمصباح أى صبت (على اصداف) جمع صدف محركة غشاء الدر الواحدة صدفة بالهاء مثل قصب وقصبة (أفكاره) أى افكار الناهج جمع فكر بكسر الفاء ويفتح هو أعمال النظر فى الشئ قاله الجد وقال فى المصباح تردد القلب بالنظر والتدبر لطلب المعانى ولما فى الامر فكر أى نظر ورؤية قال ويقال الفكر ترتيب امور فى الذهن يتوصل بها الى مطلوب يكون علما أو ظنا انتهى واضافة أصداف الى أفكار من اضافة المشبه به للمشبه (سافحة) اسم فاعل سفحت والمراد بها ما يفيضه الله فى قلوب عباده المؤمنين الصالحين من الفيوضات كالتوفيق والرشاد والهداية والسداد لادراك العلوم والمعارف (صمدانيه) أى منسوبة الى الصمد على غير القياس وهو السيد والمراد به الله سبحانه وتعالى اذ هو السيد المصمود اليه فى الحوائج من صمد اذا قصد وهو الموصوف به على الاطلاق فانه يستغنى عن غيره مطلقا وكل ما عداه يحتاج اليه فى جميع جهاته وتعريفه لعلهم بصمديته بخلاف أحديته والمعنى وصبت الفيوضات الالهية على قلوب العلماء الناهجين فوفقوا لاخراج المعارف والاحكام بالتدبر والنظر من بحار العلوم فشبه حالة انصباب الفيوضات الالهية على القلوب بحالة نزول المطر على الاصداف بجامع أن كلا منهما دعاء للنفائس على سبيل التمثيل وفيه تشبيه الافكار بالدرر بجامع النفاسة فى كل وطوى ذكر المشبه به وهو الدرر ورمز له بشئ من لوازمه وهو الاصداف واثبات الاصداف للافكار تخييل وهو القرينة وكل من سفحت وسافحة ترشيح (فانفلقت) بالفاء والقاف المفتوحتين بينهما لام أى انشقت الاصداف (فى عباب) بضم العين المهملة بوزن غراب أى بحر (البراعة) بالباء الموحدة الفصاحة من اضافة المشبه به للمشبه (من

لمعت لبصيرة الناهج نهجهم القويم لامعة ربانيه * فانار بارق لمعها الباهر سواده وسويداه وسفحت على أصداف أفكاره سافحة صمدانيه فانفلقت فى عباب البراعة من

الدرر) جمع درة (المستفاد) بضم الميم وسكون النون فمثناة فوقية فالف آخره هاء أى المختارة صفة الدرر من اضافة الموصوف لصفته فيه تشبيه ما ينطق به الفصيح من الكلام البليغ بالدرر وطوى ذكر المشبه وهو النطق ورمز له بشئ من لوازمه وهو البراعة على سبيل الاستعارة التصريحية وهى القرينة والعباب ترشيح (فاقول) الفاء للافصاح عن شرط محذوف والتقدير اذا أردت اخبار ليلة مسراه وعلمت أن ذلك من ثمرة العلوم المروثة عن المصطفى صلى الله عليه وسلم التى من جملتها علم الحديث الذى من جملته أحاديث الاسراء والمعراج فاقول (اختلف فى الاسراء والمعراج علماء الملة الحنيفيه) أى ذهب كل فريق من العلماء الى خلاف ما ذهب اليه الفريق الآخر فالاختلاف ضد الاتفاق والملة بكسر الميم الدين والشريعة والجمع مل كسدرة وسدر والحنيفية بفتح الحاء المهملة وكسر النون فمثناة تحتية وبالفاء وياء النسبة نسبة الى الحنيف هو فى الاصل بمعنى المائل ويستعمل فى المسلم أى الملة المنسوبة الى الحنيف وهو المسلم لانه مائل الى الدين المستقيم أى علماء الدين والشريعة الاسلامية والدين والملة متحدان بالذات ومختلفان بالاعتبار فان الشريعة من حيث انها اتباع تسمى دينا ومن حيث انها تجمع تسمى ملة ومن حيث انها يرجع اليها تسمى مذهبا وقيل الفرق بين الدين والملة والمذهب أن الدين منسوب الى الله والملة منسوب الى النبى صلى الله عليه وسلم والمذهب الى المجتهد واعلم أن الله سبحانه وتعالى قد خص نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بخصائص جمة منها الاسراء والمعراج وحكمة ذلك تكذيب المشركين بما رموه به من الكذب والكهانة والسحر والشعر وغير ذلك واظهار شرفه وفضله واحتفاء الله به من علو منزلته لديه والامور الخارقة له واختصاصه بها كرؤية الله والجنة وقطعه المسافة البعيدة فى زمن قليل واتساع الزمن الذى صار بها مقدما على من عداه ومقربا فى حضرة التقديس على كل ما سواه ولذا كان أشهر المعجزات وأظهر البراهين البينات وأقوى الحجج المحكمات وأصدق الانباء وأعظم الآيات وأتم الدلالات الدالة على تخصيصه صلى الله عليه وسلم بعموم الكرامات وقدم الاسراء وأخر المعراج وان كان المعراج متعلقا بالحضرة الالهية مراعاة لترتيب الواقع ولان الاسراء متعلق بالسفليات وبه اقيمت الحجة على منكرى الآيات مما وقع فيه خارقا للعادات وملائما لطباع البشريات ولذا قدمه سبحانه وتعالى فى تلاوة الآية بقوله فى سورة الاسراء سبحان الذى أسرى بعبده الآية والاسراء من أسرى بالالف يسرى اسراء على لغة الحجاز وقد يقال سرى بغير الالف يسرى وقد جاء القرآن بهما كما فى قوله تعالى سبحان الذى أسرى وقوله تعالى والليل اذا يسر وقد يستعملان متعديين بالباء الى مفعول فيقال أسريت بزيد وسريت به وليست همزة أسرى هنا للتعدية لاصالتها خلافا لابن عطية والباء لا تقتضى مصاحبة الفاعل للمفعول فى الفعل عند الجمهور خلافا للمبرد والسهيلى قال أهل اللغة أسرى وسرى لغتان زاد بعضهم مختصان بسير الليل قال بعضهم أسرى كسرى لطائف سير الليل بخلاف سار فانه لسير النهار وقيل أسرى لسير أول الليل وسرى لآخره وقيل عكسه قال أبو زيد ويكون السرى أول الليل ووسطه وآخره وقد جمع الجد ذلك بقوله السرى كالهدى سير عامة الليل وقد استعملت العرب سرى فى المعانى تشبيها لها بالاجسام مجازا واتساعا كما قالوا فى قوله تعالى والليل اذا يسر بمعنى يمضى وقال البغوى اذا سار وذهب وقال جرير

الدرر المستفاد * (فاقول) اختلف فى الاسراء والمعراج علماء الملة الحنيفيه *

سرت الهموم فبتن غير نيام * وأخو الهموم يروم كل مرام

قال الفارابي سرى فيه السم والخمر ونحوهما والى غير ذلك واسناد الفعل الى المعاني كثير في كلامهم والمعراج بزنة المفتاح السلم وجمعه معارج ومعاريج وعند أهل الطريق منتهى سير المقربين الذي هو عروجهم الى سلوكهم لان كل سالك الى طريق كان غايته الحق بشرط فوزه منه بسعادة ما فذلك السالك صاحب معراج وسلوكه عروج وفي هل وقعا بروحه وجسده يقظة مرة واحدة في ليلة واحدة أو مناما أو وقعا في مرتين مناما ويقظة أو الاسراء في ليلة والمعراج في ليلة أو الاسراء يقظة والمعراج مناما أقول وقيل الخلاف في أنه يقظة أو مناما خاص بالمعراج لا بالاسراء وقيل الاسراء مرتان يقظة الاولى بلا معراج والثانية به وقال بعض العارفين ان له صلى الله عليه وسلم أربعة وثلاثين اسراء الذي أسري به منها واحد بجسمه والباقي بروحه رؤيا رآها انتهى قال في المواهب بعد أن نقل الخلاف فالحق أنه اسراء واحد بروحه وجده يقظة في القصة كلها قال الزرقاني وهو الصحيح وقال غيره وهو الاصح وجرى عليه المؤلف فقال (والاصح) أي عند جمهور المحدثين والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الاخبار الصحيحة ولا ينبغي العدول عنه (انهما) أي الاسراء والمعراج وقعا له صلى الله عليه وسلم (بروحه) الشريف هو مما به حياة الجسم ويؤنث (وجسده) الكريم بعد البعثة (يقظة) بفتح القاف لا مناما كما أجمع عليه أهل القرن الثاني ومن بعده من الامة خلافا لبعض القرن الاول القائل بعضه كان مناما وبعضه القائل بأنه كان بالروح فقط لكن يقظة فالاقوال ثلاثة قال شيخنا فان قيل فما الفرق بين كونه مناما وبين كونه بالروح اجيب بانه على كونه مناما يكون في حالة النوم وعلى كونه بالروح لا نوم أصلا بل الروح تذهب للاماكن المخصوصة والجسم في هذه الحالة يكون كالفاعل والاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثابت بالكتاب والسنة واجماع المسلمين فمن أنكره كفر والمعراج من المسجد الاقصى الى السموات السبع ثابت بالاحاديث المشهورة ومنها الى الجنة ثم الى المستوى أو العرش أو طرف العالم من فوق العرش الخلاف في ذلك ثابت بخبر الواحد فمن انكره لا يكفر لكن يفسق والتحقيق أنه لم يصل الى العرش كما صوابه عليه في موارد القصة وانما عده محالا صدر من كفار قريش وبعض ضعفاء المسلمين لتوهمهم أن قطع مثل هذه المسافة ذهابا وايابا في بعض ليلة محال لبعدها ومن بعض أرباب علم الهيئة الزاعمين أن الافلاك لا فرجة فيها ولا تقبل الخرق والالتئام وكلاهما خطأ عقلا ونقلا ألا ترى ظل عرش بلقيس في طرفة عين مع بعد مسافة وقد نطقت النصوص بان للسماء أبوابا تفتح وتغلق فلا عبرة باوهام الفلاسفة وقد أبطل التفتازاني ادعاء استحالته فهو ممكن والله قادر على الممكنات كلها فهو قادر على خرق السموات وقد ورد به السمع فيجب تصديقه (الى) أن وصل (مقام الكرامة والمناجاة) المقام بفتح الميم أو ضمها اسم الموضع الذي يقام فيه قال في المختار واما المقام بالفتح والمقام بالضم فقد يكون كل واحد منهما بمعنى الاقامة وقد يكون بمعنى موضع القيام لانك ان جعلته من قام يقوم فمفتوح وان جعلته من أقام يقيم فمضموم وقوله تعالى لا مقام لكم أي لا موضع لكم وقرئ لا مقام لكم بالضم أي لا اقامة لكم وقوله تعالى حسنت مستقرا ومقاما أي موضعا انتهى قال الجرجاني في تعريفاته المقام في اصطلاح أهل الحقيقة

والاصح أنهما بروحه وجسده يقظة الى مقام الكرامة والمناجاة

عبارة عما يتوصل اليه بنوع تصرف ويتحقق به بضرب تطلب ومقاساة تكلف فقام كل واحد موضع اقامته عند ذلك انتهى وقيل عبارة عن استيفاء حقوق المراسم على التمام والمراد به هنا منزل البساط الذي لم يصل اليه غيره صلى الله عليه وسلم وأعده له للخطاب وفرض الصلوات وهو الذي عناه في قوله عز من قائل ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى والدنو من الله بالرتبة والمكانة والمنزلة واجابة الدعوة واعطاء الامنية واشراق أنوار المعرفة ومشاهدة أسرار الغيب والقدرة وبسط الانس والادلال والاكرام لا بالمكان والمسافة والنقلة كما قاله ابن عباس وأنس رضي الله عنهما وقد قال العارف بالله عبد العزيز المهدوي ان مرتبة الاسراء بالجسم والروح يقظة الى تلك الحضرة العلية لم تكن لاحد من الانبياء الا لنبينا صلى الله عليه وسلم وقد عده أيضا من خصائصه الحافظ السيوطي في خصائصه الكبرى والصغرى وأما بالروح فقط يقظة أو مناما فوقع لغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام والمكافحة بالميم والكاف والفاء والحاء المهملة بوزن مصافحة المواجهة بلا ستر وحجاب ومعلوم أن الله سبحانه وتعالى لا يحجبه شيء وانما هو بالنسبة الى المخلوق فالخلق كلهم محجوبون عنه تعالى بمعاني الاسماء والصفات والافعال والانوار والظلمات كل له مقام من الحجب معلوم وحظ من الادراك والمعرفة مقسوم قال الزرقاني المكافحة المخاطبة والمناجاة بالجيم المسارة يقال ناجاه مناجاة اسارره مسارة والنجوى السر وأطلق على هذا المقام مقام المناجاة لتفرد الله سبحانه وتعالى بحبيبه فيه بحيث لم يكن لهما ثالث فجميع ما أمره الله به وعلمه من العلوم كان سرا ولانه علمه بامور وأمره بكتمها حكما جاء في الحديث وقد أبهمه سبحانه وتعالى في قوله فاوحى الى عبده ما أوحى فلا يطلع عليه أحد بل يتعبد بالايمان به قال العلامة الخفاجي في شرح الشفا المناجاة هي الكلام سرا لان السر يقال له نجوى وتختص المناجاة في العرف بكلام العبد مع ربه كمناجاة موسى صلى الله عليه وسلم انتهى (و) كذلك (اختلاف) بالبناء للمفعول والتقدير واختلف العلماء (في زمنهما) أي الاسراء والمعراج هل في شهر ربيع الاول أو الآخر أو رجب أو رمضان أو شوال أو في ذي الحجة وهل كان قبل الهجرة بخمس سنين أو ثلاث سنين أو بسنة وخمسة أشهر أو بسنة وثلاثة أشهر أو بسنة وشهرين أو بسنة واحدة أو بثمانية أشهر أو بستة أشهر (والراجح) من هذه الاقوال على ما سيأتي (أنه) أي الزمن الذي وقع فيه الاسراء والمعراج (قبل الهجرة) النبوية الى المدينة المنورة (بسنة) واحدة قاله ابن سعد وغيره وعليه الاكثرون وبه جزم النووي وقاله ابن حزم وادعى فيه الاجماع وفي دعوى الاجماع نظر للاختلاف السابق (هلالية) أي منسوبة للهلال فيه احترازا عن السنة الرومية والقبطية فان لها حسابا آخر اذ السنة الهلالية تشتمل على أشهر هلالية والمراد بها السنة العربية (في أواخر رجب) أي ليلة السابع والعشرين منه وعليه عمل الناس قال بعضهم وهو الاقوى لان المسألة اذا كان فيها خلاف للسلف ولم يقم دليل على الترجيح واقترن العمل باحد القولين أو الاقوال وتلقي بالقبول فان ذلك مما يغلب على الظن كونه راجحا ولذا اختاره الحافظ عبد الغني المقدسي وقيل ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة وقيل لسبع عشرة منه وقيل ليلة اثنا عشرة منه وقيل لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان وقال ابن عطية بعد نقل الخلاف والتحقيق أنه كان بعد شق الصحيفة وقبل بيع العقبة وقيل كان قبل المبعث وحدده بعضهم

واختلف في زمنهما والراجح أنه قبل الهجرة بسنة هلالية * في أواخر رجب

بخمس سنين قال الزرقاني قال الحافظ وهو شاذ الا ان حمل على أنه وقع حينئذ في المنام وأما اليوم الذي يسفر عن ليلة فقيل الجمعة وقيل السبت وعن ابن دحية يكون ان شاء الله تعالى يوم الاثنين ليوافق المولد والمبعث والهجرة والوفاة فان هذه أطوار الانتقالات وجودا ونبوة ومعراجا وهجرة ووفاة قال الزرقاني لكن في عده المعراج شئ لانه محل النزاع فكيف يستدل به وحاصله كما قال الشامي أنه استنبطه بمقدمات حساب من تاريخ الهجرة وحاول موافقته لتلك الاطوار وقال يكون الاثنين في حقه كالجمعة لآدم انتهى أي لانه خلق في يوم الجمعة وفيه أنزل الى الارض وفيه تاب الله عليه وفيه مات وكانت أطواره الوجودية الدنيوية خاصة بيوم واحد ويؤيده ما رواه ابن أبي شيبة عن جابر وابن عباس رضي الله عنهما قال ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وفيه بعث وفيه عرج الى السماء وفيه مات وقولهما وفيه عرج الى السماء أراد ليله لان الاسراء كان بالليل اتفاقا قال الخفاجي قال ابن المنير وكان مقدمه صلى الله عليه وسلم للمدينة الشريفة يوم الاثنين من ربيع الاول ثاني عشره قبل الضحى وقيل عند استواء الشمس واذا كان الثاني عشر الاثنين كان أوله الخميس وأول شهر الاسراء السبت أو الاحد أو الاثنين لان بين كل يومين متقابلين من سنتين متواليتين اما ثلاثة أيام أو أربعة أو خمسة ولذا تكون الوقفة من كل سنة خامس يوم من الوقفة التي قبلها أو رابعة أو سادسة وأعدل الاحتمالات الخامس فالجمعة يعقبها الثلاثاء والاثنين يعقبها الجمعة وقد يكون الرابع وقد يكون السادس وذلك بحسب تمام الشهور ونقصها فبناء على أعدل الاحتمالات أول ربيع الاول من سنة الاسراء الاثنين وأول الآخر منها الاربعاء بفرض ربيع الاول تاما فالسابع والعشرين منه يوم الاثنين ليوافق مولده صلى الله عليه وسلم ومبعثه ووفاته فان يوم الاثنين في حقه صلى الله عليه وسلم كيوم الجمعة لآدم عليه الصلاة والسلام فانه فيه خلق ونزل الى الارض فيه وتاب الله عليه ومات فيه وقيل انه كان ليلة الجمعة لفضلها ثم ان كونها ليلة سبع وعشرين موافق لليلة القدر فانها ليلة سبع وعشرين من رمضان على الاصح انتهى هذا على القول بانه كان الاسراء ليلة سبع وعشرين من ربيع الاول وان قلنا بانه كان ليلة سبع وعشرين من رجب فيكون على هذا الاحتمال أول جمادى الآخرة من سنة الاسراء الاثنين وأول رجب منها الاربعاء فيكون السابع والعشرين منه يوم الاثنين (واعتمده) أي القول بوقوع الاسراء والمعراج قبل الهجرة بسنة (الجمهور) بضم الجيم (من الثقاه) أي جلهم والثقاة بكسر المثلثة جمع ثقة بمعنى موثوق به لعدالته وضبطه منهم ابن سعد وابن حزم كما تقدم وحكاه ابن الاثير عن غيره الا أن ابن الاثير جزم بانه كان في ربيع الاول وبه قال جمع منهم النووي في فتاويه كما في النسخ المعتمدة وزاد النووي بانه كان في ليلة سبع وعشرين منه وجرى عليه جمع وهكذا نقله من الفتاوى الاسنوي في المهمات والاذرعي في التوسط والزركشي في الخادمي والدميري في حيات الحيوان وغيرهم وفي بعض نسخ شرح مسلم كما في الفتاوى ونقله ابن دحية في الابتهاج والحافظ في الفتح وفي أكثر النسخ من شرح مسلم أنه كان في ربيع الآخر ولم يبين في أي ليلة منه كما في بعض نسخ الفتاوى وقال الحربي في سابع عشري ربيع الآخر وقيل كان في ليلة سبع وعشرين من رجب وجزم به النووي أيضا وعلى هذا فالنووي له في ذلك قولان الاول في سبع وعشرين من ربيع الاول والثاني سبع وعشرين من رجب

واعتمده الجمهور من الثقاه *

والعمل على الثانى فى جميع الامصار اتباعا لجزم النووى رحمه الله تعالى به فى الروضة تبعا للرافعى وأما مكان الاسراء فله اعتباران خاص وغير خاص أما على الثانى فباعتبار البلد المشهور أنه بمكة ومن قال بالمدينة فيحمل على النوم كما قد قيل به فى مكة فيكون قد وقع له الاسراء فى النوم بمكة والمدينة ما عدا ما وقع له يقظة بمكة وأما على الاول فباعتبار المكان الخاص المعين فى البلد فيؤخذ من الاحاديث أقوال ففى رواية أنه كان عند البيت وفى رواية اخرى فى الحطيم وربما قال فى الحجر والمراد بالحطيم هنا الحجر كما قاله ابن حجر وبهذا صرح المصنف رحمه الله كما سيأتى قريبا (وحديث) قصة (المعراج) أى والاسراء أى عروج النبى صلى الله عليه وسلم وصعوده الى السموات السبع الى سدرة المنتهى الى حيث شاء الله بعد الاسراء به على البراق وجبريل عن يمينه واسرافيل عن يساره من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وكان على المصنف رحمه الله التعرض للاسراء أيضا لكن استغنى عن ذكره بذكر المعراج لشهرة اطلاق أحد الاسمين أعنى الاسراء والمعراج على ما يعم مدلوليهما وهو سيره صلى الله عليه وسلم ليلا الى أمكنة مخصوصة على وجه خارق للعادة فهذا أمر كلى يشمل مدلوليهما (رواه الجم) بفتح الجيم الكثير من كل شئ (الغفير) بالغين المعجمة والفاء والمثناة التحتية آخره راء مهملة كالكثير وزنا ومعنى فهو بمعنى ما قبله أى الجمع الكثير أتى به تاكيدا يقال جاء الجم الغفير أى بجملتهم جميعا (من) أكابر (أصحاب) جمع قلة لصاحب وان كانوا ألوفا لان جمع القلة والكثرة انما يعتبران فى نكرات الجموع أما فى المعارف فلا فرق بينهما (خير) بفتح الخاء المعجمة وسكون المثناة التحتية آخره راء أفعل تفضيل فاصله أخير نقلت حركة الياء الى الساكن قبلها وحذفت منه الهمزة تخفيفا أى أفضل (البريه) بفتح الموحدة وكسر الراء المهملة فتحتية مشددة فعيلة بمعنى مفعولة أى الخليقة بمعنى المخلوق أى المخلوقات من برء النسمة فيجوز همزه وتخفيفه وهو أفصح وأكثر وهو يدل على أنه معتل من البرى بمعنى التراب كما ذهب اليه بعض اللغويين وقد تردد صاحب المختار فى ذلك ومال الجد الى الاول كانس بن مالك وأبى بن كعب وجابر بن عبد الله وبريدة وسمرة بن جندب وابن عباس وابن عمر وابن مسعود وابن عمرو وحذيفة بن اليمان وشداد بن اوس وصهيب بن سنان وعلى بن أبى طالب وعمر بن الخطاب ومالك بن صعصعة وأبى امامة وأبى أيوب وأبى حبة بالموحدة على الصحيح الانصارى البدرى وأبى ذر وأبى سعيد الخدرى وأبى سفيان بن حرب وأبى هريرة وعائشة وأسماء بنت أبى بكر وأم هانى وأم سلمة وغيرهم رضى الله عنهم أجمعين (ورواه عنهم كل حافظ اعتمد) بالبناء للفاعل (صحة ما رواه) عنهم (فلننشر) الفاء فصيحة أى اذا علمت ذلك واللام للتاكيد وفيه ايماء الى أنه لا يكون نشر الحديث الا بعد حيازته لان النشر هنا بمعنى البث يقال نشر الراعى غنمه نشرا من باب قتل بثها بعد أن آواها فانتشرت كما فى المصباح أى نبسط ونوضح أصله لنحو الثوب استعير لتفصيل القصة (مطوى) بفتح الميم وسكون الطاء المهملة وكسر الواو وشد المثناة التحتية أى المكتوم المخفى على من لا يعلم واضافته الى (معنى) من اضافة الصفة للموصوف (القصة) أى أمر المعراج وشأنه وحديثه فى المصباح القصة الشأن والامر يقال ما قصتك أى ما شأنك والجمع قصص مثل سدرة وسدر وفى المختار الامر والحديث وقد اقتص الحديث رواه على وجهه وقص عليه الخبر قصصا والاسم القصص بالفتح وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه وفى كلامه ايماء

وحديث المعراج رواه الجم الغفير من أصحاب خير البريه * ورواه عنهم كل حافظ اعتمد صحة ما رواه * فلننشر مطوى معنى القصة

الى رواية غالب الاحاديث الواردة فى القصة بالمعنى (على فسيح) بفتح الفاء أى وسيع (انديه) بفتح الهمزة وسكون النون جمع نادى مجلس القوم ومتحدثهم (المسامع) بفتح الميم الاولى جمع مسمع بكسرها وفتح الثانية تقدم الكلام عليه فيه تشبيه المسامع بالانديه بجامع أن كلا محل سماع الحديث فهو من اضافة المشبه به للمشبه (النديه) بفتح النون وكسر الدال المهملة مخففة وشد المثناة التحتية أى الرطبة المائلة بسهولة الى سماع ما يلقى اليها من القصة الشريفة (النديه) بتشديد الدال المهملة وكسرها أى المنسوبة الى الند قال فى المصباح والند بالفتح عود يتخير به وفى القاموس الند طيب معروف ويكسر أو العنبر وفى المختار غير عربى فهو معرب ولذا نقله فى شفاء الغليل فقال الند مصنوع وهو العود المطرى بالمسك والعنبر والبان قاله الزمخشرى فى ربيع الابرار انتهى وفى كلامه تشبيه ما يلقيه من معنى أحاديث القصة الشريفة بالند فكما أن الند لا يفوح ولا ينتشر ما انطوى عليه من الرائحة الزكية الا بالعرض على النار فكذلك لا يظهر ولا ينتشر طيب ما انطوى عليه القصة الشريفة الا بنشرها على المسامع وكما أن الانسان يتطيب بالند كذلك تتطيب المسامع بذكر أحاديث القصة المعراجية وبين أنديه ونديه الجناس المحرف هيئة اللفظ الاول عن هيئة اللفظ الثانى فى الحركة وزيادة حرف واحد فى أوله وكذا بين نديه ونديه الجناس المماثل لاتفاق اللفظين فى الحروف واعدادها وهيآتها وترتيبها والحرف المشدد فى هذا الباب فى حكم المخفف كما فى التلخيص وشرحه المطول (لتنتشق) أى تشم (مشام) بفتح الميم والشين المعجمة جمع مشم محل الشم وهو حس الانف من الروائح الطيبة كالمسك والعنبر واسناد الانتشاق الى المشام من اسناد الشئ الى غير ما هو له فهو مجاز عقلى (أسماع) جمع سمع تقدم الكلام عليه عند قوله أوانى الاسماع شبه الاسماع بالآناف وطوى ذكره ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو المشام على سبيل الاستعارة بالكناية التخييلية وهو القرينة والانتشاق ترشيح (الحاضرين) المجتمعين لسماع قصة المعراج ونيل بركتها (طيب) بكسر الطاء وسكون التحتية مفعول تنتشق والمشام فاعله (رياه) بفتح الراء المهملة وشد المثناة التحتية أى طيب ريحه الطيبة أتى به للتأكيد أو هو من اضافة الصفة للموصوف والضمير يعود الى حديث المعراج أو فيه تشبيه حديث المعراج بالشئ الطيب بجامع ميل النفس والانشراح والاستراح وطوى ذكر المشبه به وهو الشئ الطيب ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو الرائحة الطيبة على سبيل الاستعارة بالكناية (فنقول) نحن علماء هذا الشأن (بينما) أصله ظرف للمكان وقيل للزمان قال الزنجانى هى بحسب ما تضاف اليه وتصرفه متوسط ويجب العطف على مدخولها بالواو ان اضيف لمفرد وان لحقته ما أو الالف وحدها أو هما معا كما هنا عرض فيه الزمان وعرض لزوم الاضافة للجمل ولو فعلية على الاصح وقيل ما والالف كافة ولا موضع للجملة بعدها قال بعضهم ومثله بينا فافاد أن الالف وما كافتان وسواء اجتمعتا أو لا قال ابن حجر فى الفتح المبين ومن ثم رفع على الابتداء فيهما لكن وجوبا فى بينما وجوازا فى بينا انتهى وان وليها فالاحسن الجر ويجوز الرفع قال الرضى وأما اذا كف عما أو الالف واضيف الى الجمل فلا يكون الا للزمان قال فى النهاية وهما ظرف زمان بمعنى المفاجأة قال ابن المنير كانت كرامته صلى الله عليه وسلم فى المناجاة على سبيل المفاجأة كما أشار اليه بقوله بينا أنا وفى حق موسى صلى الله عليه وسلم عن ميعاد واستعداد فحمل عنه ألم

على فسيح انديه المسامع النديه * لتنتشق مشام أسماع الحاضرين طيب رياه * (فنقول) بينما

الانتظار ويؤخذ من ذلك أن مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى مقام موسى مقام المراد بالنسبة الى مقام المريد (النبي) عوض من أنا لان القصة محكية بالمعنى ولذلك غالب ضمائرها للغيبة (صلى الله عليه وسلم نائم) بعينه لا يقلبه فيه دليل على جواز النوم في المسجد الحرام ولا سيما اذا كان جالسا ينتظر فراغ الناس من الطواف أو يترقب عبادة أخرى فغلبته عيناه فنام قال ابن أبي جمرة وفيه تواضعه وحسن خلقه اذ أنه كان في الفضل حيث هو ومع ذلك كان يضطجع مع الناس ويعقد معهم ولم يجعل لنفسه مزية عليهم وفيه جواز نوم جماعة في موضع واحد لكن بشرط أن يكون لكل واحد منهم ما يستر به جسده انتهى (بين رجلين) هما حمزة وجعفر رضي الله عنهما ولم يقل بين الاثنين اشارة الى كمالهما في العقل والصفاة الحميدة لان الرجولية صفة مدح لا يوصف بها الا من كان كذلك لا سيما حيث صدر الوصف بها من كامل كما هو أصل الرواية عنه صلى الله عليه وسلم (في حجر) بكسر الحاء كما في رواية وفي أخرى في الحطيم قال ابن حجر والمراد بالحطيم هنا الحجر وهو المدار عليه البناء من جهة الميزاب سمي حجرا لانه حجر عنه بحيطانه وحطيما لانه حطم جداره عن مساواة الكعبة أو لانه حطم أي مات فيه كثير من الانبياء أو غيرهم قال القليوبي ويطلق الحطيم على ما بين البيت والمقام وعلى ما بين الحجر الاسود وزمزم لما ذكر انتهى وفي رواية بينا أنا عند البيت وهو أعم وفي رواية فرج سقف بيتي وأنا بمكة وفي رواية انه أسري به من شعب أبي طالب وفي رواية انه كان في بيت أم هاني والجمع بين هذه الروايات كما في فتح الباري أنه بات في بيت أم هاني وبيتها عند شعب أبي طالب ففرج عن سقف بيته وأضاف البيت اليه لانه كان يسكنه فنزل منزلة الملك فنزل منه الملك فاخرجه من البيت الى المسجد الحرام فكان مضطجعا وبه أثر النعاس ثم أخرجه الملك الى باب المسجد فاركبه البراق وقد وقع في مرسل الحسن عند ابن اسحاق فاتاه فاخرجه الى المسجد وهو يؤيد هذا الجمع انتهى وفي رواية فاحتملوه وجاؤا به الى المسجد وتركوه فيه فجاء حتى اضطجع بين الرجلين فعادوا اليه واحتملوه الى زمزم وقول بعضهم أن الملائكة وضعوه بين الرجلين في ذلك المحل للتبرك غير مستقيم لمنافاته لما مر فتأمل قاله القليوبي وقال بعضهم ليس بين قوله بينا أنا في المسجد وبين قوله في بيتي أو بيت أم هاني تناف لانه قد يكون المراد بالمسجد الحرام كله والتكلف للجمع بين الروايات مبني على وقوع الاسراء والمعراج مرة فقط واما ان قلنا بتعدد الاسراء والمعاريج فلا اشكال لانا نقول حينئذ وقع له الاسراء والمعراج بروحه وجسده يقظة مرة واحدة والباقي بروحه في النوم انتهى قال ابن دحية في قوله فرج سقف بيتي يقال لم يدخل عليه من الباب مع قوله تعالى وأتوا البيوت من أبوابها فالحكمة في ذلك المبالغة في المفاجأة والتنبيه على أن الكرامة والاستدعاء كانا على غير ميعاد والاشارة الى ما سيقع من شق صدره والتأمه بلا معالجة فاراه الملك بافراجه عن السقف والتأمه على الفور كيفية ما يصنع به وقرب له الامر لطفا في حقه وتثبيتا لبصره وقال بعضهم الحكمة في نزوله عليه من السقف التنبيه على أن المراد منه أن يعرج به الى جهة العلو ولا مانع من أن يكون المراد من ذلك الامرين معا على أن هذا واضح لو استمر السقف منفتحا وقيل الحكمة في ذلك التيقن بكونهم ملائكة بخلاف الدخول من الباب فربما يورث لبسا فان قيل هل قوة نفوذ الملائكة في الارض والجبال والجدران أن يكون ذلك بشقها أم

النبي صلى الله عليه وسلم نائم بين رجلين في حجر

بغيره قال بعضهم الامران جائزان وهذه الرواية قاضية بوجود شق السقف فاعلم انتهى وقول المصنف رحمه الله تعالى في حجر هو ما في البخاري عن قتادة بن دعامة عن أنس بن مالك عن مالك ابن صعصعة عنه صلى الله عليه وسلم بينا أنا نائم في الحطيم وربما قال في الحجر والشك من قتادة والمراد بالحطيم الحجر كما تقدم (تلك القواعد) أي قواعد بيت الله الحرام (الابراهيمية) المنسوبة لابراهيم عليه الصلاة والسلام لانه بناها على تلك القواعد وقد روى ابن أبي حاتم من حديث ابن عمر ان البيت رفع في الطوفان فكان الانبياء بعد ذلك يحجون ولا يعلمون مكانه حتى بوأه الله لابراهيم فبناه على أساس آدم وجعل طوله في السماء سبعة أذرع بذراعهم وذرعه في الارض ثلاثين ذراعا بذراعهم وأدخل الحجر في البيت ولم يجعل له سقفا وجعل له بابا وحفر بئرا عند بابه يلقى فيه ما يهدى للبيت ﴿فائدة﴾ أول من بنى البيت ملائكة الله بنوه من ياقوتة حمراء ثم بعدهم آدم ثم شيث ثم ابراهيم واسماعيل ثم العمالقة ثم جرهم ثم قصي بن كلاب ثم قريش وجعلوا ارتفاعه ثمانية عشر ذراعا ورفعوا بابه عن الارض فكان لا يصعد اليه الا في درج أو سلم وقال الازرقي كان طوله سبعة وعشرين ذراعا فاقتصرت قريش منها على ثمانية عشر ونقصوا من عرضه أذرعا أي ستة أو سبعة اذ خلوها في الحجر لضيق النفقة ثم عبد الله بن الزبير بناه على قواعد ابراهيم وأعادوا طولها على ما هو عليه الآن وأدخل من الحجر الاذرع المذكورة وجعل له بابا آخر ثم الحجاج فاقره على طوله وردم ما زاده في الحجر الى بنائه وسد بابه الذي فتحه وذلك بعد اذن عبد الملك لذا وذكر الفاكهي أن عبد الملك ندم على اذنه للحجاج في هدمه ولعن الحجاج وفي مسلم نحوه من وجه آخر ولم يتفق لاحد من الخلفاء ولا غيرهم تغيير شئ مما صنعه الحجاج الى الآن الا في الميزاب والباب وعتبته وكذا وقع الترميم في الجدار والسقف وسلم السطح غير مرة وجدد فيه الرخام قال ابن جريج أول من شرفه بالرخام الوليد بن عبد الملك فالمتحصل من الآثار كما أفاده في الفتح والارشاد وغيرهما أنه بنى عشر مرات وقد نظم بعضهم ذلك فقال

بنى بيت رب العرش عشر فخذهم * ملائكة الله الكرام فآدم
فشيث فابراهيم ثم عمالق * فقصي قريش قبل هذين جرهم
وعبد الاله بن الزبير بنى كذا * بناء لحجاج وهذا متمم

تلك القواعد الابراهيمية اذا جبريل وميكائيل ومعهما ملك آخر

وما نسب من البناء للسلطان مراد من آل عثمان فمحمول على بناء بعضه وقد بيناه مع بيان السبب الحامل على ذلك البناء وهو دخول سيل هدم معظمه في شرحنا على المولد البرزنجي المسمى بالكوكب الانور على عقد الجوهر فلا يخالف ما قاله العلماء من أن هذا البناء أي بناء الحجاج لم يغير قال الفاسي واستمر بناء الحجاج الى يومنا هذا وسيبقى الى أن تخربه الحبشة وتقلعه حجرا حجرا كما في الحديث (اذا) ظرف لتأكيد المفاجأة لان اذ واذا يقعان في جواب بينا وبينما وكلتاهما للمفاجأة قال الرضي والاغلب مجيء اذ في جواب بينما واذا في جواب بينا قال

فبينا نسوس الناس والامر أمرنا * اذا نحن فيهم سوقة نتنصف

ولا يجيء بعد اذا المفاجأة الا الفعل الماضي وبعد اذا المفاجأة الا الاسمية (بجبريل) كما في رواية والباء في بجبريل زائدة وفي رواية أخرى (وميكائيل) وفي أخرى ذكر ثالث كما أشار اليه المصنف بقوله (ومعهما ملك آخر) بعد الهمزة وفتح الخاء المعجمة وهو اسرافيل على الصحيح ولا مناسبة

فى تلك الليلة لعزرائيل قال بعضهم وهذا مردود لان اسرافيل لم ينزل عليه صلى الله عليه وسلم الا مرة واحدة فى المدينة وقيل انه كان موكلا به فى أول البعثة ثلاث سنوات قبل جبريل وقد اتفقوا على أن جبريل وميكائيل أفضل جميع الملائكة وبعدهما اسرافيل وعزرائيل ثم يليهم بقية الملائكة واختلفوا فى الافضل منهما فقيل ان جبريل أفضل وهو المشهور وقيل ان ميكائيل أفضل الملائكة اختارهما الله لصحبة أفضل خلقه والقيام بما يلزم له فى مسيره وعروجه واستئناسه زيادة فى اكرامه واعتناء بشأنه لانه حبيبه الاعظم وخليله الاكرم (يتساءلون) أى يسأل بعضهم بعضا (عن حليته) بكسر الحاء المهملة وسكون اللام أى خلقته وصورته وصفته (الشريفة وحلاه) بفتح الحاء المهملة ما يتزين به يجمع على حلى بضم الحاء كدلى أو هو جمع والواحد حلية كظبية والحلية بالكسر الحلى جمعه حلى وفى المصباح والحلية بالكسر الصفة والجمع حلى مقصور وتضم الحاء وتكسر وحلية السيف زينته قال ابن فارس ولا تجمع انتهى والمراد ما اتصف به من الاخلاق الحميدة والاوصاف الحسنة الجميلة والمعانى القائمة بذاته الشريفة الدالة عليها التى امتاز بها على غيره ليعرف به وكان بعض الملائكة يجهلونها كلها أو بعضها ومن ثم سأل بعضهم من بعض (فقال أحدهم) أى أحد الملائكة الثلاثة وهو الملك الآخر الذى لم يسم (أيهم) أى أى الثلاثة النائمين فى الحجر وهم حمزة وجعفر والمصطفى صلى الله عليه وسلم (هو) النبى صلى الله عليه وسلم الذى جئنا بصدده (فضت ليلتان على هذه الكيفية) المارة من كونه نائما بين رجلين فى الحجر وهم يأتون ويسأل أحدهم من الآخر بقولهم أيهم هو أى مبتدأ وخبره هو ويصح بالعكس واعلم أنه كما وقع الخلاف بين الروايات فى المحل الذى اوتى فيه ابتداء كما تقدم مع الجمع بينها وقع الخلاف أيضا فى الآتى اليه ففى بعض الروايات الآتى اليه جبريل وحده وفى بعضها ومعه ميكائيل وفى بعضها وملك آخر ويؤيد هذه الرواية رواية شريك عن أنس كما فى الصحيحين أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى اليه وهو نائم فى المسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو قال أوسطهم خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم وكانت تلك الليلة ما ذكر فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى أى فرآهم فيها ولعلها هى الليلة الثالثة على ما يفيده رواية ابن مردويه عن أنس بلفظ حتى أتوه ليلة أخرى فقال الاول هو هو وقال الاوسط نعم وقال الآخر خذوا سيد القوم فيرجعوا عنه حتى اذا كانت الليلة الثالثة رآهم فقال الاول هو هو فقال الاوسط نعم وقال الآخر خذوا سيد القوم الاوسط بين الرجلين فاحتملوه حتى جاؤا به زمزم فاستلقوه على ظهره انتهى وفى رواية لمسلم من طريق سعيد عن قتادة عن أنس سمعت قائلا يقول أحد الثلاثة بين الرجلين فأتيت فانطلق بى وقد أنكر الخطابى قول شريك قبل أن يوحى اليه ولذلك قال القاضى عياض والنووى وابن حزم وعبد الحق وعبارة النووى وقع فى رواية شريك بغير هذه أوهام أنكرها العلماء أحدها قوله قبل ان يوحى اليه وهو غلط لم يوافق عليه وأجمع العلماء على ان فرض الصلاة كان ليلة الاسراء فكيف يكون قبل الوحى انتهى وقد أجيب عنه بانه حيث لم يقع التعيين بين المجيئين أى زمن فيحمل على أن المجىء الثانى كان بعد الوحى وحينئذ وقع الاسراء والمعراج فقوله قبل أن يوحى اليه ظرف للمجىء الاول لا لهما الذى هو منشأ التغليط واذا كان بين المجيئين مدة قلا فرق أن تكون تلك المدة ليلة واحدة أو ليالى أو عدد سنين وبهذا يرتفع الاشكال عن رواية شريك

يتساءلون عن حليته الشريفة وحلاه * فقال أحدهم أيهم هو فضت ليلتان على هذه الكيفية

ويحصل به الوفاق وسقط تشنيع الخطابي وغيره بان شريكا خالف الاجماع في دعواه ان المعراج كان قبل البعثة وعلى تقدير تفرده بقوله قبل ان يوحى اليه فلا يقتضي طرح حديثه فوهم الثقة في موضع من الحديث لا يسقط جميع الحديث وقد أجيب أيضا بان المراد قبل أن يوحى اليه في شأن الصلاة ومنهم من أجراه على ظاهره ملتزما ان الاسراء كان مرتين قبل النبوة وبعدها حكاه في المصابيح ولم يسم شريك الثلاثة النفر لكن في رواية الطبراني عن ميمون بن سياه بكسر السين المهملة وخفة التحتية آخره هاء البصري التابعي فأتاه جبريل وميكائيل فقالا أيهم هو وكانت قريش تنام حول الكعبة فقال أمرنا بسيدهم ثم ذهبا ثم جاؤه وهم ثلاثة نفر وكون هذا يقتضي ان الجائين جاؤه أولا اثنان فقط ليس بمراد لان الثالث لم يسم وكذا رواه ابن جرير وأبو يعلى قال الزرقاني ويقال ان الثالث اسرافيل انتهى (وفي الليلة الثالثة أتوا به زمزم وجبريل تولاه) هو ما في نفس حديث شريك بعد قوله فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل وتقدم في رواية ابن مردويه فاحتملوه حتى جاؤا به زمزم فاستلقوه على ظهره (وطلب ميكائيل) بامر جبريل (طستا) بفتح الطاء وبكسرها وسكون السين المهملة وبمثناة وقد تحذف وهو الاكثر واثبات التاء فيه لغة طيئ واخطأ من انكرها كما قاله الحافظ قال ابن قتيبة أصلها طس بتشديد السين فابدل أحد المضعفين تاء لثقل اجتماع المثلين لانه يقال في الجمع طساس مثل سهم وسهام وجمعت على طسوس باعتبار الاصل وعلى طسوت وطسات باعتبار اللفظ وهي مؤنثة ونقل بعضهم التأنيث والتذكير فيقال هو الطس والطست وهي الطس والطست قال الزجاج والتأنيث أكثر في كلام العرب وقال السجستاني هي أعجمية معربة ولذا قال الازهري هي دخيلة في كلام العرب لان الطاء والتاء لا يجتمعان في كلمة عربية قال في شفاء الغليل معرب طشت بالمعجمة وقال الفراء طي تقول طست وغيرهم يقول طس وهم الذين يقولون لصت في لص انتهى آثره لانه اشهر آلات الغسل عرفا وكان من ذهب لانه من أواني الجنة ولمناسبة اذهاب الاثم والسوء عنه ولذهابه الى ربه ولوضاءته ونقائه وصفائه فان قيل استعمال الذهب حرام في شرعه عليه الصلاة والسلام في الدنيا فكيف استعمل الطست الذهب هنا وان كان المستعمل غيره ممن لم يحرم عليه ذلك من الملائكة لانه اذا كان قد حرم عليه في استعماله لنزه أن يستعمله غيره في أمر يتعلق ببدنه المكرم لانه صين عما يخالف شرعه حتى قبل النبوة فالجواب ان تحريم الذهب انما وقع بالمدينة كما في فتح الباري في أول الصلاة من كتابه (من المياه الزمزميه) بعد أن قال جبريل أنقني بطست من ماء زمزم كما في الغيطي أي وأتى به مملوءة منه هو مقتضى الحال والسياق آثر زمزم على الكوثر لانه أفضل مياه الدنيا ولان ماء زمزم من متعلقات دار الفناء والكوثر من متعلقات دار البقاء فلا يستعمل في دار الفناء ولا يشكل بكون الطست من الجنة لان استعماله ليس فيه ذهاب عين بخلاف ماء زمزم كذا قاله السيوطي وفي الايعاب وكون ماء الكوثر من الجنة لا يقتضي عدم الغسل به لان المناسب لحاله صلى الله عليه وسلم ان يستعمل له الافضل مطلقا لا بالنسبة لدار الدنيا اذ الاصل في الافضل على الاطلاق ان لا يستعمل له الا الافضل كذلك والفرق بينه وبين الطست بما ذكره لا تأثير له لان ذلك الوقت وقت اظهار كرامته وخرق العادة له

وفي الليلة الثالثة أتوا به زمزم وجبريل تولاه * وطلب ميكائيل طستا من المياه الزمزميه *

وهذا

وهذا مقتض لاستعمال ماء الكوثر لو كان أفضل فلما نزل الى ماء زمزم اقتضى ذلك بقرينة المقام أنه أفضل منه فهو أفضل المياه على الاطلاق ولا يرد الماء النابع من بين أصابعه الشريفة لانه لم يكن موجودا كما لا يرد على هذا الحديث الصحيح خير ماء على وجه الارض ماء زمزم لذلك (فشرحا) أى الملكان هما جبريل وميكائيل أى قطعا أتى به اتباعا لما جاء به القرآن ألم نشرح لك صدرك والدلالة صراحة على ان القطع كان طولا كما هو مقتضى الروايات ففى المصباح وشرحت اللحم قطعته طولا والذى فى الروايات فقد بالقاف والدال الثقيلة فشق فرج والمعنى واحد من ثغرة نحره الى شعرته الشريفة وفى رواية الى ثنته وفى رواية مسلم الى أسفل البطن وفى رواية البخارى الى مراق بطنه ولا منافاة لامكان الجمع بينها وكان ذلك بآلة كما قال به جماعة وظاهر الروايات ولا مانع منه والذى فى رواية شريك عن أنس فشق جبريل ما بين نحره الى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه ولا ينافيه كلام المصنف رحمه الله تعالى فشرحا لانه حينئذ يقال انما نسب المصنف الشرح لمجموعهما وان كان فى نفس الامر من واحد على سبيل المجاز أو على سبيل المشاركة له فى الغسل منزلة المشارك له فى الشرح فاطلق عليه اسمه وهكذا يقال فى جميع ما يأتى بعده (صدره) الشريف وما يليه لئلا يخالف الروايات وفى البخارى من مالك بن صعصعة فغسل قلبى (وأخرجا) من غير ايلام وألم وما قيل من حصول المشقة له فهو فى المرة الاولى وهو صغير فى بنى سعد وأما ما وقع بعدها فلم ينقل أنه تأثر لذلك قاله الشامى (قلبه) الشريف (وغسلاه) وتزعما كان فيه من أذى واختلف ميكائيل بثلاث طاسات من ماء زمزم فى رواية مسلم فاستخرج قلبى فغسل بماء زمزم وأما قوله عليه الصلاة والسلام فغسل صدرى فالظاهر أن المراد به القلب كما فى الرواية الاخرى وقد يحتمل أن تحمل كل رواية على ظاهرها ويقع الجمع بينهما بان يقال أخبر عليه السلام مرة بغسل صدره ولم يتعرض لذكر قلبه وأخبر مرة أخرى بغسل قلبه فلم يتعرض لذكر صدره فيكون الغسل قد حصل فيهما مرة لقلبه بعد اخراجه ومرة لصدره بعد شقه معا وقد وقع الغسل هنا بماء زمزم وفى صباه بالثلج وليس وقوع شق صدره وغسله من خصائصه صلى الله عليه وسلم لوقوعه لغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام نعم وقوع شق الصدر له مع تكرره ثلاث مرات أو أربعا لم يشاركه أحد من الانبياء وعليه يحمل ما صححه الجلال السيوطى فى خصائصه الصغرى من عدم المشاركة وانه من خصائصه وقد أنكر القاضى عياض فى الشفا وسبقه ابن حزم وقوع الشق لصدره الشريف ليلة الاسراء قال وانما كان وهو صبى وقبل الوحى والانكار فى ذلك كما قاله الحافظ ابن حجر العسقلانى فى الفتح فقد تواترت الروايات به وثبت فى الصحيحين وغيرهما من طرق متعددة وقد ثبت شق الصدر له أيضا عند البعثة فهذه ثلاث مرات ومرة وهو ابن عشر أو نحوها وروى شق الصدر له خامسة وهو ابن عشرين سنة ولم يثبت ولكل منها حكمة وفى كل مرة وقع غسل قلبه الشريف الا أن اخراج العلقة منه كان فى المرة التى وقعت فى حال صباه وفى كل مرة يختم قلبه الشريف الا فى المرة التى وقعت وهو ابن عشرين سنة فقد قال الشامى لم أقف عليه فى شئ من الاحاديث وأما الثلاث مرات ففى كل مرة يختم كما هو مقتضى الاحاديث انتهى وحكمة شق صدره الشريف وغسله عند ارادة العروج به صلى الله عليه وسلم المبالغة فى تنظيف المحل المقدس ولا شك أن المحل الشريف كان

فشرحا صدره وأخرج قلبه وغسلاه

طاهرا مطهرا وقابلا لجميع ما يلقى اليه من الخير وقد غسل أولا وهو عليه السلام طفل لازالة أمر مستقذر فيه لكمال خلقه واخراج العلقة مبالغة فى تعظيمه وتكميله من بين أفراد أنواعه اذ لم يكن للشيطان عليه لو لم يخرج سبيل وقد جرت الحكمة بذلك فى غير موضع مثل الوضوء للصلاة بان كان متنظفا ولو نظافة حسية بان غسل بدنه وبالغ فى تنظيفه ولم يأت بافعال الوضوء على الوجه المعتبر فيه شرعا لان الوضوء فى حقه انما هو اعظامه اذ ليس ثم دنس محسوس يزيله الوضوء ولا ينافى هذا قول الفقهاء الحدث أمر اعتبارى يقوم بالاعضاء يمنع صحة الصلاة حيث لا مرخص لجواز أنهم أرادوا بالاعتبارى معنى اراده الشارع منافيا لكمال التعظيم مع خلو الاعضاء من الدنس الحسى فكذلك غسل جوفه الشريف هنا ليس لعدم القابل بل للاعظام والتأهب للمفاجأة والتهيؤ للترقى الى الملأ الاعلى والثبوت فى المقام الاسنى والتقوى لاستجلاء الاسماء الحسنى ولهذا لم يتفق لموسى عليه السلام مثل هذا التهيؤ لم يتفق له الرؤية مع كونه سألها وكيف يثبت الرجل لما لا يثبت له الجبل قال النعمانى وقد سن لداخل الحرم الغسل فما ظنك بداخل الحضرة المقدسة فلما كان الحرم من عالم الملك وهو ظاهر الكائنات انيط الغسل له بظاهر البدن فى عالم المعاملات ولما كانت الحضرة الشريفة من عالم الملكوت وهو باطن الكائنات انيط لها الغسل بباطن البدن فى التحقيقات وقد عرج به لتعرض عليه الصلوات وليصلى بملائكة السموات ومن شأن الصلاة الطهور فقدس ظاهرا وباطنا قال وقد رأيت فى بعض المعاريج أن جبريل وضأه بعد غسل قلبه قلت ليصير مطهرا متطهرا انتهى قال ابن أبى جمرة والحكمة فى شق صدره الشريف مع القدرة على أن يمتلئ قلبه ايمانا وحكمة بغير شق الزيادة فى قوة اليقين لانه أعطى برؤيته شق بطنه وعدم تأثره بذلك ما أمن معه من جميع المخاوف العاديه فلذلك كان أشجع الناس حالا ومآلا فلذلك وصف بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى أى لقوة ثبوته وشجاعته ثم ان جميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الامور الخارقة للعادة كاختراق السموات مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة لذلك فلا يستحيل شئ من ذلك ويؤيده الحديث الصحيح أنهم كانوا يرون أثر المخيط فى صدره قال الحافظ السيوطى وما وقع من بعض جهلة العصر من انكار ذلك وحمله على الامر المعنوى والزام قائله القول بقلب الحقائق فهو جهل صريح وخطأ قبيح نشأ من خذلان الله تعالى لهم وعكوفهم على العلوم الفلسفية وبعدهم عن دقائق السنة عافانا الله من ذلك انتهى وذلك لانه على ما يعهد ويعرف أنه مهما شق البطن كله أو انجرح القلب مات صاحبه ولم يعش وهذا النبى صلى الله عليه وسلم قد شق بطنه المكرم حتى أخرج قلبه وغسل وهو حى وقد شق بطنه كذلك أيضا وهو صغير وشق قلبه وأخرج منه نزغة الشيطان ولم يتألم بذلك ولم يمت لما أراد الله تعالى أن لا يؤثر ما أجرى به العادة أن يؤثر به ويموت صاحبه فابطل تلك العادة وقد رمى ابراهيم عليه الصلاة والسلام فى النار فلم تحرقه وكانت عليه بردا وسلاما (ثم أوتى) بضم الهمزة والبناء للمفعول أى النبى صلى الله عليه وسلم (بطست) آخر من ذهب أيضا والظاهر أن الآتى به غير ميكائيل ولعله الملك الثالث الذى معهما ولو كان ميكائيل لبنى الفعل على الفاعل وقال ثم أتاه (ممتلئ) بالجر على الصفة والتذكير على القول بانها مذكر وعلى معنى ارادة الاناء على القول

* ثم أوتى بطست ممتلئ

بانها مؤنث والتأنيث أكثر فى كلامهم كما تقدم (ايمانا) نصب على التمييز (ومعانى حكميه) بكسر الحاء المهملة وفتح الكاف هى الحلم والعلم واليقين والاسلام لفظ رواية البخارى بعد قوله فاستخرج قلبى ثم أوتيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا فغسل ثم حشى ثم اعيد وفى مسلم والبخارى فى الصلاة فغسل بماء زمزم وللبخارى أيضا فى الصلاة ثم جاء أى جبريل بطست من ذهب ممتلىء حكمة وايمانا فافرغه فى صدرى ثم أطبقه وهذا صريح فى أن الآتى بالطست هو جبريل ولا ينافى ما مر لاحتمال أنه لما أتى بها الملك سلمها لجبريل فاخذها وأفرغها فى صدره فينسب الاتيان الى كل منهما وفى مسلم فاستخرج قلبى فغسل بماء زمزم ثم اعيد مكانه ثم حشى ايمانا وحكمة وتجسد المعانى جائز كتمثيل الموت كبشا ووزن الاعمال وغير ذلك من أحوال الغيب قال البيضاوى ولعل ذلك مجاز من باب التمثيل اذ تمثيل المعانى قد وقع كثيرا كما مثل له الجنة والنار فى عرض الحائط فائدته كشف المعنوى بالحسى وهذا من باب التنظير لان الجنة والنار ليستا من المعانى التى تنقل فى الذهن ولا صور لها خارجية فلا يصح جعلهما مثالين للمعانى لكنه قصد تقريب تعقل تصور المعانى بتصوير الجنة والنار فانهما مع عظمهما صورا له فى عرض الحائط فكما وقع خرق العادة بذلك كذلك لا بعد فى تصوير المعانى بصورة محسوسة خرقا للعادة وقال ابن أبى جمرة ان قوله عليه الصلاة والسلام فاتيت بطست ملىء حكمة وايمانا فيه دليل على أن الايمان والحكمة جواهر محسوسات لا معان لانه عليه الصلاة والسلام قال عن الطست أنه أتى به مملوأ حكمة وايمانا ولا يقع الخطاب الا على ما يفهم ويعرف والمعانى ليس لها أجسام حتى تملأ الاناء بالاجسام والجواهر وهذا نص من الشارع عليه السلام بخلاف ما ذهب اليه المتكلمون فى قولهم بان الايمان والحكمة أعراض وقد جمع بين الحديث وما ذهبوا اليه بما يطول ذكره وقال فى قوله حكمة فيه أن الحكمة ليس بعد الايمان أجل منها ولذا قرنت معه ويؤيده قوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وأوضح ما قيل فيها انها وضع الشىء فى محله أو الفهم فى كتاب الله وعلى الثانى قد توجد الحكمة دون الايمان وقد لا توجد وعلى الاول قد يتلازمان لان الايمان يدل على الحكمة قال السهيلى ولعل الذى كان فى الطست ثلجا وبردا كما فى الحديث الاول فعبر فى المرة الثانية بما يؤل اليه وعبر عنه فى الاولى بصورته التى رآها لانه كان طفلا فلما رأى الثلج فى الطست اعتقده ثلجا حتى عرف تأويله بعد وفى المرة الاخرى كان نبيا فلما رأى طست الذهب مملوءة ثلجا علم التأويل لحينه أى لوقته وأعتقده فى ذلك المقام حكمة وايمانا فكان فى الحديثين على حسب اعتقاده فى المقامين انتهى والمراد فى الطست شىء يحصل به زيادة فى كمال الايمان وكمال الحكمة لا الايمان نفسه ولا الحكمة نفسها فانه صلى الله عليه وسلم متصف باقوى الايمان (فافرغاه) أى الملكان الطست الممتلىء أى أفرغا ما فيه (فى صدره) أى قلبه سماه باسم ما هو فيه أو من اطلاق المحل وارادة الحال فيه (وملأه) أى صدره (حلما) بكسر الحاء المهملة وسكون اللام هو الطمأنينة عند سورة الغضب وقيل تاخير مكافأة الظالم (وعلما) بكسر العين المهملة هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع وقيل هو ادراك الشىء على ما هو به وقيل زوال الخفاء عن المعلوم والجهل نقيضه وقيل صفة راسخة يدرك بها الكليات والجزئيات وقد ينقسم الى ثلاثة أقسام بديهى وضرورى واستدلالى (ويقينا) هو

ايمانا ومعانى حكميه * فافرغاه فى صدره وملأه حلما وعلما ويقينا

فى اللغة العلم الذى لا شك معه وفى الاصطلاح اعتقاد الشئ بانه كذا مع اعتقاد أنه لا يمكن الا كذا مطابقا للواقع غير ممكن الزوال وعند أهل الحقيقة رؤية العيان بقوة الايمان لا بالحجة والبرهان وقيل مشاهدة الغيوب بصفاء القلوب وملاحظة الاسرار بمحافظة الافكار وقيل هو طمأنينة القلب على حقيقة الشئ وقيل رؤية العيان وقيل تحقيق التصديق بالغيب بازالة كل شك وريب وقيل رؤية العيان بنور الايمان وقيل ارتفاع الريب فى مشهد الغيب (واسلاما) هو الخضوع والانقياد قال فى الكشاف ان كل ما يكون الاقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو اسلام وما واطأ فيه القلب اللسان فهو ايمان وهو مذهب الشافعى رضى الله عنه وعند الحنفية لا فرق بينهما كما قاله الجرجانى (وخاطاه) أى الملكان صدره الشريف خياطة معنوية بمجرد اضرار يد جبريل على صدره وبطنه التأم اذ ليس فى الروايات هنا ما يدل على الخياطة الحسية صراحة بل لفظ ثم أطبقه كذا قال بعضهم وفيه أنه جاء فى حديث أبى ذر فى شق بطنه صلى الله عليه وسلم لما كان فى بنى سعد فقال أحدهما لصاحبه خط بطنه فخاطه الا أن يقال هذا كان فى بنى سعد وأما هنا فلا وقد يقال ما المانع من وقوع الخياطة حسية هنا كما وقع له وهو فى بنى سعد نعم قد يبحث فى الاستدلال بحديث أبى ذر أن المراد خاطه خياطة معنوية لكن صح فى حديث أنس كنت أرى أثر المخيط فى صدره الشريف وهو المعول عليه فى كون الخياطة حسية ولهذا الامر الواقع كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس وأعلمهم وأثبتهم فى كل اموره وأشدهم انقيادا لاوامر ربه وأقضيته (وختما بين كتفيه) الى جهة كتفه اليسرى فى محاذاة قلبه من أعلاه لانه محل مدخل الشيطان للوسوسة وههنا أقوال فى الخاتم وقدره وتعدد محله وهل ولد به أو بعد الولادة ذكرناها فى الكوكب الانور مع الجمع بين الروايات وتحرير المقالات (بخاتم) بفتح المثناة الفوقية فقط وأما خاتم النبيين فيجوز فيه الفتح والكسر قال بعضهم وقد كان فى يد جبريل من نور قال بعضهم وظاهر ما مر أنه كان بآلة كما مر فى شق صدره ويدل له ما روى أن جبريل لما أراد أن يختم أخرج صرة من حرير أبيض ففكها وأخرج منها خاتما وختم به بين كتفيه واضافته الى (النبوة) لكونه علامة عليها أو لانها أو لانه من نبوته كخاتم فضة أو لاجل حفظ ما أودعه الله فى قلبه على العادة الجارية فيمن حرص على شئ يختم عليه وفيه اشارة الى أنه خاتم الانبياء وهو من خصوصياته صلى الله عليه وسلم بهذه الكيفية فى ذلك المحل وما ورد أن لكل نبى خاتما فهو ما قيل ان خواتيمهم كانت شامات على أيديهم (الختميه) بفتح الخاء المعجمة وسكون المثناة الفوقية وشد الياء المصدرية أى كونا مخصوصة بالختم (وأتى) بضم الهمزة (بالبراق) بضم الموحدة وتخفيف الراء ضبطه الحافظ وغيره ومن قرأه بكسر الموحدة فقد اخطأ فى الرواية هى دابة دون البغل وفوق الحمار أبيض ليس بذكر ولا أنثى فمن ذكره فباعتبار أنه مركوب أو نظرا للفظ البراق ومن أنثه فباعتبار أنه دابة لها جناحان فى فخذيها فاقتضى ذلك أن يكون مفردا بالخلق بهذه الصفة من غير توليد على سبيل خرق العادة والبراق علم من غير اعتبار اشتقاق أو مشتق باعتبار أصله من البرق بمعنى البياض لانه أفضل الالوان أو من قولهم شاة برقاء لما خالل بياضها بعض سواد ولا ينافيه وصفه بالبياض لان البرقاء معدودة فى البيض لكثرة شعرها الابيض فتسميتها بيضاء من باب التغليب أو من البرق لسرعة سيره أرسله الله من الجنة اجلالا وتعظيما

واسلاما وخاطاه * وختما بين كتفيه بخاتم النبوة الختميه * وأتى بالبراق

على عادة الملوك اذا استدعى واحدا منهم انسانا من خواصه بعث اليه بمركوب مع أعز خواصه ليحضره اليه وأيضا فى قطع هذه المسافة البعيدة فى مدة قليلة على دابة صغيرة فى هذا الحجم المحكى عن صفتها وتعظيم الملائكة له ما هو أعجب وأعظم من حمله على أجنحة الملائكة فقط فقد أخذ جبريل بركابه وميكائيل بزمام البراق وهما من أكابر الملائكة فاجتمع له صلى الله عليه وسلم حالان حمل البراق وما هو كحمل البراق من تعظيم الملائكة وهذا أتم فى الشرف وأبلغ من حمل الريح أو الجن كما وقع لسليمان عليه السلام لما فى ذلك من خرق العادة (مسرجا ملجما) حالان منه خصوصية له صلى الله عليه وسلم ان أريد بلجامه غير زمامه بخلاف ركوب غيره من الانبياء ولعل سرجه ولجامه وما عليه من ملبوس الجنة وجواهرها كما يؤتى للمؤمنين يوم القيامة بخيل وابل من الجنة لا تروث ولا تبول لجومها من الياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر والدر الابيض ورحالها وسروجها وأزمتها من السندس والياقوت والزبرجد فيركب كل واحد منهم على ما كان يحب أن يركب عليه فى الدنيا من خيل وابل حتى يقرعوا باب الجنة فاذا كان هذا للمؤمنين فسيدهم أحق بذلك وأحرى (يضع) يحط (حافره) الحافر أحد حوافر الدابة سمى بذلك لحفره الارض لشدة وطئه عليها فهو بيان للمراد بخطوه الوارد فى الحديث بانه يضع خطوه لان الخطو مصدر لا يتصف بالوضع الا مجازا (حيث أدرك طرفه) بفتح الطاء وسكون الراء وبالفاء أى نظر عينه ولا يلزمه أن يصل الى السماء بخطوة كما توهم (منتهاه) أى منتهى الطرف أى يضع كل حافر من يديه قبل رفع الاخرى حيث أدرك طرفه منتهاه أى فى المكان الذى هو غاية منتهى ما يصل اليه بصره ثم يضع كل واحدة من رجليه موضع يديها أو اسبق منهما وهذا أبلغ من الطيران أيضا قال الخفاجى مصدر بمعنى الانتهاء قال ابن المنير يقطع ما انتهى اليه بصره فى خطوة واحدة لان بصر الذى فى الارض يقع على السماء فيبلغ على السموات فى سبع خطوات انتهى وهو مبنى على القول بانه صعد فى المعراج على البراق أخذا بظاهر الحديث والصحيح خلافه وفى ذكر الحافر اشارة الى أنه مدور كحافر البغل ليس ظلفا مشقوقا كحافر البقر ولا خفا كخف الابل ولا ظفرا كظفر الطير ولا قدما كقدم الآدمى وبه يعترض على المصنف رحمه الله تعالى فى قوله (له اظلاف) جمع ظلف بكسر الظاء المعجمة كاحمال وحمل وهو للبقر والشاة والظبى وشبهها بمنزلة الحافر للفرس والقدم للانسان ونحوهما (وذنب كالبقر) عائدهما أى له اظلاف كالبقر وذنب كالبقر (وقوائم ابليه) أى كقوائم الابل فلو قال وقيل له أظلاف وذنب الخ لانفك من ربقة الاعتراض وقد يجاب بانه أطلق عليه الظلف مجازا لقربه من ظلف البقر كما أنه أطلق عليه الحافر لقربه من حافر البغل مجازا وقد ذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما فى روايات قال ابن حجر كلها ضعيفة جدا ان له وجها كوجه الانسان وعرفا من لؤلؤ منسوط أو كعرف الفرس وقوائما كالابل وخفا كخف الحافر وظلفا وذنبا كالبقر من زبرجد أخضر وصدرا من ياقوتة حمراء وجسدا كالآدمى وفى كتاب الاحتفال وجهه كوجه الانسان وجسده كجسد الفرس وقوائمه كقوائم الثور وذنبه كذنب الغزال وتقدم ان له جناحان فى فخذيه (اذا صعد) بفتح الصاد وكسر العين المهملتين من باب تعب أى اذا علا على مكان مرتفع فى طريقه (ارتفعت) أى طالت (رجلاه) شيأ فشيأ الى تمام الصعود فتعود الى أصلها سريعا (واذا هبط)

مسرجا ملجما يضع حافره حيث أدرك طرفه منتهاه * له اظلاف وذنب كالبقر وقوائم ابليه * اذا صعد ارتفعت رجلاه واذا هبط

بفتح الهاء والوحدة آخره طاء مثالة مهملة من باب ضرب أى نزل الى وهدة (ارتفعت) أى طالت (بداه) شيأ فشيأ فاذا تم هبوطه عادت الى اصلها سريعا محافظة فى ذلك على راكبه ان لا يزال على الاعتدال من غير ميل الى أمامه وخلفه لشدة العناية به وشدة القدرة لطالبه اذ لا يقدر عليها غيره فهو أقوى وأبلغ من انخفاض الجبل وارتفاع الوهدة قال بعضهم و يظهر ان هذه الحالة خصوصية له صلى الله عليه وسلم فلم تقع لنبى ركبه قبله و يظهر أن يكون ما قبل هذا وما بعده كذلك لان المقصود هنا السرعة وتقليل الزمان (فاستصعب) السين للصيرورة أى صار صعبا أى متعسرا عند اركوب وتحرك واضطرب كالممتنع منه وفى رواية فشمس بفتح الشين المعجمة والميم آخره سين مهملة يقال شمس الفرس منع ظهره و بابه دخل وفى المجمل الشموس من الدواب الذى لا يكاد يستقر وفى رواية وكأنها صرت باذنيها بالصاد والراء المهملتين أى جمعت بين أذنيها بشدة و يقال صر الحمار أذنيه اذا أقامها وهى عادة فى الدواب اذا نفرت وتوحشت واختلفوا فى حكمة نفرته منه فقيل ليعرفه جبريل راكبه أو رتبته وقيل لبعد عهده بركوب الانبياء له وقيل لبعده أنه يركبه الى المحشر ليختص بذلك دون افراد جنسه التى أعدها الله له فى الجنة ترعى فى مروجها جمع مرج بالجيم وهو الارض الواسعة المخصبة وهى أربعون ألف براق وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال يبعث صالح على ناقته يركبها من قبره يوافى المحشر وأنا على البراق اختصصت بها دون الانبياء يومئذ وهذا ما وعده استقر وقيل انما استصعب عجبا وتيها بركوب هذا الجناب العظيم له قالوا وهذا الاقرب أخذا من قوله فى الرواية فوضع جبريل يده على معرفته موضع العرف من الفرس ثم خاطبه بخطاب العقلاء (فقال له) أى للبراق معاتبا (جبريل أما تستحيى) بمثناتين فوقيتين مفتوحتين بينهما سين مهملة ساكنة فهاء مهملة وتحتية واحدة أو تحتيتين وهو الاظهر أى أما تخجل وفى رواية ما حملك على هذا (يا براق) أى ما منعك من الانقياد لمحمد صلى الله عليه وسلم مع أنه أعظم من يستحق غاية التعظيم (فورب النشأة) من نشأ الشئ نشأ مهموزا من باب نفع حدث وتجدد وانشأته أحدثته والاسم النشأة مثال الثمرة والضلالة كما فى المصباح (الوجودية) المنسوبة للوجود ضد العدم فالمراد ما أنشأه الله تعالى من الموجودات كأنه قال فورب الخلق (ما ركبك) بكسر الكاف الاولى (خلق) أى مخلوق لا من الانبياء ولا من غيرهم (أكرم) أعظم وأعز وأشرف ذاتا وصفة وأقربهم منزلة والكرم صفة تجمع كل خير وان اختصت عرفا بالسخاء (منه) صلى الله عليه وسلم بل هو أكرم من ركبك على مفاد النفى عرفا وان صدق لغة بالمساواة (على) عند (مولاه) أى وليه الذى ولى أمره أو ناصره (فاستحيا) أى خجل (وارفض) بسكون الراء المهملة وفتح الفاء والضاد المعجمة المشددة أى ترشش (عرقا) منصوب على التمييز من الفاعل والمعنى فتبرأ من الاستصعاب وأجاب بلسان حاله حيث عرق من خجل العتاب ومثل هذا رجفة الجبل به حتى قال اثبت أحد فانما عليك نبى وصديق أبو بكر وشهيدان عمر وعثمان فانها هزة الطرب لا هزة الغضب فلما قر وسكن وكذا البراق فانه خجل من ظاهر الاستصعاب وتوجه الخطاب اليه بالعتاب فعرق حتى غرق أى عمه العرق وفى رواية أن البراق قال لجبريل انى أعرفه وأعرف أنه صاحب الشفاعة العظمى يوم القيامة وأرجو أن يدخلنى فى شفاعته فوعده النبى صلى الله عليه وسلم

ارتفعت بداه فاستصعب
فقال له جبريل أما تستحيى
يا براق فورب النشأة
الوجوديه * ما ركبك خلق
أكرم منه على مولاه
* فاستحيا وارفض عرقا

بذلك قال بعضهم وذلك لا يدل على أنه من الحيوان الناطق فلا ينافي ما مر أنه أجاب بلسان الحال
(وقر) بفتح القاف والراء المهملة المشددة سكن (حتى ركبه خطيب) الخطيب المتكلم عن القوم
وهو صلى الله عليه وسلم المتكلم عن الامم في (المشاهد) بفتح الميم جمع مشهد محضر الناس جمعها
باعتبار مواقف الامم في الحشر (الحشريه) المنسوبة للحشر أي جمع الناس أشار بذلك الى
ما خصه الله به يوم القيامة وفضله به على سائر الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وهو قيامه
خطيبا في الناس في الحشر وشفاعته فيهم وتبشيره لهم بالخلاص اذا أيسوا فقد قال صلى الله عليه
وسلم أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وأنا خطيبهم اذا وفدوا وأنا مبشرهم اذا أيسوا لواء الحمد
بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر أي اذا خرجوا من قبورهم الى المحشر وقدموا على الله
وقاموا بين يديه للحساب فابشرهم بالخلاص من المحشر وطول موقفه وشدة هوله اذا أيسوا من
النجاة وانما كان لواء الحمد بيده يوم القيامة ليعرفه ويتبعه كل من في الموقف لتقدمه صلى الله
عليه وسلم على سائر الانبياء والرسل كما قال صلى الله عليه وسلم وأنا قائدهم اذا وفدوا وأنا
خطيبهم اذا أنصتوا وأنا شفيعهم اذا حبسوا والقائد الرئيس الذي يتبعه الناس ويرتضونه
فيتكلم بين يدي ربه في أمرهم ويشفع لهم اذا حبسوا واضطربوا وفزعوا للانبياء عليهم الصلاة
والسلام فقال كل منهم نفسي نفسي فيشفع لهم الشفاعة العظمى في فصل القضاء وقد قال صلى
الله عليه وسلم ما من بني آدم فمن سواه الا تحت لوائي وأنا أول شافع وأول مشفع وقال اذا كان
يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض فيأتون آدم ليشفع لهم فيقول لست لها الى أن قال فيأتوني
فاقول أنا لها الحديث ولهذا قال صلى الله عليه وسلم تواضعا وهضما لنفسه أطمع أن أكون
أعظم الانبياء أجرا يوم القيامة ولانفراده بالسودد والتكلم يوم القيامة عن جميع الناس اذا لجؤا
اليه والشفاعة فيهم قال صلى الله عليه وسلم تحدثا بالنعمة أنا سيد الناس يوم القيامة ولم يزاحمه
أحد من الانبياء والرسل في ذلك ولا ادعاه وسيأتي مزيد لذلك عند قول المصنف ونتوسل اليك
بصاحب المقامات العنديه (فسار) بالبراق بعد أن ركبه واستقر على ظهره (وجبريل عن يمينه
وميكائيل عن يساره) كما في رواية سعد بن منصور وغيره كما هو عادة خدام الملوك المقربين
عندهم يسيرون بجانب ركابهم كالمحافظين لهم في السير وعند أبي سعيد فكان الآخذ بركابه
جبريل يعني اليمين وبزمام البراق ميكائيل ولا تنافي بين الروايتين لانه آخذ بالزمام وهو مائل
الى جهة اليسار فصدق عليه أنه عن يساره وأنه آخذ بالزمام أو هو اخبار عن مبدأ سيره ودل ذلك
على أن جبريل لم يكن راكبا معه رديفا ولا مردوفا وقد يجاب بانه أمسك ركابه حتى ركب
فركب أمامه ووقع في حديث حذيفة بن اليمان عند الامام أحمد وقال أتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالبراق فلم ينزل على ظهره هو وجبريل حتى انتهيا الى بيت المقدس وهذا لم يسنده
حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيحتمل أنه قاله عن اجتهاد ولم تبلغه الاحاديث التي فيها
نزوله في أماكن قبل بيت المقدس قال في المواهب وشرحه للزرقاني ويحتمل أن يكون قوله هو
وجبريل متعلقا بمرافقته في السير لا في الركوب الى بيت المقدس دون نزوله قبله فلا يخالفه
أحاديث نزوله قبله في أماكن وقال ابن دحيه معناه وجبريل قائد أو سائق أو دليل قال وانما
جزمنا بذلك لان قصة المعراج كانت كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم فلا مدخل لغيره فيها وتبعه

وقر حتى ركبه خطيب المشاهد الحشريه فسار وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره *

ابن المنير وغيره والتعليل لا ينهض فان من جملة كرامته اكرام صاحبه وقد تعقب الحافظ ابن حجر التأويل المذكور بان فى صحيح ابن حبان من حديث ابن مسعود أن جبريل حمله على البراق رديفا له أى جاعلا له خلفه وفى رواية الحارث بن أبى أسامة فى مسنده عن ابن مسعود أتى بالبراق فركبه خلف جبريل وكأنه لسرعة السير وكونه ليلا وكونها دابة غير مألوفة خفف الامر عليه لئلا ينزعج فلم يجعله أمامه فسار بهما فهذا صريح فى ركوبه معه ومعلوم تقديم صريح المنقول على مقتضى المعقول انتهى وبهذا علم ما فى قول القليوبى فى شرح قصة المعراج لم يكن جبريل راكبا معه رديفا ولا مردوفا وأن الروايات التى فيها ما يوهم ذلك ليست صريحة فيه انتهى ثم شرع المصنف رحمه الله تعالى يبين ما رآه صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء الى بيت المقدس بقوله (فاذا هو) صلى الله عليه وسلم (بارض ذات نخيل) كثيرة ثابتة (دانية) قريبة متدلية عراجينها (جنيه) بفتح الجيم وكسر النون وشد المثناة التحتية فعيلة بمعنى مفعولة اى مجنية وهى ما يجنى من الشجر مادام غضا طريا وهو الثمر (فقال جبريل) للنبى صلى الله عليه وسلم أنزل و (صل هنا) أى فى هذا المكان ركعتين مثلا يذكرهما له أو يعلمه بما بها يهدأ وغيره أو من اطلاق الصلاة كلها على أقل الكمال أو اجراء على ما كان عليه عن ركعتين بالغداة والعشى والظاهر أنه ركعتين لان عادة الزائر والمسافر كذلك ولم يعلم ما قرأ فيهما وفى هذا وما بعده رد على من زعم أنه لم يزائل ظهر البراق الى بيت المقدس كما علمت الا ان أراد أنه لم يمش من الطريق شيأ (فهذه طيبة) بفتح الطاء وسكون المثناة التحتية فوحدة فهاء تأنيث اسم من أسماء المدينة المنورة النبوية سميت طيبة لطيبها بكونها جعلت محل قبره الشريف بأخذ تراب طيبته الشريفة منها ولها أسماء كثيرة تنوف عن تسعين اسما ذكرتها فى الكوكب الانور فيما نقلناه عن العلامة السيد السمهودى قال ولم أر أكثر من أسماء هذه البلدة الشريفة وذكر ابن السدى الاستشفاء من الحمى بكتابة أسمائها وتعليقها على المحموم فانها تنفى الذنوب فتشفى من دائها وزاد فى أخباره ما يفيد حكمة الصلاة فيها من الاخبار بالغيب بقوله (وبها) أى اليها (الهجرة) بكسر الهاء وسكون الجيم مفارقة بلد الى غيره فان كانت قربة لله فهى الهجرة الشرعية والمراد هنا الخروج من مكة الى المدينة (و) بها (الوفاة) أى موته صلى الله عليه وسلم (ثم) بعد فراغ صلاته وركوبه البراق بأمر جبريل أو جريا على العادة (سار) أى هو ومعه جبريل وميكائيل والبراق يهوى به يضع حافره حيث أدرك طرفه حتى بلغ وادين (فقال جبريل) عليه السلام أنزل و (صل هنا بهذه البريه) بفتح الموحدة وكسر الراء المهملة المشددة فتحتية مفتوحة مشددة فهاء تأنيث نسبة الى البر بالفتح وهى الصحراء (و) نزل وصلى و (اذا هو) صلى الله عليه قائم يصلى (عند شجرة موسى) عليه الصلاة والسلام كما فى خبر شداد وهى التى سمع منها النداء المذكور فى سورة طه والقصص فى قوله تعالى فلما أتاها أى النار نودى من شاطئ الوادى الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة الآية وقوله من الشجرة بدل من شاطئ باعادة الجار فهو بدل اشتمال لنباتها فيه وهى شجرة عناب أو علين أو عوسج وفى الرواية فقال له جبريل أتدرى أين صليت قال لا قال صليت بمدين عند شجرة موسى ومدين بفتح الميم والتحتية واسكان المهملة بينهما قرية بالشام تلقاء غزة سميت باسم بانيها مدين بن ابراهيم وهى قرية شعيب ونداء الله وكلامه لموسى عندها كان وقت خروجه

فاذا هو بارض ذات نخيل دانيه جنيه * فقال جبريل صل هنا فهذه طيبة وبها الهجرة والوفاه * ثم سار فقال جبريل صل هنا بهذه البريه * فاذا هو عند شجرة موسى

من عند شعيب بعد انقضاء الاجل قاصدا مصر فنودى منها أن يا موسى انى أنا الله رب العالمين أو المراد الشجرة التى آوى اليها بعد سقى الغنم للمرأتين المذكورة فى قوله تعالى فسقى لهما ثم تولى الى الظل فانه كان ظل سمرة قاله ابن عطية عن ابن عباس رضى الله عنهما وعلى هذا ففى اطلاق مدين على بقعتها تجوز لانها بالطور وليس هو بمدين لكنه لقربه سماه بذلك (الذى فلق البحر بعصاه) آثره بهذا الوصف هنا للمناسبة التامة بما قبله وما وقع له صلى الله عليه وسلم من العروج وخرق السموات أعظم مما وقع لموسى من انفلاق البحر له وقصته مع فرعون وضربه البحر بعصاه وانفلاقه فلقا كل فلق كالطود العظيم وغرق فرعون وهلاكه فيه مشهورة فى كتب التفسير (ثم سار) هو ومعه جبريل وميكائيل والبراق يهوى به يضع حافره حيث أدرك طرفه حتى وصلوا طور سيناء (فقال جبريل) انزل و (صل ههنا) فى هذا المكان وهو المكان المعروف المعهود (بعاهد) جمع معهد محل العهد والوعد جعلها باعتبار موارد (التجليات الالهيه) جمع تجلى ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب فان لكل اسم الهى بحسب حيطته ووجوهه تجليات متنوعة وأمهات الغيوب التى تظهر التجليات من بطائنها سبعة معروفة عند أهل المعرفة والمراد التجلى الذاتى وهو ما يكون مبدؤه الذات من غير اعتبار صفة من الصفات معها وان كان لا يحصل ذلك الا بواسطة الاسماء والصفات اذ لا يتجلى الحق من حيث ذاته على الموجودات الا من وراء حجاب من الحجب الاسمائية ومن ثم لما جاء موسى لميقات ربه فى الوقت الذى واعده ووقته له وكلمه ربه طلب أن يمكنه من رؤيته أو يتجلى له فينظر اليه بقوله رب أرنى أنظر اليك وقال الله لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل وظهر له عظمته جعله دكا وخر موسى صعقا قال البيضاوى فى تفسيره وقيل الجبل جبل زبير انتهى فلو تجلى له لم يكن يراه لتوقف رؤيته على معد فى الرأى ولم يوجد فيه بعد فكان ذلك هو الحجاب المانع لرؤيته تعالى ولا ريب أن معانى هذه الالفاظ ونحوها وراء طور العقل لا يعرفها الا أهل العنايات لانها تتعلق بتوحيد الله تعالى وتوحيده تعالى المتعلق بذاته وصفاته لا يصح أن يكون من مدركات كل العقول (ف) لما نزل وصلى (اذا هو) صلى الله عليه وسلم قائم يصلى (بطور سيناء) الطور جبل بيت المقدس وسيناء بكسر السين المهملة وتفتح اسم للبقعة ويضاف الى سينين وهما بلغة الحبشة المبارك وقد أقسم الله بالطور وبجبلين آخرين فقال تعالى والتين والزيتون وطور سينين فالتين هو الجبل الذى عليه دمشق والزيتون هو الجبل الذى عليه بيت المقدس قال المفسرون الطور هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى وفى المراصد جبل الطور مشرف على نابلس وبالقرب من مدين جبل يسمى طورا وهو الذى كلم الله عليه موسى والطور جبل بمصر انتهى بحذف وفى حديث شداد تلو قوله عند شجرة موسى ثم ركب فانطلق البراق يهوى به ثم قال له انزل فصل ففعل ثم ركب فقال له أتدرى أين صليت قال لا قال صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى فصرح بانه صلى فى موضعين عند الشجرة وعند الجبل وكلمه الله عندهما معا لكن بين التكليمين لموسى مدة طويلة فالتكليم الاول الذى نبئ فيه كان عمره أربعين سنة كما فى ابن عطية والثانى كان بعد غرق فرعون واستقرار الامر لموسى بعد الامر بالصوم وانقضاء مدة الوعد المذكورة فى قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر وبين جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم حكمة صلاته فيه بانه

الذى فلق البحر بعصـ
* ثم سار فقال جبريـ
صل ههنا بعاهد التجليـ
الالهيه * فاذا هو بطو
سيناء

(حيث) أى المكان الذى (كلم الله) تعالى (موسى) فيه أو عليه (وناداه) وحكمة أمر جبريل له بالنزول فى هذين الموضعين وصلاته فيهما واخباره بان الله كلم نبيه موسى تشجيع قلبه وتسهيل أمره فيما يعظم عليه من خطاب ربه لان المقام مقام المناجاة والخطاب

﴿ضوع اللهم معهده الشميم * بنشر غوال من صلاة وتسليم﴾
﴿اللهم صل وسلم وبارك عليه﴾

دعا بزيادة تطييب معهده من ضاع المسك انتشرت ومعهد منزله المعهود به وهو قبره الشريف والشميم المرتفع والمراد ارتفاع رتبة الشرف قوله بنشر غوال جمع غالية نوع من أنواع الطيب من صلاة أى رحمات وتسليم أى رضوان (ثم) ركب صلى الله عليه وسلم وسار والبراق يهوى به حتى (بلغ) هو ومن معه جبريل وميكائيل (أرضا) بالنصب على المفعولية لبلغ لانها مهملة منكرة أو نصبها بنزع الخافض (ذات قصور) بضم القاف والصاد المهملة جمع قصر بفتحها وسكون الصاد آخره راء مهملة وهو كما فى القاموس المنزل أو كل بيت من حجر وعلم لسبع وخمسين موضعا ما بين مدينة وقرية وحصن ودار أعجبها قصر بهرام جور من حجر واحد قرب همدان (شامخة) بالشين المعجمة أى عالية (عليه) بفتح العين المهملة وكسر اللام وشد المثناة التحتية أى عالية مرتفعة فهما بمعنى (فقال) له (جبريل) انزل و(صل هنا) فى هذا المكان قال فى الهدى وقيل أنه صلى الله عليه وسلم نزل ببيت لحم وصلى فيه ولا يصح عنه ذلك البتة (ف) لما نزل وصلى (اذا هو) صلى الله عليه وسلم قائم يصلى (ببيت) أى بقرب بيت (لحم) بفتح اللام وسكون الحاء المهملة آخره ميم على ما هو المشهور وقيل بالخاء المعجمة وقيل لغتان وبيت لحم قرية تلقاء بيت المقدس قال فى القاموس البيت معروف والبيت يغتاب فيه الناس كثيرا وبه فسر ان الله يبغض البيت اللحم انتهى ولعل هذه القرية كانت محل اغتياب الناس فسميت بيت لحم لان المغتاب يأكل لحم أخيه قال تعالى أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا قال القليوبى سميت بذلك لملاقات محل منها لحم عيسى عليه السلام وقت ولادته لعدم قابلة تلقاه انتهى وهذا أليق بالمقام وقد أشار الى حكمة صلاته فيه بانه (حيث) أى المكان الذى (ولد) فيه (عيسى) بن مريم وهذا هو المشهور وجاء عن وهب بن منبه انها ولدته بمصر وجمع غيره بانها ولدته ببيت لحم ثم خافت عليه فتوجهت به الى مصر فنشأ بها حتى صار عمره اثنتى عشرة سنة (الذى أوتى) أعطى (الحكم) بضم الحاء الحكمة والعلم والمعرفة وقيل النبوة أى أحكم الله عقله فى صباه واستنباه وفيه أن العادة المستمرة فى جميع الدنيا على ما جزم به كثيرون منهم شيخ الاسلام فى حواشى البيضاوى ارسالهم على رأس الاربعين وكون عيسى رفع وهو ابن ثلاثين سنة لم يطبقوا عليه بل التحقيق أن عيسى ما رفع الا بعد مضى ثمانين سنة كما فى المواهب وغيره ولا يرد قوله تعالى فى حق يحيى وآتيناه الحكم صبيا لان المراد بالحكم العلم والمعرفة لا النبوة ولا يرد أيضا قوله تعالى حكاية عن عيسى آتانى الكتاب وجعلنى نبيا لانه من التعبير بالماضى عن المستقبل والمعنى وجعلنى نبيا فى علمه وستظهر نبوتى فى المستقبل فى وقتها المرهون (فى صباه) بكسر الصاد مقصورا أى فى صغره وقال تعالى وآتيناه الحكم صبيا بفتح الصاد أى صغيرا (و) لما فرغ النزول والركوب خالف الناقل الاسلوب فقال (بينما هو يسير) مستمرا على ظهر البراق راكبا مستقرا ومعه صاحباه (اذى)

حيث كلم الله موسى وناداه *

ضوع اللهم معهده الشميم * بنشر غوال من صلاة وتسليم *

اللهم صل وسلم وبارك عليه

ثم بلغ أرضا ذات قصور شامخة عليه * فقال جبريل صل هنا فاذا هو ببيت لحم حيث ولد عيسى الذى أوتى الحكم فى صباه * وبينما هو يسير اذ رأى

مفاجأة بعينه (عفريتا) بكسر العين المهملة وسكون الفاء هو المارد من الجن ولفظ عفريت ظاهر في أن المراد غير ابليس وفيه دليل على جواز رؤية الجن قال النووي وقد يراهم بعض الادميين وأما قوله تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم فمحمول على الغالب فلو كانت رؤيتهم محالا لما قال صلى الله عليه وسلم في الشيطان الذي يغلب عليه في صلاته لقد هممت ان أربطه حتى تصبحوا تنظرون اليه كلكم وتلعب به ولدان المدينة كما ذكره اللقاني في شرح الجوهرة (يطلبه) صلى الله عليه وسلم بالسعي الشديد خلفه (بشعلة) بضم الشين المعجمة وسكون العين المهملة ما اشتعلت فيه من الحطب ولهب النار (ناريه) أي بشعلة من نار في يده يريد أن يدرك النبي صلى الله عليه وسلم ليحرقه بها وصار صلى الله عليه وسلم يلتفت اليه لا لخوف ولا فزع لانه الامين المأمون بل للعادة البشرية أو لتحقق جنسه أو غير ذلك (و) صار (كلما التفت صلى الله عليه وسلم) وراءه (رآه) خلفه طالبا له صلى الله عليه وسلم وحصل عند جبريل عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وسلم في نفسه منه شئ (فقال جبريل) للنبي صلى الله عليه وسلم حين رآه كثيرا الالتفات الى العفريت (ألا) اداة عرض تفيد التلطف (أعلمك) بضم الهمزة وفتح العين وكسر اللام المشددة يا محمد (كلمات) من الادعية المؤثرة لدفعه في الحال (اذا قلتهن خر) بفتح الخاء المعجمة والراء المشددة (لفيه) بكسر اللام والفاء فشناة تحتية أي سقط وانكب على وجهه (على الفوريه) بفتح الفاء وسكون الواو فراء مهملة بعدها مثناة تحتية مشددة فهاء أي على الوقت الحاضر الذي لا تاخير فيه اذ هو يستعمل في الحالة التي لا بطء فيها وتطفأ شعلته الناريه التي في يده وفي هذا استدعاء وتنبيه على الاصغاء الى ما يريد أن يعلمه اياه وفيه تشويق وتنشيط لاستماعه ليتمكن في ذهنه ويقع في نفسه مزيد موقع وأتى بصيغة القلة ليؤذن بانها قليلة اللفظ كثيرة المعنى فيسهل حفظها وان دفعه هين فلا يعبأ به (ف) أجابه و (قال) عليه الصلاة والسلام (بلى) بفتح الموحدة حرف ايجاب ولا تكون الا بعد نفي وقد يكون مع النفي استفهام وقد لا يكون فهو أبدا يرفع حكم النفي ويوجب نقيضه وهو الاثبات وقال جماعة الاصل بل والالف زائدة أي نعم (مستوثقا) بضم الميم وسكون السين المهملة وفتح المثناة الفوقية فواو فمثلثة فقاف منصوب على الحالية أي آخذا الوثيقة (من التوكل) على من لا يتوكل في الامور كلها الا عليه متمسكا (بعراه) بضم العين المهملة وفتح الراء جمع عروة بكسر العين مثل مدية ومدى وعروة الكوز أذنه والضمير للتوكل أي عرى التوكل على التشبيه بالعروة التي يستمسك بها ويستوثق ومنه قوله صلى الله عليه وسلم وذلك أوثق عرى الايمان (فدعى) صلى الله عليه وسلم بما علمه جبريل عليه السلام وهو أعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ في الارض ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن (فانكب لفيه) أي فلما دعى بذلك وقع على وجهه (وطفئت) بفتح الطاء المثالة المهملة وكسر الفاء وفتح الهمزة فتاء تانيث ساكنة يقال طفئت النار وانطفأت بالهمز من باب تعب طفوا على فعول خمدت وذهب لهبها (شعلته) بما في تلك الاسماء من الاسرار الالهية وفي ذلك تعليم من جبريل لامته صلى الله عليه وسلم وان كانت لا تخفى عليه (الجهنميه) نسبها لجهنم اشارة الى أن حاملها من أهلها لانه من مردة الجن

عفريتا يطلبه بشعلة ناريه * وكلما التفت صلى الله عليه وسلم رآه * فقال جبريل ألا أعلمك كلمات اذا قلتهن خر لفيه على الفوريه * فقال مستوثقا من التوكل بعراه * فدعا فانكب لفيه وطفئت شعلته الجهنميه *

كما تقدم (ورأى) أى كشف له صلى الله عليه وسلم حال المجاهدين فى سبيل الله أى كشف له عن حالهم فى دار الجزاء بضرب مثل فرأى (قوما يزرعون) يحرثون الارض للزراعة ويبذرون فيها البزر فينبت وينمو سريعا حتى يستحق الحصاد (ويحصدون) بكسر الصاد المهملة يقطعون ما زرعوه بالمعجل (فى يومين) حقيقة وكل ليلتين كذلك أو فى وقتين أو أنهم كلما حصدوا من ذلك الزرع شيأ عاد كما كان وهذا أنسب لموافقة الحال والمشاهدة أو أن جبريل علمه بذلك فنسبت الزرع اليهم فى غير المرة الاولى مجازا ولم يصرح فى الرواية تبيين ذلك الزرع لان المقصود من الزرع فعل الخير ومن الحصاد الثواب وبتجدده تكرير الثواب فى كل يوم وليلة أو أشار بالزرع الى تجدده فى كل يوم وليلة وبالحصاد الى رفع الملائكة له فى صحفهم فى آخرهما ويظهر من الحصاد أنه كالحنطة ولما رأى صلى الله عليه وسلم ذلك وعلم من جبريل أنه يريد اخباره بكلما يقع اراحة من طلب السؤال ولم يطق أن يصبر عن الاستخبار حتى يسأله جبريل ابتدأ هو جبريل بالسؤال عن أحوال القوم (فسأل من) بفتح الميم حرف استفهام والتقدير من القوم (هم قيل) أى قال جبريل كما صرحوا به فى أصل القصة هم (المجاهدون فى سبيل الله) أى طريقه (من عاداه) وهم الكفرة والمشركون لاعلاء كلمته ودينه بجهاد حقيقى أو بمرابطة وعداوة الله مخالفته عنادا أو معاداة المقربين من عباده وفى القصة عن جبريل عليه السلام أنه قال يضاعف لهم الحسنات بسبعمائة ضعف وما انفقوا من شئ فهو يخلفه أى تضاعف وتجدد لهم الحسنات كل وقت ما داموا كذلك حتى تصير كل حسنة منها بسبعمائة ضعف بل الى أضعاف كثيرة واليه يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم وما انفقوا من الاموال فهو يخلفه عليهم بأحسن منه وهو خير الرازقين وقد يقال المضاعفة المذكورة غير مختصة بالمجاهدين فقد جاء كل ابن آدم يضاعف له الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الا أن يقال ان المراد بتكرار الجزاء بالعدد المذكور للمجاهدين أمر مؤكد لا يكاد يختلف وفى غيرهم بخلافه (و) لم يزل مستمرا فى السير على ما تقدم حتى وصل الى محل (وجد) أى شم فيه (ريحا طيبة) بتشديد المثناة التحتية (شذيه) بالشين والذال المعجمتين من الشذا وهو قوة ذكاء الرائحة وهو بمعنى طيبة (فاذا) التى وجدها (هى رائحة ماشطة) اسم فاعل مشط الشعر يمشط مشطا سرحه أى التى تسرح شعر (بنت فرعون) لقب الوليد بن مصعب صاحب موسى عليه الصلاة والسلام ولقب لكل من ملك مصر وكل عاة متمرد وتفرعن تخلق باخلاق الفراعنة والفرعنة الزهاء والتكبر وذلك بعد أن سأل جبريل عليه السلام ما هذه الرائحة فقال رائحة ماشطة بنت فرعون واضافتها الى بنت فرعون لافادة تعينها وقت الفعل ورائحة أولادها ورائحة الذين قتلهم فرعون لما كفروا به وآمنوا بالله تعالى وكأن جبريل عليه السلام فهم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه متشوف الى علم سبب الرائحة فذكر له قصتهم المرتب عليها ما سيأتى بقوله (بينا هى) أى الماشطة (تمشطها) بفتح المثناة الفوقية وسكون الميم وضم الشين المعجمة أى تسرح شعر رأس بنت فرعون بمشط (اذ سقط) ذلك (المشط) قال فى القاموس المشط مثلثة وكمكتف وعنق وعتل ومنبر اى بميم ونون آلة يمتشط بها من يدها الى الارض (فقالت) أى الماشطة وهى امرأة حزقيل خازندار فرعون مؤمنة صالحة واسمها فتنه بفاء ونون بسم الله (تعس) بفتح أوله مع فتح ثانيه ويجوز كسرها فى لغة فعلى الاول من باب نفع وعلى الثانى من تعب

ورأى قوما يزرعون ويحصدون فى يومين فسأل من هم قيل المجاهدون فى سبيل الله تعالى من عاداه * ووجد ريحا طيبة شذيه * فاذا هى رائحة ماشطة بنت فرعون بينا هى تمشطها اذ سقط المشط من يدها فقالت تعس

وفى القاموس التعس الهلاك والعثار والشر والبعد والانحطاط والفعل كمنع وسمع واذا خاطبت قلت تعست كمنع واذا حكيت قلت تعس كسمع وهو دعاء بالهلاك أى هلك (فرعون ما أضله وأغواه) عن الطريق المستقيم والايمان بالله الذى لا اله معبودا بالحق سواه (فقالت) لها (أبنته) أى بنت فرعون حين سمعت منها ذلك استفهاما (أولك) بكسر الكاف (رب) أى خالق ومربى تعبدينه (غير أبى) تعنى والدها فرعون انما قالت لها ذلك (لنمو) بضم النون والميم آخره واو مشددة لكثرة وشدة (العتو) بضم العين المهملة والمثناة الفوقية وتشديد الواو الاستكبار (و) لنمو (الجاهليه) ضد الاسلامية وغلبتها فى ذلك الزمان (قالت الماشطه محبية لها (نعم) بفتح النون والعين المهملة حرف اعلام لوقوعها بعد الاستفهام أى نعم لى رب غير أبيك بل هو (ربنا) أى ربى وربك ورب أبيك (الذى) تفرد بالواحدانية والمعبودية فلا يجوز أن يعبد سواه وهو الذى (ذرأ) بفتح الذال المعجمة والراء المهملة آخره همزة بوزن جعل أى خلق (أباك وبراه) بموحدة فمهملة فهمزة هو كذرأ وزنا ومعنى فعطفه على ما قبله للتفسير وخففت همزته هنا للسجع (فقالت ابنة فرعون من غير ان تفاجئها بسوء لما لها عليها من حق التربية أو ترضين باماشاطة ان أذهب وأخبر أبى بما كلمتنى به قالت نعم فذهبت و (أخبرت أباها) بذلك (فدعاها) أى طلب احضارها باعوانه فاحضر وها بين يديه (واستولت) أى غلبت (عليه التسويلات) جمع تسويل من سولت الشئ بالتثقيل زينته أى التزيينات (النفسيه) المنسوبة الى النفس الامارة بالسوء (فقال) لها استفهاما (ألك) أى هل لك (رب غيرى قالت نعم) لى رب غيرك بل أنت لست ربا واغا (ربى وربك الله) الذى لا رب سواه فلما سمع منها ذلك اشتد عليها غيظا (وكان لها) للماشطة (ابنان) كبيران قيل وابن رضيع وهو المتكلم الآتى (وزوج) فارسل اليهم للحضور اليه فحضروا لديه و (استمالهم) أى طلب ميلهم وعدولهم عن دينهم واعتقادهم ربوبية الله تعالى و يميلوا اليه باعتقاد ربوبيته وأن يعبدوه من دون الله وفى القصة انه راود المرأة وزوجها ان يرجعا عن دينهما ولا منافاة لانهما المتبوعان والولدان تابعان لهما اذ اقامة الابوين على دين سبب يجعل الولد تابعا لهما فاقامتهما على الشرك يجعلانه مشركا (فأبوا) أى امتنعوا عن ذلك وما اعتقدوا الا ربوبية الله تعالى وما اختاروا (الا الفطرة) بكسر الفاء أى الخلقة التى فطر الله الناس عليها من الاستعداد لقبول دين الاسلام قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فحينئذ ان ترك بحاله على طبعه ولم يتعرض له من يصده عن النظر الصحيح فيما نصب من الادلة الجلية على التوحيد وصدق الرسول لم يختر الا الملة الحنيفية ولهذا قال بعضهم الفطرة الملة أى الملة الاسلامية فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه لادى بهم اليها وفسرت أيضا بالعهد المأخوذ من آدم وذريته انتهى (الاسلاميه) المنسوبة للاسلام أو هو صفة كاشفة فقال لهم فرعون انى قاتلكم ان لم ترجعوا فقالت له الماشطة بلسان الحال افعل ما تريد و بلسان المقال نطلب احسانا منك ان قتلتنا أن تجعلنا فى بيت واحد فتدفننا فيه جميعا فقال لها فرعون نعم أفعل ذلك بسبب ما لك علينا من الحق فى تربية بنتنا وخدمتها (فالقاهم فى بقرة) بفتح الموحدة والقاف والراء المهملة آخره هاء تأنيث أى اناء كبير (من نحاس) مثلثة الفطر بكسر القاف أى بقدر كبيرة من نحاس سماها بقرة لاتساعها أو بشئ مصنوع من نحاس على

فرعون ما أضله وأغواه
* فقالت ابنته أولك رب
غير أبى لنمو العتو
والجاهليه * قالت نعم
ربنا الذى ذرأ أباك وبراه
* فاخبرت أباها فدعاها
واستولت عليه
التسويلات النفسيه *
فقال ألك رب غيرى
قالت نعم ربى و ربك الله
* وكان لها ابنان وزوج
فاستمالهم فأبوا الا الفطرة
الاسلاميه * فالقاهم فى
بقرة من نحاس

صورة البقرة قال الحافظ أبو موسى المدايني يقع لي معناه أنه لا يريد شيأ مصنوعا على صورة البقرة ولكنه ربما كانت قدرا كبيرة واسعة فسماها بقرة مأخوذة من البقر وهو التوسع انتهى (محماه) ملقاة في النار حتى حميت من حمى المسمار سخن والشمس والنار حميا وحميا وحموا اشتد حرهما وفي القصة فأمر فرعون ببقرة من نحاس فاتوه بها فاحميت بالنار بعد امتلائها بالماء حتى صار ذلك الماء يذيب اللحم سريعا اذا ألقي فيه لشدة حرارته ثم أمر لتلقى فيها هي وأولادها وزوجها فالقوا زوجها وأولادها واحدا بعد واحد ليدعوها الخوف الى طاعته فيمارأودها عليه فلم يدعها الخوف لذلك (وتكلم) قبل القائه والقاء أمه (طفل) بكسر الطاء بلفظ واحد للمذكر والمؤنث والولد الصغير من الانسان والدواب قال بعضهم هذا الاسم للولد حتى يميز ثم لا يقال له بعد ذلك طفل بل صبي وحزور ويافع ومراهق وبالغ وفي التهذيب يقال له طفل الى أن يحتلم انتهى (منهم لم يفطم) يفصل (عن ارتضاع) ضرع ثدي (الطفوليه) الاضافة للملابسة قيل كان عمره سبعة أشهر وهو الثاني على أنهما ولدان والثالث على أنهم ثلاثة كما تقدم (وقال) الطفل لامه (قعي) بفتح القاف وكسر العين المهملة أمر من قعى الفحل الناقة أرسل نفسه عليها اى ارمي بنفسك في البقرة (ولا تقاعسي) بفتح المثناة الفوقية والقاف فألف فعين وسين مهملتين من التقاعس التأخر أي لا تتأخري خوفا أو لا تمتنعي عن الالقاء فيها (فانك على الحق يا أماه) في الدين والاعتقاد قالها لها بالهام من الله تعالى موعظة لامه لما تقاعست شفقة على ولدها الصغره وخوفا على نفسها أن يلقيا في البقرة ربما توافق فرعون فيما طلبه منهما من القول بربوبيته ولو بظاهر اللسان فيصيبهما من عذاب الآخرة الذي هو أشد من ذلك وأبقى وأدوم فانطقه الله وقال يا أمه دعهم يلقوني في النار فانك على الحق ولا بقاء لعذاب فرعون فالقيت بعد القاء ذلك الولد في البقرة فصارت هي وزوجها وأولادها فيها فاتوا جميعا ثم دفنوا في بيت واحد فهذه الرائحة الطيبة الواصلة اليناهن محل دفنهم ﴿وهذا﴾ الطفل أحد الاطفال الثلاث عشرة الذين تكلموا قبل أوان التكلم ﴿والثاني﴾ شاهد يوسف حين راودته امرأة العزيز والقصة معلومة من القرآن العزيز ﴿والثالث﴾ صاحب جريج الراهب من بني اسرائيل أفترت عليه امرأة زانية بولد هامنه فطلب احضار الولد اليه فلما قربوه منه سأله من أبوك يا غلام فقال أبي فلان الراعي فعلمت بنو اسرائيل ان المرأة قد كذبت عليه وسببه دعوة أمه عليه في عدم اجابته لما ناادته ثلاث مرات لكونه مشغولا بصلاة النفل وفي الحديث لو كان جريج فقيها لقطع صلاته وأجاب أمه اى لانه الواجب عندنا في صلاة النافلة ﴿والرابع﴾ عيسى ابن مريم عليه السلام في ساعة ولادته كما قصه الله علينا في كتابه الكريم وقيل بعد أربعين يوما من ولادته ﴿والخامس﴾ مريم أم عيسى وكان عمرها دون سنتين ولم تطعم من ثدي أبدا وكان المتكفل بها زكريا عليه السلام ووضعها في غرفة ولا يدخل عليها غيره وكلما دخل وجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وعكسه فقال أني لك هذا قالت هو من عند الله كما قصه الله علينا في كتابه القديم ﴿والسادس﴾ يحيى بن زكريا وهو ابن خالة عيسى كان في غرفة وعمره سنة وشهر فلما ولد عيسى قال يحيى أشهد أنك عبد الله ورسوله فسمع أبوه زكريا شهادته فخر ميتا ولا فلم ير عنده أحد افهو أكبر من عيسى عليه السلام بما ذكر وقيل بثلاث سنين وقيل ولدا معا ﴿والسابع﴾ ابراهيم الخليل حال ولادته

محماه * وتكلم طفل منهم لم يفطم عن ارتضاع ضرع الطفوليه * وقال قعي لا تقاعسي فانك على الحق يا أماه *

نهض قائما على قدميه قائلا لا اله الا الله وحده لا شريك له الحمد لله الذى هدانا فبلغ صوته جميع الارض وسائر الحيوانات ﴿والثامن﴾ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عطس حين ولادته فقال الحمد لله فشمتته الملائكة فرد عليهم وفى الحديث أول ما تكلم به حين ولد الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ﴿والتاسع﴾ صاحب قصة الاخدود لما قتل الملك الغلام الذى آمن بالله الذى دله عليه الراهب وأخبر بأن جميع الناس خالفوك وآمنوا برب الغلام حين رأوا معجزة فى قصة مشهورة ذكرها مسلم وغيره فحفر الملك أخدودا فى الارض وألقى فيه الحطب والنار وجمع الناس وقال لهم من رجع عن دين الغلام تركناه ومن لم يرجع ألقيناه فى النار وصار يلقى الناس أفواجا أفواجا وكان فيهم امرأة معها ولد رضيع له من العمر سبعة أشهر فجزعت عليه فقال لها يا أمه لا تجزعى فانك على الحق فقال الله تعالى قتل أصحاب الاخدود والنار ذات الوقود الآيات ﴿والعاشر﴾ مبارك اليمامة اسم مدينة معروفة باليمن جاءت به امرأة يوم ولادته الى النبى صلى الله عليه وسلم فاجلسه فى حجره ثم قال له من أنا يا غلام فقال أنت رسول الله حقا فطوبى لمن أطاعك وويل لمن خالفك فقال له صدقت بارك الله فيك فسمى مبارك اليمامة ﴿والحادى عشر﴾ مبرى الامه كان فى حجر أمه يرضع فمر عليها رجل راكب ذو هيئة حسنة فقالت اللهم اجعل ابنى مثله فترك ثديها ونظر اليه وقال اللهم لا تجعلنى مثله وأقبل يمص ثديها ثم مر عليها بجارية يضربها الناس يقولون زنت وسرقت وهى تقول حسبى الله ونعم الوكيل فقالت أمه اللهم لا تجعل ابنى مثلها فترك الرضاع ونظر اليها وقال اللهم اجعلنى مثلها فسألته أمه عن ذلك فقال أما الراكب فانه من الجبارين وأما هذه الجارية فما زنت ولا سرقت وهم يكذبون عليها ﴿والثانى عشر﴾ نوح عليه السلام لما ولدته أمه وضعته فى غار خوفا عليه فقال لها لا تخافى على ولا تحزنى فان الله خالقنى وهو يحفظنى كذا ذكروه ﴿والثالث عشر﴾ موسى عليه السلام استوى قائما حال ولادته وقال لامه لا تخافى ولا تحزنى ان الله معنا ووضعته فى تنور خوفا عليه من فرعون وخرجت فجاءت أخته فسجرت التنور وهى لا تعلم به فجاء هامان فكبس البيت عليه حتى وصل الى التنور ثم انصرف فجاءت أمه فوجدت التنور مسجرا فنادت يا حسرتاه قد أحرقتم ولدى فناداها من داخل التنور يا أمه لا تخافى ولا تحزنى فان ربى قد منع النار منى فمدت يدها اليه فأخرجته سالما والله تعالى أعلم (و) استمر صلى الله عليه وسلم ومعه صاحباه حتى (مر على قوم ترضخ) بضم الفوقية وسكون المهملة وفتح الضاد المعجمة ثم خاء معجمة أى تشدخ كما فى التقريب وفى القاموس والمصباح تكسر (رؤسهم) من ضرب الملائكة بالحجارة أو غيرها (و) كلما رضخت (تعود) سريعا ملتئمة صحيحة (كما كانت) قبل الرضخ (سويه) أى مستوية ملتئمة وانما قدرنا كلما لافادة تكرار ذلك بهم كما هو فى أصل القصة ولا يفتر لا يؤخر عنهم ذلك شيأ من الزمان ليرتاحوا (فسأل) أى فلما رآهم صلى الله عليه وسلم بهذه الحالة بادر بالسؤال عنهم فقال لجبريل (من هم قيل) أى قال جبريل مجيبا عنهم وعن حالهم لانه المقصود (هم الذين تثاقل) بفوقية ومثلثة فالف ففاف مفتوحات آخره لام أصله تتثاقل حذفت احدى التاءين للتخفيف وفى بعض النسخ تثاقل أى تبطئ وتميل (رؤسهم عن الصلاة) أى الصلاة الخمس المكتوبة بتركها أو بتأخيرها عن وقتها بغير عذر كلا أو بعضا أو بعدم فعلها

ومر على قوم ترضخ رؤسهم وتعود كما كانت سويه * فسأل من هم قيل هم الذين تثاقل رؤسهم عن الصلاة *

جسدا كما قيل به أيضا وهذا من الاخبار بما سيكون وفيه اعلام بوجودها وهذا الفعل من جملة مايفعل باهل النار كما قال تعالى فى سورة الحج ولهم مقامع من حديد أى معدة لضرب رؤسهم كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم يلحقهم بها أعيدوا فيها وردوا اليها بالمقامع (و) استمر سائرا حتى (مر بقوم على أدبارهم) جمع دبر (و) على (أقبالهم) جمع قبل وهو الفرج (رقاع) بكسر الراء المهملة وبالقاف جمع رقعة بضمهما مثل برمة وبرام بقدر ستر الفرج فقط وهم عرايا ليس عليهم سوى ذلك (يفصون) بضم المثناة التحتية وفتح الفاء المعجمة وضم الصاد المهملة مبنى للمفعول ويصح بناؤه للفاعل أى يشرقون (بطلع) بفتح الطاء وسكون اللام بثمرة اى بسبب أكلهم من ثمرة (شجرة الزقوميه) أى المنسوبة للزقوم بفتح الزاى المعجمة وضم القاف المشددة نوع من الشجر شديد المرارة يوجد بتهامة وفى الزرقانى ثم شجر كريه الطعم قيل لا يعرف فى شجر الدنيا وانما هى فى النار يكره أهل النار على أكلها كما قال تعالى أنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم طلعها كأنه رؤس الشياطين قال المفسرون أى تخرج من قعر جهنم وأغصانها ترتفع الى دركاتها طلعها يشبه طلع النخلة كأنه رؤس الشياطين أى الحياة القبيحة المنظر وفى القاموس الزقوم كتنور الزبد بالتمر وشجرة بجهنم ونبات بالبادية له زهر باسمينى الشكل وطعام أهل النار وفى رواية يسرحون كما تسرح الانعام وفى رواية الابل والغنم ويأكلون الضريع بالضاد المعجمة الشوك اليابس أو نبات أحمر منتن الريح يرمى بها فى البحر والزقوم ورضف جهنم بفتح الراء وسكون الضاد المعجمة بعدها فاء الحجارة واحدها رضفة بسكون الضاد وتفتح أى ويأكلون حجارة جهنم وسيأتى مزيد كلام فى ذلك عند الكلام على المستهزئين به صلى الله عليه وسلم (فسأل) من جبريل بقوله (من هم) فأخبره عنهم بصفتهم (فقال هم الذين لا يؤدون صدقات أموالهم) أى زكاتها (وما ظلموا) أى ما ظلمهم الله بعذابهم لانه متعال عن الظلم علوا كبيرا وما الله بظلام للعبيد أى لا يعذبهم بلا ذنب (ولكن لكل) بالتنوين عوضا عن المضاف اليه أى لكل واحد منهم (ما جناه) يا لجيم أى ما اكتسبه فى دنياه ان خيرا فخير او ان شرا فشرا (و) استمر فى سيره حتى (مر بلحم نضيج) بنون مفتوحة فضاد معجمة مكسورة فتحتية ساكنة فجيم أى مشوى من الطبخ (و) بلحم (نئ) بكسر النون وتحتية ساكنة ثم همزة وبالابدال والادغام عامى أى غير مطبوخ (وقوم) بالجر معطوف على ما قبله (يدعون) بفتح الدال المهملة (نضيجه) أى مشويه (ويأكلون نيه) بشد المثناة التحتية (فسأل) من جبريل وقال (ما هذا) الحال الذى هؤلاء عليه يدعون اللحم النضيج الطيب فى طعمه وريحه ولونه ويأكلون من اللحم النئ الخبيث فى طعمه ولونه وريحه (قال) جبريل هذا (مثل) بفتح الميم والمثلثة أو بكسر فسكون أى شبه حال (المزوجين) بفتح الواو مشددة مبنى للمفعول (من) جملة (أمتك) يا محمد فبدء بامته لان بغيرهم عذابا أعظم من هذا أولان الغرض اعلامه بما أعد لمرتكبى ذلك لينكفوا عنه (يكون عندهم الحلال) من زوج أو مملوكة (و) يتركون المبيت عندها مثلا ولا يقضون حاجتهم منها و (يأتون الحرام) من امرأة حرة أو رقيقة زانية يبيتون عندها حتى يصبحوا كما فى الرواية ويزنون بها وقوله المزوجين يشمل الرجل والمرأة اذ المراد تشبيه حال الزناة من الرجال والنساء ففى الرواية

ومر بقوم على أدبارهم وأقبالهم رقاع يفصون بطلع شجرة الزقوميه * فسأل من هم فقال هم الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلموا ولكن لكل ما جناه * ومر بلحم نضيج ونئ وقوم يدعون نضيجه ويأكلون نيه * فسأل ما هذا فقال مثل الزوجين من أمتك يكون عندهم الحلال فيأتون الحرام

والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتأتي رجلا خبيثا فتبيت عنده وقيده في الرواية هنا وفيما قبله بقوله حتى تصبح وليس شرطا ولعل التقييد بذلك لانه الاغلب فالمراد الزنا وان لم يكن بيات حتى الصباح كما أطلقه المؤلف بقوله (وهم الزناه) بضم الزاي المعجمة جمع زان كقاض وقضاه ويؤيده أن الحافظ اختصر الحديث بقوله هؤلاء الزناة (و) استمر صلى الله عليه وسلم سائرا حتى (مر بخشبة على الطريق) أي طريق المارة ذات شعب وشوك ملقاة على جانب الطريق (لا يمر بها شئ) مطلقا (الا مزقت) بالتخفيف والتثقيل أي قطعت وشقت (عاليه ودنيه) أي أعلاه وأسفله بشعبها أو شوكها (فسأل) صلى الله عليه وسلم جبريل (عنها قال) جبريل (هي مثل) بفتحتين أو بكسر فسكون (أقوام) جمع قوم أي ناس (من) جملة (أمتك يقطعون السبيل) أي الطريق بمنعهم ابناء السبيل عن المرور لاخذ ماله أو اخافته أو قتله ومنهم من يمنعون الناس عن المرور في الطريق المستقيم ويهددونه على الدخول في الدين القويم كما وقع لشعيب كانوا يقعدون على الطرقات فيخبرون من مر عليهم أن شعيبا الذي تريدونه كذاب فلا يفتنكم عن دينكم ومنهم المكاسون يقعدون في الطريق ويأخذون المكس المشهور الجمع على تحريمه (وهم البغاه) أي بضم الموحدة جمع باغ الظالم المعتدي ويقال بغى سعى بالفساد ومنه الفرقة الباغية لانها عدلت عن القصد وأصله من بغى الجرح اذا ترامى الى الفساد كما في المصباح وحكم قطاع الطريق مختلف باختلاف أحوالهم لانهم اما أن يقتلوا فقط أو يأخذوا المال فقط أو يقتلوا ويأخذوا المال أو يخيفوا الطريق ولا يأخذوا ولا يقتلوا فحكم الاول قتلهم فقط والثاني قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف والثالث قتلهم وصلبهم والرابع حبسهم وتعزيرهم بما يراه الامام هذا ان لم يكونوا مستحلين لذلك والا فحكمهم حكم الكفرة أهل الحرب (وتلا جبريل) أي قرأ (من صريح الآيات القرآنيه) دليلا لما ذكره قوله تعالى (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون) بكل طريق من طرق الدين وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود وأحكام فيشمل قاطع الطريق وغيره (وتصدون عن سبيل الله) يعني الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه أو الايمان بالله كما في البيضاوي

﴿ضوع اللهم معهده الشميم * بنشر غوال من صلاة وتسليم﴾

(و) استمر صلى الله عليه وسلم في سيره ومعه جبريل وميكائيل حتى (مر برجل) أي انسان (يسبح) بفتح المثناة التحتية وسكون السين المهملة من السباحة وهو العوم فهو علم لا ينسى (في نهر من دم) أصل النهر يكون من الماء العذب واطلاقه هنا على الدم مجازا أو تصوير لحمرته وفي حال سباحته (يلقم) بالقاف والبناء للمجهول أي ترمي الملائكة أو غيرهم (حجارته) في فيه فليقمها ويأكلها (و) يلقم (أفذاره) جمع قذر وهو الوسخ وقد يطلق على الدم لنجاسته (البذيه) بفتح الموحدة وكسر الذال المعجمة فعليه بمعنى الكريهة (فسأل) النبي صلى الله عليه وسلم جبريل بقوله (من هذا الرجل (قال) جبريل هذا (آكل) بمد الهمزة (سحت) بضمتين أو بضم فسكون تخفيفا هو كل مال حرام لا يحل كسبه ولا أكله أي أكل الحرام الذي اكتسبه من (المراباه) بضم الميم أي تعاطي الربا المحرم بالكتاب والسنة والاجماع وفي المواهب وفيه

وهم الزناه * ومر بخشبة على الطريق لا يمر بها شئ الا مزقت عاليه ودنيه * فسأل عنها قال هي مثل أقوام من أمتك يقطعون السبيل وهم البغاه * وتلا جبريل من صريح الآيات القرآنيه * ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله *

ضوع اللهم معهده الشميم * بنشر غوال من صلاة وتسليم *

ومر برجل يسبح في نهر من دم يلقم حجارته وأفذاره البذيه * فسأل من هذا قال آكل سحت المراباه *

أى فى حديث أبى سعيد أنه مر بقوم بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خر وان جبريل قال له هم أكلة الربا قال الزرقانى أى الذين يتناولون من الاموال ما أخذوه على وجه الربا وهو خاص بالمطعومات والنقود اذا أخذت بالعقد المسمى بعقد الربا بان اشتمل أحد العوضين فيه على زيادة أو تأخير فى البدلين أو احدهما ولفظ الحديث فى هذه الجملة ثم مضى هنيهة فاذا هو بقوم بطونهم أمثال البيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم كلما نهض أحدهم خر يقول اللهم لا تقم الساعة وهم على سابلة آل فرعون فتجىء السابلة فتطؤهم فسمعهم يضجون الى الله تعالى فقال ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء من أمتك الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس والسابلة ابناء السبيل المختلفة وجعلوا بطريق آل فرعون يمرون عليهم غدوا وعشيا الا ان آل فرعون هم أشد الناس عذابا يطؤونهم فضلا عن غيرهم من الكفار وهم لا يستطيعون القيام ومعنى ذلك أن الله وقف أمرهم بين أن ينتهوا فيكون ذلك جزاء لهم وبين أن يعودوا ويصروا فيدخلهم النار واستشكل بان هذه الحالة ان كانت عبارة عن حالهم فى الآخرة فآل فرعون قد دخلوا أشد العذاب وانما يعرضون على النار غدوا وعشيا فى البرزخ وان كانت هذه الحالة التى رآهم عليها فاى بطون لهم وقد صار عظاما ورفاتا ومزقوا كل ممزق وأجيب بانه انما رآهم فى البرزخ لانه حدث عما رآى وهذه الحال هى حال أرواحهم بعد الموت وفيه تصحيح لمن قال الارواح أجساد لطيفة قابلة للنعيم والعذاب نفاه الله تعالى فى تلك الارواح من الالم ما يجده من انتفخ بطنه حتى وطئ بالاقدام ولا يستطيع معه قيام ولا دليل فيه على أنهم أشد عذابا من آل فرعون بل فيه دليل على أن آل فرعون وغيرهم من الكفار الذين لا يأكلون الربا يطؤونهم ما داموا فى البرزخ الى أن يقوموا يوم القيامة كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ثم ينادى منادى الله أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ذكره السهيلى انتهى (و) استمر صلى الله عليه وسلم حتى (مر برجل) أى انسان (يحمل حزمة) بضم الحاء المهملة وسكون الزاى المعجمة هو ما ربط وسطه بحبل بعد جمعه من حطب أو غيره جمعه حزم بضم الحاء وفتح الزاى وضبط القاموس بكسر الحاء سهو (يتجز) بكسر الجيم من باب ضرب يضعف (عن حملها) أى لا يستطيع حملها (وهو) مع ذلك (يزيدها) أى يضم الى الحزمة غيرها (بعزمة) بفتح العين المهملة وسكون الزاى المعجمة أى باجتهاد وجد (قويه) بفتح القاف وكسر الواو صفة عزمة أى شديدة (فسأل عنه قال) جبريل (هذا) الرجل (تكون عنده الامانات يقصر) بضم المثناة التحتية وكسر الصاد المهملة من أقصرت عن الشئ بالالف أمسكت مع القدرة عليه أى يمسك (عن ادائها) مع القدرة عليه وقيدها فى الحديث بامانات الناس أى لا يؤديها لاهلها كوديعة وما وكل على بيعه وما تحت يده من مال يتيم أو وقف ونحوه واما على ما هنا فيدخل فيها ذلك مع ما يتعلق بنفسه مما فرض الله من صلاة وصيام وزكاة وحج وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل فى المكيال والميزان وجميع ما أمر به ونهى عنه وحفظ الفرج واللسان والعين واليد والرجل والايمان والوفاء بالعهد وما فوض اليه كخطابة وامامة وغيرها مما لا يوصف بكونه تحت يده حسا (و) هو (يريد أن يحمل ما) الذى (لا يقواه) أى لا يستطيع حمله أو يحمل زيادة على ما حمله مع عدم قدرته على حمل الاولى وذلك دليل على ظلمه

ومر برجل يحمل حزمة يعجز عن حملها وهو يزيدها بعزمة قويه * فسأل عنه قال هذا تكون عنده الامانات يقصر عن أدائها ويريد أن يحمل ما لا يقواه *

وجهالته قال تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا (و) سار حتى (مر بقوم تقرض) بضم المثناة الفوقية وسكون القاف وفتح الراء المهملة آخره ضاد معجمة اى تقطع (السنتهم) وشفاههم اى تقطعها الملائكة أو غيرهم (بمقاريض) بفتح الميم جمع مقراض بكسر الميم آلة تقطع بها الثياب (حديديه) مصنوعة من الحديد تعرف بالمقص (كلما قرضت عادت) كما كانت لحينه اما بابدال ما قطع منها أو بعوده كاملة وانما خصت الالسن والشفاه بالعذاب لانها مخارج الحروف (لا يفتر) بضم المثناة التحتية وفتح الفاء وشد المثناة الفوقية من الفترة وهى المهلة أى لا يؤخر ولا يخفف (عنهم قدر) أى مقدار (سنة وانتباه) السنة فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع

وسنان أقصده النعاس فرنقت * في عينه سنة وليس بنائم

فليس بين السنة والانتباه شئ يذكر فالمعنى لا يخفف عنهم ولا لحظة قليلة (فسأل من) القوم (هم قال) هم (خطباء الفتنة) الذين يوقعون الناس أو انفسهم فى الهلاك بوعظهم وعينهم كما فى الرواية بقوله (خطباء أمتك) والمراد بهم كل من تصدى لتعليم العامة ما طلب منهم ونهيهم عما نهوا عنه فدخل العالم والواعظ وغيرهما (الامية) نسبة الى الام يقال فلان أمى اى لا يحسن الكتابة وهذا باعتبار شأنهم فى أول أمرهم لان الكتابة مكتسبة فالانسان هو على ما ولدته أمه من الجهل بالكتابة وقيل الامى نسبة الى أمة العرب لانه كان أكثرهم أميين كما فى المصباح وقول بعضهم نسبة للنبى الامى صلى الله عليه وسلم فيه نظر (الذين يقولون) للناس فى التعليم والجواب وفى الوعظ وفى الامر والنهى (ما لا يفعلون) يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون فيفتنون الناس بذلك لعدم مطابقة قولهم لفعلهم قيل مثل الذى يعلم الناس الخير ولا يعمل به كالسراج يضئ للناس ويحرق نفسه وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه ومن وعظ بفعله نفذت سهامه قال حاتم الاصم ليس فى القيامة أشد حسرة من رجل علم الناس علما فعملوا به ولم يعمل هو به ففازوا بسببه وهلك هو وأنشد بعضهم

لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

(فتستمحه) أى تطلب من الله المنح وهو العطاء أى تسأله أن يعطينا (العافية) أى النجاة والسلامة (مما لا يرضاه) وهذا دعاء مستحب لقوله صلى الله عليه وسلم اذا رأى أحدكم مبتلى فقال الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به وفضلنى عليك وعلى كثير من عباده تفضيلا كان شكر تلك النعمة والظاهر أن هذه الجملة الدعائية ليست من الرواية (و) لم يزل فى سيره حتى (مر بقوم يخمشون) بالخاء والشين المعجمتين من خمشت المرأة وجهها بظفرها من باب ضرب ونصر كما فى المختار جرحت ظاهر البشرة ثم أطلق الخمش على الاثر كاللطم والضرب أى يلطمون ويضربون ويجرحون (وجوههم وصدورهم) فتسيل دماؤهم (باظفار) جمع ظفر (نحاسيه) حقيقة أو فى قوته (فسأل من هم قال هم الذين يغتابون المؤمن) أى يذكرونه الناس فى غيبته بسوء وان كان فى بدنه أو دينه أو نفسه أو خلقه أو ماله أو ولده أو والديه أو زوجه أو خادمه أو مملوكه أو عمامته أو ثوبه أو مشيته وحركته وخلاعته وبشاشته وعبوسته وطلاقته أو غير ذلك مما يتعلق به فليست الغيبة مختصة بالذكر بل ضابطها كل ما أفهمت به غيرك نقصان مسلم

ومر بقوم تقرض ألسنتهم بمقاريض حديديه * كلما قرضت عادت لا يفتر عنهم قدر سنة وانتباه * فسأل من هم قال خطباء الفتنة خطباء أمتك الامية * الذين يقولون ما لا يفعلون فنستمحه العافية مما لا يرضاه * ومر بقوم يخمشون وجوههم وصدورهم باظفار نحاسيه * فسأل من هم قال هم الذين يغتابون المؤمن

بلفظك أو كتابتك أو رمزت اليه بعينك أو يدك أو رأسك فاذا ذكرته بما ليس فيه فهو البهت والبهتان فان كان فيه ما قلته فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وبحرم تميمة الكافر الذمي لا الحربي وتخصيص المسلم في الاحاديث لشرفه وهي في حق المؤمن محرمة باجماع المسلمين وتظاهر على تحريمها الدلائل الصريحة في الكتاب والسنة والاجماع والمعتمد أنها كبيرة في حق العالم وحامل القرآن صغيرة في حق غيرهما وليس المراد بالصغير ما يقابل الحرمة وقد بسطنا الكلام عليها وعلى الفحش والكذب وفي تعريفها ومرتبتها من التحريم مع بيان طريق الخلاص منها في شواهد الغفران على حالي الاحزان في فضائل رمضان (ويمزقون فراه) بكسر الفاء جمع فرو مثل سهم وسهام أي يشققون جلوده أو ملابسه وعلى كل فهو كناية عن ذكره بما يسوءه في غيبته كما كني عن ذلك في الرواية بأكل اللحم فقال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم (و) لم يزل في سيره حتى (مر بجحر) بضم الجيم وسكون الحاء المهملة آخره راء مهملة أي خرق في الارض مستدير ويرادفه الثقب بخلاف الشق فهو المستطيل ويرادفه السرب بفتحتين صغير كما في الرواية (يخرج) أي خرج وعبر بالمضارع نظرا لحالة الرؤية عند الخروج والخارج (منه ثور) بفتح المثلثة أوله فواو فراء مهملة ذكر البقر قيده في الرواية بعظيم فجعل (يريد أن يرجع) ويدخل من حيث خرج (فلا يستطيع) الرجوع والدخول فيه لضيق الجحر (بالكلية) لا بعضه ولا كله (فسأل عنه قال هو الذي يتكلم بالكلام) العظيم الموجب لسخط الله وغضبه (ويندم) أي يأسف بعد خروجه من فيه ويريد أن يرده (فلا يستطيع رد ما يكره ويأباه) أي يمتنع منه لان الالفاظ أعراض لا يتصرف فيها برجوع فالكلام مثال الثور والفم مثال الجحر (و) لم يزل مستمرا في سيره حتى (مر بواد) هو كل متفرج بين جبال أو آكام يكون منفذا للسيل والجمع أودية (فوجد) أي سمع فيه (صوتا طيبا و) وجد (ريحا باردا) ذكره على معنى الهواء (عطريه) كأنه ريح المسك (فسأل عنه قال) جبريل هذا (صوت الجنة تقول) بلسان المقال على الظاهر المتبادر فلا مانع من أن يخلق الله فيها أدراكا ونطقا (رب) بحذف اداة النداء أي يا رب (آتني) بمد الهمزة (ما وعدتني) حيث جعلها دار ثواب الموحدين وجزاء المسلمين وهو مفعول آتى (فقد كثر في) بكسر الفاء وشد التحتية مفتوحة (ما لا نظائر له) جمع نظير (ولا أشباه) جمع شبيه ولا فرق عند أهل اللغة بين النظير والشبيه فهو من عطف الرديف وأما أهل الحديث فقد فرقوا بينهما وبين المثيل بان المثيل أخص الثلاثة والشبيه أعم من المثيل وأخص من النظير والنظير أعم من الشبيه وبيان ذلك أن المماثلة تستلزم المشابهة وزيادة والمشابهة لا تستلزم المماثلة فلا يلزم أن يكون شبيه الشيء مماثلا له والنظير قد لا يكون مشابها والفرق أن المماثلة تقتضي المساواة من كل وجه والمشابهة تقتضي الاشتراك في أكثر الوجوه لا كلها والمناظرة تكفي في بعض الوجوه ولو وجها واحدا وأصل ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى هو ما في الدمشقي والمواهب ثم أتى على واد فوجد فيه ريحا طيبة باردة وريح المسك وصوتا فقال ما هذا يا جبريل قال هذا صوت الجنة تقول رب آتني بما وعدتني فقد كثر غرفي واستبرقي وحريري وسندسي وعبقري ولؤلؤي ومرجاني وفضتي وذهبي وأكوابي وصحافي وأباريقي ومراكبي وفواكهي وعسلي ومائي ولبني وخمري فأتني بما وعدتني (فقال) الله تعالى (لك)

ويمزقون فراه * ومر بجحر يخرج منه ثور يريد أن يرجع فلا يستطيع بالكلية * فسأل عنه قال هو الذي يتكلم بالكلام ويندم فلا يستطيع رد ما يكره ويأباه * ومر بواد فوجد صوتا طيبا وريحا باردة عطريه * فسأل عنه قال صوت الجنة تقول رب آتني ما وعدتني فقد كثر في ما لا نظائر له ولا اشباه * فقال لك

بكسر الكاف (كل مسلم ومسلمة) ومؤمن ومؤمنة (ومن) آمن بي و (عمل) عملا (صالحا) هو مايثاب عليه (ولم يشرك بي) شيأ ولم يتخذ من دوني أندادا وقوله (وصدق نبيه) ليس من الرواية والمعنى اعتقد صدقه في جميع ماجاء به عن ربه وأخبر (ومن سألني أعطيته ومن توكل علي كفيته) ولفظ الرواية في المواهب بعد قوله ولم يشرك بي ومن خشيتي فهو آمن ومن سألني أعطيته ومن أقرضني جازيته ومن توكل علي كفيته انني أنا الله لا اله الا أنا لا أخلف الميعاد وقد أفلح المؤمنون وتبارك الله أحسن الخالقين قالت الجنة قد رضيت (وجعلتك جزاه) كما وعدتك (و) لم يزل في سيره حتى (مر بواد فوجد صوتا منكرا) يفكر سامعه لعدم سماع نظيره في الاصوات المعتادة لشناعته وقبحه (و) وجد (ريحا) يذكر ويؤنث وهو الاكثر (منتنة) بضم الميم وكسر المثناة الفوقية اسم فاعل أنتن كذا ويجوز كسر الميم للاتباع وضم التاء اتباعا للميم قليل كما في المصباح (صديديه) نسبة للصديد وهو الدم المختلط بالقيح وقال أبو زيد هو القيح كانه الماء في رقته والدم في شكلته والمراد هنا ما يسيل من جلود أهل النار وهو أشد نتنا (فسأل عنه قال) هذا (صوت جهنم تقول) بلسان المقال يا (رب آتني ماوعدتني) حيث جعلها دار عقاب للكافرين والمنافقين (فقد ازداد في مالا يقواه) يطيقه (العصاه) وأصل الرواية كما ذكره الدمشقي وصاحب المواهب ثم أتى على واد فسمع صوتا منكرا ووجد ريحا منتنة فقال ما هذا يا جبريل قال هذا صوت جهنم تقول رب آتني بما وعدتني فقد كثرت سلاسلي وأغلالي وسعيري وحميمي وغساقي وعذابي وقد بعدت قعري واشتد حري فأتني بما وعدتني (قال لك كل مشرك ومشركة) وكافر وكافرة وخبيث وخبيثة (و) كل (جبار) لا يؤمن بيوم الحساب وقوله (و) كل (شقي وشقيه) ليس من الرواية (قالت رب رضيت) انتهت الرواية أي رضيت (بما ترضاه) لي

﴿ضوع اللهم معهده الشميم * بنشر غوال من صلاة وتسليم﴾

(و) أخبر صلى الله عليه وسلم أنه في تلك الليلة (رأى الدجال) اختلفت الصحابة فمن بعدهم وهكذا هل الدجال هو صاف بن صياد أو غيره على قولين ولكل أدلة والاصح أنه غيره وان شاركه ابن صياد في كونه أعور ومن اليهود لان أحاديث ابن صياد محتملة وحديث الجساسة نص في أنه غيره ويؤيده ماهنا فيقدم غايته ان ابن الصياد واحد الدجاجلة الكذابين الذين أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بخروجهم (بصورته رؤية عين لا رؤيا منامية) لم يقل لا رؤية لان الرؤية مخصوصة بالعين كما أن الرؤيا مخصوصة بالمنام (وسئل صلى الله عليه وسلم) لعل السائل بعض أصحابه (كيف رأيته قال فليمانيا) بفتح الفاء وسكون التحتانية نسبة لفيلم كحيدر الرجل العظيم الجثمان والعظيم الجمة (أقمر) بفتح الهمزة وسكون القاف آخره راء مهملة من القمرة بالضم لون يميل الى الخضرة أو بياض فيه كدرة يقال حمار أقمر وأتان قمراء كما في القاموس (أعاذنا الله) عصمنا وحفظنا (من فتنته وبلاه) هذا زاده الدمشقي في روايته بقوله ورأى الدجال فيلمانيا أقمر اهجان احدى عينيه قائمة كأنها كوكب دري وكأن رأسه أغصان شجرة شبيه بعبد العزى بن قطن الذي هلك في الجاهلية قبل البعثة وحيث كان أمر الدجال عظيما ينبغي ان نذكر نبذة من سيرته من اسمه ولقبه وحليته وفتنته ومحل خروجه ووقته ومدته ومن يقتله وطريق النجاة منه

كل مسلم ومسلمة ومن عمل صالحا ولم يشرك بي وصدق نبيه * ومن سألني أعطيته ومن توكل علي كفيته وجعلتك جزاه * ومر بواد فوجد صوتا منكرا وريحا منتنة صديديه * فسأل عنه قال صوت جهنم تقول رب آتني ماوعدتني فقد ازداد في مالا يقواه العصاه * قال لك كل مشرك ومشركة وجبار وشقي وشقيه * قالت رب رضيت بما ترضاه *

﴿ضوع اللهم معهده الشميم * بنشر غوال من صلاة وتسليم﴾

ورأى الدجال بصورته رؤية عين لا رؤيا منامية * وسئل صلى الله عليه وسلم كيف رأيته قال فليمانيا أقمر أعاذنا الله من فتنته وبلاه *

﴿فاعلم﴾ ان أخباره تحتمل مجلدا وقد أفردها غير واحد من الائمة بالتأليف وقد جاء في الحديث عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم ما بين خلق آدم الى قيام الساعة امر أكبر من الدجال رواه مسلم وقد استعاذ صلى الله عليه وسلم من فتنته تشريعا لامته أما اسمه فهو صاف بن صياد أو الصائد وعليه فهو بشر من بني آدم ومولده المدينة بناء على أن ابن الصياد هو الدجال والاصح أنه غيره كما مر وقيل اسمه عبداه وكنيته أبو يوسف وأما لقبه وصفته فهو المسيح الدجال فعال بفتح فتشديد مشتق من الدجل وهو التغطية أو الخلط لكثرة خلطه الباطل بالحق واللبس والخدع فمعنى الدجال الخداع الملبس على الناس بسحره ومكره ولقب بالمسيح لان عينه الواحدة ممسوحة بحيث لم يبق على أحد شقي وجهه عين ولا حاجب الا استوى وقيل لكونه مسيخ خلقه وشوه قال في القاموس اجتمع لنا في سبب تسميته المسيح خمسون قولا انتهى وهو شاب أو شيخ جسيم أقمر أو أمهق جعد الرأس أعور العين اليمنى طافئة بالهمز على قول ومعناه أنها ناتئة نتوا عنبية ممسوحة العين اليسرى مطموسها أو كأنها نخاعة في حائط أو احدى عينيه كأنها زجاجة خضراء على عينه ظفرة روايات قال القاضي فهو أعور العينين معا فكل واحدة منهما عوراء وذلك أن العور العيب والاعور من كل شئ المعيب وكلا عيني الدجال معيبة احداهما بذهاب نورها والاخرى بنتوها وخضرتها واستحسنه النووي وهو مهدي اليهود وينتظرونه كما ينتظر المؤمنون المهدي وأما حليته فهما أنه قصير وفي رواية طويل وجمع بانه بالنسبة لضخامته قصير أو انه ابتدئ قصيرا على خلقته ثم اذا ظهر وادعى الالهية زاد طوله وضخامته ابتلاء من الله للعباد فتنة لهم كسائر فتنه أفج أي بعيد ما بين الساقين حفال الشعر أي كثيره هجان بكسر أوله وتخفيف الجيم أي أبيض أقمر عريض الصدر ضخم فيلماني كأن رأسه أغصان شجرة أي شعر رأسه مكتوب بين عينيه ك ا ف ر حروفا متقطعة يقرؤها كل مسلم كاتب وغير كاتب ولا يقرؤها الكفار ولا يولد له كأن أنفه منقار يركب حمارا أهلب أي غليظ الشعر ما بين أذنيه أربعون ذراعا بالذراع الاول يضع خطوه عند منتهى طرفه يسبح الارض كلها في أربعين يوما وما من بلد الا وسيطؤها الا مكة والمدينة وعن أمير المؤمنين على أن طول الدجال أربعون ذراعا بالذراع الاول تحته حمار أقمر طول كل أذن من أذنيه ثلاثون ذراعا ما بين حافر حماره الى الحافر الآخر مسيرة يوم وليلة تطوى له الارض منهلا منهلا يتناول السحاب بيده ويسبق الشمس الى مغيبها يخوض البحر الى كعبه الحديث بطوله وأما سيرته فانه يخرج أولا يدعي الايمان والصلاح ويدعو الى الدين فلا يزال كذلك ويقدم الكوفة فيتبع ويحب على ذلك ثم يدعي أنه نبي فيفزع من ذلك كل ذي لب ويفارقه ثم يدعي الالوهية ويقول أنا الله فيأتي النهر فيأمره أن يسيل فيسيل ثم يأمره أن يرجع فيرجع ثم يأمره أن ييبس فييبس ويقتل الرجل ثم يحييه بأذن الله والى غير ذلك من أنواع السحر ثم يذهب الى دمشق وأكثر من يتبعه اليهود والترك والنساء والاعراب والاكراد يعني البعيد منهم عن العلماء الساكن في البادية والجبال لانهم ليس عندهم ما يميزون به بين الحق والباطل وأكثر النفوس مائلة الى تصديق الخوارق وكذا كل من في قلبه مثقال حبة من قتل عثمان رضي الله عنه اتبعه ان أدركه وان لم يدركه آمن به في قبره فعلى هذا كل من بقي من الرافضة على اعتقاده اليوم ولم يهتد بالمهدي للحق فانه يتبعه لان كل

رافضي يحب قتل عثمان وراض به نسأل الله ان يميتنا على محبة رسول الله وصحابته آمين وأما فتنه فكثيرة لا تكاد تحصر يبتلي الله عباده به ويقدره على أشياء تدهش العقول وتحير الالباب يعثر بها بعض العباد ويثبت الله من سبقت له السعادة منها ما تقدم ومنها أنه يسير معه جبلان أحدهما فيه أشجار وثمار وماء وأحدهما فيه دخان ونار يقول هذه الجنة وهذه النار فمن أدخل الذي يسميه الجنة فهو النار ومن أدخل الذي يسميه النار فهو الجنة فمن أدرك منكم ذلك فليقع في الذي يراه انه نار ومنها أن معه جبل من خبز وجبل من اجناس الفواكه وارباب الملاهي جميعا يضربون بين يديه بالطبول والعيدان فلا يسمعه أحد الا تبعه الا من عصمه الله تعالى ومنها انه يقتل رجلا ثم يحييهم ويبعث الله له الشياطين فيقولون استعن بنا على ما تريد فيقول نعم اذهبوا الى الناس فقولوا لهم أنا ربهم فيبثهم في الآفاق ومنها يخوض البحر لا يبلغ حقويه احدى يديه أطول من الاخرى فيمد الطويلة في البحر فتبلغ قعره فيخرج من الحيتان ما يريد ويأتيه المرأة فتقول يا رب احيي ابني وأخي وزوجي وكذلك الاعرابي فيقول يا رب احيي لنا ابلنا وغنمنا فيعطيهم شياطين على صورتهم وأمثالهم فيقولون لولم يكن هذا ربنا لم يحيي لنا موتانا والى غير ذلك من الفتن وأما محل خروجه فالمشرق جزما ويقع قبل خروجه قحط شديد ثلاث سنين وأصل خروجه عن قرية بالمشرق تسمى سرابادين ومدينة العوزان ومدينة اصبهان ومن أمارات خروجه هبوب ريح كريح قوم عاد ويسمعون صيحة عظيمة وذلك عند ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكثرة الزنا وسفك الدماء وركون العلماء الى الظلمة والتردد الى أبواب الملوك قال ابن حجر أما خروجه من قبل المشرق فجزم وفي رواية أنه يخرج من خراسان وفي أخرى أنه يخرج من اصبهان ولا ينافي ذلك ما جاء عن كعب الاحبار أن الدجال ولده أمه يقوص من أرض مصر لاحتمال انه يولد فيها ثم يرحل الى دمشق وينشأ فيها ثم يخرج من تلك القرايا والبلدان ويظهر أمره شيأ فشيأ وقد جاء عن أبي بكر الصديق انه يخرج فيما بين العراق وخراسان يخرج معه اصحاب العقد ويتبعه خمسة عشر الفا من نسائهم ويخرج من اصبهان وحدها سبعون الفا ويفتتن به الناس ويرتدون الى دينه دين اليهودية فاذا اراد الله هلاكه وهلاك من معه دفع الى ناحية دمشق فبينما الناس يموجون خوفا من قدومه اذ نزل عليهم عيسى بن مريم فيقتله وأما مدته فأربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامنا هذا ثم ينزل عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام عند المنارة البيضاء لست ساعات من النهار شرقي دمشق واضعا كفيه على اجنحة ملكين فيطلبه حتى يدركه فيقتله عند باب لد بلد بناحية بيت المقدس بينه وبين الرملة مقدار فرسخ الى جهة المشرق وينهزم من معه من اليهود وغيرهم ويقتلون قتلا عظيما ويروى أن المسلم يطلب اليهودي فيستتر بحجر أو شجر فينادي الحجر والشجر يا ولي الله هذا يهودي فاقتله الا الغرقد فانه من شجرهم وسيأتي مزيد لهذا مع بعض كلام يتعلق بعيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام عند قول المصنف وتذاكروا أمر الساعة الخ وأما طريق النجاة منه فبالعلم والعمل أما العلم فبأن يعلم أنه يأكل ويشرب وأن الله منزه عن ذلك وأنه أعور وأن الله ليس بأعور وأن أحدا لا يرى ربه حتى يموت وهذا يراه الناس أحياء قبل موتهم الى غير ذلك وأما العمل فبأن يلتجئ الى أحد الحرمين فانه لا يدخلهما والى مسجد الاقصى والى مسجد الطور وفي بعض الروايات لا يدخلهما

أيضا وبان يقرأ عشر آيات من أول سورة الكهف كما جاء ذلك فى الاحاديث قال ابن ماجة سمعت الطنافسى يقول سمعت المحاربى يقول ينبغى أن يدفع هذا الحديث يعنى حديث الدجال الى المؤدب حتى يعلمه الصبيان فى الكتاب انتهى وقد ورد أن من أعلام قرب خروجه نسيانه على المنابر ولهذا ذكرنا نبذة من حديثه اذ لا يخلو عن الفائدة ومن أراد استقصاء قصته بأكثر مما ذكرناه فعليه بالكتب المصنفة فى اخباره وقد حررها ولخصها جدنا العلامة السيد محمد بن عبد الرسول البرزنجى فى كتابه الاشاعة لاشراط الساعة فعليك به فانه غاية فى ذلك والله أعلم (و) لم يزل فى سيره صلى الله عليه وسلم حتى (مر بعمود) بفتح العين المهملة معروف (تحمله الملائكة قد أخجلت) بفتح الهمزة وسكون الخاء المعجمة (اضواؤه الكواكب الزهريه) المنسوبة الى الزهرة فى اضاءتها وصفائها (قال) صلى الله عليه وسلم للملائكة الحاملين للعمود المذكور كما هو الظاهر (ما تحملون) أى ما هذا العمود الذى تحملونه (قالوا) نحمل (عمود الاسلام) ويصح جعله خبرا لمبتدأ محذوف أى هو أو هذا عمود الاسلام (أمرنا أن نضعه بالشام) بالشين المعجمة سميت بذلك لانه من مشأمة القبلة أو باسم سام بن نوح أو لان أرضه شامات بيض وحمر وسود فعلى الاول همزه وعلى الثانى والثالث لا همز ويذكر ويؤنث ويوصف بالمقدس والمطهر لانه قرار الانبياء ومسكن المؤمنين ومامن نبى الا وهو فيه أو هاجر اليه أو هو منه وأول من هاجر اليه من الانبياء ابراهيم عليه السلام وبه ينزل عيسى كما تقدم لنا فى الشرح قريبا فى قصة الدجال وهو أرض المحشر والمنشر وفى آخر الزمان يستقر العلم والايمان بالشام وقد جاء فى فضله أحاديث كثيرة (مولانا تعالى علاه) بضم العين أى علوه وهذا مما زاده الدمشقى أيضا بقوله ثم رأى عمودا أبيض كانه لؤلؤ تحمله الملائكة فقال ما تحملون قالوا عمود الاسلام أمرنا أن نضعه بالشام انتهى (فبينما هو) صلى الله عليه وسلم (يسير) وهو راكب على ظهر البراق ومعه صاحباه (اذ) تأكيد للفاجأة (دعاه) صلى الله عليه وسلم (عن يمينه) وهو الذى فى المواهب من رواية أبى سعيد الخدرى عند البيهقى وابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه وفى معراج النجم الغيطى عن شماله وفيما بعده عن يمينه وفى بعض المعاريج عن شماله فى الموضعين وما هنا هو الصواب (داعى اليهوديه) أى المنسوب الى دين اليهود أى ناداه بقوله يا محمد أنظرنى أسألك (فسكت) أى لم يجبه صلى الله عليه وسلم بالتفات ولا وقوف ولا كلام بتوفيق الله تعالى له أو باشارة من جبريل فقال يا جبريل ما هذا (فقال جبريل) عليه السلام هذا داعى اليهود أى الذى يدعو الناس الى دينهم والى اهوائهم أما أنك (لو أجبته) بشئ مما مر (لتهود) أى تحول بمعنى صار يهوديا (جمع من أمتك وضل عن هداه) أى امتنع تهود أمتك لامتناع اجابتك له فان لو حرف امتناع لامتناع لان فيه انحصار سببية الثانى فى سببية الاول وهذا مثل قولك لو كانت الشمس طالعة لكان النهار موجودا وهذا يلزم فيه من امتناع الاول امتناع الثانى قطعا قال بعضهم وفيما ذكر اشارة الى تعلق الحكم بالجواب فذكر السؤال فى قوله أنظرنى أسألك مغالطة قال الزرقانى لعل حكمة ذلك لو وقع أن الله جعل اجابته سببا لذلك فى سابق علمه وكذا يقال فيما يأتى (وبينما هو) صلى الله عليه وسلم (يسير اذ دعاه عن شماله) كما فى المواهب وفى الغيطى عن يمينه كما مرت الاشارة اليه (داعى النصرانيه) أى المنسوب

ومر بعمود تحمله الملائكة قد أخجلت أضواؤه الكواكب الزهريه * قال ما تحملون قالوا عمود الاسلام أمرنا أن نضعه بالشام مولانا تعالى علاه * فبينما هو يسير اذ دعاه عن يمينه داعى اليهوديه * فسكت فقال جبريل لو أجبته لتهود جمع من أمتك وضل عن هداه * وبينما هو يسير اذ دعاه عن شماله داعى النصرانيه *

الى دين النصارى لان النصرانية دينهم بقوله يا محمد انظرنى أسألك (فسكت) كما قبله (فقال جبريل) هذا داعى النصارى أى الذى يدعو الناس الى دينهم أما انك (لو أجبته لارتعت) أى رعت كيف شاءت (أمتك خمائل) بفتح الخاء المعجمة جمع خملة أو خميلة الشجر الملتف الكثير والموضع الكثير الشجر حيث كان وقيل رملة تنبت الشجر (التنصر) الدخول فى دين النصارى (واستعذبت) أمتك (جناه) بفتح الجيم مايجنى من الشجر لما فيه من تحليل ماحرم الله مما تميل اليه النفس الشهوانية كالزنا وشرب الخمر وترك الصلاة والصيام وغير ذلك مما ليس فى دينهم من التكاليف التى فى ديننا أقول لعل المراد امتناع اعتقاد حل ذلك عن أمته صلى الله عليه وسلم كاعتقاد اليهود والنصارى والا فقد ترى كثيرا منهم مالت بهم النفس الامارة الى ترك الطاعات وارتكاب المعاصى من الكبائر والصغائر ليلا ونهارا خفية وجهارا (وبينما هو) صلى الله عليه وسلم (يسير اذ هو بامرأة حاسرة) بالحاء والسين والراء المهملات اسم فاعل بمعنى كاشفة ملبوسها (عن ذراعيها) مثنى ذراع أى يديها أى لتفتن بحسنها وتجذب الناس اليها بهما (وعليها أخرحلة) بضم الحاء وتشديد اللام ذو القيمة من الثوب والازار ونحوهما مما تتزين النساء بلبسها جمعه حال وفى الرواية عن أبى سعيد وعليها من كل زينة خلقها الله تعالى (حليه) بفتح الحاء المهملة وكسر اللام وشد المثناة التحتية صفة للمرأة أى ذات حلية من حليت المرأة حليا بسكون اللام صارت ذات حلى بضم الحاء وكسر اللام وتشديد الياء فهى حلية وحالية والحلى جمع حلى بفتح الحاء وسكون اللام ماتتزين به النساء من الجواهر والذهب والفضة (فناديته) المرأة النبى صلى الله عليه وسلم بقولها يا محمد أنظرنى أسألك من الانتظار لا من النظر لانه رآها وهى مقبلة عليه وما قيل أنه التفت اليها فرآها وان جبريل أخبره بما عليها غير لائق مع أن التفاته اليها منابذ لما فى الرواية فلم التفت اليها لان الاعراض بعد الرؤية أقوى منه بعد الخبر (فسكت) لم يجبها بميل بقلبه ولا وقوف ولا التفات بجسده ولا بكلام فسأل جبريل عنها لعدم معرفته بها بقوله من هذه يا جبريل (فقال) له (جبريل تلك الدنيا) وفى رواية هذه الدنيا أما انك (لو أجبتها) بشئ مما مر (لاختارجم) بفتح الجيم أى كثير (من امتك دنياه) باشتغالهم بها (على أخراه) بتركهم لها أى بان يجعلونها نصب أعينهم ويعبدونها دون الله فلا يرد أن كثيرا من أمته بل أكثرهم يبتغون الدنيا وينهالكون عليها لانهم وان فعلوا ذلك لكن لاغراض قامت عندهم مع اعتقاد كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته فلا يصدق عليهم اتباعهم للدنيا وتصورت له أيضا بصور عجوز اشارة الى قلة مابقى من الدنيا كما يأتى (وبينما هو) صلى الله عليه وسلم (يسير فاذا بشيخ يدعوه) أى يناديه حال كونه (منحنيا) بضم الميم وسكون النون الاولى وكسر الثانية بينهما حاء مهملة مفتوحة أى منحنيا ظهره من شدة الكبر (متحيا) بضم الميم وفتح المثناة الفوقية والنون وكسر الحاء المهملة مشددة أى مائلا بعيدا (عن الطريق) التى هى محل المرور (والطريقة الايمانيه يقول) فى ندائه (هلم) أى تعالى مركبة من هاء التنبيه ولم أى ضم نفسك الينا واستعملت استعمال البسيطة أى الكلمة المفردة يستوى فيه الواحد والجمع والتذكير والتأنيث عند الحجازيين وتميم تجريها مجرى رد وأهل نجد يصرفونها فيقولون هلما وهلموا وهلمى وهلمن وقد توصل باللام فيقال هلم لك وتثقل

فسكت فقال جبريل لو أجبته لارتعت امتك خمائل التنصر واستعذبت جناه * وبينما هو يسير اذ هو بامرأة حاسرة عن ذراعيها وعليها أخرحلة حليه * فناديته فسكت فقال جبريل تلك الدنيا لو اجبتها لاختار جم من أمتك دنياه على أخراه * وبينما هو يسير فاذا بشيخ يدعوه منحنيا متحيا عن الطريق والطريقة الايمانيه * يقول هلم

بالنون فيقال هلمن انتهى من القاموس (يامحمد) الى عندى ولم يقل كغيره أنظرنى لايهامه أنه مقيد ولم يقل أسألك لايهامه ارادة التبرك (فقال) له (جبريل) عليه السلام (بل سر) يامحمد لئلا يرق اليه لشيخوخته فيميل اليه ويقبل عليه (فهذا العدق) أى عدو الله وعدوك وعدو أبيك آدم (الذى أخرج آدم) عليه السلام (من جنة مأواه) اى مستقره ومقامه وهو ابليس لعنه الله (أراد ان تميل اليه) وان الله عصمك منه ولم يقل جبريل أما انك لو أجبته على نظير ما مر لمالت أمتك اليه لان ميل أمته اليه واقع بالفعل (وتتبع ضلاله وغيه) بفتح الغين المعجمة الضلال فهو عطف تفسير (لكن الكريم) تعالى (يحمى جنابك العظيم و) يحمى (حماه) بكسر الحاء المهملة اى حمى جنابك العظيم لانه سبحانه وتعالى قد حماه فلا يقرب اليه بما يسوء ولا يجترئ عليه بما يشين (ومر) ايضا (على جانب الطريق بعجوز غابريه) بالغين المعجمة والباء الموحدة من غبر بمعنى مكث فى العمر طويلا اومن الغبر بمعنى بقية الشئ اى بقية قومها لطول عمرها (فسألته الانتظار) اى الوقوف لاجلها (لتسأله فلم تصغ) حذفت الف التثنية بلم اى لم تمل (لقولها) يامحمد انظرنى اسألك (أذناه) فاعل تصغ تثنية اذن وهى الجارحة التى أودع الله فيها قوة السمع (فسأل) النبى صلى الله عليه وسلم جبريل (عنها) أى العجوز بقوله ما هذه العجوز (فقيل) اى قال جبريل مجيبا الما هو المقصود منها على اسلوب الحكيم انه صورت له الدنيا بصورة عجوز اشارة الى قرب انقضائها انه (لم يبق من عمر الدنيا) الى قيام الساعة (الا مابقى) أى بقدر ما بقى (من عمر تلك العجوز بقيه) وهى شئ يسير بالنسبة لما مضى من عمرها اذ كل ذاهب بعيد وكل آت قريب ولذا قال صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين (ثم) سار صلى الله عليه وسلم حتى (لقيه خلق) أى ناس (من بعده خلق) اى ناس ولفظ الحديث عن أنس رضى الله عنه وبينما هو يسير اذ لقيه خلق من خلق الله (كأن وجوههم) فى الاضاءة (مصباح) سراج ضخم ثاقب (فى مشكاه) الكوة غير النافذة وقيل المصباح الفتيلة المشتعلة والمشكاة الانبوبة فى وسط القنديل (فقالوا السلام عليك ياأول) من أسمائه صلى الله عليه وسلم لانه أول الانبياء خلقا وأول من قال بلى يوم ألست بربكم والاول عودا فهو أول من تنشق عنه الارض وأول من يدخل الجنة واول شافع وأول مشفع السلام عليك (ياآخر) من أسمائه صلى الله عليه وسلم لانه آخر الانبياء بعثا السلام عليك (ياحاشر) من أسمائه صلى الله عليه وسلم لانه يحشر الناس على قدميه أى يقدمهم وهم خلفه أو يسبقهم فيحشر قبلهم أو الحاشر اسم فاعل من قولك حشر يحشر فهو حاشر أى جامع الخلق اليه فى اليوم العظيم والحشر الجسيم الذى لا يتجرأ أحد فيه أن يحشر اليه أحدا لشغله وخوفه على نفسه فهو صلى الله عليه وسلم يحشرهم اليه لمقامه وفضله الكريم وادلاله العظيم اذ لا يجدون على من والى من يجتمعون الا اليه وعليه فهم يقصدون من كل مكان الى مقامه يستظلون فى ظل جاهه ويلوذون به فقال له جبريل أردد عليهم السلام (فرد) عليهم (التحيه) أى السلام (ثم لقيه) الخلق المرة (الثانية و) المرة (الثالثة فقالوا له مثل ذلك) أى وقال له جبريل ردّ عليهم السلام بعد أن سلموا عليه مثل الاول وفسره بقوله (بلفظه ومعناه فسأل من هم قال) جبريل هم (ابراهيم وموسى وعيسى) عليهم السلام يحتمل أن كل واحد منهم لقيه بمفرده وسلم عليه فى ثلاث أماكن أو سلموا عليه فى مكان واحد واحدا

يامحمد فقال جبريل بل سر فهذا العدو الذى أخرج آدم من جنة مأواه * أراد أن تميل اليه وتتبع ضلاله وغيه * لكن الكريم يحمى جنابك العظيم وحماه * ومر على جانب الطريق بعجوز غابريه * فسألته الانتظار لتسأله فلم تصغ لقولها أذناه * فسأل عنها فقيل لم يبق من عمر الدنيا الا مابقى من عمر تلك العجوز بقيه * ثم لقيه خلق من بعده خلق كأن وجوههم مصباح فى مشكاه * فقالوا السلام عليك ياأول يا آخر ياحاشر فرد التحيه * ثم لقيه الثانية والثالثة فقالوا له مثل ذلك بلفظه ومعناه * فسأل من هم قال ابراهيم وموسى وعيسى

بعد واحد أو سلموا عليه جميعا فى ثلاث أماكن وهذا مقتضى ظاهر العبارة قال الزرقانى سلموا عليه ثلاثا زيادة فى المحبة (ابن مريم) نسب الى أمه لما كان مخلوقا من غير اب فقامت أمه مقام الاب (البرة) وفى نسخة المبرأة أى بقوله تعالى ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها الآية (النقيه) بالمثناة الفوقية أى المتقية الورعة المحترزة عن الحرام والشبهات (على نبينا) محمد (وعليهم من الله) تعالى (وافر) أى كامل (تحاياه) أى تسليماته

﴿ضوع اللهم معهده الشميم * بنشر غوال من صلاة وتسليم﴾

(و) لم يزل فى سيره ومعه صاحباه حتى (مر بموسى) عليه السلام كما فى رواية أبى ليلى عن أنس رضى الله عنه (وهو يصلى فى قبره) ولا مانع لان الانبياء أحياء عند ربهم يرزقون حياة حقيقية والصلاة تستدعى جسدا حيا سواء قلنا أنها الشرعية أو اللغوية ولا يلزم من كونها حقيقية أن تكون الابدان معها كما كانت فى الدنيا من الاحتياج الى الطعام والشراب ونحوهما من صفات الاجسام التى نشاهدها الان ذلك عادى لا عقلى وهذه الملائكة أحياء لا يحتاجون الى ذلك فهم يتعبدون بما يجدون من دواعى أنفسهم لا بما يلزمون به كما يلهم أهل الجنة الذكر ولا تكليف فيها (عند الكثيب) بالمثلثة التل من الرمل جمعه اكثبة وكثب وكثبان (الاحمر من الاباطح) جمع أبطح مسيل واسع فيه دقاق الحصى (القدسيه) نسبة الى القدس لعله لقربها من بيت القدس (يقول برفع صوته فضلته) بتشديد الضاد المعجمة أى خصصته بمنقبة ليس لغيره بأن ميزته عن اقرانه الانبياء وحكمت له بذلك (وأكرمته) بالهمزة أوله أى وزدت فى اكرامه بما لم تكرم به غيره من الانبياء بارسالك اليه وطلبك له راكبا على البراق على يمينه جبريل وعلى يساره ميكائيل والمعروج به الى السموات ودنوه لديك الى قاب قوسين أو أدنى الى غير ذلك وليس فى هذا حسد منه للنبى صلى الله عليه وسلم لان الانبياء معصومون عن الحسد وغيره وانما قاله بشارة للنبى صلى الله عليه وسلم وادخال السرور عليه بان الله أكرمه وفضله على غيره من الانبياء والمرسلين وسيأتى مزيد لهذا فى الكلام على لقائه موسى عليه السلام فى السماء السادسة (فدفع) بفتح الدال والعين المهملتين بينهما فاء أى دفع النبى صلى الله عليه وسلم البراق وأسرع فى سيره (اليه) حال كونه (مسلما) أى قائلا السلام عليك ولفظ الحديث فدفعنا اليه وسلمنا عليه (فرد) موسى عليه السلام (وحياه) بالمثناة التحتية المشددة أى دعا له قال فى المصباح وحياه تحية أصله الدعاء بالحياة ومنه التحيات لله أى البقاء وقيل الملك ثم كثر حتى استعمل فى مطلق الدعاء ثم استعمله الشرع فى دعاء مخصوص وهو سلام عليك انتهى (وقال) موسى عليه السلام لجبريل والانبياء يعرفونه (من هذا) الذى معك (ياجبريل) مستوثقا لما عنده من العلم بانه محمد بدليل قوله فضلته وأكرمته (قال) هذا (ذات محمد النوريه) الياء نسبية أى ذات مخلوقة من نور مخلوق من نور الله تعالى ونوره أول الاشياء خلقا كما فى حديث جابر بن عبد الله ان الله تعالى خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره قال الله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين والنور كيفية تدركها الباصرة أولا وبواسطتها سائر المبصرات فكان صلى الله عليه وسلم هو النور الكامل الذى يدرك بواسطته جميع المبصرات ولفظ الحديث قال هذا أحمد (فرحب) بتشديد الحاء المهملة (به) أى بالنبى صلى الله عليه وسلم أى قال له مرحبا أى لقيت رحبا بضم الراء وفتحها وسكون الحاء

ابن مريم البرة النقيه * على نبينا وعليهم من الله وافر تحاياه *

﴿ضوع اللهم معهده الشميم * بنشر غوال من صلاة وتسليم﴾

ومر بموسى وهو يصلى فى قبره عند الكثيب الاحمر من الاباطح القدسيه * يقول برفع صوته فضلته وأكرمته فدفع اليه مسلما فرد وحياه * وقال من هذا ياجبريل قال ذات محمد النوريه * فرحب به

ويفتحها سعة وكنى بذلك عن الانشراح (وأثنى عليه) بقوله كما فى الحديث مرحبا بالنبى الامى العربى الذى بلغ رسالة ربه ونصح لامته ودعا له بالبركة (وقال) له (سل لامتك اليسر) بضم التحتية وسكون السين المهملة وقد يضم ضد العسر والمراد طلب ما يسهل عليهم فى امور دينهم ويقدرون على القيام به فان هناك امورا لا طاقة لاحد من أمته القيام بها ولهذا وقع التردد والسؤال بينه وبين ربه فى تخفيف ما فرضه الله على أمته أولا وهو خمسون صلاة حتى ردت الى خمس عملية كما سيأتى (والنجاه) من عقاب الله (فسأل) النبى صلى الله عليه وسلم جبريل (من هذا قال) جبريل هو (موسى رسول الامة الاسرائيليه) نسبة الى اسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقد يحذف الياء فيقال اسرائل ويحذف الياء والهمزة فيقال اسرال ويقال اسرايل بقلب الهمزة ياء وبنوا اسرائيل هم أولاد يعقوب عليه السلام (قال) النبى صلى الله عليه وسلم (ومن يعاتب قال) جبريل (تعاتب) مولاه (الذى كلمه بطور سيناه قال) النبى صلى الله عليه وسلم (ويرفع) أى أو يرفع (صوته على عالم) بكسر اللام (الاسرار) بفتح الهمزة جمع سر (الخفيه) صفة الاسرار وهى كاشفة لان السر لا يكون الا مخفيا (قال انه قد عرف حدته) بكسر الحاء المهملة ما يعرى الانسان من الغضب والخفة والطيش (التى فطره) خلقه (عليها وسواه) أى سوا خلقه بان جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه وشاهد ما ذكره المصنف رحمه الله حديث مسلم والنسائى وغيرهما عن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال مررت على موسى ليلة اسرى بى عند الكثيب الاحمر وهو قائم يصلى فى قبره وفى حديث ابن مسعود عند الحسن بن عرفه والطبرانى وأبى نعيم وغيرهم رجل طوال سبط آدم كانه من رجال أزد شنوءة وهو يقول برفع صوته اكرمته وفضلته قد دفعنا اليه فسلمنا عليه فرد السلام وقال من هذا الذى معك ياجبريل قال هذا احمد قال مرحبا بالنبى الامى العربى الذى بلغ رسالة ربه ونصح لامته ودعا له بالبركة وقال سل لامتك اليسر ثم أبعد عنا فقلت من هذا ياجبريل قال هذا موسى بن عمران قلت ومن يعاتب قال يعاتب ربه قلت أيرفع صوته على ربه قال ان الله قد عرف له حدته فذكر الحديث وفيه انه لقى ابراهيم فى طريقه ثم دخل الاقصى وصلى بالانبياء قال النعمان وفيه غرابة زاد هنا فى الرواية ثم سار حتى مر على رجل قائم يصلى فقال من هذا الذى معك ياجبريل قال جبريل اخوك محمد فرحب به ودعا له بالبركة وقال سل لامتك اليسر فقلت من هذا قال هذا اخوك عيسى وجاء ليلة أسرى بى مر بى جبريل عليه الصلاة والسلام على قبر ابى ابراهيم فقال انزل فصل هنا ركعتين (و) لم يزل فى سيره حتى (مر) صلى الله عليه وسلم (على شجرة) عظيمة (تحتها شيخ وعياله) بكسر العين من ينفق عليه من نحو زوجة وولد وخادم (فرأى ضوء) اى شعاع (مصابيح) جمع مصباح وهو السراج (سنيه) بتشديد المثناة التحتية اصله سنئة بالهمزة قلبت الهمزة ياء وشددت أى مضيئة صفة المصابيح والاضافة للتشبيه وهذا الضوء هو نور وجه ابراهيم عليه السلام لان الانبياء كلهم نور خلقوا من نور الله تعالى الا ان نبينا صلى الله عليه وسلم كان نوره متقدما على نورهم فى الخلق وأسنى فى الاضاءة ففى الخبر لما خلق الله آدم جعل ذلك النور فى ظهره فكان يلمع فى جبينه فيغلب على سائر نوره الحديث وجاء انه لما خلق الله نور نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أمره ان ينظر الى نور الانبياء عليهم الصلاة والسلام فغشيهم من نوره ما انطقهم الله به وقالوا من عشينا

وأثنى عليه وقال سل لامتك اليسر والنجاه * فسأل من هذا قال موسى رسول الامة الاسرائيليه * قال ومن يعاتب قال يعاتب الذى كلمه بطور سيناه * قال ويرفع صوته على عالم الاسرار الخفيه * قال أنه قد عرف حدته التى فطره عليها وسواه * ومر على شجرة تحتها شيخ وعياله فرأى ضوء مصابيح سنيه *

نوره قال هذا نور محمد بن عبد الله الحديث وهذا لا ينافي سبق خلق نوره على نورهم لما عليه المحققون من ان نوره صلى الله عليه وسلم مخلوق قبل الاشياء فيحمل معنى الحديث على أنه أمره أن ينظر الى نور الانبياء بعد خلق نورهم أو المراد من خلق نوره صلى الله عليه وسلم انتقاله من حالة الى أخص منها كما جاء وجعل أي نوره يدور بالقدرة حيث شاء الله ثم كتب في اللوح المحفوظ ثم جسم بصورة اخص من ذلك النور فتقدم خلق نور الانبياء على حالة من حالات نوره لا يقتضي تقدم خلق نورهم على نوره ابتداء ويروى انه لما خلق الله آدم ألهمه أن قال يا رب لم كنيتني أبا محمد قال الله تعالى ارفع رأسك فرفع رأسه فرأى نور محمد في سرادق العرش فقال يا رب ما هذا النور فقال هذا نور نبي من ذريتك اسمه في السماء أحمد وفي الارض محمد الحديث (فقال) صلى الله عليه وسلم لجبريل (من هذا قال) هو (أبوك ابراهيم) عليه الصلاة والسلام (فسلم عليه) النبي صلى الله عليه وسلم (فرد) عليه ابراهيم عليه الصلاة والسلام السلام (ورحب به وأثنى عليه بجميل) أي حسن (سجاياه) بالسين المهملة والجيم جمع سجية اي بسجاياه الجميلة صفة كاشفة لان سجاياه عليه الصلاة والسلام أي أخلاقه وأوصافه الغريزية جميعها لم تكن الا جميلة حسنة كما قال وانك لعلى خلق عظيم (فسأل) ابراهيم عليه الصلاة والسلام جبريل (من هذا) الذي معك وسلم على (فقال) جبريل هذا (ابنك) بالواسطة (أحمد طراز) بكسر الطاء المهملة في اللغة علم الثوب والهيئة والنمط وفي شفاء الغليل وطراز معرب تكلموا به وطرزه حسن اي زينه ويرد بمعنى جيد كل شئ انتهى (الرفارف) براءين مهملتين جمع رفرف هو في اللغة ثياب خضر يتخذ منها المحابس وتبسط والفراش والروشن والرياض والبسط والرقيق من ثياب الديباج والمراد انه صلى الله عليه وسلم زينة الرفارف (العرشيه) أي زينة ما في العرش من المزينات كما ان الطراز زينة الثوب وكما أن طراز الرفارف أعلامه التي تتزين بها التي تتشوق العيون اليها فكذا النبي صلى الله عليه وسلم زينة وجود العالم من العرش والكرسي والسموات والارضين وما فيها باسره فهو نور الله وروحه وسره وبهجته وحسنه وسناه فهو طراز العرش وزينته بهذا المعنى لا بمعنى انه رقي بذاته الشريفة الى العرش لا في ليلة المعراج ولا في وقت آخر اذ لم يرد في ذلك نص سواء اريد به العرش المحيط أو عرش الفصل والقضاء وانما الانبياء والشهداء والصالحون يكونون في ظل العرش وارواح الشهداء تأوي الى قناديل معلقة تحت العرش وان النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة يكون تحت العرش ساجدا مرة وقائما اخرى وان خلعته التي يكسيها قبل الانبياء التي لا يقوم لها البشر ترمى على ساق العرش هذا في أخر أحواله ووقت تميز فضله على جميع أولاد آدم كما سيأتي (الصادحة) بصاد ودال وحاء مهملات اسم فاعل صدح من باب قطع صدحا وصداحا رفع صوته بغناء (حمائم) جمع حمام قال في المختار والحمام عند العرب ذوات الاطواق نحو القوافي والقماري وساق حر والقطا والوارشين وأشباه ذلك الواحدة حمامة يقع على الذكر والانثى والهاء للافراد لا للتأنيث وعند العامة أنها الدواجن فقط جمع الحمامة حمام وحمامات وحمائم وربما قالوا حمام للواحد وفي القاموس وكسحاب طائر بري لا يألف البيوت معروف أو كل ذي طوق ويقع واحدته على الذكر والمؤنث كالحية جمعه حمائم ولا تقل للذكر حمام مجاورتها أمان من الحذر والفالج والسكتة والجمود والسبات ولحمها يزيد المني والدم ووضعها مشقوقة وهي حية على

فقال من هذا قال أبوك ابراهيم فسلم عليه فرد ورحب به وأثنى عليه بجميل سجاياه * فسأل من هذا فقال ابنك أحمد طراز الرفارف العرشيه * الصادحة حمائم

نهش العقرب مجرب للبرء ودمها يقطع الرعاف انتهى (الكتب القديمة) المنزلة على الانبياء قال الثعلبي مجموع الكتب التي أنزلت على المرسلين أربعة وهي التوراة والانجيل والزبور والفرقان وأما الصحف المنزلة فهي مائة وعشرة صحف نزل منها على شيث بن آدم ستون صحيفة ونزل منها على ادريس ثلاثون صحيفة ومنها على ابراهيم عشرون صحيفة (ببشراه) شبه ألفاظ الكتب القديمة الناطقة باسمه الشريف المبشرة به صلى الله عليه وسلم بالحمائم الصادحة بجامع حصول المسرة بسماع كل قال تعالى على لسان نبيه عيسى عليه السلام ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد (فقال) ابراهيم عليه السلام (مرحبا) أي أصاب رحبا وسعة كني بذلك عن الانشراح (باشرف) أي أعلى وأرفع (نتائج) جمع نتاج أي أولاد (الصور) بضم الصاد المهملة وفتح الواو جمع صورة وهي الشكل والمراد بها هنا الاشخاص التي صورها الله تعالى وخلقها فيه اشارة الى أن كل واحد من آبائه كامل في حسنه وصفاته (العدنانيه) المنسوبة الى عدنان والمراد مرحبا باشرف ولد عدنان بزنة مر وان هو أول من وضع علامات الحرم وأول من كسى الكعبة الشريفة أو كسيت في زمنه وقيل في زمن عيسى وقيل موسى وهذا الثاني أولى وضعف الاول بعضهم ونسبه من أبيه عبد الله الى عدنان هو النسب المجمع عليه ومن فوقه لا يصح فيه شئ ولا يمكن حفظ نسبه منه الى اسماعيل عليه السلام وشاهد ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى ما جاء من الاحاديث الصحيحة منها عن أنس مرفوعا ما افترق الناس فرقتان الا جعلني الله من خيرهما الحديث وعنه من طرق عن ابن عباس لم يزل الله ينقلني من الاصلاب الطيبة الى الارحام الطاهرة مصفى مهذبا لا تشعبت شعبتان الا كنت في خيرهما وعن واثلة ان الله اصطفى من ولد آدم ابراهيم واتخذه خليلا واصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل ثم اصطفى من ولد اسماعيل نزارا ثم اصطفى من ولد نزار مضر ثم اصطفى من مضر كنانة ثم اصطفى من كنانة قريشا ثم اصطفى من قريش بني هاشم ثم اصطفاني من بني هاشم عبد المطلب ثم اصطفاني من بني عبد المطلب وعن عباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حين خلقني جعلني من خير خلقه ثم حين خلق القبائل جعلني من خيرهم قبيلة وحين خلق الانفس جعلني من خير أنفسهم ثم حين خلق البيوت جعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم بيتا وخيرهم نفسا الى غير ذلك من الاحاديث الشاهدة باشرفية نسبه الشريف (وأفضل من بلغ) بتشديد اللام المفتوحة (الرسالة) هو ما أمره الله بتبليغه الى الخلق ودعاهم اليه من توحيد الله وعبادته ولزوم طاعته وتصديق رسله في كل ما جاؤا به فرسالته صلى الله عليه وسلم الرسالة المختصة الجامعة المطلقة العامة الكاملة المحيطة السارية في اضاعيف الوجود بالامداد من عين الوجود المستولية على أطوار العوالم وحركات أدوارها وادراج جزئياتها في اسوار كلياتها على الاحاطة والشمول بحكم وأرسلناك للناس رسولا اى مطلقا لم تتقيد بقيد ولم تختص رسالته بخصص فهو رسول للكافة بالكافة من الامداد عنا فهم من وجود وغور ورزق وهداية ودلالة على طريق رشادهم وما هو أصلح لهم في معاشهم ومعادهم وما يلتحق بذلك من الرحمة المرسل بها بمقتضى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين فقد بلغ صلى الله عليه وسلم جميع ما أمر به الى جميع العالمين فان من الخلق من بلغه مشافهة ومنهم من راسله وكاتبه ومنهم من أمر بالتبليغ له فبلغوا

* الكتب القديمة ببشراه
فقال مرحبا باشرف
نتائج الصور العدنانيه
* وأفضل من بلغ الرسالة

له بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فبلغ رسالة ربه جميع من فى الارض (ونصح الامة) بالتى هى أحسن ونصح يتعدى بنفسه كما هنا وباللام مثل شكر وسبح (وقام بالواجب وأداه) هو كالتفسير لما قبله أى قام بتبليغ الرسالة على الوجه الاتم وتحمل أعباءها واحتمال ما لقى من المشاق بسببها ورفقه بالخلق وتيسيره عليهم ولين جانبه وخفض جناحه لهم ورأفته ورحمته بهم وشفقته عليهم وأمرهم بطاعة الله ونهاهم عن معصيته فاظهر الدين القويم وشهره بالقول والفعل وأجرى الحدود وفى بالعهود والى غير ذلك ولفظ الرواية كما ذكره الحافظ الدمشقى ثم سار حتى مر بشجرة كأن ثمارها السرج أى الشجرة العظيمة تحتها شيخ وعياله فرأى مصابيح وضوأ فقال ما هذا يا جبريل قال هذا أبوك ابراهيم فسلم عليه فرد عليه السلام وقال من هذا الذى معك يا جبريل قال ابنك محمد فقال مرحبا بالنبى العربى الامى الذى بلغ رسالة ربه ونصح لامته يا بنى انك لاق ربك الليلة وان أمتك آخر الامم وأضعفها فان استطعت أن تكون حاجتك أو جلها فى أمتك فافعل ودعاله بالبركة انتهى (فسار) صلى الله عليه وسلم (حتى أتى وادى المدينة القدسية) المنسوبة للقدس بسكون الدال وضمها ويقال القدوس وهو الطهارة أى المطهرة لان الله طهره وما حوله باخلائهما عن الاصنام وجعله مقر الانبياء ومتعبدهم ومهبط الوحى والملائكة ولم تم لها التقديس بوطء أقدامه صلى الله عليه وسلم وحلول بركته وصلاته فيها والاشارة بقوله لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدى هذا (فاذا جهنم) يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم رآها من ذلك الموضع حقيقة بان كشف له عنها وأزيلت الحجب التى بينه وبينها قال ابن أبى جمرة كما يقال رأيت الهلال من منزلى من الطاق والمراد من موضع الطاق أو مثل له صورتها والقدرة صالحة لكليهما وسيأتى عرضها عليه وهو فى السماء السابعة واعلم أن جهنم التى هى دار العذاب ثابتة بالكتاب والسنة واتفقت علماء هذه الامة انه أوجدها الله تعالى فيما مضى كالجنة التى هى دار الثواب فى كونها حقا وانها أوجدت فيما مضى خلافا لمن أنكرهما بالمرة كالفلاسفة ولمن انكر وجودهما فيما مضى وأنهما انما يوجدان يوم القيامة كأبى هاشم وعبد الجبار المعتزليين ويدل لناقصة آدم وحواء عليهما السلام على ما جاء به القرآن والسنة وانعقد عليه الاجماع قبل ظهور المخالف فذلك يدل على ثبوت الجنة ولا قائل بثبوتها دون النار فهى ثابتة أيضا والآيات صريحة فى ذلك وتأويلها من غير ضرورة الحاد فى الدين بالاجماع ولم يرد نص صريح فى تعيين مكان الجنة والنار وفى شرح المقاصد الاكثرون على أن الجنة فوق السموات السبع وتحت العرش وان النار تحت الارضين السبع والحق تفويض علم ذلك الى اللطيف الخبير كما قاله اللقانى فى شرح الجوهرة وسنأتى مزيد لهذا عند قوله ثم دخل الجنة فاذا فيها ما لا عين رأت الخ (تنكشف) اى تظهر ما وارته وغطته (عن مثل) بكسر الميم وسكونه المثلثة (الزرابى) بفتح الزاى والراء فألف فموحدة فياء تحتية جمع زربية بتثليث الزاى يطلق على النمارق والطنافس كما أن النمارق يطلق على الوسائد والطنافس أى البسط فالمغايرة فى قوله تعالى ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة لا تنافى ذلك قال بعضهم زرابى البيت ألوانه فلما رأوا الالوان فى البسط شهوها بها وقيل هى البسط ذوات الخمل وقيل بسط عراض فاخرة مبسوطة أو متفرقة فى المجالس فالمراد تنكشف عن نار كانها الزرابى فى ألوانها من الحمرة والزرقة والصفرة والخضرة

ونصح الامة وقام بالواجب وأداه * فسار حتى أتى وادى المدينة القدسية * فاذا جهنم تنكشف عن مثل الزرابى

أولهما كالبسط وجمرتها كالوسائد في العرض والكبر (رمى) بفتح المثناة الفوقية وسكون الراء (بشرر) بالشين المعجمة بوزن جبل ما يتطاير من النار قال في القاموس وككتاب وجبل واحد تهما بهاء (كالقصر) بفتح القاف واسكان الصاد المنزل أو كل بيت من حجر واحد القصور بضم القاف أي كل شرارة كالقصر في عظمها وقيل هو جمع قصرة وهي الشجرة الغليظة وقيل كالقصر بضمتين بمعنى القصور كرهن ورهن (يهول) بفتح التحتية وضم الهاء من هاله الشئ أفزعه وبابه قال أي يفزع ويخوف (مرآه) بفتح الميم أي منظره وهو ما رأته العين من حالة كريهة مفزعة واصل الرواية انطلق بي حتى أتى الوادي الذي في المدينة فاذا جهنم تنكشف عن مثل الزرابي فقيل يا رسول الله كيف وجدتها قال مثل الحمة السخنة أي العين الحارة انتهى (فدخل المدينة من باب ناحيتها اليمانية) لكونها من جهة اليمن وفيه اشعار باليمن والبركة واصل هذا ما رواه البيهقي والطبراني والبزار من حديث شداد ودخل المدينة من بابها اليماني ودخل المسجد من باب تميل فيه الشمس والقمر انتهى (واذا نوران ساطعان عن يسرى المسجد ويمناه فقال لجبريل ما هذان النوران قال) جبريل النور (الايسر على قبر مريم الصديقية) بتشديد الصاد والدال المهملتين (و) النور (الايمن محراب داود) نبي الله عليه السلام (المنيب الاواه) المنيب المقبل الى الله الاواه بتشديد الواو الموقن أو كثير الدعاء أو الرحيم الرفيق أو الفقيه أو المؤمن بالحبشية أو المعنى كثير التاوه أي التوجع واصل ذلك ما رواه الواسطي في فضائل بيت المقدس عن الوليد بن مسلم قال حدثني بعض اشياخي أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى عن يمين المسجد وعن يساره نورين ساطعين فقال يا جبريل ما هذان النوران قال أما الذي عن يمينك فانه محراب اخيك داود وأما الذي عن يسارك فعلى قبر اختك مريم (ف) لما انتهى سيره بالبراق الى بيت المقدس ووصل المسجد الاقصى نزل عن البراق و(دخل المسجد من باب تميل اليه الشمس والاهلة) بتشديد اللام جمع هلال بتخفيفها (القمريه) لان الهلال غرة القمر اول الليلتين اوالى ثلاث والليلتين من آخر الشهر ست وعشرين وسبع وعشرين وفي غير ذلك قمر وفي الصحاح الهلال لثلاث ليال من أول الشهر ثم هو قمر بعد ذلك أي تميل الشمس والقمر اليه عند طلوعهما الظهور لها عليه أو يميلان عنه عند زوالهما عن الاستواء فيزول ضوءها عنه فهو على كل حال من جهة المشرق ونقل بعضهم عن السيرة الحلبية من باب فيه تمثيل الشمس الخ أي مثالهما وصورتهما وما في بعض النسخ تميل فيه الشمس الخ تصحيف ولا يظهر له معنى قال وهذا تكلف مولانا الاستاذ الدردير في تخريج معناه وقال ما محصله المراد أنه من جهة المشرق انتهى فيه أن ما ادعاه الحلبي مجرد دعوى لا دليل له وأكثر النسخ على ما هنا فالاولى حمل المعنى على ما تقرر لوضوحه تأمل وانما عين الباب لان للمسجد الاقصى أبوابا متعددة وهذا الباب يقال له باب محمد أي سمي بباب محمد بعد دخوله منه أو كان معروفا عندهم قبل المعراج بهذا الاسم من الانبياء والكتب القديمة (فأتى جبريل الصخرة) كما في رواية بريدة عند البزار (بالبراق وأوكاه) أي ربطه بزمامه أو لجامه كما مر بعد أن خرقها باصبعه وفي حديث أنس عند مسلم فربطته بالحلقة التي كانت تربط بها الانبياء وهي حلقة في حجر عند الباب وجمع بين الروايتين بما قاله بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم ربطه أولا بالحلقة تأدبا واتباعا للانبياء فأخذه جبريل

ورحله

ترى بشررا كالقصر يهول مرآه * فدخل المدينة من باب ناحيتها اليمانية * واذا نوران ساطعان عن يسرى المسجد ويمناه * فقال لجبريل ما هذان النوران قال الايسر على قبر مريم الصديقية * والايمن على محراب داود المنيب الاواه * فدخل المسجد من باب تميل اليه الشمس والاهلة القمرية * فأتى جبريل الصخرة بالبراق وأوكاه *

وحله من الحلقة وخرق الصخرة وشده بها كانه يقول أنت لست ممن يكون مركوبه بالباب بل أنت أعلى وأغلى فلا يكون مركوبك الا فى داخل المحل وهذا أمر مشاهد فى العادة بين الكبراء وأما جواب الطيبى بان المراد بالحلقة الموضع الذى كان فيه الحلقة وقد استنكره جبريل فرده النجم الغيطى بان الحلقة وموضعها بالباب والذى خرقه جبريل باصبعه انما هو الصخرة وهى داخل المسجد بعيدة عن الباب انتهى قال البرقى فى غرائب الموطأ هى من غرائب الدنيا فان جميع المياه تخرج من تحتها وهى صخرة صماء فى وسط المسجد الاقصى كجبل بين السماء والارض لا يمسكها الا الله وفى أعلاها موضع قدم النبى صلى الله عليه وسلم حين ركب البراق ليلة الاسراء فمالت من تلك الجهة من هيبته وفى الجهة الاخرى أثر أصابع الملائكة التى أمسكتها اذ مالت وكان بعضها أبعد من الارض من بعد وتحتها غار عليه باب يفتح لمن يدخله للصلاة والدعاء انتهى وقد ذكر حذيفة ربط البراق وأثبته غيره من الصحابة والمثبت مقدم على النافى حتى قال وهب وجدته فى سبعين كتابا من كتب الله تعالى وهذا نحو قوله صلى الله عليه وسلم أعقلها وتوكل ولذا كان يتزود فى أسفاره ويعد السلاح فى حروبه حتى لقد ظاهر بين درعين فى غزوة أحد وربط البراق من هذا القبيل قال النووى فى ربط البراق الاخذ بالاحتياط فى الامور وتعاطى الاسباب ان ذلك لا يقدح فى التوكل اذا كان الاعتماد على الله انتهى وفى رواية ابن أبى حاتم فى تفسيره عن أنس لما بلغ بيت المقدس فبلغ المكان الذى يقال له باب محمد أتى الى الحجر الذى به فغمزه جبريل باصبعه فثقبه ثم ربطها فلما استويا فى سرحة المسجد قال جبريل يا محمد هل سألت ربك أن يريك الحور العين قال نعم قال فانطلق الى أولئك النسوة فسلم عليهن قال فسلمت عليهن فرددن على السلام فقلت لمن أنتن فقلن خيرات حسان نساء قوم أبرار نقوا فلم يدرنوا وأقاموا فلم يظعنوا وخلدوا فلم يموتوا والظاهر ان المراد بسرحة المسجد ساحته من داخله أى فى وسطه كما قاله الزرقانى قال ونقل الشامى هذا الحديث بلفظ فى صخرة المسجد أى عندها والذى يقتضيه ما رواه الدمشقى وأنها خارج المسجد فانه نقل هذا الحديث بعينه وقال بعد قوله فلم يموتوا ثم دخل المسجد هو وجبريل فصلى كل واحد ركعتين وعليه فيكون المراد من الساحة البرحة التى خارج باب المسجد ويجمع بان الساحة عرصة المسجد التى لابناء عليها من داخله وبدخول المسجد الدخول تحت ما عليه بناء من المسجد (فصلى هو وجبريل) أى كل منهما (ركعتين) قال بعضهم نفلا وقال القليوبى لم يعلم حقيقتهما ولا ما قرئ فيهما ولا غير ذلك ويحتمل أنه قرئ فيهما فاتحة الكتاب على ما سيأتى عن الواحدى قريبا واختار المصنف رحمه الله تعالى الاول فقال (وهما) أى الركعتين (للمسجد تحيه) أى تحية المسجد قال ابن دحيه وفيه دليل ان الصلاة لم تزل معهودة قبل أن تفرض ومعهودة مثنى مثنى ثم أشار الى بقية رواية ابن أبى حاتم السابقة بقوله (فلم يلبث) بفتح الباء الموحدة اى لم يمكث (الا) زمانا (يسيرا) قليلا (حتى امتلأت) بالهمزة من ملأه كمنع وملأه ثلاثة فامتلأ كما فى القاموس (من الخلق) أى ناس كثير من الانبياء وغيرهم من الاموات بارواحهم وأجسادهم مصورة كما سيأتى (زواياه) فاعل امتلأت والضمير للمسجد جمع زاوية أى أركانه (فعرف النبيين) من غيرهم بصفة تميزهم أو بالهام أو قول أو اشارة من جبريل وقوله (من قائم) متعلق بالخلق أو بالنبيين (بالعبادة) من قائم بالصلاة وراكع وساجد فيها وقوله

فصلى هو وجبريل ركعتين وهما للمسجد تحيه * فلم يلبث الا يسيرا حتى امتلأت من الخلق زواياه * فعرف النبيين من قائم بالعبادة

فعرف النبيين الخ وان لم يكن فى رواية حاتم لكنه مذكور فى أصل رواية ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين قائم وراكع وساجد وفسر الزرقانى هنا الركوع بالخشوع لئلا يرد أن الركوع من خصائص الامة وما صلاه المصطفى قبل الاسراء لا ركوع فيه قال وكذا الظهر عقب الاسراء صلاة بركوع العصر بعدها انتهى وسيأتى عن النجم الغيطى والقليوبى ما يخالفه (للحضرة القيوميه) نسبة الى القيوم القائم بنفسه والمقيم لغيره على الدوام وقيل هو الباقى الدائم المدبر للمخلوقات باسرها وقال بعضهم هو القائم على كل نفس بما كسبت الجازى لها انتهى (ثم أذن مؤذن) التنكير يحتمل جبريل وغيره لكن جاء عن كعب ما يعين أنه جبريل (وأقيمت الصلاه) لعله جبريل أيضا لان العادة من اذن يقيم الصلاة أيضا ونقل النبتيتى الحنفى من كتب مذهبهم ما يؤيد ذلك بقوله وأذانه واقامته هما المعروفان الآن قال فى البحر الرائق نقلا عن العناية وسببه الابتدائى أذان جبريل ليلة الاسراء واقامته حين صلى النبى صلى الله عليه وسلم اماما بالملائكة وارواح الانبياء ثم رؤيا عبد الله بن زيد الملك النازل من السماء فى المنام واختلف فى هذا الملك فقيل جبريل وقيل غيره انتهى وبهذا يجاب عن قول الزرقانى أى تهيؤا لها وشرعوا فيها لئلا يرد ان الاذان والاقامة انما شرعا بالمدينة والاسراء كان بمكة انتهى ولانه لا مانع من وقوعهما ليلة الاسراء قبل مشروعيتهما الصلوات الخمس على أنه لا مانع أيضا أن نقول بمشروعيتهما اذ ذاك وتخصيصهما بالصلاة الخمس أمر طارئ بعد الهجرة وفى المواهب وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن أبى هريرة رفعه لما نزل آدم بالهند استوحش فنزل جبريل فنادى بالاذان الله أكبر الله أكبر مرتين أشهد أن لا اله الا الله مرتين أشهد أن محمدا رسول الله مرتين الحديث انتهى قال العلامة ابن حجر فى التحفة والاصل فيهما أى فى الاذان والاقامة الاجماع المسبوق برؤية عبد الله بن زيد المشهور له ليلة تشاوروا فيما يجمع الناس ورآه عمر فيها أيضا قيل وبضعة عشر صحابيا وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم سمى تلك الرؤية وحيا وصح قوله أنها رؤيا حق ان شاء الله تعالى وفى حديث عند البزار فيه مقال أنه صلى الله عليه وسلم أريه ليلة الاسراء ثم أخر للمدينة حتى وجدت تلك المرائى ولا شك أن تقدم تلك الرؤيا مع شهادته صلى الله عليه وسلم بانها حق ومقارنة الوحى لها أو سبقه عليها الرواية أبى داود وغيره أنه قال لعمر لما أخبره برؤيته سبقك بها الوحى رفع لشأوه وتعظيم لقدره انتهى وتسن الاذان لغير الصلاة كما فى أذن المهموم والمصروع والغضبان ومن ساء خلقه من انسان أو بهيمة وعند مزدهم الجيش وعند الحريق وعند تغول الغيلان أى تمرد الجن لخبر صحيح فيه وهو والاقامة خلف المسافر وأذن المولود (ف) لما سمع الخلق الاذان والاقامة (قاموا) على أقدامهم واصطفوا (صفوفا) للصلاة ينتظرون من يؤمهم لان الهيئة الاجتماعية للصلاة لا تكون الا بالامام ذكر القرطبى فى تفسيره عن ابن عباس قال لما أسرى به صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس جمع الله له الانبياء عليهم الصلاة والسلام آدم عليه السلام فمن دونه وكانوا سبع صفوف ثلاث صفوف من الانبياء والمرسلين وأربعة من سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكان خلف ظهره صلى الله عليه وسلم ابراهيم عليه الصلاة والسلام وعن يمينه صلى

للحضرة القيوميه * ثم أذن مؤذن وأقيمت الصلاه * فقاموا صفوفا

الله عليه وسلم اسماعيل عليه الصلاة والسلام وعن يساره صلى الله عليه وسلم اسحاق صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (وقدمه جبريل) أى أخذ بيده وقدمه صلى الله عليه وسلم للامامة (فصلى ركعتين) قال القليوبى لم يعلم حقيقتهما ولا ما قرأ فيهما أى لم يعلم على وجه الصحة هل كانتا فرضا أو نفلا ونقل عن كتاب نزهة القراء أنه قرأ فيهما سورة الاخلاص كما سيأتى (بتلك الجمعيه) ولفظ بقية رواية أبى حاتم السابقة بعد قوله وخلدوا فلم يموتوا قال ثم انصرفت أى من عند الحور فلم ألبث الا يسيرا حتى اجتمع ناس كثير ثم أذن مؤذن وأقيمت الصلاة قال فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا فاخذ جبريل عليه السلام بيدى فقدمنى فصليت بهم ركعتين فلما انصرفت قال لى جبريل أتدرى من صلى خلفك قلت لا قال صلى خلفك كل نبى بعثه الله تعالى وظاهر هذا الحديث يخالف حديث ابن مسعود المتقدم آنفا ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين الخ أقول وقد يجاب بانا لا نقطع بقوله لا ان المراد منه لا أدرى لاحتمال أن يكون المراد لا أقول لك أدرى أولا أخبرك عنهم حتى تخبرنى بهم وان كنت عرفتهم بالالهام من الله على ما هو دأب الادباء الكاملين اذا سألهم أحد عن شئ معلوم لديه ويعلم أن السائل قصده اخباره به فيقول له لا أدرى أو لم أسمع به ونحو ذلك احتراما واحتشاما له سيما اذا كان محتشما معظما ليحصل فى نفس المخبر لذة الالقاء ولا شك أنه صلى الله عليه وسلم سيد الادباء أو يكون المراد لا أعرفهم على وجه اليقين وان كنت عرفتهم بالقرينة من قيامهم بالركوع والسجود أو قوله أتدرى من صلى خلفك يشمل الانبياء والملائكة والشهداء فقوله لا أدرى أى لا أعرف جميعهم وان عرفت بعضهم وهم الانبياء ومع ذلك فلم يخبره جبريل الا بالذين عرفهم وهم الانبياء وسكت عن غيرهم لانهم تبع فهو اقتصار على الاخص والاشرف ويكون المراد فعرفتهم بعد أن أعلمنى جبريل بهم وبما ذكرناه يحصل الجمع وبالله توفيق (وقبل تدافعوا) أى منع كل نفسه عن الامامة بعد أن طلب منه أن يكون اماما وطلب من غيره التقدم عليه (حتى قدموه) صلى الله عليه وسلم قال الزرقانى لا ينافيه حديث ابن مسعود فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا فاخذ جبريل بيدى فقدمنى الحديث المفيد ظاهره أنهم لم يتدافعوا ولم يقدموه لان انتظار من يؤم لا ينافى تدافعهم أى قول بعضهم لبعض تقدم أنت مثلا ولما قدمه جبريل رضوا به فنسب هنا تقديمه اليهم لرضاهم به وسرورهم (وفيه) أى تقديم جبريل له (اشعار) بكسر الهمزة وسكون الشين المعجمة أى اعلام (بسمو قدره) أى علو قدره العظيم فى الدنيا والآخرة على سائر البرية وانه يصل مرتبة لم يصل اليه أحد حتى خواص الانبياء والرسل (وعلاه) بضم العين المهملة بمعنى السمو أيضا فهو من عطف التفسير وفى بعض النسخ ومزاياه ﴿تنبيه﴾ اختلف فى صلاته بالانبياء ببيت المقدس هل كان قبل العروج به أو بعد هبوطه من السماء والاول هو الاظهر الذى تظافرت به الروايات وفى بعض روايات القصة ما يقتضى الثانى وجمع بعضهم بانه لا مانع من صلاته بهم مرتين واختلف أيضا هل كانت بركوع وسجود أو بغير ذلك قال النجم الغيطى الصواب أنها الصلاة المعروفة ذات الركوع والسجود لان النص يحمل على الحقيقة الشرعية قبل اللغوية الا اذا تعذر حمله ولم يتعذر هنا فوجب حمله على الشرعية وذكر القليوبى على المحلى ان هذه الصلاة كانت بركوع على الهيئة المعروفة خلافا لمن قال أنها كانت بلا ركوع واختلف فى هل كانت فرضا أو نفلا واذا قلنا أنها كانت فرضا فهل الصبح أو العشاء وقد قيل بكل

وقدمه جبريل فصلى ركعتين بتلك الجمعيه * وقيل تدافعوا حتى قدموه وفيه اشعار بسموقدره وعلاه *

وليسا بشئ سواء قلنا صلى بهم قبل العروج أو بعده لان أول صلاة صلاها النبي صلى الله عليه وسلم من الخمس مطلقا الظهر بمكة بالاتفاق ومن حمل الاولية بمكة وهذه ببيت المقدس فعليه الدليل ويمكن حملها على الصلاتين المفروضتين عليه بالغداة والعشي أو على ما كان مفروضا عليه من صلاة الليل من غير تحديد وذلك كله قبل الاسراء فلا ينافي الاتفاق المذكور وتردد الشامي في ذلك فقال والذي يظهر أنها من النفل المطلق أو كانت من الصلاة المفروضة قبل ليلة الاسراء انتهى أي وعلى كونها من النفل المطلق لا يضر وقوع الجماعة فيها اذ الغرض منها الاعلام بعلو قدره وأنه المقدم ولا سيما في الامامة وان لم تكن شرعت اذ ذاك الجماعة اذ لا مانع من وقوعها قبل أن تشرع ولها نظائر وهل قرأ فيهما بشئ من القرآن قال بعضهم لم يرد في تعيين القراءة في تلك الصلاة فيما وقفت عليه خبر صحيح أو حسن يعتمد عليه وفوق كل ذي علم عليم وتقدم نقل القليوبي عن نزهة القراء أنه قرأ فيهما سورة الاخلاص ولكن قال في فتاواه قال البرماوي والركعتان اللتان صلاهما بالانبياء في البيت المقدس كانتا تامتين عليه ولم يثبت ما قرأه فيهما ثم رأيت في نزهة القراء أنه قرأ فيهما سورة الاخلاص قال العلامة البجيرمي بعد نقله ذلك وقوله سورة الاخلاص أي زيادة على الفاتحة لما ورد من أنها من أوائل ما نزل من القرآن وقال الواحدي في أسباب النزول ولم يحفظ في الاسلام صلاة بغير الحمد لله رب العالمين انتهى واختلف أيضا في رؤيته صلى الله عليه وسلم للانبياء في بيت المقدس وصلاته بهم هل كانت للارواح والاجساد أو للارواح فقط وقد قيل بكل ولكل ما يؤيده من الروايات على أن رواية الارواح لا تمنع تشكلها بصورة الاجساد وعلى كل فان قيل كيف يصلي الانبياء وهم أموات في الدار الآخرة وليست دار العمل أجيب بانهم كالشهداء بل أفضل أحياء في قبورهم فلا يستبعد أن يتقربوا الى الله بما استطاعوا والآن البرزخ ينسحب اليه حكم الدنيا في استكثارهم فيه من الاعمال وزيادة الاجور وبان المنقطع عنهم بالموت هو التكليف وقد تحصل الاعمال من غير تكليف وعلى سبيل التلذذ بها والخضوع لله تعالى ولان جميع الانبياء لم يقبضوا حتى خيروا بين البقاء في الدنيا وبين الآخرة ولا شك أنهم لو بقوا في الدنيا لازدادوا من الاعمال الصالحة ثم انتقلوا الى الجنة فلو لم يعلموا أن انتقالهم الى الله أكمل لما اختاروه ولو كان انتقالهم من هذه الدار يفوت عليهم زيادة فيما يقرب الى الله لما اختاروه

﴿ضوع اللهم معهده الشميم * بنشر غوال من صلاة وتسليم﴾

(ثم) بعد انقضاء الصلاة (لقي) المصطفى صلى الله عليه وسلم (أرواح الانبياء) عليهم الصلاة والسلام متشكلة بصور أجسادهم (فاثنوا) أي الانبياء (على الله) تعالى (بما منحوه) بالبناء للمجهول أي أعطوه أي أعطاهم الله تعالى كقول ابراهيم عليه السلام الحمد لله الذي اتخذني خليلا الى آخر ما قال (من الخصوصيه) مصدر من الخصوص والياء للمصدرية فلا بد معها من تاء تأنيث أي كونهم مخصوصين بما لم يعطه الله لغيرهم من الفضائل والمزايا ولفظ الرواية عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بعد قوله فلما قضيت قالوا اي الانبياء يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا أوقد أرسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة لنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا أي المصطفى وصاحباه أرواح الانبياء فاثنوا على ربهم ثم ذكر ما أثنى به

على ربه كل من ابراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى عليهم الصلاة والسلام ثم ذكر ما أثنى به محمد صلى الله عليه وسلم بعوما يأتى (فقال عليه الصلاة والسلام) كلكم أثنى على ربه (وأنا أثنى) ثناء بعضه ضمنى (على من يعلم علانيته العبد ونجواه) بالنون والجيم أى سره وما أخفاه فاقول (الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين) هو جمع لعالم بفتح اللام فيهما وقيل اسم جمع والتحقيق الاول اسم وضع لذوى العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل الاتساع فالمراد ماسوى الله تعالى وصفاته من المخلوقات فيشمل الانس والجن والملائكة والجمادات ولا مانع من أن يركب فيها ادراكا ونطقا المؤمن به وتخضع له بلسان القال لا بلسان الحال خلافا لمن زعمه لكن ارساله الى الملائكة لم يكن الا ليلة الاسراء على ماذكره السيوطى فى تزيين الادراك ورجحه فى الخصائص وقبله الشيخ تقى الدين السبكى وزاد أنه مرسل لجميع الانبياء والامم السالفة من لدن آدم الى قيام الساعة ورجحه أيضا البارزى وزاد أنه مرسل الى جميع الحيوانات وزيد على ذلك أنه مرسل الى نفسه أيضا وأما دخول المسلمين تحت رحمته فبسعادتهم فى الدارين فى معاشهم ومعادهم والكافرين بأمنهم من الخسف والمسخ والاستئصال والجماد بنحو ضمه وضمانه للجذع الذى حن حنين العشار والناس يسمعون حين تركه بعد ان كان يستند اليه لما يخطب فضمه وضمن له أن تكون فى الجنة فسكت وغير ذلك من أمنهما من الخسف بها ونحوه وكذلك الحيوانات وكون الانبياء وامهم من أمته صلى الله عليه وسلم المراد انه أمة الدعوة لا أمة الاجابة وارساله الى الانبياء والملائكة ارسال تشريف والى غيرهم من الانس والجن ارسال تكليف والى غيرهم من الجمادات والحيوانات ارسال تأمين وقد بسطنا الكلام فى عموم بعثته فى الكوكب الانور فراجعه ان شئت (وأنزل على الفرقان) من أسماء القرآن لانه فرق بين الحق والباطل وهذا عام لغة ومنه ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ثم خص عرفا بالقرآن فصار علما له وأصله تبارك الذى نزل الفرقان على عبده وهو مصدر بمعنى الفارق أو المفرق آياته أو انزاله (فيه تبيان) بكسر أوله وجوز الزجاج فتحه فى غير القرآن لان القرآن سنة متبعة (كل قضيه) أى فيه تبيان قضية كل شئ أى ايضاح كل قضية مما قضاه وأراده فى الازل أو فيما لا يزال مما كان أو يكون ايضاحا شافيا كما قال تعالى ما فرطنا فى الكتاب من شئ أى يحتاج اليه من الامور المهمة الشرعية تفصيلا فى بعض واجمالا فى بعض وأحاله على الرسول عليه الصلاة والسلام فى أمره باتباعه بقوله وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا وعلى الاجماع بقوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وهو شامل للاجتهاد والقياس كما فى الكشاف وغيره وفيه بحث لان البيان حقيقة الكشف وهذا ظاهر فى نصوص القرآن وأما ما أرشد اليه القرآن من اتباع الرسول فى قوله وما آتاكم الرسول فخذوه فظاهر أيضا فيما نص من الاحكام من كلامه صلى الله عليه وسلم وأما ما كان من كلماته فى مواضع الاجتهاد كالعام وكالجمل مثلا فحكمه حكم عام القرآن ومجمله وحينئذ فالمقام مقام احتمال والحكم مظنون ومقام البيان ينافى ذلك والاولى أن يقال فى هذا المقام أنه تبيان لكل شئ فى نصوصه ونصوص ما هو كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون من قبيل العام المخصوص كما فى قوله تعالى وأوتيت من كل شئ معناه من كل شئ متعارف عند الملوك (وجعل امتى) أصل الامة الجماعة المجتمعة على الشئ وامة محمد صلى الله عليه وسلم هم

فقال عليه الصلاة والسلام وأنا أثنى على من يعلم علانية العبد ونجواه * الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين وأنزل على الفرقان فيه تبيان كل قضيه * وجعل أمتى

الجماعة الموصوفون بالايمان بالله عز وجل وبمحمد صلى الله عليه وسلم وهم الذين جعلهم الله (امة وسطا) بالتحريك معتدلا أى خيارا عدولا جامعين بين العلم والعمل وسائر الصفات التى بين التفريط والافراط قيل متوسطين والمعنى أهل دين وسط بين الغلو والتقصير لانهما مذمومان فى الدين لا كغلو النصارى فى عيسى ولا كتقصير اليهود فى الدين وتحريفهم وتبديلهم (وآخر الخلق بعثا) فى الوجود أو بالنسبة الى ختم الرسالة ببعثته صلى الله عليه وسلم (وأولهم فى حلول) بضم الحاء المهملة أى نزول (الفردوس) وهو فى اللغة البستان أو البستان الحسن يجمع كل مايكون فى البساتين تكون فيه الكروم والعرب تقول للكروم فراديس وقد يؤنث عربية أو رومية نقلت أو سريانية قال فى شفاء الغليل الفردوس اسم الجنة عربية وقيل معربة وقيل الفردوس حديقة فى الجنة وهى جنة الاعناب وهو ماخوذ من الفردسة التى هى السعة ويقال صدر مفردس اذا كان واسعا وجنة الفردوس هى أوسط الجنان التى دون جنة عدن وأفضلها وأعلاها وربوتها وسرتها وفوقها عرش الرحمان ومنها تفجر انهار الجنة والمراد هنا الجنة (وسكناه) بضم أوله أى مقره أى جعل الله كلهم أو بعضهم أول من يدخل الجنة وبسكنها بعد الانبياء والمرسلين والضمير فى سكناه للفردوس وقاعدة أن الضمير يعود الى المضاف مالم يكن لفظ كل أو بعض أغلبية (وشرح لى صدرى) وسعه بالنبوة والعلم والايمان والحكمة واليقين بحيث لا أحزن على أمر من امور الدنيا أو شقه وملأه بالانوار والحكمة والايمان كما مر (ووضع عنى الادران) بفتح الهمزة وإسكان الدال المهملة بعدها راء جمع درن كوسخ وزنا ومعنى (الوزريه) بكسر الواو وسكون الزاى نسبة الى الوزر وهو الاثم والوضع الحط ولا يكون الا بعد الحمل وهو صلى الله عليه وسلم لم يحمل اثما فالمراد بالحط عدم الحمل أى لم يجعل لى اثما لانه طهر قلبى من حظ الشيطان وعصمنى فلا ارتكب ذنبا ولذا قال ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر فسوى بينهما لعدم وقوعهما أو خفف أعباء النبوة والتبليغ بافاضة منته على والجملتان فى غاية التناسب (ورفع لى ذكرى) رفع الذكر انتشاره فى الملاء الاعلى وجعل اسمى طرازا لجنان ومقرونا باسمه تعالى على كل لسان وعلى المنابر فى كل اقامة وأذان (فلا يذكره) أى الله تعالى (أحد الا ذكرنى واياه) قال شيخنا الاستاذ ابراهيم السقا رحمه الله كان الانسب الاواذكر مع ذكراه انتهى وقد ذكر المصنف رحمه الله تعالى بيتين لحسان متضمنا هذا المعنى بقوله

﴿ وضم الاله اسم النبى الى اسمه * اذا قال فى الخمس المؤذن اشهد ﴾

﴿ وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد ﴾

ومعنى البيتين واضح وفى الحديث القدسى ليلة المعراج قال له ربه وجعلت أمتك لا يجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدى ورسولى أى يأتوا بكلمتى الشهادة لحديث كل خطبة ليس فيها تشهد فهى كاليد الجزماء وفى الخازن فى تفسير قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك روى البغوى باسناد الثعلبى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عن هذه الآية ورفعنا لك ذكرك قال قال الله تعالى عز وجل اذا ذكرت ذكرت معى قال ابن عباس يريد الاذان والاقامة والتشهد والخطبة على المنابر فلو أن عبدا عبد الله وصدقه فى كل شئ ولم يشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله لم ينتفع من ذلك بشئ وكان كافرا وقال قتادة

أمة وسطا وآخر الخلق بعثا
وأولهم فى حلول
الفردوس وسكناه *
وشرح لى صدرى
و وضع عنى الادران
الوزريه * ورفع لى
ذكرى فلا يذكره أحد
الا ذكرنى واياه *
﴿ وضم الاله اسم النبى
الى اسمه *
اذا قال فى الخمس المؤذن
أشهد ﴾
﴿ وشق له من اسمه ليجله *
فذو العرش محمود
وهذا محمد ﴾

رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا ينادي أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وقال الضحاك لا تقبل الصلاة الا به ولا تجوز خطبة لا به وفيه قال حسان بن ثابت

أغر عليه للنبوة خاتم * من الله مشهود يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي الى اسمه * اذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

وقيل رفع ذكره باخذ ميثاقه على النبيين والزامهم الايمان به والاقرار بفضله وقيل رفع ذكره بان قرن اسمه باسمه في قوله محمد رسول الله وفرض طاعته على الامة بقوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ومن يطع الله ورسوله فقد فاز ونحو ذلك مما جاء في القرآن وغيره من كتب الانبياء انتهى ومنه والله ورسوله أحق أن يرضوه وتسميته رسول الله ونبي الله وغير ذلك قال بعض الفضلاء ومن الفوائد المجربة الصحيحة أن يكتب بيت حسان وهو قوله وشق له من اسمه الخ على الكيفية الآتية في ورقة ويعلقها على المرأة المتعسرة في الولادة فانها تلد سريعا باذن الله تعالى وهي هذا

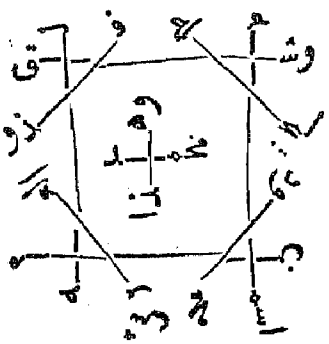

وجعلني فاتحا خاتما لديوان الرسالة الرحمانية * فقال ابراهيم بهذا فضلكم محمد فاذعن

وهذا مما يحتاج اليه كثيرا ولذا ذكرناه استطرادا تتميما للفائدة (وجعلني فاتحا) للانبياء بالتقدم أي المقدم في الانبياء أو لابواب الايمان والهداية الى الصراط المستقيم ولبيان أسباب التوفيق وما استلق من العلم أو فاتحا لجميع الخلق أو لكل خير (خاتما) بفتح التاء وكسرها والكسر أشهر وقال الازهري الخاتم بالكسر الفاعل وبالفتح ما يوضع على الطينة والختام الذي يختم على الكتاب أي جعلني خاتما (لديوان الرسالة) الديوان بكسر الدال جريدة الحساب أي خاتما لمن كتبه الله في جريدة الرسالة من الانبياء والرسل لانه آخرهم بعثا كما هو أولهم بنوة (الرحمانية) نسبة الى الرحمن اسم من أسماء الله تعالى (فقال ابراهيم بهذا) أي بمجموع ما ذكر وبكل واحدة منهما لا بالاولى فقط كما زعم (فضلكم محمد) أي زاد فضله عليكم قدم المعمول للحصر وخاطب ابراهيم الانبياء بذلك اذاعة لفضله لما سمع ثناءه ولفظ حديث أبي سعيد المار بعد أن ساق ما أثنى به الانبياء على ربهم قال وان محمدا صلى الله عليه وسلم أثنى على ربه فقال كلكم أثنى على ربه وأنا أثنى على ربي فأقول الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وأنزل علي الفرقان فيه تبيان كل شئ وجعل أمتي خير أمة أخرجت للناس وجعل أمتي أمة وسطا وجعل أمتي هم الاولون والآخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابراهيم بهذا فضلكم محمد انتهى (فاذعن) بفتح الهمزة وسكون الذال المعجمة وفتح

العين المهملة آخره نون أى انقادا بالقبول والتصديق (له بذلك الكل) بالرفع فاعل اذعن (وهناه) بتشديد النون وتخفيفها وقلب الهمزة الفا للتخفيف أو لمراعاة السجع وفى القاموس وهنأه بالامر وهنأه قال له ليهنك الله بما ميزك به وخصصك (و) بعد تمام الثناء وتصديق الانبياء له (تذاكروا أمر) بفتح الهمزة وسكون الميم (الساعة) أى تذاكروا فى وقتها (فاجاب عن بعض أشراطها) أى علاماتها لا عن وقتها (عيسى بن مريم) قال فى المصباح اسم أعجمى ووزنه مفعل وبناؤه قليل وميمه زائدة ولا يجوز ان تكون أصلية لفقد فعيل فى الابنية العربية ونقل الصاغانى عن ابن عمر وقال مريم مفعل من رام يريم وهذا يقتضى أن يكون عربيا انتهى (الطاهرة العمرانيه) بكسر العين المهملة نسبته الى أبيها عمران قال تعالى ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها وروى الامام أحمد وابن ماجه وصححه الحاكم عن ابن مسعود مرفوعا لقيت ليلة أسرى بى ابراهيم وموسى وعيسى فتذاكروا أمر الساعة فردوا أمرهم الى ابراهيم فقال لا علم لى بها فردوا الامر الى موسى فقال لا علم لى بها فردوا الامر الى عيسى فقال أما وجبتها فلا يعلم بها أحد الا الله وفيما عهد الى ربى أن الدجال خارج ومعى قضيبان فاذا رآنى ذاب كما يذوب الرصاص فيهلكه الله اذا رآنى حتى أن الحجر والشجر يقول يا مسلم ان تحتى كافرا فتعال فاقتله فيهلكهم الله ثم ترجع الناس الى بلادهم وأوطانهم فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيطؤن بلادهم لا يطؤن على شئ الا أهلكوه ولا يمرون على ماء الا شربوه ثم ترجع الناس الى فيشكونهم فادعو الله عليهم فيهلكهم ويميتهم حتى تجوى الارض من نتن ريحهم فينزل الله المطر فيجترف أجسادهم حتى يقذفهم فى البحر ثم تنسف الجبال وتمد الارض مد الاديم فعهد الى ربى أن ذلك اذا كان كذلك فان الساعة كالحامل المتم لا يدرى أهلها متى تفجؤهم بولادتها ليلا أو نهارا وتجوى بالجيم أى تتن وقوله فيهلكه الله اذا رآنى أى على يدى يقتل له بعد هروبه لا بمجرد رؤيته وقوله حتى أن الشجرة غاية لقدر فى حديث أبى أمامة عند ابن ماجه وصححه ابن خزيمة والحاكم مرفوعا فاذا انصرف أى من الصلاة خلف المهدى قال عيسى افتحوا الباب فيفتحون وورائه الدجال معه سبعون ألف يهودى كلهم ذو سيف محلى وساج فاذا نظر اليه الدجال ذاب كما يذوب الملح فى الماء ينطلق هاربا ويقول عيسى ان لى فيك ضربة لن تسبقنى فيدركه عند باب لد الشرقى فيقتله فيهزم الله اليهود فلا يبقى شئ مما خلق الله عز وجل تتوارى به ذاته الا الغرقدة فانها من شجرتهم لا تنطق الا قال يا عبد الله المسلم هذا يهودى فتعال اقتله وقد تقدم الكلام على الدجال وفتنته مبسوطا أعاذنا الله منه وأما عيسى عليه الصلاة والسلام فاذا قتل الدجال يحكم فى الارض بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم من غير تقليد لمذهب ويحج البيت ويغرس الناس الاشجار وتخرج الارض بركتها وتطيب الدنيا لاهلها وتكثر الارزاق ويصحهم الامن ويقيمون على ذلك أربعين سنة وهو مقام عيسى فى الارض وسيأتى عند قول المصنف ففتح لهما فاذا هو بعيسى ويحيى الخ انه يتزوج ويولد له ثم يموت ويدفن عند النبى صلى الله عليه وسلم فى بيت عائشة رضى الله عنهما وان رواية دفنه معه فى قبر واحد ضعيفة (و) قد (أشاعها) أى بين اشراطها (سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم) فى أحاديث كثيرة منها ما ذكره (بقوله بعثت أنا والساعة كهاتين مشيرا بسبابته) بسين مهملة بعدها موحدة مشددة الاصبع التى تلى الابهام (ووسطاه)

له بذلك الكل وهناه * وتذاكروا أمر الساعة فاجاب عن بعض اشراطها عيسى بن مريم الطاهرة العمرانيه * واشاعها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله بعثت أنا والساعة كهاتين مشيرا بسبابته ووسطاه *

بضم الواو وسكون السين المهملة هي التي يلي الابهام سمي بالوسطى لتوسطها بين الاصابع يريد أن نسبة تقدم بعثته على قيام الساعة كنسبة فصل احدى الاصبعين عن الاخرى كناية عن شدة قربها فكان جميع ما وقع بعده صلى الله عليه وسلم من الامور العظام التي أولها موته صلى الله عليه وسلم ثم ما وقع من الفتن والبلاء وارجاع الحكم الى غيره وتأخر أهل الفضل والشرف وتقدم أهل الجهل والسرف والامور المنكرة المستهجنة والبدع المستتبعة شرعا ما وقع بعده صلى الله عليه وسلم أو سيقع أخبر به صلى الله عليه وسلم أو لم يخبر الى قيام الساعة من اشراطها (وأخذه صلى الله عليه وسلم) أي حصل له وأصابه (من العطش) بفتح العين والطاء المهملتين آخره شين معجمة ضد الروى متعلق بما قبله أو بما بعده (ما أخذه) أي ما يكون من العطش (فاتى) بالبناء للمجهول كما في رواية شداد بن اوس عند البزار فاتيت (بقدحي) أي قدحين حذفت النون للاضافة الى (لبن وعسل) كما في رواية ابن عباس عند أحمد وفي رواية شداد عند البزار باناءين أي في احدهما لبن وفي الآخر عسل يحتمل أن الآتي بهما جبريل ويحتمل غيره وفي رواية عند مسلم فجاءني جبريل عليه السلام باناء من خمر واناء من لبن (أحدهما عن اليمين) ولعله اللبن (والثاني عن الناحية الشمالية) ولعله العسل أي وضعا هكذا بين يديه أحدهما عن جهة اليمين والثاني عن جهة اليسار (فشرب من العسل قليلا) وفي رواية لم يشرب منه وعليه فيسأل عن سر عدم ذكر جبريل عليه السلام حكمة عدم الشرب من العسل قال القليوبي ولعل حكمة تركه له افضلية اللبن عليه على الاصح وفي اللبن استغناء عن الطعام خصوصا في السفر انتهى (و) شرب (من اللبن ما أرواه) أي ورد الباقي لجبريل واذا بهاتف يقول له يا محمد لو شربت جميع اللبن ما دخل أحد من أمتك النار فقال يا جبريل أرددته الى فقال هيهات قضي الامر بما جف به القلم (وقيل عرضت عليه أوان) جمع اناء والاولى رسم أوان بلا ياء وهو الاكثر ويجوز اثباتها وأما النطق فبلا ياء اتفاقا وهذا بخلاف ما عرف بال فالاكثر رسمه بالياء كالقاضي (فيها مياه واللبان وأشربة خمريه) ففي رواية الآنية كانت ثلاثة في أحدها ماء وفي الاخرى لبن وفي الثالثة خمر وفي رواية في أحدها عسل وفي الثانية لبن وفي الثالثة خمر قال الحافظ ويجمع بين هذا الاختلاف في عدد الآنية وما فيها بحمله على أن بعض الرواة ذكر ما لم يذكره الآخر ومجموعها أربعة آنية فيها أربعة أشياء من الانهار الاربعة التي رآها تخرج من أصل سدرة المنتهى فلعله عرض عليه من كل نهر اناء انتهى (فشرب من الماء) كما في رواية أبي هريرة عند أبي يعلى والبزار (واللبن) شربا (قليلا) أي من الماء لاتفاق الروايات على أنه شرب من اللبن حتى أرواه ولفظ رواية أبي هريرة التي فيها شرب الماء مقيد بقوله فشرب منه قليلا وفي لفظ من رواية أبي هريرة لم يشرب من الماء شيأ (ثم قدم له الخمر) في آنية (وقيل اشرب) منه (فقال قد رويت) أي بشربي من اللبن (لا أهواه) لفظ الرواية لا أريده قد رويت وفي رواية فاذا نحن بثلاثة آنية مغطاة فقال لي جبريل يا محمد ألا تشرب مما سقاك ربك فتناولت احداها فاذا هو عسل فشربت منه قليلا ثم تناولت الاخرى فاذا هو لبن فشربت منه حتى رويت وقال ألا تشرب من الثالثة قلت قد رويت قال وفقك الله وفي رواية (فقال جبريل أما انها ستحرم على أمتك أصبت الفطرة) بكسر الفاء كما في رواية وفي أخرى أصبت أصاب الله بك الاولى في الصحيح والثانية في غيره وفي

واخذه صلى الله عليه وسلم من العطش ما اخذه فأتى بقدحي لبن وعسل احدهما عن اليمين والثاني عن الناحية الشماليه * فشرب من العسل قليلا ومن اللبن ما ارواه * وقيل عرضت عليه أوان فيها مياه والبان واشربة خمريه * فشرب من الماء واللبن قليلا ثم قدم له الخمر وقيل اشرب فقال قد رويت لا اهواه * فقال جبريل اما انها ستحرم على امتك اصبت الفطرة

رواية أخذت وفى الاخرى اخترت أى اخترت الذى عليه بنيت الخلقة وبه نبت اللحم وتشز العظم واخترته لانه الحلال الدائم فى دين الاسلام بخلاف الخمر فحرام فيما يستقر عليه الامر وقال النووى المراد بالفطرة هنا الاسلام والاستقامة قال ومعناه والله أعلم اخترت علامة الاسلام والاستقامة قال وجعل اللبن علامة لكونه سهلا طيبا ظاهرا سائغا للشاربين سليم العاقبة وأما الخمر فانها أم الخبائث وجالبة لانواع الشر فى الحال والمآل انتهى قال ابن المنير فدل قول جبريل أصبت الفطرة على أن اختيار الخمر خطأ عصم منه صلى الله عليه وسلم وأن المسألة اجتهادية لان الخمر لم تكن حرمت وقال أيضا فى احضار الخمر واللبن هل أريد اباحتهما معا أو أحدهما وعلى كل فمشكل لانه ان كان المراد اباحتهما معا فما معنى اختياره لاحدهما وتصويب جبريل له وان فى أحدهما لا بعينه بحيث يكون الآخر ممنوعا لزم التخيير بين ممنوع ومباح وذلك لا يتصور قال والذى يرفع الاشكال أن المراد تفويض الامر فى تحريم ما يحرم وتحليل ما يحل الى اجتهاده وسداد نظره المعصوم فلما نظر فيهما أداه اجتهاده الى تحريم الخمر وتحليل اللبن فوافق الصواب فى حكم الله تعالى فقال جبريل أصبت وفيه اجتهاده فيما لم يوح اليه فيه وهى مسئلة خلافية وهذا الحديث يحقق الجواز مع اتفاق المسلمين على أن اجتهاده معصوم من الخطأ بخلاف غيره من العلماء وقال غيره ولعل حكمة شربه اللبن وتركه الخمر وان كان كل منهما مباحا اذ ذاك أنه أوحى اليه ولو بالهام بان الخمر ستحرم فتركها تنبيها على أن حلها لا يستمر (الدينيه) التى هى الاستقامة وقبول الحق وفى رواية الحمد لله الذى هداك للفطرة (لوشربت) وفى رواية لو أخذت (الخمر لغوت) بفتح الغين المعجمة من الغواية ضد الرشاد أى لخرجت أمتك عن اتباعك الا القليل منهم أى ضلت (أمتك ولو شربت الماء لغرقت) أى أمتك أى هلكت كلها أو غالبها بالغرق فى الماء مقتضاه أنه لم يشرب من الماء وهو مناقض لقوله فيما تقدم فشرب من الماء واللبن قليلا وتقدم فى لفظ من رواية أبى هريرة أنه لم يشرب من الماء شيأ وفى حديث أنس عند البيهقى فعرض عليه الماء والخمر واللبن فأخذ اللبن فقال له جبريل أصبت الفطرة لو شربت الماء لغرقت وغرقت أمتك ولو شربت الخمر لغويت وغويت أمتك وقد يجاب بان المراد ولو شربت جميعه على رواية أنه شرب منه قليلا كما تقدم أو بعضه على رواية أنه لم يشرب منه شيأ فلا تناقض حينئذ ثم الخمر المحضرة يحتمل انها من خمر الدنيا أو انها من خمر الجنة فاذا قلنا من خمر الدنيا فوجه تجنبها ما تقدم وان قلنا أنها من خمر الجنة فيكون سبب تجنبها صورتها ومضاهاتها الخمر المحرم أى فى علم الله تعالى وذلك أبلغ فى الورع ويستفاد منه ان من اتخذ من ماء الرمان أو غيره ولو ماء قراحا وضاهاه الخمر فى الصورة وهيئة فى الهيآت التى يتعاطاها أهل السماعات والشهوات من الاجتماعات فقد أتى منكرا وان كان لا يحد عليه وقد نص العلماء على هذا فينبغى أن يؤخذ من حديث الاسراء كما بيناه قاله ابن المنير فى المقتفى ولهم فيما لو صور الشارب الماء بين عينيه أنه خمر يشربه أو الزوج حال وطئه زوجته انها اجنبية يزنى بها أو نحو ذلك أربعة أقوال الاباحة ابقاء لاصله ولا عبرة بذلك التخييل وهو الاقرب وعليه الجمهور والندب لما فيه من صون نفسه عن نحو الزنا وفيه حديث اذا رأى أحدكم امرأة فاعجبته فليأت أهله فان معها مثل الذى معها والكراهة والحرمة نظرا لقصده وأما حرمة

الدينيه * لوشربت الخمر لغوت امتك ولو شربت الماء لغرقت

تعاطى المباح اذا وجدت فيه هيئة المحرم كادارة القهوة على هيئة ادارة الخمر من حيث الهيئة فقط وينظر فيما يعمله كثير من فقراء اليمن بمكة وجدة وغيرهما من ماء قشر البن ويسمونه بالقهوة وهو اسم من أسماء الخمر هل يحرم تناوله لتسميتهم له بالخمر فكأنهم شبهوه بها وجوابه لا حرمة لانه لا يشرب على الهيئة التي يشرب عليها الخمر ومجرد تسميته قهوة لا يقتضي أن يعطى حكمها كما قاله الزرقاني واختلفوا في عرض الاواني هل كان في بيت المقدس أو بعد سدرة المنتهى والبيت المعمور وجمع بينهما بما ذكره في المواهب وشرحه وقد كان اتيانه بالاواني مرتين مرة عند فراغه من الصلاة ببيت المقدس وسببه ما وقع له من العطش قاله الحافظ ومرة عند وصوله الى السدرة ورؤية الانهار الاربعة التي رآها تخرج من أصل سدرة المنتهى وفي هذا أعمال لجميع الروايات لصحتها كلها انتهى (وانك لتهدي الله) بفتح الميم وسكون الهاء وكسر الدال المهملة فثناة تحتية مشددة اسم مفعول من الهدى وهو الرشد والتوفيق فمعنى المهدي المرشد الموفق بخلق الهدى فيه لوجوب عصمته أو هو بضم الميم من اهداه الهدية وقد كان يهدي الى الكعبة وغيرها وما اهداه صلى الله عليه وسلم للخلق وحصل لهم على يديه من الايمان ومعرفة الله وتوحيده أعظم شئ وأجله وقال الشيخ ابن الفارض رحمه الله تعالى في تائيته

أجبريل قل لي كان دحية اذ بدا * لمهدي الهدى في صورة بشرية

قال سعد الدين الفرغاني في شرحه اي لمن يهدى من عند الله هدية الهداية لعباده يعني النبي صلى الله عليه وسلم انتهى ذكره الفاسي في شرح الدلائل فالاضافة في الاول على معنى من وعلى الثاني على معنى اللام أي مهدى من عند الله أو مهدي الخلق لدين الله (ومصطفاه) أي مختاره ومستخلصه من خلقه من صفا الشئ صفاء خلص وهو صفوة الخلق وخيرتهم عنده وقيل معنى المصطفى المصفى من جميع أدران أوصاف البشرية فسمي بما ناسب وصفه وقيل غير ذلك

﴿ضوع اللهم معهده الشميم * بنشر غوال من صلاة وتسليم﴾

(ثم) للترتيب المجرد بين الاسراء والمعراج بلا مهلة فالمراد من الترتيب أنه لما فرغ صلى الله عليه وسلم مما يتعلق بالاسراء أو ببيت المقدس (أتى) بضم الهمزة وكسر الفوقية مبنيا للمفعول أي أتاه جبريل (بالمعراج) من جنة الفردوس تعظيما وتشريفا له اذا كان يمكنه الصعود بدونه وهو بكسر الميم السلم وجمعه معارج ومعاريج وقيل مفرد الاول معرج بكسر الميم ومفرد الثاني معرج بفتحها وفتح الراء فيهما مأخوذ من العروج أي الصعود والمعراج المذكور هنا هو (الذي تعرج) بضم الراء من باب نصر أي تصعد (عليه الارواح) أي أرواح بني آدم كما في الرواية (عند حلول المنية) بفتح الميم وكسر النون وشد التحتية آخره هاء أي الموت فلما رآه صلى الله عليه وسلم تعجب من حسنه وأخبر بانه لم يرقط شيأ أحسن منه وأنه (لم تر الخلائق) باعينها (أحسن منه) وهو من جنة الفردوس منضد باللؤلؤ (له مراق) متعددة مختلفة مرقاة (من الذهب و) مرقاة من (الفضة) وهكذا (مرقاة فوق مرقاه) المرقاة موضع الرقي ويجوز فتح الميم على أنه موضع الارتقاء وكسرها تشبيها باسم الآلة كالمطهرة وانكره أبو عبيد وقال لم تقله العرب وكل مرقاة منه مسيرة خمسمائة عام قدر ما بين السماء والارض فجملتها عشر مرقاة وهي عشرة معاريج وقدر

وانك لمهدي الله ومصطفاه *

﴿ضوع اللهم معهده الشميم * بنشر غوال من صلاة وتسليم﴾

ثم اتى بالمعراج الذي تعرج عليه الارواح عند حلول المنيه * لم تر الخلائق احسن منه له مراق من الذهب والفضة مرقاة فوق مرقاه *

تخافه كل سماء كذلك أى لو فرض للانسان المسير فيها انما يقطعه فى خمسمائة عام منها سبعة الى السموات السبع والثامنة الى سدرة المنتهى والتاسعة الى المستوى والعاشرة الى العرش وهذا المعراج هو الذى يمد اليه الميت عينيه اذا احتضر ولو كان أعمى أما ترى الميت حين يشق بصره طامحا فان ذلك عجبه بالمعراج فاذا قبضت روحه صعدت فيه الى حيث شاء الله وهذا شامل للمؤمن والكافر الا أن الكافر تردد روحه بعد عروجها تحسرا وندامة وتبكيتا فنصبه له جبريل أعلاه الى فوق سدرة المنتهى وأسفله على الصخرة لانها أفضل ما فى المسجد وهى من الجنة وهى المكان القريب المذكور فى آية يوم ينادى المنادى من مكان قريب والمنادى اسرافيل ينفخ فى الصور يقول أيها العظام النخرة والجلود المتمزقة والشعور المتقطعة ان الله يأمرك أن تجتمعى الى الحساب عن يمين المعراج ملائكة وعن يساره ملائكة تعظيما وقد قيل أن درجات المعراج تهبط الواحدة منها ليصعد عليها النبى صلى الله عليه وسلم ثم ترتفع به الى مكانها ثم الاخرى كذلك وهكذا كل درجة وعلى هذا فالمراد هنا فهبطت الدرجة الاولى (فصعدا) بكسر العين المهملة يقال صعد فى السلم والدرجة يصعد من باب تعب كما فى المصباح بمعنى ارتقى أى ارتقى النبى صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام عليها بعد أن تركا البراق مربوطا بالصخرة الى عودهما ليركبه صلى الله عليه وسلم عند نزوله ورجوعه الى مكة وما قيل أنه صعد على البراق وانه كان يصعد به الى كل سماء فى خطوة لانه يضع حافره عند منتهى طرفه وهو ينظر كل سماء من الاخرى خيال باطل ووهم فاسد لوجوه كثيرة لا نطيل بذكرها ومن قال بذلك صاحب الهمزية (حتى انتهيا الى أحد أبواب السماء الدنيويه) التى جاء فى رواية أنها كلها من ذهب ومعاليقها من النور ومفاتيحها اسم الله الاعظم وفى رواية عن الزبيع ابن أنس قال السماء الدنيا موج مكفوف والسماء الثانية مرمرة بيضاء والثالثة حديد والرابعة نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء زاد ابن أبى حاتم وما فوق ذلك صحارى من نور لا يعلم ما فوق ذلك الا الله سبحانه وتعالى وروى أبو الشيخ وابن أبى حاتم عن كعب قال السماء الدنيا أشد بياضا من اللبن واخضرت من خضرة جبل ق انتهى وأما الكرسى ويقال له السماء الثامنة فهو من ياقوتة بيضاء وأما العرش ويقال له السماء التاسعة والفلك الاعظم والاطلس فمن ياقوتة خضراء وقيل حمراء وقيل غير ذلك ولعل هذا الباب ليس من أبواب بنى آدم التى هى بعددهم لان لكل واحد منهم بابا للرزقه وعمله وقيل لكل منهم بابان باب لرزقه وباب لعمله وقيل لكل منهم أبواب بعدد أعماله كالصلاة والزكاة والصوم والصدقة وغيرها وقيل لكل عمل من هذه الاعمال باب لكل واحد من بنى آدم يقال لهذا الباب باب الحفظة (عليه) أى الباب (ملك) يقال له اسماعيل وهو صاحب سماء الدنيا كما فى رواية البيهقى عن أبى سعيد أى خازنها أو أمين على الاعمال الصاعدة اليها أو قريب منها وفى حديث جعفر بن محمد عند البيهقى معضلا أيضا يسكن الهواء أى يقيم فى ذلك المحل دائما (لم يصعد) الى السماء الدنيا أى بالدخول فيها قط (ولم يهبط) الى الارض قط (الا) مرة واحدة (يوم وفاة من) أى النبى صلى الله عليه وسلم اذ هو الذى (بتلك) فى تلك (الليلة) المعهودة التى هى ليلة الاسراء (وافاه) أى سرى اليه وأتاه فقربه لديه مولاه وأعطاه من خزائن الكرم والجود ما أعطاه وكان نزوله تعظيما وتشريفا له مع

فصعدا حتى انتهيا الى أحد أبواب السماء الدنيويه * عليه ملك لم يصعد ولم يهبط الا يوم وفاة من بتلك الليلة وافاه *

سائر الملائكة تحت يده اثنى عشر ألف ملك ينقادون لامره ونهيه كالجند زاد فى رواية ابن اسحاق مع كل ملك اثنى عشر ألف ملك و روى ابن جرير والبيهقى فى الدلائل من حديث أبى سعيد و بين يديه سبعون ألف ملك مع كل ملك جنده مائة ألف وفى رواية للبزار تحت يده سبعون ألف ملك تحت يد كل ملك سبعون ألف ملك قال الزرقانى ولعل المراد التكثير فلا يخالف مائة ألف ولعل الاثنى عشر ألفا رؤساء السبعين ألفا وكذا الاثنى عشر ألفا الذين مع كل ملك رؤساء على باقى المائة ألف فلا خلاف والله أعلم انتهى وقد نظر القليوبى فى قوله فى الحديث لم يهبط قط الا يوم مات النبى صلى الله عليه وسلم لامور كلها لا يخلو عن بحث ونظر منها قوله وما قيل انه من اخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب ينبو عنه اللفظ والمعنى فتأمل انتهى و يجاب بان قوله الا يوم مات النبى صلى الله عليه وسلم ليس من كلام النبى بل هو من كلام الراوى مبنى على كلام روى عنه صلى الله عليه وسلم يقتضى ذلك كأن قال لا ينزل الا يوم أموت مثلا فعبر الراوى بما معناه ذاك ومن ثم قال الزرقانى ومعلوم أن علم ذلك باخباره صلى الله عليه وسلم به قبل موته لان هذا لا مدخل فيه للرأى انتهى وقوله اذ يبعد كل البعد عدم نزوله مع جميع الملائكة للصلاة معه صلى الله عليه وسلم فى بيت المقدس ولم يتقدم ما يدل على عدم نزوله صريحا ولا ضمنا يحتاج لنص قاطع بانه لم يبق من الملائكة أحد تلك الليلة فى السموات كلها وحملة العرش الا ونزل للصلاة معه صلى الله عليه وسلم وانى له بذلك بل هذه الرواية تنابذ قوله ولم يتقدم ما يدل على عدم نزوله صريحا ولا ضمنا

فاستفتح جبريل قيل من قال جبريل قيل من معك قال الذات الاحديه *

(ف) لما وصلا الى باب السماء الدنيا (استفتح جبريل) عليه السلام أى طلب فتح الباب فتح الباب بقرع كما فى بعض الروايات فقرع الباب وفى أخرى فضرب بابا من أبوابها أو بصوت كما فى رواية أبى ذر فلما جئت الى السماء قال جبريل لخازن السماء الدنيا افتح قال فى المواهب وشرحه ثم ان قوله فى الحديث استفتح دلالة صريحة على أنه صادف أبواب السماء مغلقة وأصرح منه قوله فى حديث أبى ذر قال جبريل لخازن السماء الدنيا افتح وكذا ضربه الباب والحكمة كما قال ابن المنير فى ذلك والله أعلم التنويه بقدره أى اظهاره ورفعه عليه الصلاة والسلام وتحقيق أن السموات لم تفتح أبوابها الا من أجله ولو وجدها مفتحة لم يتحرر أى لم يعلم أنها فتحت لاجله ولا بديل كان يحتمل أنها مفتوحة دائما وأنها فتحت لغيره فصادف مجيئه بعده ونقل عن ابن دحية مثله وزاد ولان الله تعالى أراد أن يطلعه على كونه معروفا عند أهل السموات انتهى وفيه اشارة الى أن السماء لها أبواب تفتح خلافا للحكماء المانعين للخرق والالتئام عليها (قيل) أى قال الخازن أو قال الحفظة (من) هذا القارع (قال) جبريل هذا القارع (جبريل قيل من معك) يشعر هذا بانهم أحسوا معه برفيق والا لكان السؤال أمعك أحد وذلك الاحساس اما بمشاهدة لكون السماء شفافة واما الامر معنوى بزيادة النور وعلى كون السماء شفافة كيف سألوا عن قارع الباب الذى هو جبريل وهم يعرفونه فلعله لم يكن حينئذ على الصورة التى يعرفونه بها قاله الحلبى (قال) معى (الذات الاحديه) نسبة الى اسمه الشريف أحد آثره المصنف على غيره من أسمائه الشريفة لانه المشهور به عند أهل السماء ولكن لفظ الروايات محمد قالوا واذا لم يقل أحد ليظهر له صلى الله عليه وسلم أنه معروف بالاسم الآخر عندهم وانما لم يبادر الخازن بالفتح حين سمع جبريل المعهود عندهم للصعود وحين سمع اسم محمد اراحة له من وقفة الانتظار لاجل اعلامه صلى الله عليه

وسلم بما سيذكره الخازن ولا دخال السرور عليه صلى الله عليه وسلم وترحيبه وتأهيله به وغير ذلك (قال) أى الخازن (أوقد) باثبات همزة الاستفهام (أرسل اليه) وفى رواية لابى ذر أرسل بهمزتين الاولى للاستفهام والثانية للتعدية وهى مضمومة وللكشميهنى أوارسل بواو مفتوحة بين الهمزتين وفى رواية الشريك عن أنس وقد بعث اليه بالواو من دون همزة قال ابن أبى جمرة فيه دليل على أن أهل العلم العلوى يعرفون رسالته ومكانته لانهم سألوا عن وقتها هل حل لاعنها ولذلك أجابوا بقولهم مرحبا ونعم المجئ جاء فكلامهم بهذه الصيغة أول دليل على ماذكرناه من معرفتهم بجلال مكانته وتحقيق رسالته لان هذا أجل مايكون من حسن الخطاب والترفيع على المعروف من عادة العرب بل لو كان السؤال عن أصل الارسال أو البعثة لم يحتج لقوله اليه لان أصل بعثته قد اشتهر فى الملكوت الاعلى فلا يخفى عليهم الى هذه المدة على أنه لو حذف لفظ اليه كما فى رواية عن أنس أوقد بعث فقد يجاب بان المراد البعث الخاص للاسراء وصعود السموات لا أصل البعثة قال السهيلى ولم نجد فى رواية من الروايات انهم قالوا وقد بعث الا فى هذا الحديث انتهى (قال) جبريل (نعم) بفتح النون على الاشهر كلمة تصديق ووعد واعلام وهذا هو المراد هنا وانما سأل الخازن عن الارسال اليه ليعلم الاذن له بالفتح فانه يلزم من الارسال اليه الاذن فى ازالة الموانع وفتح أبواب السموات ولهذا لم يتوقف بعد علمه ذلك على أن يوحى اليه بالفتح كما سيأتى عن ابن المنير قريبا (قال) الخازن (مرحبا) كلمة تقال عند المسرة بالقادم من الرحب وهو السعة فى التعظيم هنا والمعنى صادفت رحبا وسعة أو رحب الله بك وهو بفتح الميم مصدر بمعنى رحبا بضم الراء منصوب بمحذوف وجوبا ولما كان قول الخازن مرحبا قبل ان يفتح الباب وقبل أن يصدر من النبى صلى الله عليه وسلم خطاب أتى بصيغة الغيبة بقوله (به) الا ترى أن جبريل لما خاطب الخازن ارتفع حكم الغيبة بالتخاطب من الجانبين فقال الخازن لجبريل من معك بضمير الخطاب أولانه ليس مخاطبا وانما المخاطب جبريل وقد تكون الغيبة أقوى فى التفخيم من الخطاب وفى قول الخازن مرحبا دليل على أن الحاشية اذا فهموا من سيدهم عزا واكراما لوافدكان لهم أن يبشروه بذلك وان لم يأذن لهم فيه ولا يكون فى ذلك افشاء للسر بل هو من تجميل البشرى وعلموا ان استدعاءه صلى الله عليه وسلم استدعاء اكرام واجلال واعظام واعطاء فاذا بادروا بترحيبه صلى الله عليه وسلم (نعم المأتى) بفتح الميم وسكون الهمزة وفتح التاء الفوقية بوزن مرمى (مأتاه) بضبط ماقبله والضمير عائد الى النبى صلى الله عليه وسلم أى نعم المجئ مجيئه ولفظ الرواية ولنعم المجئ جاء وللظهرى وابن مالك كلام فى تقريره ذكره فى المواهب وشرحه وحاصل كلام الاول أن فيه تقديما وتاخيرا وان المخصوص بالمدح محذوف والتقدير جاء فنعم المجئ مجيئه بالمدح فالمخصوص بالمدح محذوف وهو المبتدا المخبر عنه بنعم وفاعلها وحاصل كلام ابن مالك انه لا تقديم ولا تاخير وان التقدير نعم المجئ الذى جاء أو نعم المجئ مجيئ جاء ففيه الاكتفاء بالصلة عن الموصول المخصوص بالمدح أو الصفة عن الموصوف وهذا أظهر لما فى الاول من التكليف وكونه موصلا أجود لانه مخبر عنه والمخبر عنه اذا كان معرفة أولى من كونه نكرة تقلله فى الفتح (ففتح) الخازن الباب من غير استئذان من الله تعالى فيه لان جبريل معهود عندهم بالصعود وهو لا يكذب فى خبره عن محمد أولانهم لما علموا بطلب محمد من الله لم يحتاجوا الاذن منه

قال أوقد أرسل اليه
قال نعم قال مرحبا به نعم المأتى مأتاه * ففتح

أو لعلمهم أن بشرا لا يترقى هذا الترقى الا باذن من الله تعالى وقد تقدم ان الله تعالى أراد اطلاع نبيه على أنه معروف عند الملأ الاعلى لانهم قالوا وقد بعث اليه أو أرسل اليه فدل على أنهم كانوا يعرفون أن ذلك سيقع له والا لما كانوا يقولون ومن محمد مثلا ولذا أجابوا بقولهم مرحبا به ولنعم المجيء جاء وذكر ابن المنير أن موقع قول الخازن وقد بعث اليه استنطاق جبريل بالسبب الموجب للاذن والفتح لان مجرد قوله معي محمد لا يوجب الاذن الا بواسطة البعث من الله تعالى ويلزم منه الاذن في ازالة الموانع وفتح أبواب السماء فلم يتوقف الخازن على أن يوحى اليه بالفتح لانه لزم عنده من البعث الاذن (لهما) كما في رواية وفي أخرى ففتح لنا قال بعضهم ففتح لنا على لفظ المبني للمفعول ونكتة التعظيم فلما خلصا من الباب ودخلا السماء (فاذا) فجائية أي فأفجأه (فيها آدم) عليه الصلاة والسلام اختلف في لفظ آدم فقيل عجمي ومن ثم منع الصرف وقيل عربي لانه مشتق من الادمة التي هي السمرة والمراد بها هنا لون بين البياض والحمرة حتى لا ينافي كونه أحسن الناس أو هو مشتق من أديم الارض أي وجهها لانه مخلوق منه وعلى أنه عربي يكون منع صرفه للعلمية ووزن الفعل وهو أبو البشر (بذاته البدريه) نسبها للبدر لشبهها له في كمال الحسن أي بجسده وروحه كما مر وكذا بقية الانبياء ولا مرية في أنهم صلوا خلفه في بيت المقدس ورؤيته لهم في السموات قيل أنهم علموا بعروجه فسبقوه الى تلك الاماكن وقيل لانها مكان اقامتهم فعادوا اليها وقيل اكراما له باذن من الله تعالى لهم في ذلك وسيأتي أنه رأى جميع الانبياء وانما وقع السؤال والجواب مع افراد مخصوصة في محال لمناسبات تقع له في هجرته مدة اقامته بالمدينة كما وقع لهم كما قيل ان من رأى نبيا في نومه حصل له بعض ما حصل لذلك النبي الذي رآه وهي مذكورة في كثير من كتب السير وفيما ألف في القصة فلا حاجة الى الاطالة بذكرها كان عليه السلام طوله ستون ذراعا وعرضه عشرة أذرع أو سبعة أذرع كما في الحديث بذراع نفسه أو ذراعنا (و) الحال أنه (تعرض) بالبناء للمفعول (عليه الارواح) أي تظهر وتبرز له أرواح ذريته حقيقة أو تمثيلا بذاتها أو مع حاملها من الملائكة لما ورد أن حامل أرواح المؤمنين ملك يقال له رومائيل وحامل أرواح الكفار ملك يقال له رومه وهذا العرض في وقت موتهم (ف) اذا عرضت عليه الارواح المؤمنة والكافرة (يأمر) آدم من له ولاية ذلك أن يذهب (ب) الارواح (المؤمنة) كارواح الانبياء والمؤمنين والاولياء والصالحين (الى) مكان لائق بها من (عليين) الذي هو اسم لاعلى الجنة أو لمكان فيها أو هي نفس الجنة لان مقر الارواح فيها مختلف فاعلاها للانبياء ودونه للاولياء وهكذا كل له مقام معلوم وحظ مقسوم وقيل اسم للوح من زبرجد معلق بالعرش مكتوب فيه أعمالهم وقيل اسم للسماء السابعة (و) يأمر كذلك بالارواح (الكافرة) أن يذهب بها (الى) مكان لائق بها من (سجين) بكسر السين المهملة والجيم المشددة فثناة تحتية ساكنة فنون اسم لاسفل جهنم أو لمكان فيها أو اسم لهما لان أرواحهم فيهما متفاوتة أو لصخرة تحت الارض السابعة فيه كتاب الفجار أو موضع تسجن فيه أرواح الكفار وعليه فاضافته لما بعده على معنى اللام (الجحيم) بفتح الجيم وكسر الحاء المهملة النار الشديدة التأجج وكل نار بعضها فوق بعض وكل نار عظيمة في مهواة والمكان الشديد الحر كما في القاموس أو اسم السادس طبقات جهنم السبع التي هي لاهل الشرك أولها هاوية التي هي سابع طبقاتها وهي

لهما فاذا فيها آدم بذاته البدريه * وتعرض عليه الارواح فيأمر بالمؤمنة الى عليين والكافرة الى سجين الجحيم

للمنافقين وهي المسماة الدرك الاسفل من النار أو المراد بكل من سجين وجحيم جهنم التي اسم من أسماء النار التي يعذب الله بها عباده أعاذنا الله منها فالاضافة بيانية (ولظاه) بفتح اللام والظاء المعجمة المثالة بوزن فتى والضمير الى الجحيم ذكره باعتبار اللفظ أو باعتبار كونها موضع في النار (فسلم) النبي صلى الله عليه وسلم (عليه) أي على آدم عليه الصلاة والسلام وهو قاعد لان المار يسلم على القاعد وان كان المار أفضل (فرد) آدم السلام على النبي صلى الله عليه وسلم أي ورحب به أيضا كما في رواية فسلمت عليه فرد علي السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح الظاهر أن هذا السلام ورده كل منهما باللفظ لا بالاشارة ولا بالايماء وأنه قال صلى الله عليه وسلم السلام عليكم وان آدم عليه السلام قال للنبي حين رده عليه عليك السلام الخ لان الله تعالى أمر بذلك بقوله واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ورد والسلام كما سلم عليكم وقد جاء في كيفيته عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله آدم قال له اذهب فسلم على أولئك نفر من الملائكة جلوسا فاسمع ما يحيونك فانها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله وبركاته فزادوا ورحمة الله وبركاته قال العلماء ويستحب أن يأتي بضمير الجمع لمن يبتدئ بالسلام ومن يرد والعطف في قوله وعليكم وقد قال الله تعالى لنبيه فقل سلام عليكم (وسأل) النبي صلى الله عليه وسلم من جبريل (عنه) بقوله كما في رواية من هذا (قال) جبريل هذا (أبوك آدم) ظاهره أنه سأل عنه بعد أن سلم ورد آدم عليه السلام ورحب به وفي رواية مالك بن صعصعة بعكس ذلك وهي المعتمدة وعليها يحمل ما هنا اذ ليس فيه اداة ترتيب لانه لم يقل فسأل عنه فقال أبوك بالفاء فيهما انما قال أبوك بغير الفاء فيحمل على أن السؤال والقول وقعا قبل السلام ورده وقول آدم مرحبا والمراد بالعكس المخالفة في اللفظ فلفظ رواية ابن صعصعة فلما خلصت فاذا فيها آدم فقال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ورأى صلى الله عليه وسلم كما في رواية سندها ضعيف عن يمين آدم اسودة وبابا تخرج منه ريح طيبة وعن شماله اسودة وبابا تخرج منه ريح خبيثة ومحل استقرار الارواح حالا ومآلا (والذي ترى) أي تراه (عن جانبيه) أي عن جهة يمينه وجهة شماله (من الاسودة) جمع سواد كأزمنة جمع زمان هي الاشخاص كأنهم من كثرتهم سود (نسم) بالنون والسين المفتوحتين جمع نسمة بزنة قصب وقصبة هي نفس الريح والمراد هنا الارواح وسميت بها النفس بالسكون فتطلق على الانسان ويمكن ارادته هنا بتشكل الروح بصورته اي الاشخاص من (الذريه) اي ذرية آدم (والباب الايسر) الذي تراه (باب جهنم) اعاذنا الله منها (و) الباب (الايمن) الذي تراه (باب الجنة) نسأل الله دخولها (السامي ذراه) اي العالي اعاليه الواحدة ذروة بكسر الذال المعجمة وضمها كما في المختار ثم المراد والله أعلم من عرض ذلك على آدم انما ترى له وهي في اماكنها الان الجنة كانت عن يمينه والنار عن شماله وكان يكشف له عنها وهو في مكانه لئلا يرد ان ارواح المؤمنين منعمة في الجنة وارواح الكفار معذبون في سجين فكيف يكون مجتمعة في السماء وايضا قد نص القرآن على ان ارواح الكفار لا تفتح لهم ابواب السماء وكشف له صلى الله عليه وسلم ما كشف لآدم او المراد كما قاله الحافظ ابن حجر عرض الارواح التي لم تدخل الاجساد بعد وهي مخلوقة قبل الاجساد ومستقرها عن يمين آدم وشماله وقد أعلم بما

ولظاه * فسلم عليه فرد وسأل عنه قال أبوك آدم والذي ترى عن جانبيه من الاسودة نسم الذريه * والباب الايسر باب جهنم والايمن باب الجنة السامي ذراه *

سيصيرون اليه فاذا كان يستبشر اذا نظر الى من عن يمينه ويحزن اذا نظر الى من عن شماله بخلاف التي دخلت في الاجساد فليست مرادة قطعا وبخلاف التي انتقلت من الاجساد الى مستقرها من الجنة أو النار فليست مرادة أيضا فيما يظهر قال وبهذا يندفع الايراد ويعرف أن قوله نسم بنيه عام مخصوص أو عام أريد به الخصوص أو يكون المراد رؤيته لها حين خروجها من الاجساد قبل استقرارها ولا يلزم من رؤية آدم لها وهو في السماء الدنيا أن تفتح لها أبواب السماء ولا تلجها لانها تعرض عليه وتكشف له عنها من بعد انتهى (فاذا نظر) آدم عليه السلام عن جهة يمينه الى تلك الاسودة وكشف له أنهم من (من يدخل) في الحال أو المآل (الجنة فرح) بكسر الراء من باب طرب أي سر اذ هو لذة القلب بنيل ما يشتهي وفي رواية ضحك واستبشر (إ) سبب (حلوله القصور) جمع قصر كما مر (الجنانيه) أي المنسوبة للجنان جمع جنة (واذا نظر) عن جهة شماله الى تلك الاسودة وكشف له أنهم من (من يدخل جهنم أبكاه) ذلك لحزنه عليهم كما في أصل الرواية حزن وبكى أخذ منه بعضهم أن المراد بالاسودة التي عن شماله العصاة من الموحدين لا الجاحدين لان بكاء آدم رحمة لهم ولا يرحم الكفار وتعقبه ابن المنير بان المؤمنين برهم وفاجرهم مطيعهم وعاصيهم من أهل اليمين وقد فسر الله أصحاب الشمال بالكفار فقال وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم الآيات وهذا انما هو للكافر لا حظ له في الايمان ولا حجة في بكاء آدم لانه ليس فيه استغفارهم ولا خلاف أن من مات أبوه كافرا وهو مسلم لا يحرم عليه البكاء عليه لا سيما الطبعي والرقة الطبيعية ورأى صلى الله عليه وسلم رجالا لهم مشافر كمشافر الابل أي كشفاه الابل أي وفي أيديهم قطع من نار كالافهار أي الاحجار التي كل واحد منها ملء الكف يقذفونها في أفواههم تخرج من أدبارهم فقال لجبريل من هؤلاء قال هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلما ولم يتقدم رؤيته لهم في الارض ورأى أخونة عليها لحم طيب ليس عليها أحد وأخرى عليها لحم منتن عليها ناس يأكلون قال لجبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذي يتركون الحلال ويأكلون الحرام أي من الاموال أعم مما قبله وهؤلاء أيضا لم يتقدم رؤيته لهم في الارض ورأى أقواما يقطع اللحم من جنوبهم فيلقمونه فيقال لهم أي لكل واحد منهم كل كما كنت تأكل لحم أخيك أي وهم الهمازون اللمازون المغتابون للناس الذمامون لهم وتقدمت رؤيته للمغتابين في الارض بغير هذا الوصف ورأى أكلة الربا ورأى الزناة على حال شنيعة بنحو ما تقدم وأشنع ورأى الزواني معلقات بثديهن (ثم) بعد فراغه صلى الله عليه وسلم من السؤال والجواب عن آدم ورؤيته جميع ما تقدم (رقي) هو ومعه جبريل على مرقاة المعراج الثانية (الى) السماء (الثانية) وتقدم أنها من مرمرة بيضاء (فاستفتح جبريل قيل من معك قال درة الكنز الخفيه) قال السيد الجرجاني في تعريفاته الكنز المخفي هو الهوية الاحدية المكنونة في الغيب وهو أبطن كل باطن فهو الدرة المكنونة في علم الله تعالى وهو الاول والآخر (قيل) أي قال الخازن (مرحبا به وأهلا) قال في المصباح قولهم أهلا وسهلا ومرحبا معناه أتيت قوما أهلا وموضعا سهلا واسعا فابسط نفسك واستأنس ولا تستوحش (نعم المبدأ مبداه) من يدي بمعنى ظهر أي نعم الظهور ظهوره صلى الله عليه وسلم من حيث أرسل الله تعالى رحمة للعالمين وجعله خاتم الانبياء والمرسلين وفضله على سائر الانبياء وقربه لديه وأدناه ولفظ

فاذا نظر من يدخل الجنة فرح بحلوله القصور الجنانيه * واذا نظر من يدخل جهنم أبكاه * ثم رقى الى الثانية فاستفتح جبريل قيل من معك قال درة الكنز المخفيه * قيل مرحبا به وأهلا نعم المبدأ مبداه *

الرواية ثم صعد بي الى السماء الثانية فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل من معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم فقيل مرحبا به وأهلا لاحياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الخليفة ونعم المجيء جاء (ففتح) الخازن الباب (لهما) لما خلصا من بابها ودخلا فيها (اذا هو) لم يقل هما لانه المقصود (بعيسى) ابن مريم (ويحيى) ابن زكريا على الارجح عند الجمهور وقيل بيوسف وقيل بادريس وهو شاذ جالسين على سريرين من ياقوت (وقد أخذ كل منهما من أخيه) في النبوة والاسلام (الشهيه) كما في حديث أبي سعيد عند أبي جرير وابن أبي حاتم والبيهقي شبيه أحدهما بصاحبه ثيابهما وشعرهما واذا عيسى عليه السلام جعد مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الرأس كأنما خرج من ديماس أي حمام شبيه بعروة بن مسعود الثقفي وفي رواية أبي هريرة أحمر وفي أخرى عند مسلم عن عمر أنه أدم والادم الاسمر وساق البخاري هذين الحديثين في صحيحه وهما ابنا خالة لان أمهما أختان لان أم يحيى ايشاع بنت فاقود أخت حنة بمهملة ونون شديدة بنت فاقود أم مريم وذلك أن عمران بن ماثان تزوج حنة وتزوج زكريا ايشاع فولدت ايشاع يحيى وولدت حنة مريم فتكون ايشاع خالة مريم وحنة خالة يحيى فهما ابنا خالة بهذا الاعتبار وليس عمران هذا أبا موسى اذ بينهما فيما قيل ألف وثمانمائة سنة قال ابن السكيت يقال ابنا خالة ولا يقال ابنا عمة ويقال ابنا عم ولا يقال ابنا خال قال الحافظ والسبب ان ابني الخالة أم كل منهما خالة الآخر لذا وما بخلاف ابني العمة وكان عمر مريم حين حملت به خمس عشرة سنة وقيل أم عيسى بنت خالة يحيى وفي عيون المعارف للقاضي أن يحيى ابن خالة مريم لا ابن خالة عيسى لان أم يحيى أخت أم مريم لا اخت مريم وكذا في كلام ابن اسحاق أن عمران وزكريا تزوجا أختين فزوجة زكريا ولدت يحيى قبل عيسى بستة أشهر ثم ولدت مريم عيسى وزوجة عمران ولدت مريم فأم يحيى أخت مريم فعيسى ابن بنت خالة يحيى وحينئذ يكون قوله صلى الله عليه وسلم فاذا أنا بابني الخالة على التجوز وكذا قول عيسى ليحيى يا ابن الخالة كما في تفسير القشيري ووجه التجوز كما في انسان العيون أنه أطلق على بنت الاخت لفظ الاخت قال بعضهم وهو شائع كثير في كلامهم قيل ان يحيى كان وهو في بطن أمه يكلم عيسى ويرد عليه السلام وفي الاصابة وذكر السدي في تفسيره باسناده الى ابن مسعود وغيره أن أخت مريم قالت لمريم أشعرت أني حبلى قالت نعم وأنا حبلى قالت فاني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك ومن طريق مجاهد قال قالت مريم كنت اذا خلوت به حدثني واذا كنت بين الناس سبح في بطني قال واختلف في مدة حملها به فقيل ساعة وقيل ثلاث وقيل تسع وقيل ثمانية أشهر وقيل سنة وقيل تسعة أشهر وقال ابن اسحق لما ظهر حملها لم يدخل على أهل بيت ما دخل على آل زكريا وتكلم فيها اليهود فتوارت مريم عنهم فاعتزلتهم فكان ما قص الله تعالى عنها في سورة مريم فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض الى قوله رطبا جنيا انتهى ورؤيته صلى الله عليه وسلم لعيسى بجسده وروحه اتفاقا لانه رفع الى السماء حيا وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتقدم أن التحقيق أنه رفع الى السماء وهو ابن ثمانين سنة قال الجلال السيوطي ومدة اقامته في السماء ليست من عمره فهو كحياة الارواح لا يحتاج فيها لمأكل ولا مشرب وقيل قوته التسبيح مثل الملائكة وقيل قوته من ثمار الجنة فعلى هذا يكون في الجنة ولا مانع منه لان صفته الآن كصفة

فتح لهما فاذا هو بعيسى ويحيى وقد أخذ كل منهما من أخيه الشهيه *

الملائكة فلا يخالف الاجماع أنه لا يدخل الجنة أحد قبل موته وأما رؤيته ليحيى فهو بجسده وروحه معا على الاصح بدليل ما تقدم من أنه شبيه أحدهما بصاحبه فليس يحيى روحانيا خاليا عن اللبس والشعر وأفرد عيسى بوصفه المتقدم لتعرفه أمته صلى الله عليه وسلم عند نزوله فى آخر الزمان وعيسى اسم أعجمى غير منصرف للعلمية والعجمة وقيل مشتق من العيس وهو البياض وقيل له عيسى لبياض لونه وقيل من العوس وهو السياسة وأصله عوسا قلبت الواو ياء لكسر ما قبلها وقالوا عيسى لانه ساس نفسه بالطاعة وقلبه بالمحبة وأمته بالدعوة الى رب العزة ويحيى مشتق من الحياة وأطلق عليه هذا الاسم لانه ولد فى حال شيخوخة الوالدين فوهبه الله هذا الاسم اطمئنانا لقلبهما بانه يحيى كثيرا وأنه ولد حى القلب بالمحبة والجسم بالطاعة واللسان بالذكر والسر بالمعرفة معصوما من الزلة وعينى أحد الانبياء الخمسة الذين وصفوا بالعزم أى الصبر وتحمل المشاق وهم سيدنا محمد وسيدنا ابراهيم وسيدنا موسى وسيدنا عيسى وسيدنا نوح عليهم الصلاة والسلام وعيسى عليه الصلاة والسلام من أصحاب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه اجتمع به فى حياته هنا فهو أفضل الصحابة بالاتفاق وتقدم أنه ينزل آخر الزمان ويقتل الدجال ثم يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم من غير تقليد لمذهب من المذاهب وحكمة نزوله دون غيره من الانبياء والرد على اليهود فى زعمهم أنهم قتلوه أو ليدفن فى الارض اذ كل مخلوق من تراب لا يموت الا فيها ويتزوج ويولد له ويمكث فى الارض أربعين سنة وفى رواية يمكث فى الارض خمسا وأربعين سنة ويقال أنه يتزوج امرأة من العرب وتلد له بنتا فتموت ثم يموت هو وعن كعب الاحبار أنه يولد له ولدان يسمى أحدهما أحمد والآخر موسى أى لكونه بعث بينهما يعنى بين موسى ومحمد ثم يتوفاه الله ويدفن عند النبى صلى الله عليه وسلم فى بيت عائشة أم المؤمنين على الصحيح لا معه فى قبره صلى الله عليه وسلم كما فى رواية ضعيفة وجاء أن يحيى عليه الصلاة والسلام هو الذى يذبح الموت يوم القيامة يضجعه ويذبحه بشفرة تكون فى يده والناس ينظرون اليه فان الموت يكون فى صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ويقال لاهلها أتعرفون هذا فيقولون نعم هو الموت وقيل الذى يذبح الموت هو جبريل عليه السلام وكما أن اليهود آذوا عيسى وهموا بقتله فرفعه الله كذلك يحيى أرشوا عليه امرأة فقتلته أو ولست عليه حتى قتلوه ظلما وأخذوا رأسه ووضعوه فى طست وغضب الله على قاتليه وسلط عليهم بخت نصر وفى الحديث ان يحيى ابن زكريا سيد الشهداء يوم القيامة وقائدهم الى الجنة وكان أول من آمن بعيسى وكان سن زكريا حين بشر بيحيى اثنين وتسعين سنة وعن ابن عباس مائة وعشرين سنة وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة (ف) لما دنى صلى الله عليه وسلم منهما (سلم عليهما فردا) أى كل واحد منهما رد السلام عليه (ورحب به ودعا له بخير حين رآه) ولفظ الرواية فسلمت عليهما فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح وفى رواية ودعا الى بخير (ثم) بعد الفراغ من السؤال والجواب والسلام والرد (رقى) هو ومعه جبريل على المرقاة الثالثة (الى) السماء (الثالثة) وتقدم أنها من حديد (فاستفتح جبريل قيل من معك قال نقطة) بضم النون وسكون القاف اى علم (الدائرة) واحدة الدوائر (الوجودية) المنسوبة للوجود أى ما خلقه الله تعالى وأوجده من العدم من السموات والارض فالمراد بالدائرة الافلاك وما فيهن أى فهو علم الدائرة بالمعنى المذكور فالكل تابع له كما أن العلم يتبعها

فسلم عليهما فردا ورحب به ودعا له بخير حين رآه * ثم رقى الى الثالثة فاستفتح جبريل قيل من معك قال نقطة الدائرة الوجودية *

الجيش حيث سار أو المراد من نقطة الدائرة واسطتها التي تدور عليها السموات والارض بمنزلة القطب للرحا والمراد أنه هو السبب الكامل في ايجاد الموجودات فعليه مدار أهل الارض والسموات أو مأخوذ من دارة القمر والشمس فهو بدر الدنيا وشمس الآخرة والمخلوقات حوله يستمدون من فيض نوره (قيل) أي قال الخازن (مرحبا به وأهلا حياه الله) بفتح الحاء المهملة وتشديد المثناة التحتية قال في المصباح وحياه تحية أصله الدعاء بالحياة ثم استعمله الشرع في دعاء مخصوص وهو سلام عليكم انتهى وفي القاموس والتحية السلام وحياه تحية والبقاء والملك وحياك الله أبقاك وملكك (من) زائدة (خليفة) لله في عباده (وحياه) بفتح الحاء المهملة والباء الموحدة مخففة أي أعطاه الله ما يرجوه ويتمناه من غير عوض من حبوت الرجل أعطيته الشيء من غير عوض كما في المصباح (ففتح) الخازن الباب (لهما) لما خلصا ودخلا (اذا هو بيوسف) بتثليث السين غير منصرف للعلمية والعجمة بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام على الاصح وقيل بعيسى ويحيى (الذي أعطي) بالبناء للمجهول (شطر الحاسن) أي نصف المحاسن أي نصف المحاسن التي أعطيها الناس قال بعضهم والمراد بالشطر الجزء أي جزء المحاسن أي بعضها فلا يخالف حديث أعطي شطر الحسن ولا حديث ثلثي حسن الخلق ولا حديث الحسن عشرة أجزاء تسعة منها ليوسف وواحد منها بين الناس ولا ينافي الاخبار بالقليل الاخبار بالكثير ولا بالعكس اذ ليس المراد والله أعلم التحديد وانما المراد الاخبار بشدة حسنه وجماله فتارة أخبر بكذا وتارة بكذا فلا مخالفة بين الروايات وكان عليه الصلاة والسلام اذا سار في أزقة مصر يتلألأ وجهه على الجدران كما يتلألأ نور الشمس وضوء القمر على الجدران والمراد بالناس غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لان حسن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لم يشاركه في شيء منه كما أشار لذلك صاحب البردة بقوله

منزه عن شريك في محاسنه * فجوهر الحسن فيه غير منقسم

خلافا لابن المنير حيث ادعى أن يوسف عليه السلام أعطي شطر الحسن الذي أوتيه نبينا صلى الله عليه وسلم وتبعه على ذلك شارح تائية الامام السبكي وقد يقال لا مخالفة لان المراد أعطي مثل شطر الحسن الذي أوتيه وقد قيل ان يوسف عليه السلام ورث الحسن من اسحاق الذي هو جده واسحاق ورثه من سارة التي هي أمه وسارة أعطيت سدس الحسن وورث ذلك من حواء ولا ينافي ما مر قوله صلى الله عليه وسلم كما في رواية اذا هو أحسن خلق الله قد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب لان المراد بخلق الله وبالناس غير نبينا صلى الله عليه وسلم ولان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه على ما فيه وقد جاء ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم أحسنهم وجها وأحسنهم صوتا وفي الخصائص الصغرى للسيوطي وخص صلى الله عليه وسلم بانه أعطي كل الحسن ولم يعط يوسف الا شطره وقد بسطنا الكلام في هذا في الكوكب الانور وقصة يوسف مع اخوته مشهورة نطق بها القرآن العظيم اتوفي بعد يعقوب بثلاث وعشرين سنة عن مائة وعشرين سنة بمصر ودفن في نيل مصر فاستخرجه موسى عليه الصلاة والسلام حين خرج مع بني اسرائيل وحمله الى الشام (الجماليه) أي المنسوبة للجمال الخلقي (فلما دنى منه صلى الله عليه وسلم (سلم عليه فردورحب) بفتح الراء والحاء المهملة

قيل مرحبا به وأهلا حياه الله من خليفة وحياه * ففتح لهما فاذا هو بيوسف الذي أعطي شطر المحاسن الجماليه * فسلم عليه فردورحب

المشددة والموحدة (به) صلى الله عليه وسلم (واستبشر) أى استسر (بلقاه) بكسر الموحدة واللام فقاف فألف بعد هاء وفى نسخة بلقياه بضم اللام وسكون القاف وزيادة مثناة تحتية الاول من لقى لقاء والثانى من لقيه لقيا والمعنى واحد ولفظ الحديث ثم صعد بى الى السماء الثالثة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به وأهلا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الخليفة ونعم المجئ جاء ففتح فلما خلصت اذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح وفى رواية ودعا لى بخير

﴿ضوع اللهم معهده الشميم * بنشر غوال من صلاة وتسليم﴾

(ثم) بعد الفراغ مما تقدم (رقى) هو ومعه جبريل على المرقاة الرابعة (الى السماء الرابعة) وقد مر أنها من نحاس (فاستفتح جبريل قيل من معك قال الذات المصطفيه قيل) أى قال الخازن (مرحبا به وأهلا حياه الله وأحياه) كلاهما بالمثناة التحتية والثانى بمعنى الاول فالعطف للتفسير أو للتأكيد (ففتح) الخازن الباب (لهما) فلما خلصا ودخلا (اذا هو بادريس) عليه السلام على الاصح وقيل بهارون وادريس بوزن افعيل من الدرس لكثرة درسه فى العلوم اذ روى أن الله تعالى أنزل عليه ثلاثين صحيفة وأنه أول من خط بالقلم وأول من نظر فى علم النجوم والحساب وفى كلام المقريزى هرميس الاول الذى سمته العرب ادريس فهذا صريح فى أنه معرب قال المجد وادريس النبى صلى الله عليه وسلم ليس من الدراسة كما توهمه كثيرون لانه أعجمى واسمه خنوخ أو اخنوخ وفى قوله تعالى وزكريا ويحيى وعيسى والياس قال ابن مسعود هو ادريس وله اسمان مثل يعقوب واسرائيل وهو سبط شيث بن آدم وجد نوح قال فى انسان العيون هو من ولد شيث بينه وبين شيث أربعة آباء أرسل بعد موت آدم عليه السلام بمائتى سنة ونوح من ولده بينه وبينه اثنان فادريس فى عمود نسب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ويؤيده رواية قتادة مرحبا بالابن الصالح قال بعضهم وهو القياس لانه جده الاعلى لانه من ولد شيث عليه الصلاة والسلام وقيل ليس ادريس جد نوح ولا هو من آباء النبى صلى الله عليه وسلم ويؤيده رواية مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح والاكثرون على الاول وان كان أكثر طرق الرواية على أنه خاطبه بالاخ لانه كما قال النووى ليس فى ذلك ما يمنع كون ادريس أبا لنبينا صلى الله عليه وسلم فان قوله الاخ الصالح قاله تأدبا وتلطفا وهو أخ وان كان ابنا والانبياء اخوة والمؤمنون اخوة انتهى (الذى رفعه الله مكانة) عنده (عليه) رفيعة يقال مكن فلان عند السلطان مكانة وزان ضخم ضخامة عظم عنده وارتفع وبهذا فسر بعضهم قوله تعالى ورفعناه مكانا عليا قال المراد شرف النبوة والزلفى عند الله والاصح أن المراد بالمكان السماء الرابعة وقيل السماء الخامسة وقيل السادسة وقيل المراد بالمكان الجنة ولا مانع من ارادته مع رفعه الى احدى السموات المذكورة وشرف النبوة والزلفى عند الله وخص برفعه الى السماء الرابعة حياء على جناح ملك صديق له فلا يرد أن عيسى عليه السلام رفع الى السماء الثالثة حيا ولا أن النبى صلى الله عليه وسلم رفع اليها وهو حى لانه زاد عليه فى الارتفاع الى أرفع الدرجات ولانه صلى الله عليه وسلم

به واستبشر بلقاه *

﴿ضوع اللهم معهده الشميم * بنشر غوال من صلاة وتسليم﴾

ثم رقى الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل قيل من معك قال الذات المصطفيه * قيل مرحبا به وأهلا حياه الله وأحياه * ففتح لهما فاذا هو بادريس الذى رفعه الله مكانة عليه *

عرج به على المعراج لا على جناح ملك وغير ذلك وكان رفعه من مصر بعد أن خرج منها وادار الارض كلها وعاد اليها ودعا الخلائق الى الله باثنين وسبعين لغة خاطب كل قوم بلغتهم وعلمهم العلوم وهذا يدل على أنه كان رسولا وفى كلام ابن العربى لم يجئ نص فى القرآن برسالته وأول شخص افتتحت به الرسالة نوح عليه الصلاة والسلام ومن كانوا قبله أنبياء وهذا الملك الذى رفعه الى السماء الرابعة هو الملك الموكل بالشمس وكان قد سأله أن يدعو له بان يخفف عنه ثقل حمله الهما فدعا له ادريس فاجيبت دعوته وقيل رفع على جناح غير وكان ادريس سأله أن يريه الجنة فاذن الله له فى ذلك فلما كان فى الرابعة رآه هناك ملك الموت فعجب فقال أمرت أن اقبض روح ادريس فى السماء الرابعة فقبضه هناك وصلت عليه الملائكة ومدفنه بها قيل لما مات أحياه الله تعالى وأدخله الجنة وهو فيها الآن أى غالب أحواله فيها فلا ينافى وجوده فى السماء المذكورة والجنة أرفع من السموات لانها فوق السماء السابعة فلا يقال من كان فى السماء الخامسة أو السادسة أو السابعة أرفع من ادريس قال النجم الغيطى سمعت بعض مشايخ الثقاة يقول ان ادريس لما اخبر بعروج النبى صلى الله عليه وسلم استاذن ربه أن يستقبله فاذن له فاستقبله ولقيه فى السماء الرابعة وكان عمره حين رفع ثلاثمائة وخمسون سنة وقيل فى قصته غير ذلك (فسلم عليه فرد ورحب به ودعا له بخير دعاه) ولفظ الرواية ثم صعد بى الى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به وأهلا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجيئ جاء فلما خلصت فاذا ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح وفى رواية ودعا لى بخير (ثم) بعد الفراغ مما تقدم (رقى) هو ومعه جبريل على المرقاة الخامسة (الى) السماء (الخامسة) وقدم انها من فضة (فاستفتح جبريل قيل من معك قال سر الاسرار) السر لطيفة مودعة فى القلب كالروح فى البدن وهو محل المشاهدة كما أن الروح محل المحبة والقلب محل المعرفة وقال بعضهم أصل السر الامر الخفى ويحتمل كل من لفظ سر والاسرار أن يكون بمعنى باطن الروح أو سر الاحوال امامع التوافق أو التخالف والله أعلم قال القاسى وسر الاحوال هو الذى قال فيه الاستاذ القشيرى ويطلق لفظ السر على ما يكون مصونا مكتوما بين العبد والحق سبحانه وتعالى فى الاحوال قال وقال فيه صاحب عوارف المعارف بعد أن تكلم على الروح والنفس والعقل أما السر فليس هو شيأ مستقلا بنفسه له وجود وذات كالروح وانما هو لما صفت النفس وتزكت انطلق الروح من وثاق ظلمة النفس فاخذ فى العروج الى محل القرب وتبعه القلب متطلعا الى الروح فاكتسب وصفا زائدا على وصفه ولما صار للقلب وصف زائد على وصفه يتطلع به الى الروح اكتسب الروح وصفا زائدا على وصفه فى حال عروجه فاستجمع ذلك على الواجدين فسموه سرا انتهى الا أنه ينفى السر بمعنى باطن الروح ولا يثبت الا الذى هو خال وغيره يثبتهما معا ويحتمل لفظ الاسرار أيضا أن يكون المراد به مظهر اسرار الذات والصفات والاسماء والافعال فالاسرار متجلية فيه وظاهرة به وبواسطته قبل الخلق ما قسم لهم من تلك الاسرار فهو صلى الله عليه وسلم معدن الاسرار الالهية أى محل حصول الاسرار واقامتها وشأنها حصولها فيه ومنه تطلب وتلتمس ويستمد نورها ويقتبس (الملكوتيه) نسبة الى الملكوت بفتحتين صيغة مبالغة

فسلم عليه فرد ورحب به ودعا له بخير دعاه * ثم رقى الى الخامسة فاستفتح جبريل قيل من معك قال سر الاسرار الملكوتيه *

مبالغة بمعنى الملك والملك هو التصرف الصحيح بالاستعلاء وهي فى اصطلاح الصوفية تطلق على الصفات مطلقا وقد تختص بالاطلاق على الصفات الالهية أما اطلاقه على الصفات فلان الله تعالى له فى كل شئ ملكوت لتصرفه بالصفات فى كل ميت وحى والصفات وسائط التصرف وروابط التأليف بين الاسماء والافعال كاللطف والقهر المتوسطين بين اللطيف والملطوف والقهار والمقهور وتسمى تلك الصفات لهذه الجهة ملكوتا وبين كل مربوب وربه نسبة مخصوصة هى ملكوته الذى بيد الملك الجبار يتصرف فيه بتوسطه واما تخصيصه بالاطلاق على الصفات الالهية فلان الملكوت وان كان ثابتا فى القوى الروحانية والنفسانية والطبيعية اللواتى هن روابط التصرف فى الكون لكنه لما كان أحق بالصفات الازلية وانها الملكوت الاعلى وماسواه فهو الملكوت الادنى خص أى الملكوت بالصفات الالهية اعلم أنه مما يوهب فى هذا العالم الدنياوى للواصلين اليه التصرف فى الملكوت الادنى بنزع الخواص من الاجسام وايتائها خواص أخر وهو أصل خوارق العادات والمعجزات وأرباب هذا التصرف على درجات فمنهم من وهب له التصرف فى ملكوت العناصر فقط كتصرف ابراهيم عليه السلام فى ملكوت النار بالتبريد وتصرف موسى عليه السلام فى ملكوت الماء والارض بالشق والتفجير وتصرف سليمان عليه السلام فى ملكوت الهواء بالتسخير ومنهم من وهب له التصرف فى ملكوت السماء أيضا كتصرف نبينا عليه الصلاة والسلام فى ملكوت القمر بالشق ومنهم من يطول لهم بسط الازمنة والامكنة فيظهر منهم فى لمحة تصرفات وآثار لم تحصل لغيرهم الا فى مدة طويلة وبالجملة فالملكوت هو الصفات مطلقا وتخصيصه بالاطلاق على الصفات الالهية من قبيل اطلاق المطلق على الفرد الكامل هكذا يستفاد من شرح القصيدة الفارضية فى ذكر العوالم وقد يطلق الملكوت على عالم المثال أيضا وهو الاشياء الكونية المركبة اللطيفة الغير القابلة للتجزى والتبعيض والخرق والالتئام وهى حاوية للنفوس السماوية والبشرية كما فى التحفة المرسلة وشرح المثنوى وفى كشف اللغات بالفارسية ما معناه أن الملكوت فى اصطلاح الصوفية يطلق على عالم الروح وعالم الغيب وعالم المعنى انتهى قال بعضهم والملكوت فعلوت من الملك وهو العز والسلطان والملكة وباعتبار العوالم الاربعة فعالم الملك ماشأنه أن يدرك بالحس والوهم وعالم الملكوت ماشأنه أن يدرك بالعقل والفهم وعالم الجبروت ماشأنه أن يدرك بالحس ومامعه أو بالعقل ومامعه لكن لا فى الحال بل فى ثانى حال كما فى الدنيا مالم تصل اليه وهما ولا فهما كتعلق الجسم بالروح وهى به ومافى الجنة اذهو مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وستراه العيون وتسمعه الآذان وتعرفه القلوب وقيل ان عالم الجبروت أعلى وأرفع من عالم الملكوت وهو مايدرك بالمواهب ولهذا سمى جبروتا ماخوذ من الجبر وهو القهر اى العباد مقهورون عن ادراك كنهه فيكون على هذا كعلم الذات والملكوت كعلم الاسماء والصفات الدالة على الذات والملك علم فعله الظاهر الدال على ماسبق ويقال الانسان روح ثم نفس ثم جسم فالروح عالم الجبروت والنفس عالم الملكوت والجسم عالم الملك فالروح الجبروتى مظهر الذات والنفس الملكوتى مظهر الصفات والجسم الملكى مظهر الافعال وعلى القول الاول الملك راجع الى الاثر والملكوت راجع الى الذات والجبروت راجع الى الاسماء والصفات وهو متوسط بينهما فيدرك بالبصر الاثر الدال عليها

وبالبصيرة المعانى الغيبية ويقال الملك ماظهر والملكوت مابطن والجبروت جامع لهما كالانسان ظاهره ملك وباطنه ملكوت وحيث جمع بينهما كان جبروتا فيدرك بالبصر والبصيرة والعالم الرابع هو عالم العزة وهو ما امتنع ادراكه بكل وجه بحيث تعز ذات الله تعالى به وانفرد بعلمه فلم يظهره لاحد فى خلقه كتعلق أسمائه وصفاته من حيث تعلقها به انتهى ولهم فى تعريفه وبيانه أقوال غير ذلك (قيل) أى قال الخازن (مرحبا وأهلا وسهلا) أى أتيت قوما أهلا وموضعا سهلا واسعا فابسط نفسك واستأنس ولا تستوحش كما فى المصباح (بمن أجاب من) أى الذى (دعاه) وهو الله سبحانه وتعالى (ففتح لهما) لما خلصا ودخلا (اذا هو) أى النبى صلى الله عليه وسلم (بهارون) ابن عمران أخى موسى على نبينا وعليهما الصلاة والسلام على الاصح وقيل بادريس وهو اسم أعجمى غير منصرف للعلمية والعجمة وقيل معرب أرون والارن النشاط سمى به لنشاطه فى طاعة الله ثم قالوا هارون كما قالوا فى اياك هياك وهو أحد رسل الله الكرام كان محببا فى قومه فصيح اللسان وقد وصفه موسى بذلك فقال هو أفصح منى لسانا وكان شقيق موسى وأسن منه بسنة وأجل منه وقيل بثلاث سنين وكان أبيض اللون وكان موسى أدم أقنى جعد اذكره الخازن مات فى موضع على ساعة من مدينة حيلة من مدن الشام وقيل بجبل من جبال مدن الشام وقيل بجبل مشرف قبلى بيت المقدس ويقال له طور هارون وفى الانوار الاكثر أن موسى وهارون ماتا فى التيه وبه صرح فى أنس الجليل وان موسى مات بعد هارون بسنة انتهى وفى النور بنحو خمسة أشهر قال القسطلانى وغيره مات هارون قبل موسى بنحو أربعين سنة وبما ر يعلم مافى قول بعضهم من ان هرون مات بالمدينة المنورة ودفنه اخاه موسى فى شعب جبل حد وقصته مع أخيه موسى والسامرى المنسوب الى قبيلة يقال لها السامرة وهى تعبد الكواكب السبعة السيارة وقيل كان عجلا من علوج كرمان وقيل من أهل ماجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا على موسى مشهورة وقد قصها الله علينا فى كتابه العزيز فى سورة طه بقوله وواعدناكم جانب الطور الايمن الى قوله وأضلهم السامرى فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا وقوله فى سورة الاعراف وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر الآيات و وصفه صلى الله عليه وسلم بقوله (ولحيته) بوزن سدرة الشعر النازل على الذقن (تضرب) فى الطول (الى سرته) بضم السين وفتح الراء المهملتين مشددة ففوقية موضع السر الذى تقطعه القابلة من الصبى (البهيه) الحسنة الجميلة (فسلم عليه فرد) السلام (ورحب به وأكرم مثواه) بفتح الميم أى منزله ومقامه ولفظ الرواية ثم صعد بى الى السماء الخامسة فاستفتح وقيل من هذا قال جبريل قال ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به وأهلا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجئ جاء فلما خلصت فاذا أنا بهرون زاد فى حديث أبى سعيد ونصف لحيته بيضاء ونصف لحيته سوداء تضرب الى سرته من طولها وفى حديث أبى هريرة وحوله قوم من بنى اسرائيل وهو يقص عليهم قال هذا هرون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح (ثم بعد القراع مما تقدم (رقى) هو ومعه جبريل على المرقاة السادسة (الى السماء السادسة) وتقدم أنها من ذهب (فاستفتح جبريل قيل من معك قال عين الاعيان الانسانيه) العين بفتح العين وسكون المثناة التحتية تطلق على معان عديدة منها العين الباصرة وتجمع على أعيان وأعين

قيل مرحبا وأهلا وسهلا بمن أجاب من دعاه * ففتح لهما واذا هو بهرون ولحيته تضرب الى سرته البهيه * فسلم عليه فرد ورحب به وأكرم مثواه * ثم رقى الى السماء السادسة * فاستفتح جبريل قيل من معك قال عين الاعيان الانسانيه *

وعيون بضم العين وتكسر ومنها خيار الشئ وكبير القوم وعند المتكلمين على العالم وعلى هذا قيل العالم اما عين أو عرض فاسم العين عندهم هو الاسم الدال على معنى يقوم بنفسه كزيد وفى كشف اللغات ما معناه الاعيان جمع عين يطلق على الاكابر والاخوان والقرناء والذوات وفى اصطلاح السالكين على الصور العلمية وفى اصطلاح الحكماء على ماهيات الاشياء وأعيان صور الاسماء الالهية وأرواح مظاهر الاعيان وأشباح مظاهر الارواح وتقدم فى شرح الخطبة عند قول المصنف التعين الاول عن التحفة المرسلة أن الاعيان الثابتة هى صور العالم فى مرتبة التعين الثانى لان للعالم ثلاث مواطن أحدهما التعين الاول ويسمى فيه شؤنا وثانيها التعين الثانى ويسمى فيه أعيانا ثابتة وثالثها التعين فى الخارج ويسمى فيه أعيانا خارجية انتهى وتقدم أيضا وجه اطلاق التعين الاول على النبى صلى الله عليه وسلم فراجعه فان هنالك كلام ينبغى احضاره هنا والمراد أن أعيان خلق الله الذين هم الانبياء والمرسلون والملائكة المقربون وجميع عباد الله الصالحين كما أنهم خيار الخلق وكبراؤهم وهم أعينهم التى بها يبصرون وبسر وجودهم كذلك النبى صلى الله عليه وسلم هو خير أولئك الاخيار وكبيرهم أو هو عينهم التى بها يبصرون وسر وجودهم قال العلامة الفاسى ويحتمل أن يكون المضاف بمعنى من المعانى المذكورة والمضاف اليه بمعنى آخر والاقرب أن المراد العين الباصرة فهما والله أعلم انتهى (قيل) ى قال الخازن (مرحبا وأهلا بشمس أفق الكون وضياه) الافق بضمتين وسكون الفاء كعنق وجرف فانه يجوز فيه الوجهان وهو اسم الناحية وما ظهر من نواحى الفلك والمراد بالناحية الجنس فهو شمس جميع الآفاق وأقطار السموات والارض التى هى من جملة الكون وقوله وضياه أى ضياء الكون أى الوجود واضاءته بشمس نبوته صلى الله عليه وسلم ونور هدايته وسناء شريعته وتشعشع ملته كل ذلك ظاهر لا يخفى والحمد لله ووجه تشبيهه صلى الله عليه وسلم بالشمس من وجهين أحدهما ما فى الشمس من قوة النور وهو صلى الله عليه وسلم نور الانوار وسر الاسرار والخليفة الاكبر فى هذه الدار وفى تلك الدار وذو العلم المبثوث منه الى الخلق والاخلاق المبثوثة اليهم كذلك وهو سيد النبيين والمرسلين وامام الخلق أجمعين ورحمة لجميع العالمين وهو صاحب الوسيلة والرحمة الرفيعة والمقام المحمود وعليه أسبغت جميع النعم وخلعت حلل الجود والكرم وهو المختص بمقام المحبة العظمى والرسول المطلق لكافة الخلق فهو الشمس نورا والباهر سطوعا وظهورا والثانى أن الكواكب خلقت للاهتداء وزينة للسماء الدنيا كلها ممتدة منها ومقتبسة من نورها (ففتح) الخازن (لهما) أى النبى صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام (ف) لما خلصا ودخلا (اذا هو) أى النبى صلى الله عليه وسلم يمر (بالنبى) المنفرد قريبا منه (و) يمر (بالنبيين) أى جماعة منهم و (معهم الرهط) بفتح الراء المهملة مع سكون الهاء وفتحها آخره طاء مهملة وأصله مادون العشرة أو منها الى الاربعين وما فيهم امرأة ولا واحد له من لفظه حال مما قبله (و) معهم (القوم) من أتباعهم وكل من الرهط والقوم ينازعه كل من النبى والنبيين كما يأتى (و) يمر على (سواهم) من النبى النبيين (ليس معهم) أحد (من الاشباح) جمع شبح مثل سبب وأسباب أى الاشخاص (الفرشيه) أى المنسوبة الى الفرش وهو البساط والمراد الارض لبسطها فالمراد من الآدميين وتوضيح ما تقدم يمر نبى معه رهط ونبى معه قوم ونبيين معهم رهط ونبيين معهم قوم

قيل مرحبا وأهلا بشمس أفق الكون وضياه * ففتح لهما فاذا هو بالنبى والنبيين معهم الرهط والقوم وسواهم ليس معهم من الاشباح الفرشيه *

ونبي لا رهط معه ولا قوم وكذا نبيين لا رهط معهم ولا قوم ولفظ الرواية ثم صعد بي الى السماء السادسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا وأهلا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة فنعم المجيء جاء ففتح لهما الباب فجعل يمر بالنبي والنبيين ومعهم الرهط والنبي والنبيين ومعهم القوم والنبي وليس معه أحد والنبيين وليس معهم أحد وهذا يقتضي أنه رأى أكثر الانبياء أو جميعهم في السماء السادسة وانما وقعت الاسئلة والاجوبة لجماعة منهم لمناسبات مذكورة في محلها (ف) صادف في مروره أنه (مر) صلى الله عليه وسلم ولفظ الرواية ثم مر (بسواد عظيم) أي جماعة كثيرة وهي ترى من البعد كالسواد فلم يعرفهم (فسأل) عنهم جبريل بقوله (من هذا) الجمع الذي كالسواد لكثرته أو من هذا الذي أرى عنده هذا السواد يا جبريل (قيل) أي قال جبريل هذا (موسى) اسم معرب أصله كلمتان الاولى موو هي بالعبرانية الماء والكلمة الثانية شا وهي الشجرة سمي به لانه وجد في الماء والشجر الذي كان في قصر فرعون لما القته أمه في اليم بأمر الله وهو ابن عمران وكون موسى في هذه السماء السادسة هو احدى الروايتين أن موسى في السادسة وابراهيم في السابعة وفي الرواية الاخرى ان موسى في السابعة وابراهيم في السادسة وسيأتي تحقيق ذلك ان شاء الله تعالى ومن مناقب موسى عليه السلام ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه لما كلم الله موسى كان بعد ذلك يسمع دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصفا مسيرة عشرة فراسخ وفي الحديث ليس أحد يدخل الجنة الا جرد مرد الا موسى بن عمران فان لحيته عند سرته (ومن تبعه من قومه وداناه) بالدال المهملة أي قاربه فاستعظم صلى الله عليه وسلم في نفسه ذلك وظن أنهم أكثر من أمته وحصل في نفسه شيء فكأن جبريل فهم عنه ذلك بقرينة سؤاله عنهم دون غيرهم فغشي عليه من الاسف بقلة أتباعه فاراد جبريل أن يدفع ذلك عنه فقال مستدركا لما فهمه (ولكن ارفع) يا محمد (رأسك) الى جهة العلو وانظر (فرفع) رأسه ونظر (فاذا هو بسواد عظيم) أي جمع كثير (قد سد الجوانب) بالجيم الاطراف (الافقيه) بضمتين الناحية من الارض ومن السماء والجمع آفاق والنسبة اليه أفقي رد الى الواحد وربما قيل أفقي بفتحتين تخفيفا على غير قياس وحكاهما ابن السكيت وغيره ولفظ رجل افقي وافقي منسوب الى الآفاق ولا ينسب الى الآفاق على لفظها فلا يقال آفاقي لان النسبة ان كانت الى جمع ينظر فان كان مسمى به نسب اليه على لفظ نحو كلابي وضبابي وانماري وانصاري لانه نازل منزلة المفرد فلم يغير وان لم يكن مسمى به فان كان له واحد من لفظه نسبت الى ذلك الواحد فرقا بين الجمع المسمى به وغير المسمى به وقلت مسجدي في النسبة الى المساجد وفرضي في النسبة الى الفرائض وصحفي في النسبة الى الصحف لانك ترده الى واحده وهو فريضة وصحيفة وقيل انما رد الى الواحد لان الغرض الدلالة على الجنس وفي الواحد دلالة عليه فاغنى عن الجمع وان لم يكن له واحد من لفظه نسبت الى الجمع لانه ليس له واحد يرد اليه فيقال نفري وأناسي في النسبة الى نفر وأناس كما هو مقرر في محله والمراد نواحي السماء ولفظ الرواية من ذا الجانب ومن ذا الجانب (قيل) أي قال جبريل قبل سؤاله (هؤلاء) اللذين تراهم (أمتك) اللذين يتبعونك (وسواهم) أي وغير هؤلاء زيادة عليهم من الذين يتبعونك (سبعون ألفا يدخلون الجنة) دار النعيم (بغير حساب) وفي رواية وهم الذين

فرب سواد عظيم فسأل من هذا قيل موسى ومن تبعه من قومه وداناه * ولكن ارفع رأسك فرفع فاذا هو بسواد عظيم قد سد الجوانب الافقيه * قيل هؤلاء أمتك وسواهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب

لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقال عكاشة ابن محصن رضي الله عنه أنا منهم قال نعم ثم قام رجل آخر فقال أنا منهم فقال صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة لان هذا الرجل كان منافقا فلم يقل له لست منهم لانك منافق بل أجابه بما فيه ستر عليه قال في انسان العيون والقول بان ذلك الرجل هو سعد بن عبادة مردودا وهذا تمثيل أي مثل له صلى الله عليه وسلم أمته أي وأمة موسى عليه السلام أيضا الذي يعد وجودها حقيقة في السماء السادسة وفي رواية أنه استزاد ربه فاعطاه مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا فاطمأن خاطره حينئذ وازداد سرورا ولا يخفى أن الامة تشمل الذكور والاناث والقوم والرهط مع موسى وغيره خاص بالذكور فاعل فيه تغليبا (وجوههم كالبدر) وهو القمر (ليلة وفاه) بالفاء من وفى الشئ بنفسه يفي اذا تم أي ليلة تمامه وكمال نوره وهي الليلة الرابعة عشر وهو أعلى ما يكون فيها وسمي بدرا لمبادرته الشمس بالطلوع ليلته كأنه يعجلها المغيب وقيل سمي به لتمامه وفي رواية فلما خلصت فاذا موسى بن عمران رجل طوال كأنه من رجال شنوءة أي وفي رواية كثير الشعر لو كان عليه قميصان لنفذ شعره دونها وفي كلام بعضهم كان اذا غضب خرج شعره من بدنه قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح وفي رواية فرحب بي ودعا لي بخير فلما جاوزته بكى فقيل له ما يبكيك قال أبكي لان غلاما بعث من بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي وليس بكاؤه حسدا معاذ الله فانه منزوع من آحاد المؤمنين في ذلك العالم فكيف بمن اصطفاه الله لاوجه ذكرها العلماء منها أن بكاءه كان أسفا على مافات أمته من بني اسرائيل من حظهم من الله عز وجل حيث قل الايمان فيهم وندر القبول وفشى الطغيان والنكول وأيضا أسفا على مافات موسى مما فاز به محمد صلى الله عليه وسلم من كثرة الاجر الذي يترتب عليه رفع الدرجات بسبب ما وقع من أمته مع كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص أجورهم المستلزمة لتنقيص أجره لان لكل نبي مثل أجر من تبعه وكان من اتبعه دون من اتبع نبينا صلى الله عليه وسلم مع طول مدتهم بالنسبة الى مدة هذه الامة والبكاء على فوات الحظوظ الاخروية سنة متبعة وفي الخصائص الصغرى للجلال السيوطي رحمه الله تعالى أن مما اختص به النبي صلى الله عليه وسلم في أمته في الآخرة ان أهل الجنة أي من الامم مائة وعشرون صفا هذه الامة منها ثمانون صفا وسائر الامم أربعون وجاء في المرفوع كل أمة بعضها في الجنة وبعضها في النار الا هذه الامة فانها كلها في الجنة والظاهر أن القائل لموسى ما يبكيك هو الله سبحانه وتعالى بدليل قوله في بعض الروايات يا رب هذا غلام قاله ابن أبي جمرة وليس في قوله غلام تنقيص بل تنويه بقدرة الله تعالى وعظيم كرمه حيث أعطى لمن كان في ذلك السن ما لم يعطه قبله ممن هو أسن منه والعرب تسمي الرجل المستجمع السن غلاما مادامت فيه بقية القوة وفي عدم امساك موسى عن البكاء وعن ما وقع منه من الكلام حتى فارقه النبي صلى الله عليه وسلم مراعاة لجانب نبينا صلى الله عليه وسلم وبشارة له وادخال السرور عليه بقوله يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخل الجنة من أمتي ولو كان البكاء مختصا به لما بكى حتى يبعد عنه بحيث لا يسمعه ولكن بكى والنبي قريب منه ومثله يقال فيما تقدم من قوله فضلته وأكرمته ويؤيد ذلك ترحيبه به وثناؤه عليه بقوله فيما تقدم مرحبا بالنبي الامي العربي الذي بلغ رسالة ربه ونصح

وجوههم كالبدر ليلة وفاه *

لامته ودعا له بالبركة وما وقع منه من العناية بهذه الامة فى أمر الصلاة مالم يقع لغيره عند رجوع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من الحضرة العلية ووقعت الاشارة الى ذلك فى حديث أبى هريرة عند الطبرانى والبزار كان موسى أشدهم على حين مررت به وخيرهم حين رجعت اليه وفى حديث أبى سعيد فاقبلت راجعا فررت بموسى ونعم الصاحب كان لكم الحديث أى كان أشدهم حبا لى حيث رفع صوته يسمعنى أن الله قد فضلنى وأكرمنى ادخالا للسرور فى قلبى بتلك البشارة العظيمة وخيرهم لكم حيث أمرنى ان أراجع ربى فى أمر الصلاة وتخفيفها عليكم بدليل قوله فى الحديث ونعم الصاحب كان لكم

﴿ضوع اللهم معهده الشميم * بنشر غوال من صلاة وتسليم﴾

(ثم) بعد الفراغ مما تقدم (رقى) هو ومعه جبريل على المرقاة السابعة (الى) السماء (السابعة) عربيا واسم الارض السابعة جريبا وتقدم أنها من ياقوتة حمراء (فرأى) بعينه لان السماء شفافة كما مر (فوقه رعد) بفتح الراء وسكون العين المهملتين صوت السحاب ويقال أيضا رعدت السماء برقت وبابه نصر (وصواعق) جمع صاعقة نار تسقط من السماء فى رعد شديد ولا تصيب شيأ الا دكته وأحرقته (ولوامع برقه) منسوبة الى البرق بفتح الموحدة واحد بروق السحاب أو ضرب ملك السحاب وتحريكه اياه لينساق فترى النيران وبرقت السماء برقا وبرقانا لمعت أو جاء ببرق ذكره فى القاموس والاضافة بيانية ولفظ الرواية فلما انتهى صلى الله عليه وسلم الى السماء السابعة رأى فوقه رعدا وبرقا وصواعق فهذه الرواية ظاهرة فى أنه صلى الله عليه وسلم رأى ذلك فى السماء السابعة محتملة لايكون رآه قبل دخوله فيها وهو مقتضى ترتيب المصنف (فاستفتح جبريل قيل من معك قال الحبيب) فعيل بمعنى مفعول أى المحبوب لله سبحانه وتعالى على وجه لا يشاركه فيه أحد ومحبة الله لعبده تمكنه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئة أسباب القرب اليه واضافة رحمته اليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر اليه ببصره وبصيرته فبصر عينه التى يبصر بها وسمعه الذى يسمع به ولسانه الذى ينطق به وفى التنزيل أن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الصابرين فهى أعم من الخلة اذ الخلة هى تخلل العبد فى الصفات الالهية بحيث لا يشذ منها عنه فالخلة وهى توحيد المحب خاصة بالخليلين والمحبة عامة لكثرين واختلفوا فى تفضيلهما فقال جماعة ان المحبة أفضل وقال آخرون أن الخلة أفضل وعلى تسليم أن مقام الخلة أرقى من مقام المحبة فمقام المحبة فى حقه صلى الله عليه وسلم بمقام الخلة فى حق غيره بل أرقى بدليل الايثار الوارد فى الحديث لاوثرن حبيبى على خليلى وأما خلة الله فى حقه كما فى حديث المعراج عند أبى يعلى أنه قال له ربه اتخذتك خليلا وحبيبا فلا يساويها خلته ولا محبته فى حق غيره من الانبياء وغيرهم كما حررناه فى الكوكب الانور (الذى خصه الله) أى أفرده (بالشفاعة) العظمى يوم القيامة (وارتضاه) لذلك وأل فى بالشفاعة للعهد والمراد الشفاعة العظمى كما قيدناها بها وهى الشفاعة فى كافة الخلق لارتاحهم من الموقف وهى مختصة به بالاجماع لانه أعظم الشفعاء وأوسعهم جاها وخصها بالذكر لفخامة أمرها ولاختصاصه صلى الله عليه وسلم بها والا فله صلى الله عليه وسلم شفاعات عديدة وتقدم الكلام فى كيفية هذه الشفاعة عند قوله

﴿ضوع اللهم معهده الشميم * بنشر غوال من صلاة وتسليم﴾

ثم رقى الى السابعة فرأى فوقه رعد وصواعق ولوامع برقه * فاستفتح جبريل قيل من معك قال الحبيب الذى خصه الله بالشفاعة وارتضاه *

وفرحتى ركبه خطيب المشاهد الحشرية ولفظ الرواية ثم صعد الى السماء السابعة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا وأهلا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجيئ جاء (ففتح) أى الخازن الباب (للسماء) لما خلصا من الباب ودخلا (سمع) النبى صلى الله عليه وسلم (تسبيح) بفتح المثناة الفوقية وسكون السين المهملة فموحدة مكسورة فمثناة تحتية ساكنة آخره حاء مهملة مصدر سبح يسبح تسبيحا وهو التقديس والتنزيه يقال سبحت الله أى نزهته عما يقول الجاحدون ويكون بمعنى الذكر والصلاة يقال فلان يسبح الله أى يذكره باسمائه نحو سبحان الله وهو يسبح أى يصلى السبحة فريضة كانت أو نفلا ومنه فلولا انه كان من المسبحين أى من المصلين وسميت الصلاة ذكرا لاشتمالها عليه ويكون بمعنى التحميد نحو سبحان الذى سخر لنا هذا وسبحان ربى العظيم أى الحمد لله ويكون بمعنى التعجب والتعظيم لما اشتمل الكلام عليه نحو سبحان الذى أسرى بعبده ليلا اذ فيه معنى التعجب من الفعل الذى خص عبده به ومعنى التعظيم بكمال قدرته انتهى من المصباح ببعض حذف (الملائكة) واحدها ملك محركة مشتق من لفظ الالوك وقيل من المألك بوزن مفعل وأصله ملأك بوزن مفعل نقلت حركة الهمزة الى اللام وسقطت فوزنه مفل فان العين هى الهمزة وقد سقطت وقيل مأخوذ من لاك اذا أرسل فملأك مفعل فنقلت الحركة وسقطت الهمزة وهى عين فوزنه مفل وقيل فيه غير ذلك انتهى من المصباح ببعض تغيير وفى القاموس والالوكة والمألكة وتفتح اللام والألوك والمألك بضم اللام ولا مفعل غيره الرسالة قبل الملك مشتق منه أصله مألك والالوك الرسول وذكر فى مادة ملأك الملأك والملأكة الرسالة والملأك الملك لانه يبلغ عن الله تعالى وزنه مفعل والعين محذوفة ألزمت التخفيف الا شاذا انتهى وفى المختار والملك من الملائكة واحد وجمع ويقال ملائكة وملائك أيضا انتهى وهم أجسام نورانية قادرة على التشكل باشكال مختلفة فى اشكال حسنة شأنها الطاعة ومسكنها السموات غالبا ومنهم من يسكن الارض يسجدون الله تعالى الليل والنهار لا يفترون ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة فمن وصفهم بذكورة فسق ومن وصفهم بأنوثة كفر لما رضته لقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن أناثا وأولى بالكفر من قال خنثى لمزيد التنقيص قيل هم أرواح مجردة غير متحيزة وهم أكثر المخلوقات قال صلى الله عليه وسلم ليس شئ من خلق الله أكثر من الملائكة وما من شئ ينبت الا وملك موكل به وقال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وقد بنا ذلك فى مصابيح الغرر (الروحانيه) نسبته الى الروح بضم الراء والالف والنون للمبالغة ونظائره كثيرة والجمع روحانيون سموا بذلك اما لكونهم فيهم الروح أو لكونهم يعيشون بلا أكل وشرب (تسبيح الله تعالى) بضم المثناة الفوقية وفتح السين وبكسر الموحدة مشددة (وتقدسه) بكسر الدال المشددة أى تنزهه عما لا يليق به (بألسنة) بفتح الهمزة وسكون اللام وكسر السين المهملة وفتح النون آخره تاء تأنيث جمع لسان العضو المعروف يذكر ويؤنث فمن ذكر جمعه على ألسنة ومن أنث جمعه على ألسن قال أبو حاتم والتذكير أكثر وهو فى القرآن كله مذكر واللسان اللغة مؤنث وقد يذكر باعتبار انه لفظ فيقال لسانه فصيحة وفصيح أى لغته فصيحة أو نطقه فصيح وجمعه على التذكير والتأنيث كما تقدم كما فى المصباح

ففتح لهما فسمع تسبيح الملائكة الروحانيه وتسبيح الله تعالى وتقدسه بألسنة

(مختلفة اللغات) بضم اللام جمع لغة مشتق من لغا يلغي من باب تعب لهج به حذفت اللام وعوض عنها الهاء وأصلها اللغوة مثل غرفة يقال سمعت لغاتهم أي اختلاف كلامهم كما في المصباح أي تسبحه وتقدسه بألسنة لغاتها المختلفة فهو من اضافة الصفة للموصوف أو تسبحه كل ملك بلغة غير التي تسبحه بها الآخر (ترجو عفوه) بفتح العين المهملة وسكون الفاء هو عدم المؤاخذة بالذنوب اما بستره عن أعين الملائكة مع بقائها في الصحيفة أو بمحوها من صحف الملائكة وهو بمعنى الغفران لان الغفر هو العفو عن الذنب أي عدم المؤاخذة به وقال بعضهم العفو هو ترك المؤاخذة بالذنب والضرب عنه صفحا وكرما والغفر ستر الذنوب عن الناس يوم القيامة حتى لا يفتضح صاحبها ولكن تحصل المعاتبة بين العبد وربه كما ورد أن الله سبحانه وتعالى يقول للعبد تذكر كذا وكذا فاذا اعترف قال سترتها عليك في الدنيا وأنا أسترها عليك اليوم بخلاف العفو لا عتاب فيه وعليه فالعفو أفضل من الغفران انتهى كلامه والمراد يطلبون من الله العفو عن الامة المحمدية أو الامم المرحومة فهو بمعنى استغفارهم لهم (ورضاه) بكسر الراء ضد السخط بضم فسكون وهما مصدران سماعيان لرضي وسخط كفرح ورضاه تعالى هو قبول الشيء والاثابة عليه (فاذا هو) صلى الله عليه وسلم (بابراهيم) الخليل على الاصح وقيل بموسى وهو ابن تارو ح أو تارح كآدم أو تيرح كما أخرجه ابن منذر وغيره بسند صحيح عن مجاهد وغيره لا آزر لانه عمه كما أجمع على ذلك أهل الكتابين وحملوا قوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه آذر على الجاز والعرب تسمي العم أبا واسم أمه نونا أو أينونا وكان ابراهيم تاجرا بيتا جر في البز وهو لفظ سرياني معناه بالعربية أب رحيم وهو أفضل الخلق بعد نبينا عليهما الصلاة والسلام ونقل بعضهم الاجماع على ذلك ويليه موسى وعيسى ونوح قال السيوطي لم أقف على نقل أيهم أفضل وهم أولوا العزم كما تقدم ثم سائر الانبياء على تفاوت درجاتهم وهو أبو جمهور العرب واليهم من أهل الكتابين وغيرهم وأبو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقومه المبعوث اذ هو من ذرية اسماعيل بن ابراهيم وليس من ذرية اسماعيل نبي غيره وجميع الانبياء من ذرية اسحاق أخيه وذلك كما قال بعضهم ليتم له صلى الله عليه وسلم الانفراد في جميع أموره وكان لابراهيم عليه السلام من الاولاد ثلاثة عشر كلهم ذكور كما في تاريخ ابن كثير أو خمس منهم أناث على ما في الروض ذكره الزرقاني وهاجر ابراهيم من العراق الى الشام وهو أول الناس ضيف الضيف وأول الناس اختتن وقص شاربه ورأى الشيب فلما رآه قال يارب ما هذا قال تعالى وقار قال رب زدني وقارا قيل بلغ من العمر مائة وسبعين سنة وقيل مائتي سنة ودفن في الارض المقدسة وقبره معروف في البلدة المعروفة بالخليل بينها وبين القدس دون مرحلة وقوله وقبره معروف أي على وجه الاحتمال لا على وجه التعيين لتصريحهم بانه لا يعرف قبر نبي على وجه التحقيق غير قبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (عند باب الجنة) أي جالس في جهتها والا فالجنة فوق السماء السابعة وقيل في الارض وقيل بالوقف على كرسي أي من عقيق كما في رواية مسند اظهره الى البيت المعمور كما في رواية (فسلم) النبي صلى الله عليه وسلم (عليه) اي على ابراهيم (فرد) ابراهيم عليه الصلاة والسلام السلام (وقابل) أي واجه ابراهيم (بالترحيب لقيه) بضم اللام وكسر القاف وشد المثناة التحتية مفتوحة والوقف على الضمير العائد الى النبي صلى الله عليه وسلم أي استقبله بالترحيب بقوله مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح (وقال) له يابني

مختلفة اللغات ترجو عفوه ورضاه فاذا هو بابراهيم عند باب الجنة فسلم عليه فرد وقابل بالترحيب لقيه وقال

انك ملاق ربك فى هذه الليلة وان أمتك آخر الامم وأضعفها فان استطعت أن تكون حاجتك فى أمتك فافعل قال بعضهم وفى السيرة الشامية أنه قال له ذلك فى الارض قبل وصوله بيت المقدس وقال له هنا (مر أمتك فليكثروا من غراس الجنة) غراس بكسر الغين المعجمة فراء مهملة فالف فسين مهملة فعال بمعنى مفعول يقال غرست الشجرة غرسا من باب ضرب والشجر مغروس فالمراد مغروس الجنة (و) قال بعد أن سأله النبى صلى الله عليه وسلم وما غراس الجنة قال (غراسها) أى مغروسها (لاحول) أى لاتحول وانتقال عن معصية الله الا بعصمته ومشيئته (ولا قوة) لاثبات ولا صبر على طاعة الله (الا بالله) بعونه أى يغرس لقائلها بكل مرة شجرة فيها وفى رواية أن ابراهيم قال له يا محمد اقرأ أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وان غراسها بخمس كلمات يغرس بكل كلمة منها شجرة فى الجنة وفى رواية ان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر قال فى اتسان العيون ولا مخالفة بين الروايات لانه يجوز أن يكون غراس الجنة مجموع ما ذكر وأن بعض الرواة اقتصر انتهى ولا مانع من أن يكون بكل من ذلك غراس فى الجنة والغراس يختلف فيكون نخلا وسدرا وغيرهما وقد وردت الاحاديث الكثيرة بالامر بالاكثار منها ألحض عليها وانها كنز من كنوز الجنة ومن كنز العرش ومن تحت العرش وانها باب من ابواب الجنة وأنها دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم وأنها من الباقيات الصالحات يحططن الخطايا كما تحط الشجرة ورقها (ووجد) النبى صلى الله عليه وسلم (عنده) اى عند ابراهيم عليه السلام (قوما جلوسا بيض الوجوه) كامثال القراطيس كما فى رواية قال بعضهم والمراد بالوجوه الذوات وعبر عنها بالوجوه لكونها المرئية (و) وجد (قوما فى ألوانهم كدرة) مغيرة لبياضهم كسواد مثلا فقام هؤلاء الذين فى ألوانهم كدرة (فدخلوا أنهارا) بالجمع لما يأتى (فاغتسلوا فيها) أى دخلوا نهرا فاغتسلوا فيه ثم خرجوا منه وقد خرج أى زال من ألوانهم شئ من المغير لها وبقى شئ ثم دخلوا نهرا آخر غير الاول فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من تغيير ألوانهم شئ أيضا وبقى منه شئ دون الاول ثم دخلوا نهرا ثالثا فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلصت ألوانهم من جميع ذلك التغير ولم يبق منه شئ (فصارت) ألوانهم (مثل ألوان أصحابهم) فى بياض القراطيس (النقاء) بفتح النون مصدر بمعنى النقاوة كما فى القاموس وفى المصباح نقى الشئ نقاء بالفتح والمد ونقاوة بالفتح نظف ثم قال والنقاوة بالفتح والضم الافضل قال وهو الذى انتقيته واخترته انتهى فنقاة الشئ خياره ونظيفه وعلى كل يصح ان يكون نعتا للالوان أو للاصحاب والمراد المستخلصة من الكدورات أى الذنوب والآثام فجاؤا فجلسوا عند أصحابهم قريبا من ابراهيم (ف) لما لم يعرف النبى صلى الله عليه وسلم هؤلاء القوم ولا تلك الانهار (سأل جبريل) عنهم بقوله (من هم) أى من هؤلاء القوم البيض الوجوه ومن هؤلاء القوم الذين فى ألوانهم كدرة (وما هذه الانهار) التى دخلوها واغتسلوا فيها (المخصوصة بهذه المزيه) كغنية فعيلة وهى التمام والفضيلة يقال لفلان مزية أى فضيلة يمتاز بها عن غيره قالوا ولا يبنى منه فعل وهو ذو مزية فى الحسب والشرف أى ذو فضيلة والجمع مزايا مثل عطية وعطايا ذكره فى المصباح ومزية تلك الانهار فى كونها مخلصة للكدورات لمن دخلها واغتسل فيها (قال) جبريل أما هؤلاء البيض الوجوه فهم (قوم أخلصوا) فى الايمان لم يلبسوه بظلم أى لم يفعلوا معصية (و) أما هؤلاء الذين فى ألوانهم كدرة فهم (قوم خلطوا) بفتح الخاء المعجمة واللام وضم الطاء المهملة آخر واو

مر أمتك فليكثروا من غراس الجنة وغراسها لاحول ولا قوة الا بالله * ووجد عنده قوما جلوسا بيض الوجوه وقوما فى ألوانهم كدرة جزئيه * فدخلوا أنهارا فاغتسلوا فيها فصارت مثل ألوان أصحابهم النقاه * فسأل جبريل من هم وما هذه الانهار المخصوصة بهذه المزيه * قال قوم خلطوا وقوم أخلصوا

الجمع عملا صالحا وآخر سيأ ثم وفقهم الله للتوبة فتابوا من ذلك العمل السيئ فتاب الله عليهم بقبول توبتهم (و) أما هذه (الانهار) فأحدها (نعمة الله) على خلقه (و) ثانيها (رحماه) بضم الراء وسكون الحاء المهملة قال في القاموس في مادة الرحمة والاسم الرحمى فهو بمعنى الرحمة أي رحمة الله تعالى وفي لفظ عفو الله أي والثالث منها وسقاهم ربهم شرابا طهورا لم يذكر المؤلف الثالث ولو ذكره لكان أولى موافقة للرواية وقد يجاب بانه انما لم يذكره اكتفاء بقوله نعمة الله فانها شاملة لهذا وغيره وجميع ما تقدم تصوير وتمثيل عام في أمته وغيرهم وقوله في الرواية والثالث وسقاهم ربهم شرابا طهورا ظاهره أن الجملة اسم للنهر وليس مرادا وانما المراد أن الثالث هو النهر الذي يقال للذين يشربون منه سقاهم الخ وعليه فاسم النهر الشراب الطهور انتهى زرقاني (و) بعد ذلك صورت له أرواح أمته في مكان (قيل له) من جهة الله أو من جهة جبريل أو غيرهما (هذا) المكان الذي فيه الانهار مكانك و (مكان من قضى) بفتح القاف والضاد المعجمة أي تم (نحبه) بفتح النون وسكون الحاء المهملة فوحدة من نحب ينحب نحبا من باب قتل أصله الوفاء بالنذر ثم استعمل في قضاء الاجل فيقال قضى نحبه مات أو قتل في سبيل الله وفي التنزيل فمنهم من قضى نحبه قال في الاساس ومن المجاز وقضى نحبه اذا مات كأن الموت نذر في عنقه أي مات (على ملتك) بكسر الميم وفتح اللام مشددة آخره كاف الخطاب تقدم الكلام عليه (الحنيفية) بفتح الحاء المهملة وكسر النون وسكون التحتية ففاء مكسورة فياء نسبة آخره هاء تأنيث تقدم الكلام عليه (فتهال) أي تلألأ (عند سماع هذا الخطاب باهر محياه) بضم الميم وفتح الحاء المهملة بعدها مثناة تحتية فالف الوجه والباهر بمعنى الغالب فهو من اضافة الصفة للموصوف والمراد وجهه الغالب بالضوء ضوء القمر وقد يطلق الباهر على القمر لظهور ضوءه على ضوئه الكواكب وعليه ففيه تشبيه وجهه الكريم بالقمر اي محياه الذي كالقمر في الاضاءة والاهتداء بنوره ونظر (واذا هو بامته شطران) بالرفع خبر أمته أي قسمان والظاهر أنه ليس المراد بالشطر النصف حتى تكون العصاة من امته بقدر الطائعين منهم اذ الشطر يستعمل في البعض قل أو كثر كما تقدم وهو المراد هنا فلا يلزم استواء القسمين عددا أحدهما (شطر عليهم ثياب بيض) بكسر الموحدة وسكون التحتية كالقراطيس (نقيه) بفتح النون أي نظيفة (و) ثانيهما (شطر عليهم ثياب رمد) بضم الراء المهملة وسكون الميم جمع أرمد كخضر جمع أخضر وبابه تعب كما في المصباح قال في القاموس والرمد ككتف الآجن من المياه وفي الاساس وماء رمد آجن وثوب رمد وأرمد وسخ انتهى وفي النهاية غبر فيها كدرة كلون الرماد واحدها أرمد انتهى أي ثيابهم وسخة مغبرة كلون الرماد (وهم الذين يخلطون العمل الصالح بارداه) بافساد العمل أي ثم يتوبون فيتوب الله عليهم فيؤلون الى هذا المكان أو بعد حساب وعقاب (و) بعد رؤيته لهم مشى حتى (دخل البيت المعمور) بكثرة الملائكة وهو من عقيق ويقال له الضراح بالضاد المعجمة وغلط من أهملها وبتخفيف الراء آخره حاء مهملة ويسمى الضريح كما قاله الحافظ ابن حجر ومعناهما البعيد أي عن الارض قال القليوبي وما قيل انه الكعبة ورفعت عند غرق الارض من الطوفان الى ذلك المحل غير مستقيم بل خيال باطل لما ثبت بالنص الصريح والاجماع على أن الطوفان لم يعل على البيت بل صار في هواء السماء والماء حوله ولان البيت بناه الملائكة بامر الله تعالى كما في الخبر أنهم لما قالوا لربهم

* والانهار نعمة الله ورحماه * وقيل له هذا مكان من قضى نحبه على ملتك الحنيفيه * فتهال عند سماع هذا الخطاب باهر محياه * واذا هو بامته شطران شطر عليهم ثياب بيض نقيه * وشطر عليهم ثياب رمد وهم الذين يخلطون العمل الصالح بارداه * فدخل البيت المعمور

أتجعل فيها من يفسد فيها الآية خافوا من عتاب ربهم عليهم فصاروا يطوفون حول العرش يسترضونه فأمرهم ببنائه وأن يطوفوا به وجاء أنه في حذاء الكعبة لو خر لخر عليها أي فهو في تلك السماء في محل محاذاة الكعبة وقيل في السماء الرابعة وبه جزم المجد في القاموس وقيل في السادسة وقيل في الاولى وجمع بأن في كل سماء بيتا معمورا وأن كل بيت منها بحيال الكعبة وقيل ان البيت المعمور خمسة عشر بيتا سبعة في السموات السبع وهي أعلاها وسبعة منها في الارضين السبع والكعبة في وسطها الوسقط الاعلى منها السقط على جميعها ولوسقط واحد منها السقط على ما تحته منها وان كل بيت له مصلون وطائفون ومتعبدون كالكعبة الشريفة انتهى (و) دخل (معه الذين عليهم الثياب البيض القرطاسيه) بتثليث القاف والكسر أشهر من الضم مايكتب فيه وفي القاموس القرطاس مثلثة وكجعفر ودرهم الكاغد وبالكسر الصحيفة من أي شئ كانت ودابة قرطاسية لايخالط بياضها شئ ويصح أن يكون كل من البياض والقرطاس صفة للثياب وأن يكون القرطاس بيانا أو بدلا من البيض ونسبت للقرطاس اشارة الى شدة بياضها وخلوصها من الكدورات وفيه اشارة الى استحباب لبس الثياب البيض عند دخول المساجد بل والاماكن المقدسة والبياض من ألوان ثياب أهل الجنة وفيه اشارة الى سهولة دخولهم الجنة لطهارتهم عن الادناس الوزرية (وحجب) بالبناء للمجهول (الآخرون) أي منعوا عن الدخول معه لا لكفرهم بدليل قوله (و) الحال (كلا) من الذين دخلوا والذين منعوا (وعد الله حسناه) أي جنته فمنهم من سبق في الدخول ومنهم من تاخر ولفظ الرواية وهم على خير أي على الاسلام والاعمال الصالحة فحجبهم ليس لكونهم على كفر أو شر بل لان أعمالهم لم تبلغ بهم الوصول الى دخول البيت مع الرسول فيه اشارة الى تاخرهم في دخول الجنة لحساب وعقاب أو عتاب (فصلى هو) صلى الله عليه وسلم (والمؤمنون) الذين بلغت بهم الاعمال الصالحة للوصول الى الدخول والصلاة (و) بعد فراغه من الصلاة (اذا هو) أي البيت المذكور (يدخله كل يوم سبعون ألفا من الهياكل) بفتح الهاء والمثناة التحتية جمع هيكل قال في شفاء الغليل الهيكل في لغة العرب الفرس الطويل والبناء المشرف وبيت الاصنام ومعبد النصارى وأما التعاويذ التي يسمونها الهيكل والهياكل فليست في كلام العرب قاله الصاغاني في العباب انتهى قال الزمخشري في الاساس ثم نقلوا منها الى غيرها يريدون الصور والاشخاص ولفلان طال وهيكل ولبعضهم

تقول اذا بدا املك كريم * كساه الله هيكل آدمي

انتهى والمراد هنا الاشخاص (الملكيه) أي المنسوبة الى الملك يسجون ويقدسون ويصلون كما في رواية وفي رواية يطوفون به وعلى كل يفارقونه بالخروج منه (ولا يعودون اليه الى يوم الحساب والمجازاه) أي الى يوم القيامة كما في الرواية أي وهذه حالتهم في جميع الدهر ورؤيته لهم كذلك اما تمثيلية أو حقيقية اذا القدرة صالحة لذلك فاخبر بان ذلك دأبهم الى يوم القيامة وجاء انه بعد خروجه من البيت ومن معه عرضت عليه الآنية الثلاثة أو الاربعة المتقدمة لعطشه أو تعظيما له ولبيان أصابته في اختياره كما مر ولذلك اختار منها اللبن دون غيره فصوب جبريل فعله أيضا وعلله بما تقدم وقال له أكبر فائدة مما مر وهو هذه الفطرة التي عليها أنت وأمتك

ومعه الذين عليهم الثياب البيض القرطاسيه * وحجب الآخرون وكلا وعد الله حسنا * فصلى هو والمؤمنون واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفا من الهياكل الملكيه * ولا يعودون اليه الى يوم الحساب والمجازاه *

﴿ضوع اللهم معهده الشميم * بنشر غوال من صلاة وتسليم﴾

(ومر) النبي (عليه) الصلاة و (السلام) في تلك السماء (بالملأ) بوزن جبل (الاعلى) أي الملائكة المقربين وجاء هل تدري فيم يختصم الملأ الاعلى قالوا يريد الملائكة المقربين أو نوعا أعظمهم واختصامهم اما عبارة عن تبادرهم الى ثبت تلك الاعمال والصعود بها واما عن تفاوتهم في فضلها وشرفها واما عن اغتباطهم الناس بتلك الفضائل لاختصاصهم بها وتفضلهم على الملائكة بسببها مع تهافتهم في الشهوات (فاذا جبريل كالحلس) بكسر الحاء المهملة وسكون اللام آخره سين مهملة كساء يجعل على ظهر البعير تحت القتب جمعه أحلاس (البالي) الخلق أي كالثوب الخلق المنقطع (من هيبة) أي خشية (الربوبيه) صيغة مصدر من الرب والياء للمصدرية فلا بد معها من تاء التأنيث (ثم) بعد ما تقدم (رفع) أي عرج به عروجا ثامنا على المرقاة الثامنة على ما تقدم أو في سحابة كما جاء في رواية (الى) أن وصل الى (سدرة) بكسر السين وسكون الدال المهملتين واحدة السدر شجر النبق وهي شجرة طاساق هو أصلها وطافروع فاصلها في السماء السادسة أو السابعة وفروعها فوق السماء السابعة في جوف السماء الثامنة المسماة بالكرسي التي جميع أجرام النجوم مثبتة فيها ما عدا السبعة السيارة ورؤية أهل الارض لها لكون السماء شفافة ولذلك نسب زينتها الى السماء الدنيا مجازا قال كعب هي شجرة على رؤس حملة العرش اليها ينتهي علم الخلائق ويجمع بين هذا وما قبله بان أصلها في السماء السادسة وأعلاها في السماء السابعة ثم علت فوق ذلك حتى جاوزت رؤس حملة العرش كما يؤخذ من حاشية الجمل وغيرها فيكون انتهاؤها في محاذاة منتهى العرش من أعلاه ثم ان قلنا أنه جاوز السدرة ولم يرق العرش وهو الصحيح فيكون ارتفاعه اليها من السماء السابعة الى محل أرقى من محله الذي كان فيه. وفي رواية ثم ذهب بي جبريل الى سدرة المنتهى قال في انسان العيون وهذا السياق يدل على أن سدرة المنتهى فوق السماء السابعة وهو قول الاكثر وفي رواية أنها تحت الكرسي وعن وهب أن العرش والكرسي فوق السماء السابعة فيكون رقي من محله الى السدرة أو الى مرتقاه من السدرة على أنه صعد السدرة ومن السدرة الى المستوى ومنه الى مقام المكالمة فيكون جميع ذلك مقامات بعضها فوق بعض كلها فروع السدرة فقد قال القزويني انه لم يثبت مجاوزته الى ما وراء السدرة فيكون المستوى والمقام اللذان رفع اليهما دون العرش في محاذاة السدرة من جانبها سواء قلنا انه فارق السدرة أم قلنا انهما من فروع السدرة ويكون منتهى السدرة في محاذاة العرش من أعلاه على ما مر وأصلها في السماء السادسة مغروسة في تراب أو جرم السماء أو معلق في الهواء أو نازل الى الارض أقوال ولما ذكرناه غاير المصنف بين العبارة بقوله ثم رفع الى سدرة (المنتهى) ولم يقل ثم رقي كسابقه وان كان بمعناه لان مجرد المغايرة في اللفظ يقتضي المغايرة في المعنى في بعض الاحوال وقال الزرقاني أي رفع اليها أي ارتقى به وظهرت له والرفع الى الشيء يطلق على التقريب منه وقد قيل في قوله تعالى وفرش مرفوعة أي تضرب لهم انتهى وفي اضافته الى المنتهى أقوال منها ما أشار اليه بقوله (التي تأوي اليها أرواح من اتبع دينه ووالاه) أي اتبعه فيما جاء به واتخذه وليا وآمن به نقل بشر ابن سلام عن بعض السلف قال انما سميت سدرة المنتهى لان روح المؤمن ينتهي بها اليها فيصلي

﴿ضوع اللهم معهده الشميم * بنشر غوال من صلاة وتسليم﴾

ومر عليه السلام بالملأ الاعلى فاذا جبريل كالحلس البالي من هيبة الربوبيه * ثم رفع الى سدرة المنتهى التي تأوي اليها أرواح من اتبع دينه ووالاه *

عليه هناك الملائكة المقربون وقيل التي ينتهي اليها ما يهبط من فوقها فيقبض منها واليها ينتهي ما يعرج من الارض فيقبض منها رواه مسلم عن ابن مسعود قال النووي لان علم الملائكة ينتهي اليها قال الزرقاني قال الرازي واضافتها الى المنتهى من اضافة الشيء الى مكانه كقولك أشجار بلدة كذا فالمنتهى حينئذ موضع لا يتعداه ملك أو روح من الارواح أو من اضافة المحل الى الحال فيه كـ كتاب الفقه فالتقدير سدرة عندها منتهى العلوم أو من اضافة الملك الى مالكه كشجرة زيد فالمنتهى اليه محذوف تقديره سدرة المنتهى اليه قال تعالى وان الى ربك المنتهى فالمنتهى اليه هو الله تعالى كاضافة البيت اليه للتشريف والتعظيم انتهى وقيل غير ذلك وقد أطنب القرطبي فعد تسعة أقوال لم سميت بذلك قال وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله أو من علمه وفي المواهب ولم يجاوزها أحد الا رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى أي فجاوزها بما لا يعلمه الا الله ولعل هذا مبني على أن السدرة دون العرش وقول القزويني فيما تقدم مبني على أن منتهاها في محاذاة منتهى العرش من أعلاه كما مر وقد ثبت أنه لم يجاوز العرش (واذا هي شجرة) كما عند الطبراني (تخرج منها) أي من أصلها (أنهار) لفظ الرواية تخرج من أصلها أربعة أنهار نهر من ماء الخ وجمعها هنا وفيما بعده باعتبار أن كل نهر من الانهار الاربعة تنشأ وتتفجر منها أنهار فلا ينافي رواية أنه يخرج من أصلها أربعة أنهار لان ذلك باعتبار أوائلها أي فاصل تلك الانهار نهر واحد (من ماء) وهو أول الانهار الاربعة التي هي الاصول (غير آسن) بالمد والقصر كضارب وحذر صفة سلبية للماء أي غير متغير طعما ولا ريحا ولا لونا من قوله تأسن الماء اذا تغير بحسب المجرى والمقر وفيه اطلاق النهر على الماء والمعنى يجري من أصلها ماء أنهار منها ما صفته كذا وقدم الماء لانه حياة النفوس كما قال تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي واذا شرب منه أهلها خرج على أجسادهم عرق كالمسك الاذفر بالذال المعجمة أي القوي الرائحة الطيبة واما بالمهملة فهو الرائحة الخبيثة ومثله جميع مشروبهم ومأكولهم وهذا النهر نهر سيحان في الارض (وأنهار) كذلك (من لبن لم يتغير طعمه) ولا لونه ولا ريحه ما دام في الجنة بخلاف لبن الدنيا لخروجه من الضروع وصفه بعدم التغير في الطعم دون اللون والريح مثلا لانه المقصود بالذات منه ولان تغير الطعم من تغير الاوصاف فيلزم من عدم تغير الطعم عدم تغير بقية الاوصاف الموجبة عادة لتغير الفم وهذا نهر جيحان في الارض على الراجح فيه وفيما قبله والاول بارض المصيصة والثاني بارض أذنه وفي المراصد أن سيحان نهر كبير بالثغر من نواحي المصيصة ثم ينفصل عنها نحو ستة أميال فيصب في بحر الروم وجيحان أيضا بالمصيصة وأنه يمد أربعة أميال من مصيصة فيصب في بحر الشام وهما غير سيحون وجيحون فان سيحون نهر مشهور وراء النهر قرب خجند بعد سمرقند ويدخل حدود الترك وجيحون بخراسان يتصل بناحية السند والهند وكابل ويمد الى خوارزم بينها وبين خوارزم ستة أيام (وأنهار) كذلك (من خمر لذة) أي لذيذة غير كريهة وقرئت بالرفع على صفة الانهار وبالنصب على العلة (للشاربين) ما دام في الجنة بخلاف خمر الدنيا فانها كريهة عند الشرب وهذا نهر الفرات في الارض بالكوفة (وأنهار) كذلك (من عسل) كعسل النحل لانه المراد عند الاطلاق (طاب ورده) أي مورده (وصفاه) أي لصفوه من شمعه وغيره ما دام في الجنة بخلاف عسل الدنيا لخروجه من بطون النحل يخالطه الشمع وغيره وهذا نهر النيل في الارض بمصر وله

واذا هي شجرة تخرج منها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل طاب ورده وصفاه *

فضائل ولطائف أفردها بالتأليف غير واحد من العلماء قال البيضاوى وفى ذلك تمثيل لما يقوم مقام الاشربة فى الجنة بانواع ما يستلذ منها فى الدنيا بالتجريد عما ينغصها ويقصها والتوصيف بما يوجب عزارتها واستمرارها انتهى وأصل ذلك ما أخرجه الطبرانى سدرة المنتهى يخرج من أصلها أربعة أنهار من ماء غير آسن ومن لبن لم يتغير طعمه ومن خمر لذة للشاربين ومن عسل مصفى وجاء أن أصل هذه الانهار الاربعة من الجنة ثم تخرج من قبة خضراء من الزبرجد وتمر على أرض من ذهب فى الجنة ثم تخرج من أصل السدرة الملاصق للجنة بمعنى مرورها من جوانبه أو من تحته أو من داخله فهو كالكوة لها وبنزولها الى الارض تزول خصوصياتها التى وردت فى ماء الجنة بان من شرب منها لا يموت ولا يفنى وأنه لا فضلة له فيخرج على ما يعهد فى الدنيا ويبقى جوهره بحاله وكل الخواص مثله فى هذا المعنى ان شاء الله تعالى أبقى له الخاصية وان شاء سلبها مع بقاء جوهره ليس لذوات الخواص تاثير بل الخاصة خلقة والجوهر خلقه انما القدرة هى المؤثرة فى كلها وقوله فى الرواية ثم تخرج من أصل السدرة الملاصق للجنة يدل على أن السدرة خارج الجنة وهو الذى يقتضيه سياق كلام المؤلف فيما يأتى وقيل انها فى الجنة فكما أن بعض أغصانها داخلة فى الجنة كذلك بعض أغصانها خارجة الى ماوراء الجنة قلت ويدل لكونها خارج الجنة ما فى الحديث ويخرج من أصل تلك الشجرة أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقال صلى الله عليه وسلم لجبريل ما هذه الانهار يا جبريل قال أما الباطنان ففى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات أى أما الباطنان فيذهبان الى الجنة ويبطنان فيها بمعنى يدخلانها وأما الظاهران فيخرجان كذلك من أصل السدرة فينزلان الى الارض وهما النيل والفرات ولا يخالف ذلك كون النيل والفرات من الجنة لما علمت من أن السدرة معدودة من الجنة وما يخرج من تحتها كذلك وبهذا يجمع بين قول من قال ان السدرة فى الجنة وقول من قال انها خارج الجنة ولا يخالف كون الباطنان يدخلان الجنة ويغيبان فيها لانهما يخرجان بعد دخولها وينزلان الى الارض وكذلك يقال فى الظاهران بانهما يدخلان الجنة ويستمران ظاهرين الى أن يخرجا منها الى الارض هذا اذا قلنا انها تخرج من أصل السدرة وأن السدرة من الجنة وان قلنا ان السدرة ليست من الجنة وان الانهار من الجنة فيقال حينئذ انها تخرج من الجنة من قبة خضراء كما تقدم وتذهب الى أصل السدرة ثم الى ما شاء الله فيكون معنى باطنان انهما يبطنان عند القبة المذكورة ولا يظهران الا خارج الجنة ومعنى ظاهران أنهما لا يبطنان بل يستمران ظاهرين الى خارج الجنة وهكذا الى الارض ولهم فى هذا المقام احتمالات غير ما ذكر وكلها غير خال عن الاشكال والله أعلم بحقيقة الحال ثم الظاهران فقد بينهما جبريل بانهما الفرات والنيل كما تقدم وما الباطنان فسكت عنهما فاختلف فيهما فقيل هما سيحان وجيحان وقيل سيحون وجيحون وفى مسلم بيانهما فلفظه ويخرج من أصلها يعنى سدرة المنتهى أربعة أنهار من الجنة أى خارجة من الجنة الى أصل السدرة وهى النيل والفرات وسيحان وجيحان وعن مقاتل الباطنان السلسبيل والكوثر أى ومعنى كونهما باطنين أنهما لم يخرجا من الجنة أصلا ومعنى كون النيل والفرات ظاهرين أنهما يخرجان منها قال بعضهم لم يثبت فى سيحان وجيحان انهما ينبعان من أصل شجرة المنتهى فيمتاز النيل والفرات عليهما بذلك وأما الباطنا المذكوران

أى فى الحديث فهما غير سيحان وجيحان ولعل ترك ذكرهما فى حديث الاسراء لكونهما ليسا أصلا برأسهما وانما يحتمل أن يتفرعا من النيل والفرات هذا كلامه ولعل المراد أنهما يتفرعان عنهما بعد خروجهما من الجنة فهما لم يخرجا من أصل السدرة ولا يبطنان فى الجنة أصلا وفيه ان الاعتبار بالاصل وياتى أنه صلى الله عليه وسلم رأى فى أصل تلك الشجرة عينا يقال لها السلسبيل يتشقق منها عينان وهما الكوثر والرحمة أى فهما يخرجان من أصل الشجرة لكن لا من المحل الذى يخرج منه النيل والفرات والباطنان فيكون الانهار على هذا ستة النيل والفرات وسيحان وجيحان والكوثر والرحمة أربعة منها يخرجان الى الارض واثنان وهما الكوثر والرحمة لا يخرجان أصلا أو أربعة ان قلنا ان سيحان وجيحان يتفرعان من النيل والفرات خارج الجنة وفى بعض الروايات ما يدل على أن سيحان وجيحان لا ينبعان من أصل السدرة فليسا هما المراد بالباطنين ولا ينافى قول القرطبى ما فى الجنة نهر الا ويخرج من أصل سدرة المنتهى لان المراد اما خروجه بنفسه أو أصله الذى يتفرع منه بناء على ما مر أن سيحان وجيحان يتفرعان من النيل والفرات ولا ما تقدم عن مسلم من أنهما يخرجان من أصلها ولا ما تقدم عن الطبرانى تخرج من أصلها أربعة أنهار الخ وفى جعل الكوثر قسيما من السلسبيل مخالفة لما مر عن مقاتل وعن كعب الاحبار أن نهر العسل نهر النيل ونهر اللبن نهر جيحان ونهر الخمر نهر الفرات ونهر الماء نهر سيحان أى والنهران الآخران هما نهر الكوثر ونهر الرحمة وقد تقدم أنهما لا يخرجان من الجنة بخلاف الانهار الاربعة وتقدم أيضا أن كلا من هذه الانهار الاربعة لا يتغير ما دام فى الجنة فاذا خرجت منها زالت عنها الخصوصية ﴿تنبيه﴾ وقع للقاضى عياض رحمه الله أن سيحان وجيحان هما سيحون وجيحون وانكر الامام النووى عليه ذلك وقال وقد جعل الاسماء مترادفة وليس كذلك وحكى الاتفاق على أن جيحون غير جيحان وسيحون غير سيحان لكن نازعه السيوطى فى دعوى الاتفاق وتقدم ما يؤيد كلام النووى وعلى كل فلم يرد أن سيحون وجيحون من الجنة الا فى خبر ضعيف قال ابن المنير صورة انصباب هذه الانهار الى الارض كانصباب المطر متفرقا ثم يجتمع فى مواقعها فى الارض الى أن يتساقى كل منها الى مستقره ومجراه ويحتمل أن يكون انصبابها فى نواحى الارض النائية المتصلة بمبادى هذه الانهار فانه لم يقف أحد على مباديها الى الآن وبهذا يندفع قول من قال وليس فى الدنيا نهر اطول من نيل مصر اذ مسيرته شهران فى الاسلام وشهران فى النوبة وأربعة أشهر فى الخراب (يسير الراكب) لو فرض (فى ظلها سبعين عاما لا يقطع) الراكب المسرع فى السير (ظلالها) بكسر الظاء المشالة جمع ظل (الوريقيه) بفتح الواو وكسر الراء وسكون التحتية ففاف فياء نسبة آخره تاء تأنيث نسبة الى الوريقة وهى الشجرة الكثيرة الورق أى ظلها المنسوب الى ورقها الكثير كثرة لا يعلمه الا الله تعالى وهذا لا يعارض شجرة طوبى ان كانت غيرها كما هو ظاهر وفى نسخة الوريف بالفاء منسوبة الى الوريف فعيل بمعنى فاعل أى الوارف اسم فاعل ورف يرف ورفا وريقا وورفا أى الواسع الطويل الممتد (الورقة) الواحدة (منها تظل الخلق) أى المخلوقات (رواه) الامام (الطبرانى وحكاه) زاد فى هذه الرواية على كل ورق من أوراقها ملك يسبح الله تعالى وفى رواية واذا نبقها مثل قلال هجر وورقها كآذان الفيلة تكاد الورقة تغطى هذه الامة

يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما لا يقطع ظلالها الوريقيه * الورقة منها تظل الخلق رواه الطبرانى وحكاه *

ولا منافاة لاحتمال أن المراد بقوله كآذان الفيلة التشبيه فى الشكل خاصة لا فى الكبر والحسن مع رعاية كونها بالغة ذلك المبلغ فى الكبر قال بعضهم المراد بهذه الامة الامة المحمدية أى لو انضمت أماكن أمة الدعوة أو مطلقا بمعنى انها لو نشرت فوقها كالخيمة لسترتهم قال فهو مساو لما فى الرواية الاخرى انتهى وكأنه أخذ هذا المعنى من رواية لو أن الورقة الواحدة ظهرت لغطت هذه الدنيا وعلى كل فالمراد بكونها كآذان الفيلة فى الشكل وهو الاستدارة لا فى السعة كما علمت (فغشيها) أى علا السدرة ولابسها (من أمر الله) النازل بها (ماغشيها) بفتح الغين وكسر الشين المعجمتين فيهما فيه ارادة الابهام للتضخيم أو التهويل أى أمر عظيم غشاها وقال بعضهم غشيها من تلك الالوان أو الاعم بدليل تكراره زاد فى هذه الرواية وتغيرت أى جميعها أو اغصانها وورقها وثمرها عن هيئة الاشجار وذواتها وهو بمعنى ما فى الرواية الاخرى تحولت أى انتقلت من حالة الى أخرى بمعنى صارت ياقوتا وزبرجدا وفى رواية بدل زبرجد زمردا ولا منافاة لما لا يخفى لانه يقال تحولت الى الثلاث والى غيرها مما لا يعلمه الا الله واقتصار احدى الروايتين على بعض ما تحولت اليه لا يضر والمعنى تحولت فصارت بعضها ياقوتا وبعضها زمردا وبعضها زبرجدا والظاهر ان المراد بأمر الله وحيه أو تجليه لرسوله عند وصوله اليها فأشرق لها نور الهى زهت به وحسنت حسنا لا يمكن أن يقابل بالابصار كما قال (فلا يستطيع أحد) من خلق الله (أن يصف محاسنها الذاتيه) أى لا يقدر أحد أن يستقصى وصف المحاسن التى طرأت على ذاتها من حسنها الفائق البالغ النهاية فتقصر العبارة عن بيان ماهيتها وانما ثبتت لكونها من أشجار الجنة المعتادة لاشراق تلك الانوار عليها ولو كانت من أشجار الارض لاحترقت كما صار الجبل دكا وهو صلى الله عليه وسلم من شدة الخشية لم يقدم على النظر الى جميع ألوانها وتعداد محاسنها زاد فى الرواية على أغصانها وأوراقها فراش بفتح الفاء من ذهب (فقيل له الى هنا ينتهى) أرواح (كل أحد من أمتك خلا) أى مضى قال تعالى وان من أمة الا خلا فيها نذير أى مضى وأرسل انتهى (على سبيلك واقتفاه) وهذا أحد الاسباب فى تسميتها بسدرة المنتهى كما تقدم (فاذا فيها) أى فى السدرة (عين ينشق منها نهران) لكن لا من المحل الذى يخرج منه النيل والفرات كما مر وحينئذ يحسن القول بانه يخرج عن أصل تلك الشجرة أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران أما الظاهران فهما النيل والفرات وأما الباطنان فـ(أحدهما الكوثر) وهو من خصائصه صلى الله عليه وسلم وفيه أقوال تزيد على عشرة كما سيأتى عند قوله والحياض الكوثرية وقد ثبت تخصيصه بالنهر من لفظه صلى الله عليه وسلم فلا معدل عنه الى تفسيره بانه الخير الكثير روى مسلم وغيره أنه صلى الله عليه وسلم قرأ انا أعطيناك الكوثر ثم قال أتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم قال أنه نهر وعدنيه ربى عليه خير كثير وهو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فأقول رب أنه من أمتى فيقول ما تدرى ما أحدث بعدك ولاحمد أن رجلا قال يا رسول الله ما الكوثر قال نهر فى الجنة أعطانيه ربى فاذا هو أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وفى البخارى نهر فى الجنة يسيل فى حوضه ولاحمد يفتح نهر الكوثر الى الحوض فهو نهر فى الجنة يسيل فى حوضه فالمختص به صلى الله عليه وسلم الكوثر الذى يصب من مائه فى حوضه فانه لم ينقل نظيره لغيره وان حوضه أكبر الحياض وأكثر واردا كما قال

فغشيها من أمر الله ماغشيها فلا يستطيع أحد أن يصف محاسنها الذاتيه * نقيل له الى هنا ينتهى كل أحد من أمتك خلا على سبيلك واقتفاه * فاذا فيها عين ينشق منها نهران أحدهما الكوثر

ان لكل نبي حوضا وأنهم يتباهون أيهم أكثر واردة وانى أرجو أن أكون أكثرهم واردة رواه الترمذى وفى أثر ان حوضه أعرض الحياض وأكثرها واردا (عليه خيام) بكسر الخاء المعجمة جمع خيم كسهم وسهام (جوهريه) من نحو ياقوت ولؤلؤ وزبرجد روى ابن أبى حاتم عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم بعد أن رأى ابراهيم عليه السلام قال ثم انطلق أى جبريل بى على ظهر السماء السابعة حتى انتهى الى نهر عليه خيام الياقوت واللؤلؤ والزبرجد (وعليه) أى الكوثر (طير خضر) بضم الخاء المعجمة (أنعم) أى هو أنعم فهو خبر لمبتدأ محذوف اسم تفضيل من نعم بالضم نعومة لان ملمسه يعنى ملمس هذه الطيور ألين من ملمس سائر الطيور (طير) بالجر على اضافة أنعم اليه (أنت راء) وفى رواية أنعم طير رأيت (حين تراه يجرى) أى الكوثر (على رضراض) براءين مهملتين وضادين معجمتين قال فى القاموس الرضراض الحصى أو صغارها كالرضرض والارض المرضوضة بالحجارة وفى الاساس والماء يجرى على الرضراض وهو الحصى الصغار انتهى (من اللآلئ) أو من الياقوت والزمرد كما فى الرواية ولاحمد مجراه على الدر والياقوت (كؤوسه) أوآنيته (عدد الانجم السماويه) وعند النسائى ترابه المسك وحصباه اللؤلؤ والياقوت وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج وعند الحكم أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد وآنيته من فضة ولابن مردويه حافتاه الزبرجد وفى حديث ثوبان لا يظمأ من شرب منه (فأخذ منها) من الكؤس (فشرب) من الكوثر فاذا هو أحلى من العسل وأشد رائحة من المسك (فقال) له (جبريل) عليه السلام (هذا النهر الذى خبأ) بالخاء المعجمة والباء الموحدة وبالهمزة وتركها تخفيفا أى حفظه وستره وأعطاه (لك) اللام للاختصاص أى فهو خاص به صلى الله عليه وسلم (ربك فى خباياه) بفتح الخاء المعجمة جمع خبيئة كخطيئة وخطايا والمراد خزائن ملكه فان ما أودعه فيه فقد خبأه (والثانى نهر الرحمة فاغتسل فيه فغفر له ما تقدم وما تأخر من الخطيه) وفسر معنى قوله فغفر له بقوله (أى سترها) الله (عنه) صلى الله عليه وسلم (وعن ملابستها) فهو بمعنى (عصمه وحماه) والمعنى أحال الله بينه وبين الذنوب فلا يصدر منه ذنب لان الغفر هو الستر اما بين العبد والذنب أو بين الذنب والعقوبة وبهذا أول قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فالائق به صلى الله عليه وسلم وبسائر الانبياء الاول واللائق بالامم الثانى لعصمة الانبياء بالدليل القطعى القاطع من الذنب صغيرها وكبيرها عمدها وسهوها قبل النبوة وبعدها قال شيخ الاسلام زكريا الانصارى هو مؤول بانه من باب حسنات الابرار سيآت المقربين انتهى وقال بعض المحققين المغفرة هنا كناية عن العصمة أى فعصم فيما تقدم من عمره وفيما تأخر منه عن الذنب قال الزرقانى هذا قول فى غاية الحسن انتهى ثم الذى صح لنا من حاصل كلامهم فى الانهار المرئية له صلى الله عليه وسلم أنها أربعة وهى اما نابعة من الجنة وتذهب الى أصل السدرة أو نابعة من أصل السدرة فتذهب الى الجنة ان قلنا أن السدرة ليست من الجنة أو قلنا أنها من الجنة أيضا وكذا اذا قلنا نبع من قبة خضراء أو من أصل السدرة فلا مخالفة لان القبة الخضراء عند السدرة وعلى كل فهذه الانهار كلها تذهب الى حوض الكوثر ثم يتفرع منها أنهار أخرى كالسلسبيل والزنجبيل والرحمة والتسنيم والريان والمبيدخ بموحدة ودال مهملة مفتوحتين بينهما تحتية ساكنة وآخره خاء معجمة وهو الذى ينبت منه الجوارى الحسان فمنها

عليه خيام جوهريه * وعليه طير خضر أنعم طير أنت راء حين تراه * يجرى على رضراض من اللآلئ كؤوسه عدد الانجم السماوية * فأخذ منها فشرب فقال جبريل هذا النهر الذى خبأ لك ربك فى خباياه * والثانى نهر الرحمة فاغتسل فيه فغفر له ما تقدم وما تأخر من الخطيه * أى سترها عنه وعن ملابستها عصمه وحماه *

مايبطن فى الجنة ولا يخرج منها ومنها مايخرج ويذهب الى حيث شاء الله فى السماء والارض ولا يخالف ماجاء فى رواية شريك كما عند البخارى فى كتاب التوحيد من صحيحه أنه رأى فى السماء الدنيا نهرين يطردان فقال له جبريل هما النيل والفرات عنصرهما لانه يقال رآهما عند سدرة المنتهى مع نهرى الجنة الباطنين ورآهما فى السماء الدنيا دون نهرى الجنة وأراد بالعنصر عنصر انتشارهما بسماء الدنيا نقله فى المواهب عن ابن دحية قال ويجمع بان أصل نبعهما من تحت سدرة المنتهى ومقرهما فى السماء الدنيا ومنها ينزلان الى الارض انتهى وفى كلام ابن دحية نظر لانه يقتضى انه رآهما فى السماء الدنيا عند رؤيته لهما عند السدرة والرواية قاضية برؤيته قبل رقيه للسدرة ومن ثم تبرأ عنه فى المواهب وقال كذا قال ابن دحية فالاحسن فى الجمع أن يقال ان رؤيته لهما فى السماء الدنيا لا ينافى رؤيته لهما عند السدرة لان أصل نبعهما الحقيقى وان كان من تحت السدرة لكنهما ينزلان الى السماء الدنيا ومنها ينزلان الى الارض كما جاء فى بعض الروايات والمراد بالعنصر فى قول جبريل أصل انتشارهما بالسماء الدنيا لا أصلهما الحقيقى وما جاء فى بعض الاخبار عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ليلة أسرى بى الى السماء عرض على جميع الجنان فرأيت فيها أربعة أنهار فذكرها وأنه سأل جبريل من أين تجيئ والى أين تذهب قال تذهب الى حوض الكوثر ولا أدرى من أين تجيئ قال فاذا أنا عند شجرة ورأيت قبة من زمردة بيضاء ولها باب من ذهب وفى رواية زمرد أخضر قال فرأيت هذه الانهار الاربعة تجرى من تحت القبة قال فلما دنوت من قفل الباب قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانفتح القفل ودخلت فنظرت فرأيت مكتوبا على أربعة أركان القبة بسم الله الرحمن الرحيم ورأيت نهر الماء يخرج من ميم بسم الله ونهر اللبن يخرج من هاء الله ونهر الخمر يخرج من ميم الرحمن ونهر العسل يخرج من ميم الرحيم قال فقلت ان أصل هذه الانهار من التسمية فقال الله يا محمد من ذكرنى بهذه الاسماء من أمتك وقال بقلب خالص بسم الله الرحمن الرحيم سقيته من هذه الانهار الاربعة وتقدم عن القاضى البيضاوى ان ذلك تمثيل لما يقوم مقام الاشربة فى الجنة بانواع ما يستلذ منها فى الدنيا الخ ومنه ما قيل ان نهر الرحمة هو نهر التوبة فمن اغتسل فيه بان تاب توبة نصوحة خرج من ذنوبه كما يخرج من الاوساخ من يغتسل فى النهر ويكون اخباره بغسله فيه مع أنه ليس عليه ذنوب تعليما وارشادا لامته بأن يغسلوا أنفسهم فى نهر الرحمة بالتوبة النصوحة أو أن هذا النهر يكون مخصوصا فى الجنة بالتوابين أو غير ذلك

﴿ضوع اللهم معهده الشميم * ينشر غوال من صلاة وتسليم﴾

(ثم دخل الجنة) وهى فوق السماء السابعة على ما عليه الاكثرون ودخوله لها خصوصية له بدخوله فيها مع دورانه فيها ورؤيته جميع ما فيها أو غالبه ليكون أخباره بما فيها لامته عن مشاهدة وليسهل عليه تحمل المشاق التى تحصل له لعلمه بما هذا مآله وعاقبته ودار فى أنواعها الثمانية لان الجنة اسم عام وانما تتعدد باعتبار أوصافها فاعلاها وأفضلها جنة عدن ثم الفردوس ثم جنة الخلد ثم جنة النعيم ثم جنة السلام ثم جنة المأوى ثم جنة الجلال ثم جنة المقام والقرار والراجح أن جنة الفردوس أفضلها وأوسطها وهى أعلاها والمجاورة لا تنافى العلو وفوقها

عرش الرحمن ومنها تتفجر أنهار الجنة والجنات كلها متصلة بمقام الوسيلة ليتنعم أهل الجنة بمشاهدته صلى الله عليه وسلم منها لانها تشرف على أهل الجنة كما أن الشمس تشرف على الدنيا وقيل الجنان أربعة وذهب اليه الجمهور وقيل واحدة وهذه الاسماء كلها جارية عليها لتحقق معانيها فيها كما أوضحناه فى كتابنا شواهد الغفران شرح حالى الاحزان فى فضائل رمضان وعبارته تقتضى أن السدرة ليست فى الجنة ويؤيد حديث القصة ثم أخذ على الكوثر حتى دخل الجنة قال الامام عز بن عبد السلام فى هذا الحديث دليل على أن السدرة ليست من الجنة وجزم به بن أبى جمرة وقال ابن دحية ثم هنا ليست للترتيب وانما هى هنا مثل الواو للجمع والاشتراك فهى بذلك خارجة من أصلها قال ابن أفيرس فى شرح الشفا وهو خلاف الظاهر انتهى ولما نظر (فاذا فيها) أى فى الجنة (مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على القلوب البشر به مما أعده الله فيها من النعيم المقيم) الدائم (لمن اتقاه) وفى الخبر الحسن ان فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات والشرف مالا عين رأت الخ فقلنا لمن هذه الغرف يارسول الله فقال لمن أفشى السلام واطعم الطعام وأطاب الكلام وداوم على الصيام وصلى بالليل والناس نيام فقلنا من يطيق ذلك يارسول الله قال أمتى تطيق ذلك وسأحدثكم عنه فمن لقى أخاه فسلم عليه أو رد عليه فقد أفشى السلام ومن أطعم أهله وعياله حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام ومن قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر فقد أطاب الكلام ومن صام رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام ومن صلى العشاء والفجر فى جماعة فقد صلى والناس نيام ويعنى بالناس اليهود والنصارى (ورأى) صلى الله عليه وسلم مكتوبا على باب الجنة (الحسنة بعشر أمثالها والقرض) بفتح القاف وسكون الراء والمراد هنا ما تعطيه لغيرك من مالك لتقضاه وأصل القرض فى اللغة القطع سمى به لان القارض يقطع من ماله شيأ فيعطيه ليرجع اليه مثله (بثمانية عشر) أمثاله (فسأل) صلى الله عليه وسلم من جبريل عليه السلام (عن هذه الافضلية) أى عن سبب أفضلية القرض على الحسنة بقوله ياجبريل مابال القرض أفضل من الصدقة (فقال جبريل) بعلم سابق أو وحى معللا لفضله (لان) السائل يسأل وعنده أى ليس محتاجا بل عنده مايكفيه لازما أوغالبا وان (المستقرض) طالب القرض من الناس (لا يستقرض) منهم دائما أوفى الاكثر (الا من) أجل (عسر) بضم العين (أو حوجه) للاستقراض من الناس (وألجاه) قال بعضهم وحكمة كون درهم القرض بثمانية عشر أن درهم القرض بدرهمين من دراهم الصدقة كما ورد ودرهم الصدقة بعشرة ودرهم القرض يرجع للمقرض بدله وهو بدرهمين من جملة مبلغ أصله وهو عشرون يتأخر للقرض ثمانية عشر وفى هذا مع قول جبريل السابق دليل على أفضلية القرض على الصدقة ورجح كثيرون الصدقة عليه وعللوه بان أحاديث الصدقة كثيرة وفيه نظر لدخول القرض فى أحاديث الصدقة لانه من نوعها ويزيد عليها بسد الحاجة وتفريج الكربة المنصوص على الحث عليه والتأكيد فيه والوعد الجزيل عليه قال بعضهم يمكن حمل أحاديث القرض على الابتداء لما فيه من صون وجه من لا يعتاد السؤال عنه أفضل وحمل أحاديث الصدقة على أنها من حيث الانتهاء لما فيه من عدم رد المقابل أفضل لكن مع ذلك الراجح عندنا أيضا ان درهم الصدقة أفضل من درهم القرض وهو المعتمد

فاذا فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على القلوب البشريه * مما أعده الله فيها من النعيم المقيم لمن اتقاه * و رأى الحسنة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر فسأل عن هذه الافضليه * فقال جبريل لان المستقرض لا يستقرض الا من عسر أحوجه والجاه *

(واستقبلته لزيد) بفتح الزاى أوله (ابن حارثة) بفتح الحاء فألف فراء مهملة فثلثة آخره هاء الكلبى مولى المصطفى صلى الله عليه وسلم وحبه أبى اسامة البدرى المختص بان الله لم يصرح فى كتابه باسم أحد سواه من الصحابة (جارية حوريه) كما فى حديث أبى سعيد وفى رواية أخرى تقتضى رؤيته لها قبل دخوله الجنة وفيها واستقبلتنى جارية لعساء وقد أعجبتنى فقلت لها ياجارية أنت لمن قالت لزيد بن حارثة وجمع بانه رآها النبى صلى الله عليه وسلم مرتين مرة خارج الجنة ومرة داخلها ويكون سؤالها فى المرة الاولى واللعس لون الشفة اذا كانت تضرب الى السواد قليلا وذلك مستملح قاله فى الصحاح قال فى المختار وبابه طرب يقال شفة لعساء وفتية ونسوة لعس انتهى وفى القاموس وبالتحريك سواد مستحسن فى الشفة وجارية لعساء فى لونها أدنى سواد مشربة بحمرة انتهى ولعل هذا هو المراد هنا (ورأى الجنة من درة بيضاء) وتقدم أن الجنة عام تتعدد باعتبار أوصافها وتقدم أسماؤها وقد جاء فى رواية أن جنة عدن من قصب الجنة مشرفة على جميع الجنان وجنة الفردوس من الذهب وجنة الخلد من المرجان وجنة النعيم من الفضة وجنة المأوى من الزبرجد الاخضر وجنة السلام من الياقوت الاحمر وجنة الجلال من اللؤلؤ الابيض وجنة المقام والقرار من المسك الاذفر وذلك يخالف ما هنا اذا حملناه على الجنة الشاملة لجميع الجنان ويحتمل انه لم يطلع ليلة المعراج من الجنان الا على الجنة التى هى من درة بيضاء المسمى بجنة الجلال لمناسبة المقام الذى هو مقام الجلال لان القصد من العروج به المشول والتشرف بمقام المكالمة والمناجاة ورؤية الله تعالى ومشاهدة جلال الله وعظمته وهذه امور طارئة فى طريقه غير مقصودة بالذات فاكتفى فيها برؤية بعض منها ثم أطلعه الله تعالى على ذلك شيأ فشيأ فاخبر به ويؤيده حديث أبى ابن كعب الآتى ياجبريل أنهم يسألونى عن الجنة الحديث اذ لو اطلع على جميع الجنان لما احتاج الى سؤال جبريل وقوله اخبرهم أنها قيعان الخ (واذا ترابها المسك) قال صاحب المواهب ان تراب الجنة كرائحة المسك قال الزرقانى تعقب بانه لا ضرورة الى هذا التأويل وقد تظاهرت الاحاديث على أن ترابها المسك وقد يقال لا منافاة لان حقيقة المسك دم يجتمع فى سرة نوع من الظباء فى وقت معلوم من السنة بمنزلة المواد التى تنصب الى الاعضاء فيتجمد فتحكه حتى تلقيه ولا يحسن ان يكون مرادا بل المراد والله أعلم ان ترابها خلق مسكا فى الرائحة لان الذى يحسن من المسك هو الرائحة فقط فيرجع الى المعنى الاول ولعل بهذا يحصل التوافق بين القولين تأمل وفى حديث أبى بن كعب عند ابن مردويه فقال ياجبريل انهم يسألونى عن الجنة فقال اخبرهم أنها قيعان وأن ترابها المسك وقد يقال لا مخالفة بين هذا وبين ما تقدم من أنها من درة بيضاء لاحتمال أن جميع الجنان ترابها المسك وأنها قيعان وأنها من درة بيضاء بمعنى أن بعضها قيعان وبعضها من درة بيضاء من اطلاق الكل وارادة الجزء ولاشتمال كل جنة من الجنان على قيعان وألوان شتى من الجواهر واليواقيت كما يؤخذ ذلك من الاحاديث أو يكون أرضها مسكا وقصورها وحصباؤها من أنواع اليواقيت والدرر (ضاع) بالضاد المعجمة آخره عين مهملة أى فاح (شذاه) بالشين والذال المعجمتين حدة ذكاء الرائحة (وسمع) النبى صلى الله عليه وسلم (وجسا) بفتح الواو وسكون الجيم فسين مهملة فقد جاء فى الحديث أيضا دخلت الجنة فسمعت فى جانبها وجسا فقيل هذا بلال فالواو الوجس كالوعد هو الصوت الخفى كما فى النهاية

واستقبلته لزيد بن حارثة جارية حوريه * ورأى الجنة من درة بيضاء واذا ترابها المسك ضاع شذاه * وسمع وجسا

والقاموس

والقاموس (فى جوانب قيعان) بكسر القاف وسكون التحتية جمع قاع أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام قال بعضهم القاع مكان مستوى واسع فى وطأة من الارض يعلوه ماء السماء فيمسكه ومستوى نباته وقال غيره وقيل أرض مستوية وقيل التى لا نبات فيها قال بعضهم وهو المراد هنا وفى شرح المشكلات للطيبى ومنه فى صفة الجنة أنها قيعان وأشكل بانه يدل بان أرضها خالية من الاشجار والقصور وهو خلاف مدلول الجنة وأجيب بانها كانت خالية فغرست بالاشجار بحسب الاعمال فكأنها غرست بها مجازا وفيه نظر لاقتضائه أن الغراس فيها بحسب الاعمال انما وقع بعد رؤية النبى صلى الله عليه وسلم لها مع أنه قد تقدمت أمم قبله صلى الله عليه وسلم ورؤيتهم الانبياء والرسل والصالحون من أهل الاعمال الصالحة ويجاب بأن المراد انها قيعان بحسب الاصل أى عند ايجاد الله تعالى لها ثم غرست بالاعمال قال شيخنا السقا قوله قيعان من اضافة المحل للحال أى أراضيها السهلة الخالية فيها الجنابذ (جنابذها) بالجيم المفتوحة ثم نون ثم ألف ثم موحدة ثم ذال معجمة هى القباب وفى الفتح شبه القباب واحدها جنبذة بالضم وهو ما ارتفع من البناء فارسى معرب وأصله بلسانهم كنبذة بوزنه لكن الموحدة مفتوحة والكاف ليست خالصة وفى القاموس الجنبذة وقد تفتح الباء أو هو لحن كالقبة وعبارة الصراح جنبذة بضم الجيم والباء كنبذ والعامة تقول جنبذة بفتح الباء معرب وهو يقتضى أن كنبذ بغيرها فيكون تعريبه بتبديل الكاف الفارسية جيما وزيادتها فى آخره والمشهور فى لسان الفارسية اهمال الدال وفى المواهب وشرحه وأما ما فى كتاب الصلاة من البخارى فاذا فيها حبائل اللؤلؤ بالمهملة والموحدة وآخره لام فقال القاضى عياض وغيره من الائمة هو تصحيف وانما هو حنابذ كما عند البخارى فى أحاديث الانبياء وكذا عند غيره من الائمة وقال صاحب المطالع الحبائل القلادة والعقود أو هى من حبال الرمل أى فيها اللؤلؤ مثل حبال الرمل جمع حبل وهى ما استطال من الرمل وتعقب بان الحبائل لا تكون الا جمع حبالة أو حبيلة بوزن عظيمة وقال بعض من اعتنى بالبخارى الحبائل جمع حبالة وحبالة جمع حبل على غير قياس والمراد فيها عقودا وقلائد من اللؤلؤ انتهى وفى اضافة قيعان الى الجنابذ اشارة الى أن تلك الجنابذ قيعان (اللؤلؤيه) أى المنسوبة الى اللؤلؤ لكونها منه كما جاء فى رواية عند مسلم وغيره فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك (فقال يا جبريل ما هذا) الوجس (قال) جبريل هذا (بلال المؤذن مولى) أبى بكر (الصديق عبد الله) وفى القصة هنا فسار فاذا هو بانهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى واذا رمانها كالدلا بكسر الدال والمد جمع دلو وفى رواية كأنه جلود الابل المقتبة أى التى باقتابها واذا طيرها كأنه البخت نوع من الابل ويجمع على البخاتى فقال أبو بكر للنبى صلى الله عليه وسلم حين أخبره يا رسول الله ان تلك الطير لناعمة قال أكلها أنعم منها وانى لارجو أن تأكل منها ورأى نهر الكوثر على حافتيه الدر المجوف واذا طينه المسك الاذفر ورؤيته للانهار الاربعة فى الجنة لا ينافى ما مر لما مر وكذا رؤيته لنهر الكوثر لا ينافى ما مر من رؤيته له من العين التى تخرج من سدرة المنتهى لما مر أيضا ولجواز تكرار الرؤية سواء قلنا الشجرة من الجنة أو من خارجها كما لا يخفى (ثم عرضت) يقتضى أنه لم يدخلها وهو كذلك (على النار) التى هى دار العذاب التى تحت الارضين السبع على ما عليه

فى جوانب قيعان جنابذها اللؤلؤيه * فقال يا جبريل ما هذا قال بلال المؤذن مولى الصديق عبد الله * ثم عرضت عليه النار

الا كثرون ليكون اخباره صلى الله عليه وسلم لامته عما فيها عن معاينة وليرى ما أعد الله فيها لاعدائه ولا مانع من أن تعرض عليه النار وهو فى السماء السابعة وهى فى الارض السابعة وتكون رؤيته لها على الحقيقة أو التمثيل كما تقدم عند قوله فسار حتى أتى وادى المدينة القدسية فاذا جهنم تنكشف عن مثل الزرابى الخ ومثل هذا يقال فى الجنة على ما قيل أنها فى الارض (فرأى خازنها) واسمه مالك عند بابها أو فيها اذ لا سلاطة للنار عليه أو وجده فى السماء السابعة على ما يأتى (عابسا) أى على صورة رجل لا بشاشة فى وجهه بل فيه صورة الغضب فلذلك قال كما فى الرواية فاذا هو برجل عابس يعرف الغضب فى وجهه (فبدأ النبى) صلى الله عليه وسلم (بالتحية الوفيه) أى بالسلام على مالك كما صرح به فى بعض الروايات وفى بعضها بداه مالك بالسلام على النبى صلى الله عليه وسلم وذلك ليزيل ما عنده صلى الله عليه وسلم من الوحشة الناشئة عن عبوسة وجهه وظهور الغضب عليه ولذلك لو رآه النبى صلى الله عليه وسلم على صورته التى يراه عليها أهل النار لما استطاع النظر اليه وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل مالى لم آت أهل سماء الا رحبوا بى وضحكوا غير واحد سلمت عليه فرد على السلام ورحب بى ودعا لى ولم يضحك الى أن قال ذلك مالك خازن النار لم يضحك منذ خلق ولو ضحك لاحد لضحك اليك قال فى انسان العيون بعد ذكره ما مر أقول وهذا السياق يدل على أن ضحك من لقيه من الانبياء عليهم الصلاة والسلام والملائكة فى السموات سقط من جميع روايات المعراج اذ لم يذكر فى شئ منها على ما علمت ويدل على أنه صلى الله عليه وسلم وجد ما لكا خازن النار فى السماء السابعة وأنه مرة بدأ النبى صلى الله عليه وسلم بالسلام ومرة بدأه النبى صلى الله عليه وسلم وهو عند الباب ثم رأيت الطيبى رحمه الله تعالى صرح بذلك حيث قال انما بدأ خازن النار بالسلام عليه ليزيل ما استشعر من الخوف منه لما ذكر من أنه رأى رجلا عابسا يعرف الغضب فى وجهه فلا ينافى ما ذكره السهيلى رحمه الله من أنه لم يره على الصورة التى يراه عليها المعذبون فى الآخرة ولو رآه عليها لم يستطع أن ينظر اليه وفى رواية ثم عرضت على النار فاذا غضب الله وزجره ونقمته ولو طرحت فيها الحجارة والحديد لأكلتها (وأغلقت) بالبناء للمجهول (دونه) أى حجبت عن رؤيته حتى لا يحصل له صلى الله عليه وسلم نوع ضجر قال ابن دحية انما عرضت عليه النار ليكون آمنا يوم القيامة فيفزع الى الشفاعة ولو لم يؤمن لكان مشغولا بنفسه كغيره من الانبياء لانهم لم يروا قبل يوم القيامة شيأ منها فاذا رأوها جزعوا وكفت ألسنتهم عن الخطبة والشفاعة من هول ما قال كل منهم نفسى نفسى وهو صلى الله عليه وسلم قد رآها قبل فلم يفزع منها مثل ما فزعوا فيقدر على الخطبة وهو المقام المحمود ولان الكفار لما كذبوا واستهزؤا به وآذوه أشد الاذى أراه الله تعالى النار المعدة لهم تطييبا لقلبه وتسكينا لفؤاده وللاشارة الى أن من طيب قلبه باهانة اعدائه والانتقام منهم فاولى أن يطيب فى أوليائه بالشفاعة والاكرام وليعلم منة الله عليه حين أنقذهم منها ببركته وشفاعته انتهى ملخصا زرقانى ﴿تنبيه﴾ يؤخذ من رؤيته صلى الله عليه وسلم للجنة والنار ومما سيأتى من الاحاديث عند قوله ثم انحدر الى سماء الدنيا أنهما موجودان الآن وفيما مضى كما تقدم فى الكلام على جهنم عند قوله فاذا جهنم تنكشف عن مثل الزرابى وهو الذى يجب اعتقاده خلافا للمعتزلة المنكرين وجودهما فيما مضى وأنهما انما يوجدان يوم القيامة وخلافا لمن أنكر وجودهما بالمرة

فرأى خازنها عابسا
فبدأ النبى بالتحية الوفيه*
وأغلقت دونه

كالفلاسفة

كالفلاسفة مستدلين بانه لايحسن من الحكيم أن يخلق الجنة دار النعمة والنار دار النقمة قبل خلق أهلها وأنهما لو كانتا مخلوقتين فى السماء والارض لفنيا بفنائهما وأجيب عن الاول بانه يحسن من الحكيم خلقهما قبل يوم الجزاء لان الانسان اذا علم ثوابا مخلوقا اجتهد فى العبادة لتحصيل ذلك الثواب واذا علم عقابا مخلوقا اجتهد فى اجتناب المعاصى لئلا يصيبه ذلك العقاب فليتأمل وأجيب عن الثانى بان الله تبارك وتعالى استثناه هما من قوله فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله وفيه أن هذه صعقة الموت ولا يتصف بالموت غير ذى الروح ولان الجنة كما قيل ليست فى السماء السابعة بل فوقها والنار ليست فى الارض السابعة بل تحتها وحينئذ يكون القول بان الجنة فى السماء السابعة والنار فى الارض السابعة فيه تجوز والله أعلم انتهى وقوله لايتصف بالموت غير ذى الروح لعل المراد على وجه الحقيقة والا فقد يتصف غير ذى الروح به كقوله صلى الله عليه وسلم من أحيا أرضا ميتة فهى له تأمل (أبوابها) فلم يدخلها كما مر (وصعد) أى ومعه جبريل على المرقاة الثامنة من المعراج وقيل على سحابة أى رقى (السدرة) يعنى سدرة المنتهى (الى) أن وصل (مرتقاه) أى محل رقيه صلى الله عليه وسلم من السدرة فالضمير عائد اليه صلى الله عليه وسلم أو أعلى ما يرتقى اليه منها وأعاد اليها ضمير المذكر باعتبار كونها شجر (فغشيها ماغشيها من الانوار القدسيه) تقدم الكلام على ذلك مبسوطا ولا مانع من تكرار ذلك أو تكون فى هذه المرة زيادة على ما مر وفى لفظ ثم رفع الى سدرة المنتهى فغشيته سحابة فيها من كل لون ولا مخالفة لاحتمال أن يقال أنه رفع الى السدرة ثم منها صعد الى مرتقاه ويكون فى المرة الاولى غشيته تلك السحابة والالوان أنوار الله وفى هذه المرة غشيته تلك الانوار والضمير فى الاولى عائد الى النبى صلى الله عليه وسلم وفى الثانية عائد الى السدرة ولا مخالفة لان ماغشيها غشيه أيضا والاول أخص والثانى أعم وفى هذه الانوار من الالوان التى لايستطاع النظر اليها من شدة نورها (و) غشيها أيضا (من الملائكة أمثال الغربان يقعن على العضاه) بكسر العين المهملة وضاد معجمة نقل فى اللسان عن أبى زيد أنه اسم يقع على شجر من شجر الشوك له أسماء مختلفة يجمعها العضاه واحدتها عضاهة وانما العضاه الخالص منه ماعظم واشتد شوكه وما صغر من شجر الشوك فانه يقال له العض والشرس واذا اجتمعت جموع ذلك قيل له شوك من صغار عض وشرس ولا يدعيان عضاها فمن العضاه السمر والعرفط والسيال والقرظ والقتاد الاعظم والكنهبل والعوسج والسدر والغاف والغرب فهذه عضاه أجمع انتهى أو هو بفتح الغين والضاد المعجمتين اسم شجر معروف كما فى القاموس ونقل فى اللسان عن الازهرى ان الغضا شجر من اجود الوقود عند العرب ونقل أنه من نبات الرمل له هدب كهدب الارطى وأنه يكتب بالالف وان واحدته غضاة وان الغضاة قد تكون جمعا ولفظ الرواية كما عند البزار والبيهقى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه فغشيها أنوار الخلاق وغشيها من الملائكة أمثال الغربان حين يقعن على الشجر وفى حديث أبى سعيد عند البيهقى وابن عساكر فغشيها الملائكة وفى حديث أبى سعيد عند البيهقى على كل ورقة منها ملك قال بعضهم كأنهم طيور يرتقون اليها متشوقين متبركين بها زائرين كما يزور الناس الكعبة (فقيل له ان ربك يقول سبوح قدوس قضيت الرحمة على الغضب بالسبقيه) ذكر فى انسان العيون مانصه وفى حديث رواه ثقاة لما وصلت

أبوابها وصعد السدرة الى مرتقاه * فغشيها ماغشيها من الانوار القدسيه * ومن الملائكة أمثال الغربان يقعن على العضاه * فقيل له ان ربك يقول سبوح قدوس قضيت الرحمة على الغضب بالسبقيه *

الى السماء السابعة قال لى جبريل رويدا قف قليلا فان ربك يصلى قلت أهو يصلى وفى لفظ كيف يصلى وفى آخر قلت ياجبريل أيصلى ربك قال نعم قلت وما يقول قال يقول سبوح قدوس رب الملائكة والروح سبقت رحمتى غضبى وسيأتى نظير هذا ولا مانع من تكرار وقوع ذلك من جبريل ومن غيره فى السماء السابعة وفيما فوقها (وعرج به) عروجا تاسعا على المعراج (حتى ظهر) الى أن ارتفع (لمستوى) باللام قبل الميم وبفتح الواو منونا موضع مشرف يستوى عليه قال بعضهم وفى بعض الاصول بمستوى بالباء الموحدة بدل اللام وهما طرفية فعلى الاول بمعنى الى وعلى الثانى بمعنى فى والمراد هنا وصوله الى موضع (سمع فيه) بأذنه (صريف) بفتح الصاد وكسر الراء المهملتين وسكون التحتية آخره فاء وفى رواية صرير (الاقلام) أى تصويتها حالة الكتابة (بما قدره) الله (العلام وقضاه) وظاهر الاخبار أن اللوح المحفوظ فرغ من كتابته وجف القلم بما فيه قبل خلق السموات والارض وانما هذه الكتابة فى صحف الملائكة كالفروع المنتسخة من الاصل وفيها الاثبات والمحو على ماذكر فى الاثر وأصل اللوح المحفوظ الذى انتسخ منه اللوح هو علم الغيب القديم فى أزل القدم وهو الذى لامحو فيه ولا اثبات حيث لا لوح ولا قلم والحكمة البالغة والله أعلم وفى سماعه لصريف الاقلام حصول الطمأنينة بجفاف القلم بما فى القدر حتى يتمكن التفويض للقدر لا للسبب وحتى يتعاطى السبب تعبدا لا عودا وبذلك يتم التوكل ويسكن الاضطراب عند اختلاف الاسباب قاله ابن دحية وتبعه ابن المنير وقال القاضى عياض والامام النووى رحمهما الله والمراد ما تكتبه الملائكة من أقضية الله تعالى ووحيه وما ينسخون من اللوح المحفوظ أو ماشاء الله من ذلك أن يكتب ويرفع لما أراده من أمره وتدبيره وفيه حجة لاهل السنة فى الايمان بصحة كتابة الوحى والمقادير فى كتاب الله من اللوح المحفوظ بالاقلام التى هو يعلم جنسها وكيفيتها على ماجاءت به الآيات والاحاديث الصحيحة وأن ماجاء من ذلك على ظاهره لكن كيفية ذلك وصورته وجنسه لا يعلمه الا الله ومن أطلعه على شئ منه من الملائكة ورسله وما يتأول هذا ويحيله الاضعيف النظر والايمان اذجاءت به الشريعة ودليل المعقول لا يحيله والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد حكمة من الله واظهارا لما يشاء من الملائكة وسائر خلقه والا فهو غنى عن الكتب والاستذكار انتهى قال فى المواهب والقدر المكتوب قديم وانما الكتابة حادثة قال وذكر ابن القيم أن الاقلام اثنا عشر قلما وأنها متفاوتة فى الرتب فاعلاها وأجلها اقدر قلم القدر السابق الذى كتب الله به مقادير الخلق وهو عبارة عن تعلق علم الله وارادته أزلا بالكائنات قبل وجودها قاله الابى وقال النووى قال العلماء المراد تحديد وقت الكتابة فى اللوح المحفوظ أو غيره لا أصل التقدير لانه أزلى لا أول له انتهى قال ابن القيم وهذا القلم أول الاقلام وأجلها وقد قال غير واحد من أهل التفسير انه القلم الذى أقسم الله به والقلم الثانى قلم اللوح والثالث قلم التوقيع عن الله ورسوله والرابع قلم طب الابدان الذى يحفظ به صحتها والخامس قلم التوقيع عن الملوك ونوابهم وبه تساس الممالك والسادس قلم الحساب وهو الذى تضبط به الاموال مستخرجها ومصرفها ومقاديرها وهو قلم الارزاق وضبط الاموال ومقاديرها بالحساب والسابع قلم الحكم الذى تثبت به الحقوق وتنفذ به القضايا والاحكام والثامن قلم الشهادة الذى تحفظ به الحقوق ونحوها والتاسع قلم التعبير وهو كاتب وحى المنام وتفسيره وتعبيره والعاشر قلم نواسخ العالم ووقائعه

والحادى

وعرج به حتى ظهر لمستوى سمع فيه صريف الاقلام بما قدره العلام وقضاه

والحادى عشر قلم اللغة وتفاصيلها والثانى عشر القلم الجامع وهو قلم الرد على المبطلين ودفع شبه المحرفين فهذه الاقلام بها انتظام مصالح العالم ثم ما تقدم يقتضى أن السدرة دون العرش (و) فى حال دخوله صلى الله عليه وسلم فى الانوار العرشية (رأى رجلا) اما حقيقة وهو مستثنى من لايجاوز المستوى أو صورة رجل وليس حقيقة أو المراد الترغيب فى تلك الخصال ومعنى كون الرجل (مغيبا فى نور العرش) أى مغمورا فيه وهذه مزية فلا تقتضى الافضلية قال شيخنا الباجورى رحمه الله تعالى والعرش جسم عظيم نورانى علوى قيل من نور وقيل من زبرجدة خضراء وقيل من ياقوتة حمراء والاولى الامساك عن القطع بتعيين حقيقة لعدم العلم بها والتحقيق أنه ليس كورو يابل هو قبة فوق العالم العلوى ذات أعمدة أربعة تحمله الملائكة فى الدنيا أربعة وفى الآخرة ثمان لزيادة الجلال والعظمة فى الآخرة رؤسهم عند العرش فى السماء السابعة وأقدامهم فى الارض السفلى وقرونهم كقرون الوعل أى بقر الوحش ما بين أصل قرن أحدهم الى منتهاه خمسمائة عام وقيل أنه كروى محيط بجميع الاجسام وهذا خلاف التحقيق وهو غير الكرسى خلافا للحسن البصرى وهو جسم عظيم نورانى تحت العرش ما نصق به فوق السماء السابعة بينه وبينها مسيرة خمسمائة عام كما نقل عن ابن عباس ونمسك عن الجزم بتعيين حقيقته لعدم العلم بها انتهى ثم لما استغرب صلى الله عليه وسلم وجود ذلك الرجل فى ذلك المحل الذى لم يصل اليه نبى ولا ملك أخذ يسأل عنه من الله أو من جبريل أو ممن شاء الله أن يجيبه (فقال) على سبيل التنزيل (من هذا) الرجل (الممنوح بهذه العطية) من قربه وتدنيه الى محل لم يصل اليه أحد ولو فرض لا يكون الا نبيا أو ملكا ولاجل ذلك قال (أنبى) هو بهمزة استفهام على القاعدة الواجبة بعد من (مرسل) فقيل لا فقال (أم) بفتح الهمزة وسكون الميم حرف استفهام (ملك قربه الله تعالى وأدناه) فقيل لا ولم يزد على هذين لانه يفرض الوصول لا يصل اليه غيرهما فرجع الى الاستفهام العام فقال من هذا (فقيل) فى جوابه هو (رجل كان) فى الدنيا (لسانه رطبا من أذكار الحضرة الاحدية) ومعنى رطوبة لسانه بالاذكار اشتغاله بها فى جميع أوقاته (وقلبه معلق بالمساجد) لمحافظته على الصلوات فيها (ولم يستسب قط) أى مدة عمره (للذين ولداه) أى والديه يعنى أنه لم يفعل شيأ يتسبب عنه شتم والديه له ولا شتم أحد والديه أو اصوله فهو مطيع لله والرسول ووالديه (ثم) بعد أن عرج به الى المستوى (علا به) جبريل (فوق ذلك) على المعراج أو فى السماء ويعبر عن تلك السحابة بالرفرف أيضا وهذا هو المعراج العاشر على مقتضى ترتيب المؤلف (وكشفت له) بالبناء للمجهول (حجب الانوار الجلالية) أى المنسوبة للجلال من نور العزة والمهابة والعظمة والكبرياء والقدس وغير ذلك التى تدهش العقول وتذهب الابصار وتحير البصائر فحجبه خلاف الحجب المعهودة وهو سبحانه وتعالى لا يحجبه شئ وأورد أن الحجب أمر نسبى لابد من تعلقه بالطرفين فكيف يصح ذلك وأجيب بانه أمر نسبى لكن بين حاجب ومحجوب والحاجب سبحات الانوار وستائر العظمة والمحجوب مخلوقاته لا هو لانه محجوب عنه لا محجوب فيجوز أن يوصف بانه محجوب عنه وحاجب ومحتجب خلافا لمن انكره وما جاء كما سيأتى من أنه صلى الله عليه وسلم جاوز سبعين حجابا غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام وما أشبهه من الروايات فقد قال الحافظ الشامى بعد نقله ذلك وهو كذب بلاشك قال فى المواهب وتكثير

و رأى رجلا مغيبا فى نور العرش فقال من هذا الممنوح بهذه العطية * أنبى مرسل أم ملك قربه الله تعالى وأدناه * قيل رجل كان لسانه رطبا من اذكار الحضرة الاحدية * وقلبه معلقا بالمساجد ولم يستسب قط للذين ولداه * ثم علا به فوق ذلك وكشفت له حجب الانوار الجلالية *

الحجب لم يرد في طريق صحيح ولم يصح في ذلك غير ما في مسلم حجابه النور ثم قال واعلم أن ما ذكر في هذا المحل الرفيع من الحجب أي على تقدير صحتها وكذا حجابه النور فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق عز وجل والله سبحانه وتعالى منزه عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بقدر محسوس فالخلق كلهم محجوبون عنه تعالى بمعاني الاسماء والصفات والافعال وسائر المخلوقات من معاني الانوار والظلمات كل له مقام من الحجب معلوم وحظ من الادراك والمعرفة مقسوم وأقرب الخلق الى الله تعالى الملائكة الحافون والكروبيون وهم محجوبون بنور المهابة والعظمة والكبرياء والجلال والقدس والقيومية حجب الذات بالصفات وهم في الحجب منه على طبقات مختلفات كل على مقام معلوم ودرجات وبالجملة فالمخلوقات كلها ما كانت حجاب (٢) عن الخالق فقوم حجبوا برؤية النعم عن المنعم وبرؤية الاحوال عن المحول وبرؤية الاسباب من المسبب وقوم حجبوا بالعلم من المعلم وبالفهم عن المفهم وبالعقل عن المعقل وكل ذلك من معنى حجاب النعم عن المنعم والمواهب عن الواهب وقوم حجبوا بالشهوات المباحة وقوم حجبوا بالشهوات المحرمات والمعاصي والسيآت وقوم حجبوا بالمال والبنين وزينة الحياة الدنيا اللهم لا تحجب قلوبنا عنك في الدنيا ولا أبصارنا عنك في الآخرة يا كريم (و) عن شريك بن عبد الله عن أنس و (دنى الجبار (رب العزة) دنو قرب ومكانة لا دنو مكان ولا قرب زمان (فتدلى) زاد في القرب قال الخطابي نسبة التدلي للجبار مخالف لعامة السلف والعلماء وأهل التفسير من تقدم وتأخر والذي قيل فيه ثلاثة أقوال أحدها دنى جبريل من محمد فتدلى أي تقرب منه وقيل هو على التقديم والتأخير أي تدلى فدنى لان التدلي سبب الدنو الثاني تدلى له جبريل بعد الانصباب والاندفاع حتى رآه مرتفعا وذلك من آيات الله حيث أقدره على أن يتدلى في الهواء من غير اعتماد على شئ وتمسك بشئ الثالث دنى جبريل فتدلى محمد ساجدا لربه شكرا على ما أعطاه من الزلفى انتهى وهناك قول رابع وهو ان فاعل دنى فتدلى واحد وهو النبي صلى الله عليه وسلم وحينئذ يكون معنى تدلى زاد في القرب وسيأتي ما يؤيد هذا قال النجم الغيطي قوله تعالى ثم دنى فتدلى الدنو هو القرب اما حسا واما معنى والتدلي هو الامتداد عن علو الى سفل هذا أصله ثم استعمل في القرب من العلو ويكون أيضا حسا ومعنى فالقرب المستفاد من التدلي أخص من القرب المستفاد من الدنو وبهذا يحسن عطفه عليه وتقديم الدنو تقدم بما للاعم على الاخص وهذا أولى من قول من قال ان هذا من التقديم والتأخير وان المعنى ثم تدلى من الافق فدنى لان الاصل عدم ذلك وأولى من قول من قال ان معنى دنى فتدلى واحد لان التأسيس أولى من التأكيد وقيل ان دنى بمعنى قصد القرب من النبي صلى الله عليه وسلم وتحرك عن المكان الذي كان فيه فتدلى فنزل الى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل فتدلى أي فتدلل من الدلال فتكون ألفه مبدلة من اللام قال الجوهري قوله تعالى ثم دنى فتدلى أي تدلل كقوله ثم ذهب الى أهله يتمطى أي يتمطط والضمير المسند اليه دنى فتدلى عائد الى جبريل كما قاله الجمهور أي دنى جبريل من النبي صلى الله عليه وسلم بعد استوائه بالافق الاعلى من الارض فتدلى على النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رآى من عظمة جبريل ما رآى وهاله ذلك رده الله الى الصورة التي كان يعتاد النزول عليها وقرب من النبي صلى الله عليه وسلم انتهى وقيل تدلى الرفرف لمحمد حتى جلس عليه ثم دنى محمد من

ودنا رب العزة فتدلى

(٢) قوله ما كانت حجاب ما ظرفية أي مدة كونها أي وجدانها حجاب بالرفع خبر المخلوقات انتهى زرقاني

ربه قال النجم الغيطي وأما ما وقع في البخاري من رواية شريك عن انس قال ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فقد تكلم الناس فيه أي ومن جملتهم الخطابي كما تقدم وقالوا ان شريكا خلط فيه وذكر أمورا منكرة لكن قال ابن القيم أن الدنو والتدلي الذي في حديث شريك غير هذا وجزم ابن كثير بان الدنو والتدلي الذي في حديث شريك غير الذي في الآية انتهى وقال البغوي بعد نقله رواية شريك وهذا غير ما في الآية لان سياق الآية في جبريل وقال ابن عطية والصحيح عندي أن جميع ما في هذه الآيات هو مع جبريل بدليل قوله ولقد رآه نزلة اخرى فان ذلك يقتضي نزلة متقدمة وما روى قط أن محمدا رأى ربه قبل ليلة الاسراء انتهى قال الامام التقي السبكي ليس في قوله نزلة أخرى صراحة بأنها قبل ليلة الاسراء فقد يكون رآه مرتين انتهى قال الحافظ قد أخرج البيهقي من طريق الاموي في مغازيه عن محمد بن عمر بن أبي سلمة عن ابن عباس في قوله ولقد رآه نزلة أخرى قال دنا منه ربه وهو شاهد قوي لرواية شريك قال وما جزم به الخطابي من مخالفة رواية شريك للسلف والخلف فقد ذكرنا من وافقه وقد نقل القرطبي عن ابن عباس انه قال دنا الله قال القرطبي والمعنى دنا أمره وحكمه وأصل التدلي النزول الى الشئ حتى يقرب منه ومن ثم جرى جمع على ان الضمير عائد الى الرب أي دنا الرب سبحانه وتعالى من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى وهذا على سبيل المجاز لان دنو الله من العبد ودنو العبد من الله تعالى بالرتبة والمكانة والمنزلة واجابة الدعوة واعطاء الامنية لا بالمكان والمسافة وهذا القول محكي عن ابن عباس وأنس كما تقدم عنهما ولم يقل أحد ان المراد الدنو من الله حسا كما قد يتوهمه من يقول بالجهة بل المراد الدنو بما ذكرناه من تعظيم المنزلة وتشريف الرتبة واشراق أنوار المعرفة ومشاهدة أسرار الغيب والقدرة وبسط الانس والاكرام وبهذا زول الاشكال في رواية شريك وقد قال جعفر بن محمد الدنو من الله لا حد له ولا مطمح فهم أو مطرح وهم ومن العباد بالحدود الغائبة المنتهية الى غاية وقال أيضا انقطعت الكيفية عن الدنو ألا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودنا محمد الى ما أودع قلبه من المعرفة والايمان فتدلى بسكون قلبه الى ما أدناه اليه وأزال عن قلبه الشك والارتياب أي الذي عرا خاطره هل يغشى حضرة هذا القرب وينال مواهبه من انافة واكرام وشرف وانعام فانجح الله أمنيته لا أشك في ذلك اذ كان أثبت الناس معرفة وايمانا وأسكنهم جنانا وأملكهم طمأنينة وسكونا وانما الدنو والقرب من الله تعالى أوليه كناية عن جزيل فوائده اليه وجميل عوائده عليه وتأنيس لاستيحاشه بانقطاع الصوت عنه وبسط بالمكالمة واكرام بشرائف منيفة أو هو دنو افضال واجمال على أحد الوجوه في حديث ينزل ربنا الى سماء الدنيا كل ليلة قال الواسطي من توهم انه تعالى بنفسه دنا فقد جعل ثم مسافة ولا مسافة لاستحالة التباعد كما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدا يعني كما قرب منه نزل بساحة البعد كناية عن نفيهما جميعا أو عن ادراك حقيقته اذ لا يدركها أحد اذ لا دنو للحق ولا بعد لاستحالتهما وقوله فانى قرب تمثيل لكمال علمه واجابته لتعاليه عن القرب مكانا انتهى أي ففي الدنو والتدلي الواقعين من الله كمعنى النزول منه في ينزل ربنا تبارك وتعالى الى السماء الدنيا وهو ان ذلك عند أهل الحقائق من مقام التنزل بمعنى انه يتلطف بعباده ويتنزل في خطابهم فيطلق على نفسه ما يطلقونه على أنفسهم فهو في حقهم

حقيقة وفى حقه تعالى مجاز وقد جزم فى المواهب بان هذا الدنو والتدلى المذكور فى هذا الحديث وغيره من أحاديث المعراج غير الدنو والتدلى المذكور فى قوله تعالى فى سورة النجم ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى وان اتفقا فى اللفظ فان الصحيح أن المراد فى الآية جبريل لانه الموصوف بما ذكر من أول السورة الى قوله ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى هكذا فسره النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح قالت عائشة سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية أى ولقد رآه نزلة أخرى فقال ذاك جبريل لم أره فى صورته التى خلق عليها الا مرتين أى الاولى بالارض والنبى صلى الله عليه وسلم بحراء فى أوائل البعثة بعد فترة الوحى كما قال ابن كثير وجبريل بالافق الاعلى ومرة فى السماء ليلة الاسراء قال ولفظ القرآن لا يدل على غير ذلك من وجوه ثم ذكرها وقد تقدم بعضها قال وأما الدنو والتدلى فى حديث المعراج فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان فوق السموات فهناك دنا الجبار جل جلاله منه وتدلى انتهى قال الزرقانى دنو منزلة كما فى الحديث القدسى من تقرب الى شبرا تقربت اليه باعا ومن أتانى يمشى أتيته هرولة وهو تمثيل يقرب المعنى الى الافهام أى من تقرب الى بطاعتى جازيته باضعاف ما تقرب الى انتهى (حتى كان منه قاب قوسين) القاب يطلق على ما بين المقبض والسية من القوس والسية هو الفرضة التى يوضع فيها الوتر ولكل قوس قابان قال فى المنح ومن ثم قيل فى الآية قاب أى قاب قوس ويرد بانه لا يتعين ذلك بل المراد تشبيه قربه صلى الله عليه وسلم المعنوى من ربه بقرب قاب القوس اذا ألصق بقاب قوس آخر انتهى وقيل القاب جنب الوتر من القوس قاله مجاهد ويطلق القاب أيضا فى اللغة على القدر والقوس هى التى يرمى بها وقيل المراد بها الذراع لانه يقاس بها الشئ قال بعضهم وليس المراد فى الآية القاب وانما المراد القدر والقوس الذراع ورجح هذا القول بما أخرجه ابن مردويه باسناد صحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال القاب القدر والقوسين الذراعين وقيل غير ذلك وعلى كل ففى الكلام محذوفات يضطر الى تقديرها أى حتى كان مقدار مسافة قربه منه مثل مسافة قاب قوسين وعلم مما تقرر سابقا ان المحدث عنه فى الآية الذى شبه قربه بقاب قوسين هو جبريل كما نقله القاضى عن الجمهور وقال ابن كثير هو الصحيح فى التفسير كما دل عليه كلام أكابر الصحابة والذى فى حديث شريك هو الرب تعالى شأنه على المعنى السابق كما قال به غير واحد (أو أدنى) أقرب وهو بالنسبة للمصطفى عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل وايضاح المعرفة وبالنسبة الى الله اجابته ورفع درجته كما مر بسط ذلك قال ابن القيم أو هنا ليست للشك بل لتحقيق قدر المسافة وأنها لا تزيد على قوسين البتة وذكر له نظائر فى القرآن قال وهذا المعنى أحسن وألطف وأدق من قول من جعل أو فى هذا الموضع بمعنى بل ومن قول من جعلها للشك بالنسبة الى الرائى ومن قول من جعلها بمعنى الواو فتأمله قال النجم الغيطى وأدنى فعل تفضيل والمفضل عليه محذوف أى أو أدنى من قاب قوسين أى أقرب والمعنى فيما تقدرون أنتم والله تعالى اعلم بالاشياء على ما هى عليه لا تردد عنده ولكنه خاطبنا على ما جرت عادة المخاطبة فيما بيننا اذا قدرنا الشئ نقول هذا قدر رمحين أو أنقص (وناجاه) بالجيم أى سار ره وخاطبه وعلمه ما أراد من العلوم فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لما وصلت الى المستوى سمعت منادیا يقول تقدم يا أكرم الخلق فدنوت حتى بلغت أمام العرش فسمعت النداء أيضا ادن يا محمد فدنوت

حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى وناجاه *

حتى وصلت الى العرش فرأيت أمرا عظيما لا تناله الالسن ثم وقع على منه قطرة فما أخطأت فى فوقعت على لسانى فلم أر أحلى منها ولم يذق أحد مثلها فأورثنى الله بها علم الاولين والآخرين وعلمنى علوما شتى فعلم أمرنى بكتمه وعلم خيرنى فيه وعلم أمرنى أن أبلغه الى أمتى وفى رواية فقطر على لسانى ثلاث قطرات فأورثنى بكل قطرة منها علما فعلم أمرنى بكتمانه عن سائر الخلق وعلم امرنى بافشائه للخواص من يصحبنى وعلم أمرنى بافشائه لامتى وفى رواية فسألنى ربى فلم أستطع ان أجيبه فوضع يده بين كتفى بلا تكييف ولا تحديد أى يد قدرته فوجدت بردها بين ثدىى فأورثنى علم الاولين والآخرين وعلمنى علوما شتى فعلم أخذ على كتمانه اذ علم انه لا يقدر على حمله أحد غيرى وعلم خيرنى فيه وعلمنى القرآن فكان جبريل يذكرنى به وعلم أمرنى بتبليغه الى العام والخاص من أمتى وهى الانس والجن قال ولقد عاجلت جبريل فى آية تنزل على بها فعلمنيها ربى وانزل على ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما قال فى انسان العيون أقول هذا التفصيل يدل على أن العلوم التى هى هذه العلوم الثلاثة الا أن يقال كل علم من هذه الثلاثة يشتمل على أنواع من العلوم والله أعلم قوله فى الرواية السابقة وعلم أمرنى بافشائه للخواص منه قول أبى هريرة حفظت من النبى صلى الله عليه وسلم وعاءين من العلم وعاء بثثته ووعاء لو بثثت منه شيأ لقطع منى هذا الحلقوم ومما ورد فى هذا المقام ما جاء أنه صلى الله عليه وسلم لما وصل الى مقامه فوق السماء السابعة قال له جبريل ها أنت وربك هذا مقامى لا أتعداه فرج به فى النور وفى تاريخ الشيخ العينى شارح البخارى عن مقاتل قال صلى الله عليه وسلم انطلق بى جبريل حتى انتهيت الى الحجاب الاكبر عند سدرة المنتهى فقال جبريل عليه السلام تقدم يا محمد قال صلى الله عليه وسلم فتقدمت حتى انتهيت الى سرير من ذهب عليه فراش من حرير الجنة فنادى جبريل عليه السلام من خلفى يا محمد ان الله يثنى عليك فاسمع واطع ولا يهولنك كلامه فبدأت بالثناء على الله تعالى الحديث قال فى انسان العيون أى وفى ذلك النور المستوى الذى سمع فيه صريف الاقلام ثم العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب وفى رواية فاذا النداء من قبل العلى الاعلى ادن يا محمد ادن يا خير البريه ادن يا أحمد ادن يا محمد فادنانى ربى حتى كنت كما قال تعالى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى وفى الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم بالاسراء وما تضمنه من اختراق السموات السبع والعلو الى قاب قوسين ووطئه مكانا ما وطئه نبى مرسل ولا ملك مقرب وهذه الرواية ككلام الخصائص يدل على ان فاعل دنا وتدلى واحد وهو النبى صلى الله عليه وسلم وحينئذ يكون معنى تدلى زاد فى القرب وهذا أحد الاقوال السابقة فى معنى دنا فتدلى (فغشيته) أى فى هذا المقام (سحابة) أى نور على ما يأتى (التجليات) جمع تجلى الظهور والاطلاع (السبوحيه) بضم السين المهملة والباء الموحدة مشددة المنسوبة الى السبوح من صفات الله تعالى لانه يسبح قال ثعلب كل اسم على فعول مفتوح الاول الا السبوح والقدوس فان الضم فيهما أكثر زاد غيره وذروح اسم دويبة حمراء وستوق (٢) وهو الزيف وفلوق وهو ضرب من الخوخ يتفلق ومعنى السبوح والقدوس المنزه عن كل سوء وعيب الطاهر من أوصاف المخلوقات وهما من أبنية المبالغة للتنزيه وبرويان بالفتح والضم هو الاكثر كما علمت والفتح أقيس (و) فى هذا المقام (رفضه) بفتح الراء المهملة والفاء

فغشيته سحابة التجليات السبوحيه * ورفضه

(٢) قال فى القاموس الستوق كتنور وقدوس وتستوق بضم التاءين زيف بهرج ملبس بالفضة اه

والضاد المعجمة أى تركه (جبريل) عليه السلام (فخر) النبى صلى الله عليه وسلم أى سقط مع بقاء احساسه وعقله الوافر (ساجدا) سجود تحية واكرام وشكر على ذلك الانعام واحتياج سجود الشكر الى نية وسلام أمر طارئ مع أنه غير مجمع عليه فسقط ما قيل أنه غير جائز لغيره ذكره القليوبى وهو بالنصب حال من فاعل خر قال فى انسان العيون وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما رأى الحق سبحانه وتعالى خر ساجدا (لمن تعنو) أى تذل وتخضع خضوع العفاة وهم الاسارى فى يد الملك القهار (له الوجوه) جمع وجه (والجباه) جمع جبهة وقولنا فى هذا المقام اشارة الى ان الفاء فى قوله فغشيته سحابة الخ ليست للترتيب لان سياق الروايات يقتضى أن تأخير جبريل كان قبل الدنو والتدلى قال فى انسان العيون ورأى صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام عند السدرة على الصورة التى خلقه الله عليها له ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الافق تتناثر من أجنحته تهاويل الدر والياقوت مما لا يعلمه الا الله وغشيت تلك السدرة سحابة فتأخر جبريل عليه السلام ثم عرج به صلى الله عليه وسلم أى فى تلك السحابة حتى ظهر لمستوى سمع فيه صريف الاقلام ويروى أن جبريل لما وصل الى مقامه وهو سدرة المنتهى فوق السماء السابعة قال لها أنت وربك هذا مقامى لا اتعداه فزج بى فى النور أى لما غشيته تلك السحابة ويعبر عن تلك السحابة بالرفرف قال الشيخ الشعرانى وهو نظير الحفة عندنا ولا يخالف هذا ما فى قول المصنف فغشيته سحابة التجليات حيث جعلها أمرا معنويا لان ما ذكرناه أيضا محمول على ذلك لعدم الوقوف على حقيقة تلك السحابة والرفرف غاية ما يقال أنها من النور فهو يعود الى قوله فزج بى فى النور فتارة عبر عنها بالنور وتارة بالسحابة وتارة بالرفرف ويؤيده ما تقدم من ان فى ذلك النور المستوى الذى يسمع فيه صريف الاقلام ثم العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب وفى المواهب من حديث ابن عباس لما وقف جبريل عليه السلام قال له صلى الله عليه وسلم فى هذا المقام يترك الخليل خليله قال ان تجاوزت احترقت بالنور فقال النبى صلى الله عليه وسلم هل من حاجة الى ربك قال يا محمد سل الله ان أبسط جناحى على الصراط لامتك حتى يجوزوا عليه وقد جاء أنه قال الله تعالى وأين حاجة جبريل فقلت اللهم انك أعلم فقال يا محمد قد أجبته فيما سأل ولكن فيمن أحبك وصحبك ولعل المراد بمن صحبك من كان تابعا لك فى دينك عاملا بسنتك أى وهو مراد جبريل بامته فى قوله أن أبسط جناحى لامتك على الصراط كما قاله الحلبى فى انسان العيون وفيها قال صلى الله عليه وسلم ثم زج بى فى النور فخرق بى سبعون ألف حجاب ليس فيها حجاب يشبه الآخر وانقطع عنى حس كل ملك وأنسى فلحقنى عند ذلك استيحاش فعند ذلك نادى منادٍ بلغة أبى بكر قف ان ربك يصلى وأنه قال ثم قلت اللهم أنه لما لحقنى استيحاش سمعت منادا يا ينادى بلغة تشبه لغة أبى بكر فقال لى قف ان ربك يصلى تعجبت من هاتين هل سبقنى أبو بكر الى هذا المقام وان ربى لغنى عن أن يصلى فقال تعالى أنا الغنى عن أن أصلى لاحد وانما أقول سبحانى سبحانى سبقت رحمتى غضبى اقرأ يا محمد هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما فصلاتى رحمة لك ولامتك وأما أمر صاحبك يا محمد فان أخاك موسى كان أنسه بالعصى فلما أردنا كلامه قلنا وما تلك بيمينك يا موسى قال هى عصاى وشغل بذكر العصى عن عظيم الهيبة وكذلك أنت يا محمد لما كان أنسك بصاحبك أبى بكر وانك خلقت

جبريل خر ساجدا لمن له الوجوه والجباه *

انت وهو من طينة واحدة وهو أنيسك فى الدنيا والآخرة خلقنا ملكا على صورته ينادى بلغته ليزول عنك الاستيحاش لما يلحقك من عظيم الهيبة قال الحلبى ولعل المراد خلقنا صوتا على صورة صوته لانه ليس فى الرواية أنه صلى الله عليه وسلم رأى ذلك الملك على صورة أبى بكر وانما سمع صوته والله أعلم قال فى المواهب وفى رواية أى من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتقدمت وجبريل على أثرى حتى انتهى بى الى حجاب فراش الذهب فحرك الحجاب فقيل من هذا قال أنا جبريل ومعى محمد صلى الله عليه وسلم فقال الملك الله أكبر فاخرج يده من تحت الحجاب فاحتملنى فوضعنى بين يديه فى أسرع من طرفة عين وغلظ الحجاب مسيرة خمسمائة عام فقال لى تقدم يا محمد فمضيت فانطلق بى الملك فى أسرع من طرفة عين الى حجاب اللؤلؤ فحرك الحجاب فقال الملك من وراء الحجاب من هذا قال أنا فلان صاحب حجاب الذهب وهذا محمد صلى الله عليه وسلم رسول رب العزة معى فقال الملك الله أكبر فاخرج يده من تحت الحجاب فاحتملنى حتى وضعنى بين يديه فلم أزل كذلك من حجاب الى حجاب حتى جاوزت سبعين حجابا غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام فقال لى تقدم يا محمد فمضيت فانطلق بى الملك ثم دلى لى رفرف أخضر تغلب خضرته ضوء الشمس فالتمع أى أضاء بصرى ووضعت على ذلك الرفرف ثم احتملت حتى وصلت الى العرش ثم دلى لى قطرة من العرش فوضعت على لسانى فاذا ق الذائقون شيأ قط أحلى منها فانبأنى الله بها نبأ الاولين والآخرين ونور قلبى وغشى نور عرشه بصرى فلم أر شيأ فجعلت أرى بقلبى ولا أرى بعينى ورأيت من خلفى ومن بين كتفى كما رأيت أمامى الحديث رواه والذى قبله فى كتاب شفاء الصدور كما ذكره ابن غالب والعهدة فى ذلك عليه وتكثير الحجب لم يرد فى طريق صحيح ولم يصح فى ذلك غير ما فى مسلم حجابه النور انتهى قال الزرقانى فى شرح المواهب والعجب من النعمانى حيث أورد الروايتين أى المتقدمتين عن ابن عباس بطولهما ساكتا عليهما قائلا ولا يستبعد وقوع هذا كله فى بعض ليلة ومن انكر ذلك الحافظ الشامى فانه قال بعد ان نقل ذلك عن المواهب وهو كذب بلا شك انتهى وقد تقدم فى الكلام على الحجاب عند قول المص وكشفت له حجب الانوار الجلالية مفصلا (ورأى صلى الله عليه وسلم) بالنور الذى قوى قلبه واضاء بصره حتى تمكن من المشاهدة فشاهد (الذات المنزهة عن الكيفية والكمية) من غير ادراك ولا احاطة فرد اصمد الا فى شئ ولا من شئ ولا قائما بشئ ولا مفتقرا الى شئ ليس كمثله شئ وهو السميع البصير (والخلاف) فى رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه تعالى ليلة الاسراء وهل كانت بعينى رأسه أو بقلبه أو مرة بالبصر وأخرى بالقلب وثالثها الوقف (مشهور) لدى علماء هذا الشأن قديما وحديثا وقد أنكرتها عائشة رضى الله تعالى عنها وقالت من زعم أن محمدا رأى ربه بعينى رأسه فقد أعظم الفرية (٢) على الله أى أتى باعظم الافتراء والكذب على الله ووافقها على ذلك من الصحابة رضى الله عنهم ابن مسعود وأبو هريرة رضى الله عنهما وجمع من العلماء ونقل عن الدارمى الحافظ رحمه الله انه نقل اجماع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على ذلك ونظر فيه وذهب الى الرؤية بعينى رأسه أكثر الصحابة وكثير من المحدثين والمتكلمين بل حكى بعض الحفاظ على وقوع الرؤية له صلى الله عليه وسلم بعينى رأسه الاجماع واحتجت عائشة رضى الله عنها على منع الرؤية بقوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وبقوله وما كان

ورأى صلى الله عليه وسلم الذات المنزهة عن الكيفية والكمية والخلاف مشهور

(٢) الفرية بكسر الفاء الكذب وجمعها فرى كعنب اه زرقانى

لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب وفي مسلم عن مسروق قال لها رضي الله عنها ألم يقل الله تعالى ولقد رآه بالافق الاعلى ولقد رآه نزلة أخرى أي مرة أخرى بناء على أن الضمير له صلى الله عليه وسلم والبارز له سبحانه وتعالى فقالت انا اول هذه الامة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال انما هو جبريل عليه السلام لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطا من السماء ساد أعظم خلقه ما بين السماء والارض أي فالضمير البارز انما هو لجبريل وفي رواية قال لها ذاك جبريل لم أره في صورته التي خلق عليها الا مرتين مرة في الارض ومرة في السماء في هذه الليلة كما تقدم قال في لسان العيون وعلى ظاهر الآية أي من جعل الضمير المستتر له صلى الله عليه وسلم والبارز له سبحانه وتعالى وقطع النظر عن هذه الرواية التي جاءت عن عائشة رضي الله عنها يلزم أن يكون صلى الله عليه وسلم رأى الحق سبحانه وتعالى ليلة المعراج مرتين مرة في قاب قوسين ومرة عند السدرة ولا مانع من ذلك انتهى وقد تقدم عن التقي السبكي نحوه ولعل ذلك هو المعنى بقوله الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم برؤيته للباري تعالى مرتين قال النووي تبعا لغيره لم تنف عائشة وقوع الرؤية بحديث مرفوع ولو كان معها لذكرته أي لان النص أقوى من الاستنباط وانما اعتمدت على الاستنباط على ما ذكرته من ظاهر الآية وقد خالفها غيرها من الصحابة فلم يفهموها على ظاهرها كابن عباس والصحابي اذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن ذلك القول حجة اتفاقا قال الحافظ أبو الفضل العسقلاني جزمه بان عائشة لم تنف الرؤية بحديث مرفوع تبع فيه ابن خزيمة كما تبعه جماعة وهو عجيب فقد ثبت ذلك عنها في صحيح مسلم الذي شرحه الشيخ يعني النووي ثم ساق ما تقدم عن مسلم من رواية مسروق وتعقب بانه لم يقع في رواية مسلم نفي رؤيته لله تعالى فبطل تعجبه من النووي لان غاية ما في رواية مسلم أنها زيفت دليل الخصم باسنادها الى المصطفى أن المراد جبريل فلا يلتفت الى غيره ولكن لا يدل على نفي الرؤية كما صرح به الابي لانه لا يلزم من ابطال الدليل بطلان المدلول وأما رواية ابن مردويه فقلت يا رسول الله هل رأيت ربك قال لا انما رأيت جبريل منهبطا المصرحة بنفي الرؤية ورفعها اليه صلى الله عليه وسلم فمعناه في الآية المسؤول عنها وهي ولقد رآه نزلة أخرى ان سلم أن رواية ابن مردويه تعادل رواية مسلم والا فما فيه أصح ولم يقع فيه التصريح بنفي الرؤية مرفوعا ومن قال انه صلى الله عليه وسلم خاطبها على قدر عقلها ومن حاول تخطئتها فيما ذهبت اليه فهو مخطئ قليل الادب وقد خالفها ابن عباس رضي الله عنهما فاخرج الترمذي وحسنه عن عكرمة عن ابن عباس قال رأى محمد ربه قال عكرمة قلت أليس يقول الله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار قال ويحك ذاك اذا تجلى بنوره الذي هو نور وأما اذا تجلى بغيره فتمكن رؤيته على الوجه الذي يليق بالرائي وقد رأى ربه مرتين قال الزرقاني مرة ببصره ومرة بفؤاده قال الحافظ الشامي وحاصله ان المراد بالآية نفي الاحاطة به عند رؤيته لا نفي أصل رؤيته وقال النووي المراد بالادراك الاحاطة والله تعالى لا يحاط به واذا ورد النص بنفي الاحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير احاطة وقد أجابوا أيضا عن آية وما كان لبشر أن يكلمه الله الآية بانها لا تدل على نفي الرؤية مطلقا بل على أن البشر لا يرى الله في حال التكلم فنفي الرؤية مقيد بهذه الحالة دون غيرها وبانه عام مخصوص بما تقدم وبان المراد بالوحي الكلام بلا واسطة والقول وان كان محتملا لكن الجمهور على أن

المراد

المراد بالوحي هنا الالهام والرؤيا في المنام وكلاهما يسمى وحيا واما قوله تعالى أو من وراء حجاب فقال الواحدي وغيره معناه غير محاهرهم بالكلام بل يسمعون كلامه تعالى من حيث لا يرونه وليس المراد أن يكون هناك حجاب يفصل موضعا عن موضع ويدل على تحديد المحجوب فهو بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب حيث لم ير المتكلم انتهى وقد قال بعضهم للامام أحمد بأي معنى تدفع قول عائشة من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية فقال يدفع بقول النبي صلى الله عليه وسلم رأيت ربي وقول النبي أكبر من قولها وحكى النقاش عن أحمد انه قال أنا اقول بحديث ابن عباس أنه رأى ربه بعينه رآه رآه حتى انقطع نفسه أي نفس أحمد انتهى وبه يرد قول ابن تيمية انما يعني الامام أحمد رؤية المنام فانه سئل عن ذلك قال نعم رآه ولم يقل رآه بعيني رأسه يقظة وبانه يبعد أن يفهم الامام أن عائشة انما انكرت رؤيا المنام حتى يرد عليها وقيل رآه بفؤاده مرتين لا بعينه فعن بعض الصحابة رضي الله عنهم قلنا يا رسول الله هل رأيت ربك قال لم أره بعيني رأيته بفؤادي مرتين ثم تلى ثم دنى فتدلى الآية وهذا السياق يدل على أن فاعل دنا فتدلى الحق سبحانه وتعالى والمراد بالفؤاد القلب وليس المراد مجرد حصول العلم لانه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله على الدوام بل مراد من أثبت له انه رآه بقلبه أن الرؤية التي حصلت له خلقت له في قلبه كما تخلق الرؤية بالعين والرؤية لا يشترط لها شئ مخصوص عقلا بل هي قوة يجعلها الله تعالى فيما شاء من خلقه ولا يشترط فيها أيضا اتصال أشعة ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك ولو جرت العادة بخلقها في العين فليست شرطا وقال الواحدي وعلى القول بانه رآه بقلبه جعل الله تعالى بصره في فؤاده أو خلق لفؤاده بصرا حتى رأى ربه رؤية صحيحة كما يرى بالعين انتهى وقد نقل القرطبي عن جماعة من المحققين القول بالوقف في هذه المسألة لانه ليس في الباب دليل قاطع وغاية ما استدل به الفريقان ظواهر متعارضة قابلة للتأويل وهو من المعتقدات فلا بد فيها من الدليل القطعي هذا كلامه ونازع فيه السبكي في السيف المسلول على من سب الرسول بانه ليس من المعتقدات التي يشترط فيها الدليل القطعي وهي التي يكلف اعتقاده كالحشر والنشر بل من المعتقدات التي يكتفى فيها بخبر الآحاد الصحيح وهي التي لم يكلف باعتقادها كما نحن فيه وفي الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم برؤيته للباري مرتين وفي كلام ابن دحية خص صلى الله عليه وسلم بالف خصلة منها الرؤية والقربة والدنو وانكار المعتزلة للرؤية واستحالتها على الله حتى في الآخرة من بدعهم التي خالفوا فيها الكتاب والسنة وقد أتى في المواهب بما يكفي في الرد عليهم وكتب أهل السنة مشحونة بابطال ما أولوا به الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الدالة على جواز الرؤية له سبحانه وتعالى على الوجه اللائق به وبعبده في الدنيا والآخرة (و) اذا تقرر ذلك فـ(الصحيح) الراجح عند أكثر العلماء رضي الله عنهم (أنه) صلى الله عليه وسلم (رآه) سبحانه وتعالى (بعيني رأسه بلا ريب) له في ذلك وهو بفتح الراء وسكون التحتية أي شك (ولا اشتباه) كذلك قال بعضهم قد صحت الاحاديث عن ابن عباس في اثبات الرؤية وحينئذ يجب المصير الى اثباتها ولا يستجدي أحد أن ينظر في ابن عباس أنه يتكلم في هذه المسألة بالظن والاجتهاد قال ابن حجر وقد صح عن ابن عباس في رواية أنه رآه بعين بصره وفي أخرى أنه رآه بقلبه ولا تخالف لانه صح أنه رآه مرتين واحدة بالعين وواحدة بالقلب بمعنى أنه خلق فيه ادراكا

والصحيح أنه رآه بعيني رأسه بلا ريب ولا اشتباه *

كادراك البصر وليس المراد مجرد العلم لانه حاصل له بل ولغيره فلا خصوصية قال وبرواية ابن مردويه أى السابقة عنه لم يره بعينه لم يصح وبتسليمه فالاثبات مقدم على النفى وجاء عن أنس باسناد قوى رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه واطلاق الرؤية انما تنصرف لرؤية العين وكان الحسن البصرى رحمه الله يحلف أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه وبذلك قال عروة وسائر أصحاب ابن عباس وجزم به كعب الاحبار والزهرى ومعمر وآخرون وهو قول الامام الاشعرى وغالب أتباعه قال الامام النووى والراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعين رأسه ومن قال انما رآه بعين خلقت فى قلبه أو رأى نورا فقط فلم يستند فى منعها بعينى رأسه الى حديث حسن ولا صحيح ولا بظاهر نص صريح وانما أخذ بظاهر النصوص الممكنة لتأويل وكما أنه وقع الخلاف فى وقوع رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه وكيفيتها والصحيح وقوعها بعينى رأسه كذلك وقع الخلاف فى رؤية موسى عليه الصلاة والسلام لربه تعالى والاصح أنه لم يره ومن ثم قالوا فمن ادعاها من الناس غيرهما فى الدنيا يقظة فهو ضال باطباق العلماء وفى كفره قولان قال صاحب الانوار وغيره من الشافعية أنه مراق الدم كافر وكذا من ادعى أنه يكلمه شفاها كما ذكره ابن حجر قال لمخالفته لاجماع جمهور الاكابر لان شيأ منع منه الانبياء كيف ينالـه الاصاغر ولا يجوز وقوعها يقظة فى الدنيا شرعا لان الفانى لا يقدر على رؤية الباقى أما النبى صلى الله عليه وسلم فانما رآه رؤية يليق بجنابه بقوة أودعها الله فيه فلا ينافى ذلك ولان ذلك وقع خصوصية له لانه صاحب الشفاعة العظمى يوم القيامة وفيها القيام بين يدى ربه بالسلام ففى هذه الرؤية تمرين لذلك وازالة الخشية البديهية هناك ولا مانع من جوازها عقلا ولا من سؤالها كما وقع لموسى عليه الصلاة والسلام اذ لا يجوز سؤال المحال عقلا مطلقا ولا عادة من نبى قطعا ومن ولى على الاصح ولا نزاع فى وقوع رؤيته تعالى فى المنام وصحتها لان الشيطان لا يتمثل به تعالى كما لا يتمثل بالانبياء فرؤيته تعالى فى الدنيا منامًا جائزة مطلقا شرعا وعقلا ووقوعا ولو بجسم وروح وتختلف بحسب حال الرائى كما وقع لكثير من أكابر الائمة المعتبرين والاكابر المجتهدين وأما رؤيته تعالى فى الآخرة فواقعة لكل مؤمن ومؤمنة وكذا الجن والملائكة كما قاله غير واحد من أكابر الائمة وتختلف بحسب الاحوال والاوقات فقيل يقع لهم فى كل عيد وقيل فى كل جمعة وقيل فى كل يوم وأما بقية الحيوانات فلا يرونه أبدا ويجوز رؤية الانبياء لمن يعرف صفاتهم يقظة ومنامًا لان الشيطان لا يتمثل بهم وهى على حسب حال الرائى ويجوز رؤية المؤمنين للملائكة فى الدنيا والآخرة قطعا ويجوز لهم رؤية الجن فى الآخرة على الاصح وفى رؤيتهم لهم فى الدنيا الخلاف فى تفسير قوله تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم وقد ذكر الامام الشعرانى أن الحال ينعكس يوم القيامة فنراهم ولا يروننا وذهب جمع الى كفر من زعم ان الله لا يرى فى الآخرة والحق فى أهل التأويل عدم الكفر نعم يؤدب ويبدع ويفسق أن لم يتب كما قاله اللقانى وغيره نقلا عن القاضى عياض ثم انى المصنف رحمه الله تعالى ببيتين من الهمزية للامام العارف الهمام شرف الدين أبى عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن الصنهاجى البوصيرى المولود سنة ثمان وستمائة والمتوفى سنة ست أو سبع وتسعين وستمائة على ما قاله المقريزى أو أربع وتسعين على ما استصوبه شيخ الاسلام العسقلانى مستشهدا بهما على ما تقدم وان كان فيهما ما يخالف ما جرى عليه المصنف

من كون العروج به صلى الله عليه وسلم على المعراج لا على البراق فانشد (وترق) أى صعد البراق (به) صلى الله عليه وسلم (الى قاب قوسين) تقدم الكلام عليهما فأفهم كلام الناظم أن البراق ترقى به صلى الله عليه وسلم الى قاب قوسين وهو الذى دلت عليه رواية البخارى ولفظها فحملت عليه فانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح ثم قال ثم صعد بى حتى أتى السماء الثانية وهكذا لكن صحت الاحاديث بانه استمر على البراق الى بيت المقدس ثم نصب له المعراج فارتقى فيه كما مر وهذا هو المشهور الذى عليه العمل ومن ثم قال العلامة ابن حجر فى شرحه على الهمزية بعد ان أتى بكلام يعذر به الناظم لكن فى جزمه به نظر ظاهر انتهى (وتلك) المرتبة التى وصل صلى الله عليه وسلم اليها ليلة المعراج هى (السيادة القعساء) أى الثابتة الدائمة التى لا نقص ولا تغير ولا زوال فيها واذا تأملت ما وقع له صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء من الكرامات التى تميز بها عن سائر الخلق علمت أنها (رتب) جليلة (تسقط الامانى) جمع أمنية (حسرى) جمع حسير من أحسر أعيى (دونها) ظرف لتسقط أى لجلالة هذه الرتب وعزتها على الخلق سقطت أمنياتهم وتخلفت طلباتهم وآمالهم عن نيل هذه الرتب فلم يستطيعوا التوجه اليها حال كونها عاجزة عن التأهل لها ولم لا وهى (ماوراءهن وراء) أى ما قدامهن قدام بمعنى أنه ليس بعدهن مرتبة ينالها مخلوق غيره صلى الله عليه وسلم ﴿تنبيه﴾ قد يعلم مما تقدم وتحرر فى أماكن متعددة أنه صلى الله عليه وسلم لم يجاوز سدرة المنتهى وما ورد مما ظاهره يقتضى المجاوزة الى مستوى سمع فيه صريف الاقلام والى ما فوق ذلك حتى كشفت له حجب الانوار الالهية وأنه فارقه جبريل عند السدرة ونحو ذلك من الروايات لا ينافى ذلك لامكان الجمع بين الروايات بان تلك مقامات بعضها فوق بعض وكلها فوق السماء السابعة فى محاذاة سدرة المنتهى أو أن هذه الترقيات باعتبار الحالات التى رآها صلى الله عليه وسلم من التجليات الالهية مع دنوه وقربه من ربه الى محل لم يصل اليه ملك مقرب ولا نبى مرسل لانه جاوز السدرة لما صح أنه لم يجاوزها ولما تقدم ان منتهى السدرة ما يوازى العرش من أعلاه ولم يثبت انه صلى الله عليه وسلم رقى العرش ليلة الاسراء قال فى سبيل الارشاد ولم يرد فى أحاديث المعراج الثابتة أنه صلى الله عليه وسلم عرج به الى العرش فقول ابن المنير أنه عرج به اليه ليس على ما ينبغى وقد سئل الامام رضى الدين القزوينى عن وطء النبى صلى الله عليه وسلم العرش بنعله وقول الرب جل جلاله لقد شرف العرش بنعلك يا محمد هل ثبت ذلك أم لا فاجاب أما حديث وطء النبى صلى الله عليه وسلم العرش بنعله فليس بصحيح ولا ثابت بل وصوله الى ذروة العرش لم يثبت فى خبر صحيح ولا حسن ولا ثابت أصلا وانما صح فى الاخبار انتهاؤه الى سدرة المنتهى فحسب وأما الى ما وراءها فانما ورد ذلك فى أخبار ضعيفة ومنكرة لا يعرج اليها ويحمل ما ورد من أنه عرج به الى العرش على ما دونه قريبا منه اذ الرفع الى الشئ قد يطلق ويراد به التقريب كما تقدم عن الزرقانى

﴿ضوع اللهم معهده الشميم * بنشر غوال من صلاة وتسليم﴾

(و) فى رواية أنه صلى الله عليه وسلم لما رأى ربه سبحانه وتعالى خر ساجدا و(ناداه ربه) أى كلمه ربه عند ذلك فقال (يا محمد) قال لبيك يا رب قال (سل) أصله اسأل خفف وحذف المفعول

وترق به الى قاب قوسين وتلك السيادة القعساء
رتب تسقط الامانى حسرى *
دونها ما وراءهن وراء

﴿ضوع اللهم معهده الشميم * بنشر غوال من صلاة وتسليم﴾

وناداه ربه يا محمد سل

للعموم (تعط) بالبناء للمجهول للعلم بالفاعل وهو الله سبحانه وتعالى أى يعطيك الله (كل أمنيه) بضم الهمزة وسكون الميم وكسر النون وفتح المثناة التحتية مشددة آخره هاء أى كل ماتريده وتتمناه (فقال) صلى الله عليه وسلم (انك اتخذت ابراهيم خليلا) صفيا خالص المحبة وقد جاء عن ابن عمر مرفوعا ان الله اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا فمنزلى ومنزل ابراهيم فى الجنة يوم القيامة متقابلين تجاهين والعباس بيننا مؤمن بين خليلين (و) اتخذت (موسى كليما) بلا واسطة (وعلمت) بتشديد اللام مفتوحة (عيسى) وهو صغير (الانجيل) المنزل عليه (و) علمته (التوراة) المنزلة على موسى وانما علمه الله التوراة لان الانجيل الذى أنزل عليه لم يكن فيه أحكام وانما كان فيه حكم وحقائق توحيدية وقيل كان فيه أحكام قليلة بالنسبة للتوراة فعلمه الله اياها لحفظها وعمل بها (واعذته) أى عصمة (وأمه) مريم أى حفظتهما (من النزغات) بالنون والزاى والغين المعجمتين جمع نزغة يقال نزغ الشيطان بينهم أفسد وأغرى وبابه قطع كما فى المختار وفى القاموس نزغه كمنعه طعن فيه واغتابه و بينهم أفسد وأغرى ووسوس انتهى (الشيطانيه) المنسوبة للشيطان فلم يكن له عليهما سبيل باضلال أو أذية أو وسوسة قال وهب ما نجا من مكائد الشيطان الا أربعة من الرجال ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام وأربعة من النساء آسية بنت مزاحم ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم قال القاوبى وفى حصره نظر بل جميع الانبياء وجميع أولاده صلى الله عليه وسلم كذلك قاله غير واحد انتهى وفى رواية أبى سعيد الخدرى عند البيهقى ان الله تعالى قال له صلوات الله وسلامه عليه سل فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا وأتيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما وأعطيت داود ملكا عظيما وألنت له الحديد وسخرت له الجبال وأعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الانس والجن والشياطين وسخرت له الرياح وأعطيته ملكا لا ينبغى لاحد من بعده وعلمت عيسى التوراة والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص ويحيى الموتى باذنك واعذته وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل (قال) له ربه (قد اتخذتك حبيبا) هذا فى مقابلة الخلة والمحبة أعظم وأعلى رتبة من الخليل لان الخلة لازمة للمحبة خلافا لبعضهم وقد حررنا الكلام فيهما فى الكوكب الانور وفى رواية أبى يعلى أنه تعالى قال له اتخذتك خليلا فجمع له بين الصفتين ولم يذكر ما يقابل ما بعده لعلمه اذ هو لم يرض الملك لما عرض عليه والكلام وقع له كما وقع لموسى والقرآن أعظم من التوراة والانجيل وابراء الاكمه والابرص وقع للمصطفى صلى الله عليه وسلم نظير رد عين قتادة وبرئ كثير من الامراض بمس يده وأعيذ من الشيطان حتى ان قرينه آمن به ووقع له احياء الموتى وما هو أغرب منه كما هو مذكور فى معجزاته صلى الله عليه وسلم فى كتب السير (وهو) مكتوب (فى التوراة حبيب الله) وفى لفظ الرحمن وهذا من كلام الراوى أبى سعيد أو غيره استشهاد وتقوية للحديث ومعنى حبيب الله محبوبه ويلزم عكسه ﴿فائدة﴾ قال بعضهم محبة الله على عشرة معان من جهة العبد أحدها أن يعتقد ان الله محمود من كل وجه وبكل صفة من صفاته ثانيها أن يعتقد أنه محسن الى عباده منعم متفضل عليهم ثالثها أن يعتقد أن الاحسان منه الى العبد أكبر وأجل من أن يقابل بقول أو عمل وان حسنا أو كبرا رابعها أن يعتقد قلة قضاياه عليه وقلة تكاليفه خامسها أن يكون فى عامة أوقاته خائفا وجلا من اعراضه تعالى

أ تعط كل أمنيه * فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا وموسى كليما وعلمت عيسى الانجيل والتوراه * وأعذته وأمه من النزغات الشيطانيه * قال قد اتخذتك حبيبا وهو فى التوراة حبيب الله *

عنه وسلب ما أكرمه به من معرفة وتوحيد وغيرهما سادسها أن يرى انه فى جميع أحواله وآماله مفتقر اليه لاغنا له عنه سابعها أن يديم له ذكره باحسن ما يقدر عليه منه ثامنها أن يحرص على اقامة فرائضه وان يتقرب اليه بنوافله بقدر طاقته تاسعها أن يسر بما سمع من غيره من ثنائه عليه أو تقرب اليه وجاهد فى سبيله سرا وعلانية مالا وبدنا عاشرها أنه اذا سمع من أحد ذكر الله أعانه بما حكى عنه أو عرف منه سرا وعلانية وهذه المعانى كلها موجودة فيه صلى الله عليه وسلم وأما محبة الله للعبد فتوجد باعتبار غايتها من اللطف والرفق والقبول ونحوها وفى رواية ابى سعيد بعد ما تقدم وأرسلتك الى الناس كافة بشيرا ونذيرا وشرحت لك صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك فلا أذكر الا وتذكر معى وجعلت أمتك خير أمة أخرجت للناس وجعلت أمتك أمة وسطا وجعلت أمتك هم الاولون والآخرون وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدى ورسولى وجعلت من أمتك أقواما قلوبهم أناجيلهم وجعلتك أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا وأولهم يقضى له (وأعطيتك سبعا من المثانى) أى السبع المثانى سميت بها سورة الفاتحة لانها سبع آيات تثنى وتكرر فى الصلاة أو غيرها لم أعطها نبيا قبلك أى ومعلوم أنه لا نبى بعده (و) أعطيتك (خواتيم سورة البقرة) من غفرانك الخ وقيل من آمن الرسول الخ من كنز تحت العرش لم أعطها نبيا قبلك وكثير من آى القرآن منزل فى الكتب السابقة باللفظ أو المعنى وان كان فى القرآن أيضا مالم يؤت غيره لكن فى هذه خصوصية لهذه الامة وهى وضع الاصر الذى كان على من قبلها قال التورپشتى ليس يعنى بقوله أعطى أنها أنزلت عليه بل المعنى أنه استجيب له فيما تلقن من الآيتين من قوله غفرانك ربنا الى آخر السورة ولن يقوم بحقهما من السائلين قال الطيبى وفى كلامه اشعار بان الاعطاء بعد الانزال لان المراد منه الاستجابة وهى مسبوقة بالطلب والسورة مدنية والمعراج كان بمكة قال ويمكن أن يقال هذا من قبيل وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى وانما أوثر الاعطاء لتعبيره بكنز (و) أعطيتك (الحياض) جمع حوض ويجمع أيضا على أحواض وأصل حياض الواو قلبت ياء للكسرة قبلها مثل ثوب وأثواب وثياب كما فى المصباح قال النووى قال عياض أحاديث الحوض صحيحة والايمان به فرض والتصديق به من الايمان وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة لا يتأول ولا يختلف فيه وحديثه متواتر النقل رواه الخلائق من الصحابة وقد جمع ذلك الحافظ أبو بكر البيهقى فى كتابه البعث والنشور بأسانيده وطرقه المتكاثرة وقد اختلفت الروايات فى صفته وسعته وعدد أوانيه وعدد من يرده ويشرب منه ولا معارضة ولا منافاة لان الرواة سمعوها من النبى صلى الله عليه وسلم فى مواطن مختلفة ضربها النبى صلى الله عليه وسلم مثلا تقريبا على أفهامهم لا على التقدير والتحديد فرواية القليل لا تمنع رواية الكثير فان الكثير ثابت على ظاهره والقليل داخل فيه فالعدد الكثير لا ينافى القليل قال عياض ظاهر الاحاديث أن الشرب منه يكون بعد الحساب والنجاة من النار ويحتمل أن من شرب منه من هذه الامة وقدر عليه دخول النار لا يعذب فيها بالظمأ بل يكون عذابه بغير ذلك لان ظاهر الاحاديث أن جميع الامة تشرب منه الا من ارتد وصار كافرا قال ابن عبد البر كل من أحدث فى الدين كالخوارج والروافض وسائر أصحاب الاهواء فهو من المطرودين عن الحوض قال وكذلك الظلمة المسرفون فى الجور وغمط الحق

وأعطيتك سبعا من المثانى وخواتيم البقرة والحياض

والمعلنون بالكبائر فكل هؤلاء يخاف أن يكونوا ممن عنى بهذا الحديث يعني قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الحوض فيختلج العبد منهم فأقول ربي إنه من أمتي فيقول ما تدري ما أحدث بعدك (الكوثريه) ولفظ الرواية وأعطيتك الكوثر والكوثر هو نهر في الجنة أو هو حوضه صلى الله عليه وسلم ترد عليه أمته أو هو الخير الكثير من النبوة والقرآن والعلم والعمل والشفاعة وشرف الدارين ونحوها والقول بأن الكوثر نهر في الجنة هو القول الصحيح من ستة عشر قولا وقد ذكرها القرطبي فقال اختلف أهل التأويل في الكوثر الذي أعطيه النبي صلى الله عليه وسلم على ستة عشر قولا الأول نهر في الجنة الثاني حوض النبي صلى الله عليه وسلم في الموقف الثالث النبوة والكتاب الرابع القرآن الخامس الإسلام السادس تيسير القرآن وتخفيف الشريعة السابع كثرة الأصحاب والأمة والاتباع الثامن رفعه الذكر التاسع نور في قبله دله على الله تعالى وقطعه عما سواه العاشر الشفاعة الحادي عشر معجزات الرب هدى بها أهل الإجابة لدعوته صلى الله عليه وسلم الثاني عشر لا إله إلا الله محمد رسول الله الثالث عشر الفقه في الدين الرابع عشر الصلوات الخمس الخامس عشر هو العظيم من الأمر قال وأصح هذه الأقوال الأول والثاني لأنه ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم نصا في الكوثر انتهى باختصار ولم يذكر السادس عشر ولعله ما ذكرناه من شرف الدارين أو ما ذكره في الخازن من النصر على الأعداء وإظهاره على الأديان وكثرة الفتوحات في زمنه وبعده إلى يوم القيامة قال بعضهم والصحيح أن للنبي صلى الله عليه وسلم حوضين وكلاهما يسمى كوثر والكوثر في كلام العرب الخير الكثير والصحيح أن الحوض يورد بعد الصراط وبمر من اطلاق الكوثر على تلك المعاني وأنه الخير الكثير علم وجه قول المصنف والحياض الكوثرية بلفظ الجمع إذ كل معنى من تلك المعاني حوض مورود لأمته فهو في غاية الحسن لشموله على ذلك وعلى حوض الكوثر الذي يرده أمته يوم القيامة في الموقف أو في الجنة (و) أعطيتك (ثمانية أسهم) جمع سهم أي فضائل أو شعائر وأصل السهم الحظ والنصيب وهذا وما بعده اخبار عما سيقع وهي كما في الرواية (الإسلام) وصفا لأمتك دون الاسم إذ هو المقصود من شرعه ولم يسم به غير دينه على الإرجح من قولين والهجرة والجهاد والصلاة والصدقة وصوم رمضان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذه ثمانية أسهم سبعة منها مبنية على الإسلام والى ذلك أشار المصنف بقوله (ومابني عليه) أي الإسلام (من صلاة) الخمس المفروضة وهو المناسب للسياق أو هو الأعم (وزكاه) أي وغيرها ومجموع هذه السبع خاص به صلى الله عليه وسلم وان كان البعض لغيره وفي الرواية بعد ذلك وجعلتك فاتحا خاتما فان قلت ما الفرق بين هذا وبين ما جاء في بعض الروايات وجعلتك أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا كما مر فالجواب كما قال الأجهوري الفاتح والخاتم أعم من هذا إذ يصدق بأنه فاتح كل خير وخاتمه فيندرج فيه هذا بهذا المعنى وأول من جهة الخلق خاص وكذا كونه آخرهم من جهة البعث فتأمل انتهى وفي رواية وأعطيتك لواء الحمد فآدم ومن دونه تحت لوائك ﴿فائدة﴾ اعلم أن الصلوة والزكوة والحيوة إذا لم تضف تكتب بالواو على الأشهر اتباعا للمصحف ومن العلماء من يكتبها بالألف أما إذا أضيف فلا يجوز كتابتها الا بالألف سواء اضيفت الى ظاهر أو مضمر نقله البجيرمي عن ابن الملقن (و) انى بمالي من العظمة

الكوثريه * وثمانية أسهم الإسلام ومابني عليه من صلاة وزكاه *

والكبرياء يوم خلقت السموات والارض قد (فرضت) أى قدرت فى الازل أو كتبت فى اللوح المحفوظ (عليك) يا محمد قال القليوبى وبهامنسخ ماقيل انه كان عليه قبل ذلك صلاتان وهى ركعتان بالغداة وركعتان بالعشى لانه لم يكن فى أم الكتاب (وعلى أمتك) العقلاء من الانس اتفاقا ومن الجن على الاصح من أنهم مكلفون بما كلفنا به وقيل بغيره وقيل لا تكليف عليهم وفى رواية فرضت عليك ولم يذكر الامة وفى رواية على أمتك وسكت عنه ويلزم من أحدهما الآخر فيساويان الرواية الاولى لان ماطلب من نبى فهو مطلوب من امته وعكسه الامادل دليل على خصوصيته به أو بهم واتفقت الروايات على فرضها (خمسين صلاة) فى كل يوم وليلة (عليه) احترازعن القولية المجردة عن العمل بنحو دعاء وقراءة ذهى فى أصل اللغة تحريك الصلوين وفى عرفها الدعاء بخير وشرعا أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم غالبا بشرائط مخصوصة وهى اسم مصدر وأما المصدر فهو التصلية وألفها أصلها واو بدليل الجمع على صلوات قلبت ألفا لوجود المقتضى ورسمت واوا تفخيما وهى مأخوذة من صليت العود بالنار اذا عطفته لانعطاف اعضاء المصلى أومن الصلوين وهما عرقان فى جانبى الخاصرة ينحنيان عند انحناء المصلى ذكره العلامة البجيرمى وذكر شيخنا الباجورى ان الصلاة واوية لان اصل الصلاة صلوه على وزن فعله تحركت الواو وانفتح ماقبلها قلبت ألفا فصار صلاة وصليت يائى لانهم ياخذون الواوى من اليائى والعكس نحو البيع فانه ماخوذ من الباع اه ودفع بقوله (فقم بها) أى فافعلها (أنت وأمتك) عدم التلازم بين الفرض بمعنى التقدير والفعل أولانه لايلزم من الوجوب الفعل لانه يذكر للتقوية بخلاف الامر لان الاصل فيه الوجوب أوهو للتأكيد (من غير وناه) بالواو أى من غير فتور وقصور فى القيام بها يقال ونى فى الامر ضعف وفتر فهو وان وفى التنزيل ولا تنيا فى ذكرى وتوانى توانيا لم يبادر الى ضبطه ولم يهتم به أفاده فى المصباح ﴿فائدة﴾ قيل ان عائشة رضى الله عنها قالت يارسول الله كم جرى بينك وبين الله من كلمة فقال اثنى عشر ألف كلمة كلها أوغالبها فى شأن أمتى منها ماتقدم ومنها ماذكره ابن مرزوق فى شرحه لبردة المديح أنه صلى الله عليه وسلم لما كان من ربه قاب قوسين أوأدنى قال اللهم انك عذبت الامم بعضهم بالحجارة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالمسخ فما أنت فاعل بامتى قال أنزل عليهم الرحمة وأبدل سيآتهم حسنات ومن دعانى منهم لبيته ومن سألنى أعطيته ومن توكل على كفيته وفى الدنيا استر على العصاة وفى الآخرة أشفعك فيهم ولولا أن الحبيب يحب معاتبة حبيبه لما حاسبت أمتك ومنها انه لما أراد الانصراف قال يارب ان لكل قادم من سفره تحفة فما تحفة أمتى قال الله تعالى أنا لهم ماعاشوا وأنا لهم اذا ماتوا وأنا لهم فى القبور وأنا لهم فى النشور نسأل الله الوفاة على الاسلام ومنها ماسيأتى (ثم) لما فرغ صلى الله عليه وسلم من المناجاة مع ربه تعالى وأذن له فى الهبوط ووصل الى المحل الذى تركه فيه جبريل وغشيته فيه السحابة أولا (انجلت) عنه (السحابة) المسماة بالرفرف وبالنور كما مر أو بحجاب النور فهبط ومعه جبريل كما فى رواية مالك بن صعصعة فلم يقل له شئ مما يتعلق بأمر الصلاة وغيرها لان مقام المحلة التسليم والرضا به بل أنه يتلذذ مايشق عليه ثم فارقه واستمر هابطا الى السماء السادسة (فمر) فى هبوطه (بموسى) عليه الصلاة والسلام (فقال) موسى فى سؤاله للنبى صلى الله عليه وسلم لانه الكليم وشأنه السؤال والتعليم لتمرينه بخطاب ربه القديم قال بعضهم ومن ثم استبد بامر النبى صلى الله عليه وسلم بطلب

وفرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة عليه * فقم بها أنت وأمتك من غير وناه * ثم انجلت السحابة فمر بموسى فقال

التخفيف دون ابراهيم مع أن المصطفى من الاختصاص بابراهيم أزيد مما له بموسى لمقام الابوة ورفعة المنزلة والاتباع فى الملة قال القرطبى وأما قول من قال ان موسى أول من لاقاه بعد الهبوط فلا يصح لان حديث مالك بن صعصعة أنه رآه فى السادسة وابراهيم فى السابعة أقوى اسنادا من حديث شريك أنه رأى موسى فى السابعة (ما) ذا صنعت يا محمد وما (فرض عليك) اقتصر عليه لان الفرض عليه يستلزم الفرض على الامة وبالعكس كما تقدم وفى رواية أنس عند النسائى ما فرض ربك عليك وعلى أمتك ولمسلم عن ثابت عن أنس (قال) فرض على وعلى أمتى (خمسين صلاة) تميز ذات ركوع وسجود (بين الغدوة) بضم الغين المعجمة وسكون الدال المهملة (والعشية) بفتح العين المهملة وكسر الشين المعجمة وشد المثناة التحتية المفتوحة آخره هاء أى فى كل يوم وليلة نقوم له بفعلها فى ذلك فلما سمع موسى منه ذلك (قال) جريا على العادة فى التجارب الذى يحصل به علم زائد بسبب المباشرة التى لم تقع له صلى الله عليه وسلم (ارجع) يا محمد (الى ربك) أى الى المقام الذى خاطبك فيه ربك بفرض ذلك عليك وعلى أمتك لانه سبحانه وتعالى منزه عن القرب والبعد (فاسأله التخفيف) أى عنك وعن أمتك كما فى رواية شريك (فان أمتك لا تطيق) بضم المثناة الفوقية مضارع اطاقة (ذلك ولا تقواه) بفتح المثناة الفوقية عطفه على ما قبله عطف تفسير ولم يقل لا تطيقه أنت ولا أمتك لان عدم الطاقة انما تنسب الى الامة لا له صلى الله عليه وسلم قال فى المواهب فان قلت لم قال موسى عليه الصلاة والسلام لنبينا صلى الله عليه وسلم ان أمتك لا تطيق ذلك ولم يقل انك وأمتك لا تطيقون أجيب بان العجز مقصور على الامة لا يتعداهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فهو لما رزقه الله من الكمال يطيق ذلك وأكثر منه وكيف لا وقد جعلت قرة عينه فى الصلاة انتهى ومعنى لا تطيق أنه قد يشق عليهم فيقصرون فيه لا انه محال حتى يقال انه مبنى على تكليف المحال وهو غير جائز وفائدته الاخذ فى مقدماته حتى يعلم امتثاله واستشهد لذلك اقتداء له صلى الله عليه وسلم بقوله فانى قد بلوت (٢) بنى اسرائيل وخبرتهم أى امتحنتهم واختبرتهم مع قوة أجسامهم وطول أعمارهم فلم أجد لهم صبرا على ذلك وفى رواية النسائى عن أنس رضى الله عنه فانه فرض على بنى اسرائيل صلاتان فما قاموا بهما وهذا هو الصواب وقول البيضاوى انه فرض على بنى اسرائيل خمسون صلاة فى اليوم والليلة فقال الجلال السيوطى هذا غلط فلم يفرض على بنى اسرائيل خمسون صلاة قط بل ولا خمس صلوات ولم تجمع الخمس الا لهذه الامة وانما فرض على بنى اسرائيل صلاتان فقط كما فى الحديث انتهى قال القليوبى بعد قوله فاسأله التخفيف عنك وعن أمتك وهذا صريح فى شمول التخفيف بالنسخ له صلى الله عليه وسلم فقول الجلال السيوطى ان الخمسين لم تنسخ فى حقه صلى الله عليه وسلم لا دليل عليه فى خبر حسن ولا ضعيف ولم ينقل عن أحد من الصحابة ولا عن زوجة من زوجاته انه علم بفعله لها فى ليل ولا نهار وحده أو فى جماعة واقتصاره موسى فى طلب التخفيف على الامة بقوله فان أمتك لا تطيق ذلك لا يدل له لانه من باب اقامة الحكم بالبرهان وتحاشيا عن نسبة التقصير الى مقام النبوة المنزه عنه والاستشهاد بقوله فانى قد خبرت وفى رواية جربت الناس قبلك وبلوت بنى اسرائيل وعالجتهم أشد المعالجة على أدنى من هذا وهو ركعتان بالغداة وركعتان بالعشى قيل وركعتان عند الزوال والحديث بانه كان على بنى اسرائيل خمسون صلاة كما قاله

البيضاوى

ما فرض عليك ربك قال خمسين صلاة بين الغداة والعشية * قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان متك لا تطيق ذلك ولا تقواه *

قوله قد بلوت بنى اسرائيل قال الزرقانى أى اختبرتهم بقال بلاه وابتلاه بخير أو شر بمعنى امتحنه اه منه

البيضاوى موضوع اتفاقا وقيل خاص ببعض اليهود فضعفوا عن ذلك وتركوه كسلا واختلالا مع قوتهم وشدتهم وان أمتك أضعف منهم أجسادا فى النحافة وأبدانا فى الطول وقلوبا فى الرقة وأبصارا وأسماعا ولم ينظر موسى الى أنه قد يقوم الضعيف بما لا يقوم به القوى انتهى كلامه وما تقدم عن القليوبى من وقوع النسخ حتى فى حقه صلى الله عليه وسلم قال بعضهم وهو المشهور قال العلامة الشيخ على الشبراملسى المعتمد أن الخمسين صلاة نسخت فى حقنا وفى حقه صلى الله عليه وسلم ولكن كان يفعلها على وجه النفلية وضبط السيوطى فى الخصائص الصغرى الصلوات التى كانت يصليها فبلغت مائة ركعة كل يوم وليلة وهو مقدار الخمسين صلاة ولا دلالة فيه على أن تلك المائة هى التى فرضت ليلة الاسراء قال العلامة البجيرمى قال شيخنا الحفناوى والذى تلقيناه واعتمده بعض الحواشى أن الخمسين لم تنسخ فى حقه صلى الله عليه وسلم وأنه كان يفعلها على سبيل الوجوب فما قاله الشبراملسى ومثله البرماوى خلاف المعتمد انتهى وفى قولهم جميعا بنسخ الخمسين نظر اذ المنسوخ منها خمس وأربعون كما هو مقتضى الروايات وقول ابن بطال نسخ الخمسون بالخمس غير خال عن الاشكال والحاصل أنه كما قد وقع الخلاف فى نسخ ذلك فى حقه صلى الله عليه وسلم وقع الخلاف فى هل كان يصليها نفلا أو فرضا وقد اعتمد الاول بعضهم وبعضهم الثانى وقول القليوبى فيما مر ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة الخ معارض بما مر عن السيوطى من ضبطه للصلوات التى كان يصليها أى انه يجاب بان ما كان يصليه على سبيل النفل غير مراد الا أن ورد نص بان ذلك كان من الخمسين المفروضة والظاهر وقوع النسخ حتى فى حقه صلى الله عليه وسلم وان قلنا بعدم تصور النسخ قبل البلاغ لان ذلك قد بلغه صلى الله عليه وسلم وكلف به قطعا ومن ثم اختار شيخنا الباجورى اعتماد الاول وسيأتى مزيد بحث فى هذا قال العارف ابن أبى جمرة والحكمة فى تخصيص فرض الصلاة بليلة الاسراء أنه صلى الله عليه وسلم لما عرج به رأى فى تلك الليلة تعبد الملائكة وان منهم القائم فلا يقعد والراكع فلا يسجد والساجد فلا يقعد فجمع الله له ولامته تلك العبادات فى ركعة واحدة يصليها العبد بشرائطها من الطمأنينة والاخلاص قال وفيه اشارة الى عظم شأنها فلذلك اختص فرضها بكونها من غير واسطة بل بمراجعات تعددت كما يعلم مما يأتى (ف) لما سمع النبى صلى الله عليه وسلم كلام موسى التفت الى جبريل يستشيره فى الرجوع وعدمه فاشار اليه باشارة مفادها أن نعم ان شئت فاختار صلى الله عليه وسلم الرجوع كذا قال بعضهم ونقل العلامة البجيرمى من الميزان للشعرانى ما لفظه فان قلت فهل ما وقع من النبى صلى الله عليه وسلم من المراجعة كان اجتهادا منه أم لا الجواب كما قاله الشيخ محيى الدين انه كان باجتهاد منه لانه لما قال له موسى ان أمتك لا تطيق ذلك وأمره بالمراجعة بقى متحيرا من حيث شفقته على أمته ولا سبيل له الى رد أمر ربه فاخذ فى الترجيح فى أى الحالين أولى وهذا هو حقيقة الاجتهاد فلما ترجح عنده أن يراجع ربه رجع بالاجتهاد الى ما يوافق قول موسى انتهى (رجع سريعا) ومعه جبريل (حتى انتهى الى) المكان الذى فى محاذاة (الشجرة) أى السدرة (فغشيته سحابة الانوار السجاتيه) المتقدمة بضم السين المهملة والباء الموحدة فجيم مهملة فالف فمثناة فوقية فياء نسبة آخره هاء أى المنسوب الى سجات وهى جلال الله وعظمته ونوره وبهاؤه وفى بعض النسخ السجانية بضم السين المهملة وسكون الموحدة فنون فياء نسبة أى المنسوب الى الله سبحانه وتعالى

فرجع سريعا حتى انتهى الى الشجرة فغشيته سحابة الانوار السجاتيه*

المنزه عن كل سوء ولا يلزم من موضع السؤال أن يكون المسؤل فيه أو يكون حائزا له تعالى الله جل وعلا وتنزه عن الجهة والمكان والتحيز والحد والاحاطة بل لم يكن صلى الله عليه وسلم في ذلك المكان باقرب الى الله من يونس بن متى وهو في قرار البحر في بطن الحوت فالله سبحانه وتعالى قريب من عباده يسمع دعاءهم ولا يخفى عليه حالهم كيف ما تصرفت من غير مسافة بينه وبينهم لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة أحاط بكل شئ علما وأحصى كل شئ عددا (ف) لما وصل الى مكان مناجاته الاول (خر ساجدا) تقدم الكلام عليهما (وسأله) يحتمل في حال سجوده ويحتمل بعد فراغه أو بعد قيامه (التخفيف) بقوله رب خفف عن أمتي من تلك الصلاة فانها أضعف الامم (ف) قبل الله شفاعته و(وضع عنه) أي عن النبي صلى الله عليه وسلم ويستلزم الوضع عن أمته كما أن الوضع عن الامة يستلزم الوضع عنه صلى الله عليه وسلم وفي تصريحه بالوضع عنه تأييد لما تقدم عن القليوبي في رده على السيوطي في قوله بانها لم تنسخ في حقه صلى الله عليه وسلم (خمسا أو عشرا على اختلاف الرواه) ففي رواية ثابت البناني عن أنس أن التخفيف كان خمسا وفي رواية مالك بن صعصعة عشرا ومثله لشريك وفي رواية أبي ذر شطرها قال ابن المنير ذكر الشطر أعم من كونه وقع دفعة واحدة أو في مرار متعددة واذا ورد تفصيل واجمال حمل الاجمال على التفصيل فلا تعارض قال النووي المراد بحط الشطر انه حط في مرات بمراجعات فلا يخالف رواية ثابت قال الحافظ ابن حجر وكذا العشر فكانه وضع العشر في دفعتين والشطر في خمس دفعات أو المراد بالشطر هنا البعض قال وقد حققت رواية ثابت أن التخفيف كان خمسا خمسا وهي رواية معتمدة يتعين حمل باقي الروايات عليها خصوصا وقد أيدها روايات أخر (فرجع الى موسى فاخبره بذلك) وقال قد وضع عني خمسا (فقال) موسى (ارجع واسأل التخفيف فان أمتك أضعف الخلق جثمانيه) نسبة الى جثمان وهو الجسم لفظان مترادفان أي في النحافة والطول والقوة (فلم يزل) النبي صلى الله عليه وسلم (يرجع بين موسى و) بين مكان خطاب (ربه) جل وعلا (ويحط) بضم الحاء المهملة وأصل معناه تنزيل الحمل فشبه به الحمل تشبيها مكنيا كقوله ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به بعد سؤاله التخفيف (عنه) وعن أمته خمسا خمسا (وفي كل مرة) عند رجوعه ووصوله الى سدرة المنتهى (سحابة الفضل تغشاه) أي وتتجلى عنه عند هبوطه ومفارقته السدرة (حتى) غاية لقوله فلم يزل يرجع ويحط و(قال) الله تعالى (يا محمد) فقال لبيك وسعديك قال (انهن خمس صلوات) في كل يوم وليلة عملا (ف) فاعل (كل صلاة) من الخمس (عشر) أي ثواب عشر صلوات فصارت تلك الصلوات الخمس الباقية خمسون مضاعفة وهذا صريح في أن كل صلاة كانت مكررة عشر مرات فالظهر كانت عشرة أظهار وهكذا بقية الصلوات واختلف في عدد ركعاتها حين فرضت فمن الناس من ذهب الى أنها فرضت أول ما فرضت ركعتين ركعتين ثم زيد في صلاة الحضر فاكملت أربعا وأقرت صلاة السفر على ركعتين روى ذلك عن عائشة والشعبي وميمون بن مهران ومحمد بن اسحاق وغيرهم ومنهم ذهب الى أنها فرضت أول ما فرضت أربعا الا المغرب ففرضت ثلاثا والصبح ركعتين كذلك قال الحسن البصري ونافع بن جبير بن مطعم وابن جريج ومنهم من ذهب الى أنها فرضت في الحضر أربعا وفي السفر ركعتين يروى ذلك عن ابن عباس وصححه غير واحد وأما حديث عائشة رضي الله تعالى عنها فقد رواه في عيون الاثر من طريق السراج عن مسروق عن

عائشة

فخر ساجدا وسأله التخفيف فوضع عنه خمسا أو عشرا على اختلاف الرواه * فرجع الى موسى فاخبره بذلك فقال ارجع واسأل التخفيف فان أمتك أضعف الخلق جثمانيه * فلم يزل يرجع بين موسى وربه ويحط عنه في كل مرة وسحابة الفضل تغشاه * حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات لكل صلاة عشر

عائشة قالت فرضت صلاة الحضر والسفر ركعتين ركعتين فلما أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة زيد في صلاة الحضر ركعتان ركعتان وتركت صلاة الفجر لطول القراءة وصلاة المغرب لانها وتر النهار أي وزيدت في صلاة المغرب ركعة كما قد صرح به الحلبي في سيرته فقال وفرضت الصلاة في المعراج ركعتين ركعتين حتى المغرب ثم زيد فيما عدا الصبح ركعتين والمغرب ركعة انتهى وصححه بعضهم ومن قال بهذا من أهل السير قال ان الصلوات أتمت بالمدينة بعد الهجرة بشهر وعشرة أيام وقيل بشهر وأما من قال فرضت أربعا ثم خفف عن المسافر فاستدل بما جاء في الحديث من طريق أنس بن مالك القشيري باسناد صحيح ان الله وضع عن المسافر شطر الصلاة والصيام وعن الحبلى والمرضع الحديث قالوا ووضع لا يكون الا من فرض ثابت وبحديث مسلم من طريق اسحاق بن ابراهيم عن عمر بن الخطاب أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن قصر صلاة الخوف فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته قالوا ولم يقصر النبي صلى الله عليه وسلم آمنا الا بعد نزول آية القصر في صلاة الخوف وكان نزولها بالمدينة وفرض الصلاة بمكة فظاهر هذا أن القصر طارئ على الاتمام قال أبو عمر وقد أجمع المسلمون ان فرض الصلاة في الحضر أربعا أربعا الا المغرب والصبح لا يعرفون غير ذلك عملا ونقلا مستفيضا ولا يضرهم الاختلاف فيما كان أصل فرضها اذ لا خلاف بينهم فيما آل اليه أمرها واستقر عليه حالها والذي يؤخذ مما تقرر أن القول بانها فرضت أول ما فرضت أربعا أربعا ما عدا المغرب فثلاثا والصبح فاثنان وان الظهر كانت عشر أظهار كل واحدة أربع ركعات وهكذا بقية الصلوات على عدد ركعاتها مكررة عشر مرات هو الاقوى دليلا فهو والاولى بالاعتماد ان لم يرد نص عن النبي صلى الله عليه وسلم يخالفه ومنه يؤخذ أن صلاة الحضر تامة ثم خففت في السفر أي قصرت صلاة السفر في الرباعيات على ركعتين وتركت المغرب والصبح على حالها وهو الذي عليه الجمهور والمناسب لقوله تعالى فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ومن ثم قال بعضهم ان هذا هو الذي يقتضيه ظاهر القرآن وهو الذي عليه الجمهور قال بعضهم وهو الاصح هذا وقد أخرج أبو داود والبيهقي عن ابن عمر قال كانت الصلاة خمسين والغسل من الجنابة سبع مرات وغسل البول من الثوب سبع مرات فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل حتى وصلت الصلاة خمسا وغسل الجنابة مرة وغسل البول من الثوب مرة انتهى من الدر المنثور قال الشيخ على الاجهوري في معراجه بعد سياقه رواية ابن عمر المذكورة ما نصه وهل غسل غير الجنابة من الحيض ونحوه كذلك وكذا الغسل من غير البول كما هو الظاهر أم لا والظاهر أن السؤال بتخفيف الغسل لم يكن ليلة الاسراء انتهى نقله بعضهم من خط الشيخ عبد الباقي الزرقاني فان قيل ما الحكمة في جعل الصلوات خمسا وما حكمة اختصاصها بهذه الاوقات أجاب الحافظ الشامي في معراجه الصغير عن الاول باحتمال انه لما كانت الحواس خمسا وهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس وكانت المعصية تقع غالبا بواسطة هذه الاعضاء ناسب أن تكون الصلوات خمسا فتكون ماحية لما يقع في اليوم والليلة من ذلك وقد أشار الى ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله أرأيتم لو كان بباب أحدكم نهر يغتسل منه في اليوم والليلة خمس مرات أكان ذلك يبقي من درنه أي وسخه شيأ قالوا لا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا ثم روى عن معاذ بن جبل خبرا طويلا ذكر فيه أنه قال

صلى الله عليه وسلم فرأيت بين يدى كل واحد من أمتى خمس عقبات أول عقبة الموت وسكرته والثانية القبر وضغطته والثالثة سؤال منكر ونكير وصولته والرابعة الميزان وخفته والخامسة الصراط ورقته فمن نجا من هذه العقبات الخمس فقد فاز ومن لم ينج منها فقد هلك مع الهالكين فقلنا يا رسول الله هذه الخمس عقبات ما لهن عمل صالح يستعين به العبد المؤمن على قطعها قال بلى انه يسير على من يسر الله عليه من صلى الصبح وحافظ عليها الى أن يموت هون الله عليه الموت وسكرته الى آخر الخمس على الترتيب ثم قال من حافظ عليها جاز سالما باذن الله وكان من الفائزين انتهى وأما اختصاصها بهذه الاوقات فتعبد كما قاله أكثر العلماء وأبدى غيرهم له حكما يطول ذكرها وكأن حكمة كون الصبح ركعتين بقاء كسل النوم والعصرين أربعا توفر النشاط عندهما بعد انعانات الاسباب والمغرب ثلاثا أنها وتر النهار ولم تكن واحدة لانها بتراء من البتر وهو القطع وألحقت العشاء بالعصرين ليخبر نقص الليل عن النهار فيه فرضان وفى النهار ثلاثة لكون النفس على الحركة فيه أقوى قيل وجعلت مثنى وثلاث ورباع لتوافق أجنحة الملائكة كأنها جعلت أجنحة للشخص يطير بها الى الله تعالى وأما صلاة الجمعة ففى التحفة أنها فرضت بمكة أى ركعتين ولم تقم بها لفقد العدد أولان شعارها الاظهار وكان صلى الله عليه وسلم مستخفيا وأول من أقامها بالمدينة قبل الهجرة أسعد بن زرارة بقرية على ميل من المدينة اه وهى صلاة مستقلة على الاصح وقيل بدل من الظهر وهو رأى (كما قضت بذلك) التخفيف والمضاعفة فى الثواب (الارادة الازليه) المتعلقة بشفاعته صلى الله عليه وسلم وطلب تخفيفها ودلت مراجعته صلى الله عليه وسلم فى طلب التخفيف تلك المرات كلها أنه علم أن الامر فى كل مرة لم يكن على سبيل الالزام بخلاف المرة الاخيرة فان الله قد أعلمه بان لا يعود اليه بعد هذه المرة بقوله (لا يبدل قولى ولا ينسخ كتابى) الذى فى اللوح المحفوظ أو فى أم الكتاب وبذلك علم سقوط ما قيل ان عدم رجوعه خشية سقوطها من أصلها لجريان العادة بحطها خمسا خمسا وكذا ما قيل انه علم أنها عزيمة فلم يرجع كذا قال القليوبى وفيه نظر اذ يلزم منه اسقاط قوله صلى الله عليه وسلم كما فى رواية النسائى من طريق يزيد بن مالك عن أنس خمس بخمسين فقم بها أنت وأمتك قال فعرفت أنها عزمة من الله أى طلب عازم لا يتغير وان سألت فهو فى معنى قوله لا يبدل القول لدى ومن ثم قال فرجعت الى موسى فقال لى ارجع فلم أرجع وفى رواية ثابت عن أنس انهن خمس صلوات كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فذلك خمسون ونحوه حديث أبى ذر هن خمس وهن خمسون لا يبدل القول لدى فهذه الروايات كلها دالة كقوله لا يبدل القول لدى على تعليم الله اياه بان لا يعود اليه فما معنى اسقاط ما قيل انه علم أنها عزيمة فلم يرجع نعم يسقط بذلك ما قيل انما امتنع من طلب التخفيف فى المرة العاشرة لانه صلى الله عليه وسلم تفرس أن هذا العدد لا يحط منه فاستحيا أن يسأل فى مظنة الرد ان كان الامتناع مبنيا على مجرد الفراسة فان قيل ألم يبدل القول حيث جعل الخمسين خمسا أجيب بان معناه لا يبدل الاخبارات لانه تعالى اذا أخبر عن حكم مؤبدا استحال التبديل والنسخ حينئذ لاجل العلم وقد أخبر تعالى أنه أمضى الفريضة أى أبدها وجعل ثواب الخمس خمسين فلا يبدل هذا الخبر ولا يتوقع النسخ بعد ذلك أما التكليفات فانها تبدل وتنسخ كما نسخ الخمسين الى خمس أو لا يبدل القضاء المبرم لا القضاء المعلق الذى يمحو الله

كما قضت بذلك الارادة الازليه * لا يبدل قولى ولا ينسخ كتابى

ما يشاء منه ويثبت أو معناه لا يبدل القول بعد ذلك فان قيل هي في علم الله في الازل خمس فالحكمة في جعلها الليلة الاسراء خمسين ثم نسخها الى الخمس والجواب أنه انما فرضها سبحانه وتعالى خمسين مع علمه في الازل أنها خمس ليظهر شرف النبي صلى الله عليه وسلم بقبول شفاعته في التخفيف وأجيب بغير ذلك وقد يؤخذ من قوله ولا ينسخ كتابي بعد قوله هن خمس أن الممنوع هو النسخ في حكم مؤبد وأن ما وقع ليس نسخا بل كان تخفيفا لما أخبره من الخمسين وان اخباره بها لم يكن على التأبيد ولك أن تقول ان اخباره بالخمسين أولا حكمي وحكمها باق واخباره أخيرا بانهن خمس على وعلمها باق أي هي خمس لها ثواب الخمسين فليس هناك نسخ أصلا وانما لم يبينه له صلى الله عليه وسلم في ابتداء الامر للحكم والفوائد المبنية على المراجعة بينه وبين حبيبه وقد استدل العلماء بقوله في الحديث انهن خمس صلوات كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فتلك خمسون على عدم فرضية ما زاد على الصلوات الخمس كالوتر وعلى جواز النسخ قبل التمكن من الفعل وقبل دخول الوقت كما هو مذهب أهل السنة خلافا للمعتزلة وكذا قبل البلاغ ونقل في المواهب عن ابن المنير الاتفاق على عدم تصور النسخ قبل البلاغ وتعقبه بان الخلاف مأثور نص عليه ابن دقيق العيد في شرح العمدة وغيره وبانه ان أراد قبل البلاغ لكل أحد فممنوع لان ذلك قد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم وان أراد قبل البلاغ الى الامة فسلم لكن قد يقال هو بالنسبة اليهم ليس نسخا لكن هو نسخ بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم لانه كلف بذلك قطعا ثم نسخ بعد أن بلغه وقبل أن يفعله فالمسئلة صحيحة التصور في حقه صلى الله عليه وسلم قال الزرقاني وهذا الاستدراك انما هو ايضاح لما قبله لكن التعقب على ابن المنير بهذا فيه نظر لان ابن المنير ذكر في معارجه الجواب بتصور النسخ في حق النبي صلى الله عليه وسلم وقال هذا جواب ضعيف بل كان التكليف عاما فالقول موسى ان أمتك لا تطيق ذلك وسله التخفيف لامتك قال وتجويز ان التكليف كان عليه خاصة لرواية فرض علي خمسين صلاة لكنه فهم أن الامة تدخل بعد وكذا فهم موسى فراجعه في التخفيف وكذا كل تكليف يتقدم فيه الرسول على الامة تقدما زمانيا لانه يبلغه عن الله قبل أن يبلغهم منه ولذا قال وأنا أول المسلمين فيه نظر لانه لو فهم دخولهم لدخلوا ضرورة اذ فهمه صواب قطعا فيعود الاشكال لانه اختص بالتكليف ثم التخفيف ثم كلفت الامة بالتخفيف لا بالاصل فلم يدخلوا فيه ألبتة فالاحسن الجواب بانه عام في حقه وحقهم والتخفيف أيضا عام وانما صح النسخ في حق الامة لان الاسلام يوجب على كل مسلم الدخول في فروعه وشرائعه فكل من آمن في حياته عليه الصلاة والسلام آمن على أن يتكلف منها ما نزل مبينا بكل وجه وما نزل مجملا من وجه مبينا من وجه وما لم ينزل وسينزل والتزام الاسلام شامل للجميع فكما يجوز النسخ بعد البلاغ وفيه نوع اجمال كذلك يجوز قبل البلاغ لانه دخل عليه بالالتزام العام ولا فرق بين اجمال واجمال وأكثر الفرائض انما وجب مجملا ثم بين وقت الحاجة كالصلاة والزكاة لم يقترن باول وجوبها ذكر أعدادها ولا أوقاتها ولا شرائطها انتهى ملخصا انتهى قال القرطبي الحكمة في تخصيص موسى عليه الصلاة والسلام بمراجعة النبي صلى الله عليه وسلم في أمر الصلاة لعلها لكون أمة موسى كلفت بالصلاة ما لم يكلف بها غيرها من الامم فثقلت عليهم فاشفق موسى على أمة محمد من مثل ذلك وبشر اليه اني قد خبرت الناس قبلك انتهى قال

السهيلي وأما اعتناء موسى عليه السلام بهذه الامة والحاحه على نبيها أن يشفع لها ويسأل التخفيف عنها فقوله والله أعلم حين قضى الامر اليه بجانب الغربي ورأى صفات أمة محمد صلى الله عليه وسلم في الالواح وجعل يقول اني أجد في الالواح أمة صفتهم كذا وكذا اللهم اجعلهم أمتي فيقال له تلك أمة أحمد وهو حديث مشهور في التفاسير وقد أحسن الحافظ ابن حجر تلخيصه بقوله وذكر السهيلي أن الحكمة في ذلك أنه رأى في مناجاته صفة أمة محمد فدعا الله أن يجعله منهم فكان اشفاقه عليهم كناية من هو منهم انتهى قال ابن المنير أكثر الامة يغلب عليه التفريط في الصلوات خصوصا النساء وكثير من المصلين مفرط في الشروط غير موف بالحقوق فكان ذلك من آثار فراسة موسى فيهم بقوله لامصطفى وقد رجع الفرض الى الخمس ارجع الى ربك فاسأله التخفيف ولم يرد صلى الله عليه وسلم فراسة موسى ولكن قال قد استحييت وفي لفظ أرضى وأسلم وقيل غير ذلك فان قيل هل كان صلى الله عليه وسلم في هذه المرات التي يراجع فيها يرى ربه الجواب قال بعضهم والمراجعة تسع مرات وفي كلها يرى ربه بعيني رأسه على الاصح نقله العلامة البجيرمي في حواشيه على الخطيب ولكن نقل الزرقاني في شرح المواهب عن الحافظ بن حجر ما يقتضي أنه لم يثبت تجديد الرؤية في كل مرة بل ما ثبت سوى مرة مع قوة الخلاف كما تقدم وقد وقع السؤال عن عبادته صلى الله عليه وسلم قبل فرض الصلاة ما هي وفي أي مكان كان يتعبد وهل ورد أنه كان يتعبد بشريعة ابراهيم عليه الصلاة والسلام أولا وما كانت شريعته قبل ذلك وما فرض عليه من الصلاة قبل ليلة الاسراء هل كان بعد نزول القرآن أولا وهل كان يقرأ في عبادته اذا ثبت كونه كان يصلي قبل ذلك أولا وأجيب بانه لم يتعبد بشريعة غيره من الانبياء مطلقا وعبادته قبل البعثة كان عليه ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي كما قيل ولم يثبت ما كان يقرؤه فيهما والركعتان اللتان صلاهما بالانبياء في بيت المقدس كانتا مما عليه ولم يثبت ما قرأه فيهما وتقدم أنه قرأ فيهما الفاتحة وسورة الاخلاص قال شيخنا الباجوري وكانت عبادته صلى الله عليه وسلم قبل ذلك في غار حراء بالتفكر في مصنوعات الله واكرام من يمر عليه من الضيفان فكان يتعبد فيه الليالي ذوات العدد واختار التعبد فيه دون غيره لانه تجاه الكعبة وهو يحب رؤيتها ثم وجب عليه وعلينا قيام الليل ثم نسخ في حقنا وحقه أيضا على المعتمد بفرض الصلوات الخمس انتهى (اني أنا الله الذي لا يعبد) بحق (سواه) بكسر السين المهملة أي غيره فقد تقرر أن المفروض منها في كل يوم وليلة خمس صلوات وهو معلوم من الدين بالضرورة ولم تجتمع هذه الخمس لغيره صلى الله عليه وسلم وورد أن الصبح لآدم والظهر لداود والعصر لسليمان والمغرب ليعقوب والعشاء ليونس ولا ينافيه قول جبريل في خبر هذا وقت الانبياء قبلك لاحتمال أنه وقتهم على الاجمال وان اختص كل ممن ذكر بوقت لكن نقل العزيزي عن العلقمي في شرح الجامع الصغير عنه حديث أعتموا خالفوا الامم قبلكم ان أول من صلى العشاء الاخيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وان هذا يبطل ما تقدم في العشاء من أنها ليونس فقد وردت الاحاديث بانها من خصائص هذه الامة ولم يصلها أحد قبلها انتهى ولم تجب صبح يوم ليلة الاسراء لعدم العلم بكيفيتها حتى جاء جبريل فعلمها له صلى الله عليه وسلم بصلاته ظهر يومها عند باب الكعبة مما يلي الحفرة ثم الى الحجر بكسر الحاء وعلمه أوقاتها مرتين في يومين ابتداء بالظهر خلافا لمن قال أول صلاة صلاها النبي صلى الله عليه وسلم

انى أنا الله الذى لا يعبد سواه *

بالركوع صلاة العصر فصلى الظهر بلا ركوع وكذا ما كان يقع منه من الصلاة قبل الاسراء
انتهى فان قيل قد تقدم ان الصلوات فرضت ليلة الاسراء فلم لم يبدأ بالصبح أجيب بجوابين
الاول انه قد حصل التصريح بان أول وجوب الخمس من الظهر قاله النووى فى المجموع الثانى
ان الاتيان بالصلاة متوقف على بيانها ولم يتبين الا عند الظهر انتهى على الاجهورى وهذا
الثانى مأخوذ مما تقدم وعبارة الحلبى فى انسان العيون وفى صبيحة ليلة المعراج أى حين زالت
الشمس من اليوم الذى يلى الليلة التى فرضت فيها الصلوات الخمس كان نزول جبريل وامامته
بالنبى صلى الله عليه وسلم ليعلمه أوقات الصلوات وكيفيتها أى لانه لا يلزم من علمه صلى الله
عليه وسلم بكيفية صلاة الركعتين وصلاة قيام الليل علم كيفية الصلوات الخمس وان قلنا بان
الرباعية منها فرضت ركعتين ركعتين فأمر صلى الله عليه وسلم فصيح باصحابه الصلاة جامعة
فاجتمعوا فصلى به صلى الله عليه وسلم جبريل وصلى النبى صلى الله عليه وسلم بالناس فسميت صلاة
الظهر لانها فعلت عند قيام الظهيرة أى شدة الحر وعند نهاية ارتفاع الشمس وهذا الحديث
ظاهر بأن صلاته صلى الله عليه وسلم بالناس كانت بعد صلاته مع جبريل محتمل لان يكون
صلى الله عليه وسلم صلى بصلاة جبريل والناس بصلاته ثم ذكر رواية فيها التصريح بهذا وان
الصلاة كانت ظهرا أربع ركعات لم يجهر فيهن قال ثم صلى كذلك فى العصر ولما غابت الشمس
صلى بهم رسول الله المغرب ثلاث ركعات يقرأ فى كل ركعتين علانية وركعة لا يقرأ فيها علانية
واستدل بذلك بعضهم على جواز الاقتداء بمن هو مقتد بغيره لا كما تقول أئمتنا من منع ذلك
وأجيب عنه من جانب أئمتنا بان معنى كونه مقتديا بجبريل انه متابع له فى الافعال من غير نية
اقتداء ولا ايقان لفعله صلى الله عليه وسلم على فعل جبريل وأجيب بما هو أولى من هذا الجواب
أن جبريل كان اماما للنبى صلى الله عليه وسلم والصحابة لكن كان النبى صلى الله عليه وسلم رابطة
بينهم وبين جبريل لعدم رؤيتهم له ولا يضر ذلك كونه صلى الله عليه وسلم أفضل من جبريل قطعا
لانه يصح أن يأتم الفاضل بالمفضول خصوصا الضرورة تعلم الكيفية فلا يشكل على أئمتنا نعم
هذا يشكل على أئمتنا القائلين بانه لابد من علم كيفية الصلاة قبل الدخول فيها ولا يكفى علمها
بالمشاهدة وقد يجاب بأنه يجوز أن يكون جبريل علمه صلى الله عليه وسلم كيفيتها بالقول ثم أتبع
ذلك القول بالفعل وهو صلى الله عليه وسلم علم اصحابه كذلك ولا يقال فعلى هذا كان يمكن ان يقتدى
جبريل بالنبى صلى الله عليه وسلم أو انه يصلى به اماما و يعلمه جبريل مع كونه مقتديا بالاشارة
أو نحوها لانا نقول لعل امامة جبريل أظهر فى التعليم منه فيما لو اقتدى به جبريل وعلمه بالاشارة
أو نحوها و بما تقرر سقط الاستدلال بذلك على جواز الفرض خلف النفل لان ذلك الصلاة لم
تكن واجبة على جبريل لان الملائكة ليسوا مكلفين بذلك على أنه أجيب بانها كانت واجبة على
جبريل لانه مأمور بتعليمها له صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا قال وكان ذلك عند البيت أى
الكعبة مستقبلا بيت المقدس أى صخرته واستقباله لبيت المقدس كان باجتهاد منه صلى الله
عليه وسلم وقيل كان بامر الله تعالى له قيل بقرآن وقيل بغيره وعلى أنه بقرآن يكون مما نسخت
تلاوته وقال أئمتنا رحمهم الله ونسخ قيام الليل بالصلوات الخمس الى بيت المقدس كما تقدم وكان
صلى الله عليه وسلم اذا استقبل بيت المقدس يجعل البيت بينه وبينه فيصلى بين الركن اليمانى

وركن الحجر الاسود أى كما صلى به جبريل عليه السلام الركعتين أول البعثة وحينئذ لا يخالف قول بعضهم لم يزل صلى الله عليه وسلم يستقبل الكعبة حتى خرج منها أى من مكة لم يستدبرها فلما قدم المدينة استقبل بيت المقدس أى تمحض استقباله له واستدبر الكعبة والظاهر أن ذلك كان شأنه غالبا وان صلى خارج مكة ونواحيها والظاهر أنه كان يفعل ذلك ندبا لا وجوبا لورود أنه صلى الله عليه وسلم صلى عند باب الكعبة وصلاته عند باب الكعبة الى بيت المقدس لا يكون مستقبل الكعبة بل تكون الكعبة على يساره وما تقدم فصيح باعجابه الصلاة جامعة أى لان الاقامة المعروفة للصلاة لم تشرع الا بالمدينة وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال هذا جبريل يعلمكم دينكم وصلى به فى أول يوم الظهر حين زالت الشمس كما تقدم أى عقب زوالها وصلى به العصر حين صار ظل كل شئ مثله أى زيادة على ظل الاستواء على الظل الحاصل عقب الزوال وصلى به المغرب حين أفطر الصائم أى دخل وقت فطره وهو غروب الشمس وصلى به العشاء حين غاب الشفق وصلى به أى فى غد اليوم الثانى الفجر حين حرم الطعام والشراب على الصائم أى دخل وقت حرمة ذلك وهو الفجر وصلى به الظهر حين صار ظل الشئ مثله وصلى به العصر حين كان ظل الشئ مثليه وصلى به المغرب حين أفطر الصائم وصلى به العشاء ثلث الليل الاول وصلى به الفجر أى فى اليوم الثالث فاسفر ثم التفت جبريل وقال يا محمد هذا وقتك ووقت الانبياء من قبلك والوقت ما بين هذين الوقتين انتهى وقوله والوقت ما بين هذين الوقتين محمول عند امامنا الشافعى رضى الله عنه على الوقت الاختيارى بالنسبة للعصر والعشاء والفجر والا فوقت العصر لا يخرج الا بغروب الشمس ووقت العشاء بطلوع الفجر ووقت الفجر بطلوع الشمس خلافا لمن تمسك بظاهر الحديث (ورأى) أى علم مما ذكر أن (الحسنة بعشر) بالتنوين أى بعشر أمثالها وهو كذلك وصرح به فى بعض الروايات ولفظ رأى ساقط فى بعض النسخ (ومن هم) بفتح الهاء وشد الميم أى أراد أى قصد بالقلب فعلها معصما عليه اذ هم يخطر على القلب أربع مراتب أولها الهاجس وهو ما يزول سريعا وفوقه الخاطر وهو يزول بعد زمن يسير من غير عزم وفوقه حديث النفس بالعزم من غير تصميم على الفعل مثلا وهذه الثلاثة لا مؤاخذة فيها ولا تكتب سواء كانت بخيرا أو بشر وفوقها العزم والتصميم وهو المراد بالهم المذكور هنا فان كان هم (بها) أى بالحسنة القولية أو الفعلية (ولم يعملها) بلسانه أو اركانه (كتبت له) أى كتبت له الحسنة التى هم بها ولم يعملها أى كتبها الملك الموكل بها وهو ملك اليمين ومقره فوق ثاب الانسان فى اسنانه وقيل وقيل كتفه الايمن وكتابة الملك لما ذكر تكون باطلاع الله لهم على ما فى القلوب وقيل بل يجد الهم بالحسنة رائحة طيبة وبالسيئة رائحة خبيثة وقيل غير ذلك (فرديه) بفتح الفاء وسكون الراء صيغة مصدر من الفرد بمعنى واحد ويؤها للمصدرية أى حسنة واحدة كاملة من غير مضاعفة لعدم تأكدها بالعمل فان عملها كتبت له عشرا اى لتأكدها بالعمل وقد تزيد المضاعفة الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة بحسب كمال الفاعل والفعل وعدمه ولذلك قال فى الحديث ان العبد ليصلى الصلاة فيكتب له نصفها أو ربعها الى عشرها لعدم كمالها أو كمال فاعلها (والسيئة بمثلها) أى يكتب له سيئة واحدة من غير مضاعفة أى يكتبها الملك الموكل بها وهو ملك الشمال وهو فى مقره مامر وقيل على كتفه الايسر بعد مضى ست ساعات كما

ورأى الحسنة بعشر أمثالها ومن هم بها ولم يعملها كتبت له فرديه * والسيئة بمثلها

فى رواية وهو مساو لنصف النهار كما فى رواية أخرى مالم يستغفر أو يتب والا فلا تكتب عليه وفى الحديث ان ملك اليمين أمين على ملك الشمال فاذا عمل الانسان سيئة وأراد أن يكتبها قال له ملك اليمين اصبر فلا يزال كذلك حتى تمضى ست ساعات فان استغفر والا كتبها وفى رواية فاذا لم يتب قال نعم اكتب أراحنا الله منه فبئس القرين ما أقل مراقبته لله وأقل استحياءه وكل ذلك من فضل الله وسعة رحمته على عباده ولطفه بهم قال بعضهم وقول الملك أراحنا الله منه دعاء لنفسه بالتحول عن مشاهدة المعصية لانهم يتأذون بذلك وقيل دعاء عليه بالموت وهو جائز كما نص عليه الكرابيسى صاحب الشافعى فى كتابه أدب القضاء ودعا على غيره بالموت لم يعزر لانه دعاء بالخلاص من غم الدنيا وعن ابن مسعود أنه قال والله ما من أحد الا والموت خير له لانه ان كان مؤمنا فالله تعالى قال وما عند الله خير للابرار وان كان كافرا فالله تعالى يقول انما نملى لهم ليزدادوا اثما انتهى هذا (ان) هم بها وصمم عليها أو (عملها) قال فى الفتح استثنى بعض العلماء وقوع المعصية فى الحرم المكى قال اسحاق ابن منصور قلنا لاحمد هل ورد فى شئ من الحديث ان السيئة تكتب باكثر من واحدة قال لا ما سمعت الا بمكة لتعظيم البلد أى تضاعف فيه السيآت كما تضاعف الحسنات والجمهور على التعميم فى الازمنة والامكنة لكن قد تتفاوت بالعظم ولا يرد على ذلك قوله تعالى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين لان ذلك ورد تعظيما لحق النبى صلى الله عليه وسلم لان وقوع ذلك من نسائه يقتضى أمرا زائدا على الفاحشة وهو أذاه صلى الله عليه وسلم واستدل به على أن الحفظة لا تكتب المباح للتقييد بالحسنات والسيآت وأجاب بعضهم بان بعض الائمة عد المباح من الحسن وتعقب بان الكلام فيما يترتب على فعله حسنة وليس المباح ولو سمى حسنا كذلك نعم قد تكتب حسنة بالنية وليس البحث فيه واعلم أن ما مر عن الامام أحمد من تضعيف السيئة بمكة تبع فيه ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهما وبه قال مجاهد قال الامام النووى فى الايضاح ان الذنوب بمكة أقبح منه فى غيرها كما أن الحسنة فيها أعظم منها فى غيرها وروى عن ابن عمر بن الخطاب أنه قال لخطيئة أصيبها بمكة أعز على من سبعين خطيئة بغيرها ثم قال فى موضع آخر منه وقد ذهب جماعات من العلماء الى أنه تتضاعف السيآت فيها أيضا ومن قال ذلك مجاهد وأحمد بن حنبل قال العلامة ابن حجر فى حواشيه على الايضاح وظاهر كلام مجاهد ان السيئة تبلغ فى التضعيف مبلغ الحسنة مائة ألف قال وقال بعض المتأخرين انما أرادوا مضاعفة المقدار دون الكمية اذ ليس من عصى الملك على بساط ملكه كغيره ونظر فيه بان ذلك ليس من محل النزاع لاتفاق الفريقين عليه (وان) هم بها بان حدثته به نفسه ولكن (لم يعملها) بان تركها لاجل الله (لم يكتب عليه شئ مما) هم به و (نواه) أى اذا لم يصمم على الفعل لان الله تبارك وتعالى يغفر حديث النفس وما هممت بفعله مالم يعمل أو يتكلم به لخبر الصحيحين ان الله تجاوز لامتى ما حدثت به أنفسها مالم يعملوا أو يتكلموا به والهاجس وهو ما يلقى فى النفس والخاطر وهو ما يجول فيها مغفور ان أيضا بمعنى أنه لا يؤاخذ بشئ منهما كما لا يثاب عليه أما العزم وهو قوة القصد والجزم به فيؤاخذ به وان لم يتكلم لقوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وفى تمهيد المعرفة ثم أعمال القلوب من الفكرة والنية هل يحاسب عليها أولا فقال بعضهم لا يحاسب وبعضهم يحاسب والاصح أنه ان خطر

ان عملها وان لم يعملها لم يكتب عليه شئ مما نواه *

بباله ولم يعتقده ولم ينو ذلك فانه لا يحاسب وان كان كفرا لان ذلك الخطرة مما لا يمكن الاحتراز عنه وأما اذا خطر بباله واعتقد ذلك وثبت عليه فانه يسأل ويحاسب لقوله تعالى وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله وقوله ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا ولهم في هذا البحث كلام طويل مذكور في محله (ثم) لما فرغ صلى الله عليه وسلم من السؤال والخطاب بما ذكر (انحدر) بسكون النون وفتح الحاء والدال المهملتين أي هبط الى الموضع الذي انحجبت عنه الصحابة فيه فأخذ جبريل بيده فنزل حتى انتهى الى موسى عليه الصلاة والسلام فأخبره بانحطاط خمس كالعادة ولم يخبره بقول الله تعالى لا يبدل القول لدي الخ (ف) لذلك (قال) له (موسى) كعادته ارجع الى ربك (سله) والاصل اسأله لانه أمر من السؤال فنقلت حركة الهمزة الى السين فحذفت تخفيفا واستغني عن همزة الوصل فحذفت (التخفيف) فان أمتك لا تطيق ذلك لانه كان أكثر مما كان على بني اسرائيل اذ لا يليق بمقام موسى ان يأمره بالرجوع بعد علمه بذلك القول ولذلك أجابه صلى الله عليه وسلم بجواب ليس فيه ابطال لقوله ولا رد له أدبا منه حيث (قال) قد راجعت حتى (استحييت) بمثناتين تحتيين بعد الحاء المهملة الساكنة (من مراجعة ربي ورضيت باحكامه المقضيه) أي من شأنها ان تمضى وتقضى (فنادى) من جهة (مناد) حكاية عنه لاعلام موسى كما علم محمدا (أن قد أمضيت) أي حكمت وأبرمت (فريضتي) عليك وعلى أمتك على هذا القدر من الصلاة (وخففت عن عبادي) بما قد أسقطته عنهم منها قال بعضهم ويؤخذ منها هنا جواز تكرار الشفاعة في الامر الواحد الى حصول المقصود وتركها عند انتهاء الالحاح لمن فهم منه عدم قبولها بعده وعدم توقف الشفاعة على طلب المشفوع وتكرار الرجوع الى الشافع الناصح وجواز الشفاعة فيما يدخل فيه الشافع وغير ذلك ولما علما باحكام الامر شرعا في المواعدة (فقال موسى) للنبي صلى الله عليه وسلم (اهبط) بسكون الهاء وكسر الموحدة آخره طاء مهملة أي انزل يا محمد محروسا ببسم الله قال صاحب المواهب قال جبريل لا موسى وان كان ظاهر السياق انتهى (فقال) محمد صلى الله عليه وسلم (بسم الله) فهبط صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل ويظهر أنه على المعراج الذي صعد عليه ولا مانع أن المراجعة كانت عليه أيضا ثم أنشد المصنف رحمه الله بيتين لبعض أهل الفضل في حكمة طلب موسى المراجعة بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين ربه وهي تردده اليه ليتكرر له ونوع رؤيته ويحظى بحبيب الله وحبيبه ويتملى من أنوار جماله وحسنه وهما

﴿واغا السر في موسى يردده * ليجتلي حسن ليلى حين يشهده﴾
﴿يبدو سناها على وجه الرسول فيا * لله در رسول حين أشهده﴾

وكل من قوله يشهده وأشهده فعل مضارع مرفوع الاول مبدوء بياء الغيبة والثاني بهمزة المتكلم والفاعل مستتر فيهما وجوبا تقديره في الاول موسى وفي الثاني أنا قال الاجهوري في معراجه ولبعض الذائقين كلام في هذا المقام بديع النظام سلك فيه مسلك أهل المحبة فقال لما سأل موسى عليه الصلاة والسلام الرؤية فلم تحصل البغية بقي الشوق يقلقه والامل يتملقه فلما تحقق أن الحبيب منع الرؤية وفتح له باب المنية كثر السؤال عما جرى ليسعد برؤية من قد رأى وردد في أمر الصلاة الحبيب ليستفيد رؤية حبيب الحبيب وفي كلام بعض أهل الاشارات أيضا

ثم انحدر فقال موسى سله التخفيف قال قد استحييت من مراجعة ربي ورضيت باحكامه المقضيه * فنادى مناد أن قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي فقال موسى اهبط فقال بسم الله *
واغا السر في موسى يردده *
ليجتلي حسن ليلى حين يشهده
يبدو سناها على وجه الرسول فيا *
لله در رسول حين أشهده

ما يقرب من ذلك الا أنه قال فى آخره ردده فى أمر الصلاة ليسعد برؤية حبيب الحبيب هكذا على الاطلاق سواء قيل أنه رآه أم لا (وكل قوم يلحظون) أى ينظرون ويراعون (مذهبهم وقد علم كل أناس مشربهم) موضع شربهم فلا يشاركهم فيه غيرهم (من علماء الظاهر والصوفيه) وهم علماء الباطن وقد تقدم شرذمة من كلام الفريقين وهو كما قال (وعباراتهم شتى وحسنك واحد) وكما قال العارف البوصيرى فى بردة المديح

منزه عن شريك فى محاسنه * فجوهر الحسن فيه غير منقسم

(وكل الى ذلك الجمال اشارته وايماء) هما بمعنى والله تعالى بفضله واحسانه يوالى انسجام سحائب عفوه ورضوانه على العارف الربانى الشيخ أبى عبد الرحمن السلمى الازدى النيسابورى الصوفى فلقد أجاد اذ أفاد بما أفرده من لطائف المعراج حسبما جمعه من كلام أهل الاشارات بافوم المنهاج

﴿تتمة﴾ جاء فى رواية انه صلى الله عليه وسلم اكتسب من تلك الحضرة القدسيه رائحة فى ذاته وعرقه أزكى من المسك الاذفر ومن العود والعنبر حتى كان اذا مشى فى الطريق ومشى فيها أحد بعده ممن لم يعلم بمروره يعلم بوجود تلك الرائحة انه مر بها صلى الله عليه وسلم وجاء رجل بالمدينة يريد تجهيز بنته لزفافها فطلب شيأ من عرقه يطيبها به فاعطاه وامر ان يطيبها به ففعل فصار أهل المدينة يجدون رائحة الطيب من البيت الذى فيه فسموهم بيت المطيبين

﴿ضوع اللهم معهده الشميم * بنشر غوال من صلاة وتسليم﴾

(و) فى هبوطه صلى الله عليه وسلم صار (لا يمر بملأ من الملائكة) أى جماعة منهم وكذا الواحد (الا) وهو يسلم عليهم ولم يذكر أحدا من الانبياء الذين رآهم فى صعوده غير موسى عليه الصلاة والسلام فاذا سلم عليهم (قالوا) له (مر أمتك) وفى رواية عليك (بالحجامة) لما فيها من كثرة الشفاء ولو فى غير الرأس قال شيخنا السقا الحجامة بالكسر هى أخذ الدم بالمحجم وهو ما يحجم به واشتقاقه من الحجم وهو المص هذا هو المراد هنا لا أخذ الدم ولو بالفصد كما توهم فان الحجامة فيها صحة البدن ولا تضر أصلا بخلاف الفصد انتهى وللاطباء فيها كلام بحسب الامكنة والازمنة والاشخاص فليراجع من كلامهم قال الموفق البغدادى الحجامة تنقى سطح البدن أكثر من الفصد وامن غائلة ولهذا وردت الاخبار بذكرها دون الفصد وأكثر الاحاديث الواردة فيها مخاطب بها أهل الحجاز ومن فى معناهم من ذوى البلاد الحارة لان دماءهم رقيقة تميل الى ظاهر البدن وقد وردت أحاديث بالحجامة عند انتصاف الشهر فى الاوتار كيوم الخامس عشر والسابع عشر أو التاسع عشر أو احدى وعشرين وخص الاوتار لان الله وتر وان وافقت يوم الاثنين والثلاثاء كان أفضل وبالنهى عن فعلها يوم الجمعة والسبت والاحد والاربعاء والخميس وكره ايقاعها أول الهلال وكذا آخر الشهر ففى الحديث تكره أول الهلال ولا يرجى نفعها حتى ينقص الهلال أى بان ينتصف الشهر قال ابن جريج وانما خص أمره بحال انتقاص الهلال من تناهى تمامه لان ثوران كل ثائر وتحرك كل علة انما يكون فيما يقال من حين الاستهلال الى الكمال فاذا تناهى تماؤه وتم تمامه سكن فامر بالاحتجام فى الوقت الذى الاغلب فيه السلامة انتهى وقال صاحب القانون ويؤمر باستعمال الحجامة لا فى أول الشهر لان الاخلاط تكون قد تحركت

وكل قوم يلحظون مذهبهم وقد علم كل أناس مشربهم من علماء الظاهر والصوفيه * وعباراتهم شتى وحسنك واحد وكل الى ذلك الجمال اشارته وايماه *

﴿ضوع اللهم معهده الشميم * بنشر غوال من صلاة وتسليم﴾

ولا يمر بملأ من الملائكة الا قالوا مر أمتك بالحجامة

وهاجت ولافى آخره لانها تكون قد نقصت بل فى وسط الشهر حين تكون الاخلاط هائجة تابعة فى مزيدها المزيد النور فى جرم القمر انتهى قال العزيزى فانظر ما وجه تعلق دم الانسان بنور القمر فى الزيادة والنقصان فسبحان من استأثر بعلم الاشياء ومناسبتها وارتباط بعضها ببعض انتهى والذى يؤخذ من كلامهم أيضا أن الحجامة ضرورية واختيارية فالضرورية عند الحاجة فتفعل وقت الحاجة ولو فى اثوقت المكروه ولا تختص بزمان ولا بمكان والاختيارية فوران الاخلاط وذلك فى الربع الثالث من الشهر أخذا مما مر وهى على الريق أمثل قال ابن القيم تكره الحجامة على الشبع وهى فى الرأس تنفع من الجنون والصراع والجذام والبرص ولوجع الاضراس والنعاس وظلمة يجدها فى عينه والمراد فى أسفل الرأس لا فى أعلاه فقد قيل انها فى نقرة الرأس تورث النسيان كما فى خبر وقيل ربما أعمت ونقل غيره عن الاطباء أنها فى وسط الرأس نافعة ولعله فى بعض الامراض قال حجة الاسلام الغزالى رحمه الله اذا اعتقدت أن المصطفى صلى الله عليه وسلم مطلع على خواص الاشياء فلا ترض لنفسك بان تصدق محمد بن زكريا وابن سينا وأضرابهما فيما يذكرونه من خواص الاشياء فى الاحجار والاشجار والادوية ولا تصدق الا برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يخبر به عنها قال بعضهم ويشترط لحصول النفع بالحجامة التوكل فى حصول الشفاء على الله سبحانه وتعالى (وأكثروا فيها) أى فى الحجامة (الوصيه) وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة فى الامر بها وبيان منافعها كما مر (ثم) لما (انحدر) أى نزل (الى السماء الدنيا) أخذ يحكى لجبريل حاله الذى وقع له مع من مر عليه فى صعوده كما يدل عليه ما يأتى وقيل فى هبوطه فقال لجبريل مالى لم آت أهل سماء وسلمت عليهم الا ردوا على السلام ورحبوا بى وضحكوا الى ودعوا الى غير واحد سلمت عليه فرد على السلام ورحب بى ودعا لى ولم يضحك لى فقال له جبريل هذا مالك خازن النار وانه لم يضحك منذ خلق ولو ضحك لاحد لضحك لك قال القليوبى وذكر بعضهم ان جبريل وميكائيل لم يضحكا منذ خلقت النار ولعله الاغلب أو الاكثر انتهى قال فى انسان العيون وقوله صلى الله عليه وسلم لم آت أهل سماء الخ قد يعارضه ما جاء انه قال لجبريل مالى لم أر ميكائيل ضاحكا قال ما ضحك منذ خلقت النار وفيه أن هذا يفيد أن ميكائيل كان موجودا قبل خلق النار وايجادها وهذا لا ينافى أن ميكائيل ضحك بعد ذلك فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم تبسم فى الصلاة فسئل عن ذلك فقال رأيت ميكائيل راجعا من طلب القوم أى يوم بدر وعلى جناحه الغبار فضحك أى فتبسمت اليه ولعل هذا بعد ما أخرجه أحمد فى مسنده عن أنس ابن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لجبريل انى لم أر ميكائيل عليه الصلاة والسلام ضاحكا قط قال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار ومما يدل على ان جبريل خلق قبل النار أيضا ما فى مسند أحمد عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل لم تأتنى الا رأيتك صارا بين عينك قال انى لم أضحك منذ خلقت النار وهذا مع ما تقدم من رؤيته صلى الله عليه وسلم الجنة ودخوله فيها يرد على الجهمية وبعض المعتزلة كعبد الجبار وأبى هاشم حيث زعموا أن الله تعالى لم يخلق الجنة والنار وأنهما ليستا موجودتين الآن وانما يخلقهما الله تعالى يوم الجزاء مستدلين بامور تقدم الجواب عنها عند قول المصنف ثم دخل الجنة فاذا فيها الخ (ف) لما نزل الى ما تحت سماء الدنيا

وأكثروا فيها الوصيه
*ثم انحدر الى سماء الدنيا

(رأى أسفل منه) فى جهة الارض (رهجا) براء مهملة فهاء مفتوحتين فجيم أى غبارا كثيرا وأمورا مزعجة وفى نسخة زهزجا بزاءين معجمتين هو عزيف الجن وجلبتها والعزيف صوت الجن والجلبة كالجلبة اختلاط الصوت كما فى القاموس (وأصواتا) مرجفة (ودخانا) كثيرا (فقال) صلى الله عليه وسلم (لجبريل) عليه السلام (ماهذا الذى أراه) ويلزم أن يكون رآه جبريل أيضا بدليل جوابه حيث (قال هذه الشياطين يحومون) كالطيور فى الجو والهواء يطمسون (على أعين بنى آدم لئلا يتفكروا فى الاملاك العلويه) أى فى ملكوت السموات (٢) أى والارض كما فى الرواية وقد تقدم الكلام فى الملكوت مبسوطا واقتصر هنا على الاملاك العلوية لانها أقوى استدلالا أولان الاملاك كلها تنسب الى العلو من حيث دلالتها على توحيد الله ووحدانيته أولان الاملاك السفلية تدخل من باب أولى (ولولا ذلك) الحوم من الشياطين (لرأوا) أى بنو آدم (العجائب) فى مصنوعات الله (مما أبدعه) أوجده من غير سبق مثال (المبدئ) من أسماء الله تعالى الحسنى معناه الفاطر وهو الخالق ابتداء فى عالم ارادته الازلية (وأبداه) أى أظهره فى عالم قدرته الى الوجود وفائدة النظر والتفكر فى ملكوت السموات والارض حصول التوجه الى الله واليقين به قال تعالى ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب أى لانها دلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوى العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم قال تعالى ويتفكرون فى خلق السموات والارض أى استدلالا واعتبارا قال البيضاوى وهو أفضل العبادات كما قال عليه الصلاة والسلام لاعبادة أفضل كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق ربنا ماخلقت هذا باطلا أى يتفكرون قائلين ذلك والمعنى ماخلقته عبثا ضائعا من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها أن يكون مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحياة الابدية والسعادة السرمدية فى جوارك ﴿فائدة﴾ قال جمهور العلماء ان التفكر على خمسة أوجه اما فى آيات الله ويلزمه التوجه اليه واليقين به أو فى نعم الله ويتولد عنه المحبة أو فى وعد الله ويتولد عنه الرغبة أو فى وعيد الله ويتولد عنه الرهبة أو فى تقصير النفس عن الطاعة ويتولد عنه الحياء ﴿لطيفة﴾ ذكر البغوى فى تفسير قوله تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض قال وروى عن سلمان ورفعه بعضهم عن على قال لما رأى ابراهيم ملكوت السموات والارض أبصر رجلا على فاحشة فدعا عليه فهلك ثم أبصر آخر فدعا عليه فهلك ثم أبصر فاراد أن يدعو عليه فقال له تبارك وتعالى يا ابراهيم أنت رجل مجاب الدعوة فلا تدعون على عبادى فانما أنا من عبدى على ثلاث خلال أى خصال اما أن يتوب الى فانوب اليه واما ان أخرج منه نسمة تعبدنى واما أن يبعث الى فان شئت عفوت وان شئت عاقبت وفى رواية وان تولى فان جهنم من ورائه (ثم) هبط صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل الى بيت المقدس ولم يصل فيه ولم ير الانبياء ولا غيرهم كما عليه الجمهور خلافا لمن زعمه و (ركب) البراق بعد حله من خرق الصخرة التى ربطه فيه جبريل عند صعوده وصار (منصرفا) أى سائرا متوجها الى مكة المشرفة والظاهر المناسب أن جبريل لم يفارقه ويدل له ماروى عن أبى هريرة باسناد جيد أنه صلى الله عليه وسلم لما وصل فى رجوعه الى ذى طوى قال يا جبريل ان قومى لا يصدقونى فقال له يصدقك أبو بكر وهو الصديق وعلى فرض أنه ليس

(٢) قوله فى ملكوت السموات الملكوت الملك زيدت فيه التاء للمبالغة كالرهبوت والرغبوت والجبروت والرحموت من الرهبة والرغبة والقهر والرحمة قال ابن عباس يعنى خلق السموات والارض وقال مجاهد وسعيد بن جبير يعنى آيات السموات والارض اه منه قال قتادة ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الارض والجبال والشجر والبحار اه منه

فرأى أسفل منه زهزجا وأصواتا ودخانا فقال لجبريل ماهذا الذى أراه * قال هذه الشياطين يحومون على أعين بنى آدم لئلا يتفكروا فى الاملاك العلويه * ولولا ذلك لرأوا العجائب مما أبدعه المبدئ وأبداه * ثم ركب منصرفا

معه فهو آمن من المخاوف ومن اضلال الطريق ولعل كراهة السفر للمنفرد لم تكن شرعت اذ ذاك أو أنه لبيان الجواز أو لغير ذلك (فر بعير) بكسر العين المهملة تذكر وتؤنث الابل تحمل الميرة ثم غلب على كل قافلة أى على قافلة من الابل باحمالها وكانت العير حاملة أنواع التجارة سائرة الى مكة (لقريش) كما هو العادة فى تجارتهم (فلما دنا) صلى الله عليه وسلم (منها نفرت) تفرقت فزعا من رؤية (الزوال) ٢ ايلاء على عادة الحيوان (بتلك الارض الفضائيه) بفتح الفاء والضاد المعجمة والمد قال فى المصباح الفضاء بالمد المكان الواسع (وصرع) بضم الصاد وكسر الراء المهملتين آخره عين مهملة من صرعه بمعنى طرحه أى وقع على الارض (بعير) بفتح الباء الموحدة وكسر العين المهملة يطلق على الذكر والانثى من الابل وفى المواهب التصريح بانه كان جملا وهو ذكر الابل (منها) أى من العير وكان عليه غرارة سوداء وغرارة بيضاء والغرارة الخرج (وانكسر) من صرعة ذلك (حين) مر بذلك العير و (حاذاه) أى وازاه فالمحاذاة الموازاة (و) استمر سائرا حتى (مر بعير) أى بقافلة غير الاول (لقريش) أيضا وسيأتى أنها بوادى الروحاء فرآهم (قد ضلوا) أى أصحابها فقدوا وفى نسخة قد أضلوا (بعيرا) بفتح الموحدة واحدا وهم يسعون فى طلبه ولا يخالف ما يأتى ان الذى ضل هى ناقة لان البعير يطلق عليها أيضا كما مر ونسب الضلال اليهم مجازا (لهم) أى لقريش (قد جمعه أحدهم) أى أتى بالبعير الذى قد ضل قال المجد الجمع كالمنع تأليف المفترق ولفظ الرواية قد جمعه فلان وذلك يقتضى أنه صلى الله عليه وسلم سماه ونسى الراوى اسمه (بهمة عزميه) أى هم فى طلبه بعزم حتى وجده وأتى به (فسلم) صلى الله عليه وسلم (عليهم) بسلام التحية ولم يذكر أنهم ردوا عليه امالشغلهم بعود البعير أو بالاختلاف فى المسلم المشار اليه بقوله (فقال بعضهم هذا) الصوت (صوت محمد) وأنكره بعضهم لاستغراب وجوده فى ذلك المحل خصوصا فى الليل وسيأتى أنه كان معهم قدح ماء فشربه وسيأتى ذكر قافلة أخرى مر بها فى التنعيم (ثم) استمر صلى الله عليه وسلم فى سيره حتى (أتى) أى وصل (أصحابه) أى أهل بيته (قبيل) مصغر قبل أى قريب وقت (الصبح) أى الفجر وقول بعضهم بعد صلاة الصبح غير معتبر لان رواية القصة بعد استقرار الامر وهى حكاية بعد الصبح فلا اعتراض ولا اشكال ولعله لما وصل الى أهله نزل من البراق فارتفع الى محله من الجنة بنفسه أو معه جبريل أو غيره واستمر صلى الله عليه وسلم بقية الليل فى بيته الكائن (بالاباطح المكية) جمع أبطح سيل واسع فيه دقاق الحصى وقريش البطاح الذين ينزلون بين أخشبى مكة (فلما أصبح) خرج من البيت متفكرا فى أمره (فعد حزينا) أى صورة كوضع يده على خده أو نكثه فى الارض منكسا أو نحو ذلك (وعرف أن الناس) من أهل مكة أو مطلقا (تكذبه) بتشديد الذال المعجمة المكسورة (مسراه) بضم السين المهملة كهدى سير عامة الليل ويطلق على السير ليلا سواء أول الليل أو وسطه أو آخره كما قاله أبو زيد وفى بعض النسخ مسراه بالميم وهو بمعناه أى تكذبه فى اخباره بما وقع له فى الاسراء به الى بيت المقدس ورجوعه الى مكة لانه أمر خارق للعادة لا يصدقه فيه الا من نور الله قلبه بالايمان كالصديق رضى الله عنه وتقدم أن جبريل أخبره بان الصديق يصدقه ولعل هذا هو حكمة اقتصاره صلى الله عليه وسلم فى ابتداء الامر على الاخبار بالاسراء به الى بيت المقدس ولم يخبر المشركين بالعروج به الى السموات وبما حصل له من التفحات الالهية كما أن حكمة الاسراء به الى بيت المقدس كما قاله

(٢) قال فى القاموس وأما الزوال الذى يتحرك فى مشيته كثيرا وما يقطعه من المسافة قليل فبالكاف لا باللام وغلط الجوهرى اه منه

فر بعير لقريش فلما دنى منها نفرت الزوال بتلك الارض الفضائيه * وصرع بعير منها وانكسر حين حاذاه * ومر بعير لقريش قد ضلوا بعيرا لهم قد جمعه أحدهم بهمة عزميه * فسلم عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد ثم أتى أصحابه قبيل الصبح بالاباطح المكيه * فلما أصبح قد حزينا وعرف أن الناس تكذب مسراه *

ابن أبي جمرة هي اظهار الحق للعاند لانه لو عرج به من مكة الى السماء لم يجد لعاندة الاعداء سبيلا الى البيان والايضاح حيث سألوه كما سيأتي من جزئيات من بيت المقدس كانوا رأوها وعلموا أنه لم يكن رآها قبل ذلك فلما أخبرهم بها حصل التحقيق انه أسري به الى بيت المقدس وان أصروا على التكذيب فانه لمحض العناد واذا صح البعض لزم تصحيح الباقي فكان ذلك سببا لقوة ايمان المؤمنين وزيادة في شقاء من عاند وجحد من الكافرين أي أصلا وارتدادا ذكره في المواهب قال الزرقاني ثم حكم آخر ولا تزاحم انتهى قال النجم الغيطي في الابتهاج فان قلت الاسراء والمعراج كانا في ليلة واحدة فهلا أخبرهم الله تعالى بعروجه الى السماء قلت استدرجهم الى الايمان بذكر الاسراء أولا فلما ظهرت أمارات صدقه ووضحت لهم براهين رسالته واستأنسوا بتلك الآية الخارقة أخبرهم بما هو أعظم منها وهو المعراج فحدثهم النبي صلى الله عليه وسلم به وأنزل الله تعالى في كتابه في سورة النجم قال بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى الآيات انتهى (فربه) أي جاز عليه وهو قاعد على تلك الهيئة (أبو جهل) كنيته واسمه عمرو بن هشام المخزومي عدو الله وعدو رسوله قتله معوذ مع أخيه معاذ ابني عفراء رضي الله عنهما يوم بدر وهو فرعون هذه الامة لعنه الله (رئيس) أي كبير (الطائفة) الجماعة (القليبية) بفتح القاف وكسر اللام آخره ياء نسبة نسبوا الى القليب وهو البئر القديم المهجور الذي ألقيت فيه جيف المشركين يوم بدر لانهم لما قتلوا في غزوة بدر الكبرى أمر صلى الله عليه وسلم بالقائهم فيه فطرحوا فيه الا ما كان من أمية بن خلف فانه انتفخ في درعه فذهبوا ليحركوه فتقطع أوصالا فالقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة وجملتهم سبعون وكلهم من اشراف قريش (و) لما رآه على تلك الحالة عرف اللعين أنه في ضرورة فاراد الشماتة به وجاءه و (قال) له (كالمستهزئ به) يا محمد (هل كان) أي وجد لك (من خبر) صار لك هذه الحالة بسببه (ودينه) بدالين مهملتين مفتوحتين بينهما تحتية ساكنة آخره نون أي عادته (بغض النبي وأذاه) صلى الله عليه وسلم (فقال الصادق) صلى الله عليه وسلم نعم قد (أسري بي الليلة) فقال أبو جهل الى أين فقال صلى الله عليه وسلم (الى رحاب) بكسر الراء المهملة جمع رحبة الارض الواسعة المنبات المحلال والمراد هنا ساحات (القدس الافيحيه) بفتح الهمزة وسكون الفاء فتحتية ففاء مهملة باؤه للمصدرية أي كون الرحاب واسعة قال في القاموس بحرية افيح وفياح بين الفيح واسع (قال) أبو جهل مستهزئا (ثم أصبحت بين ظهرانينا) أي بين أظهرنا بمكة (قال نعم) هو ذاك (فاستعظم) أبو جهل (ذلك واستقصاه) أي استبعده (فلم ير) أبو جهل من الرأي وهو التفكر في عواقب الامور (أن يكذبه) أي اقتضى رأيه أن يمتنع عن تكذيبه مبادرة (مخافة) أي خوف (أن) بفتح الهمزة (يجحد الحديث) الذي ذكره له وهو حديث الاسراء به الى بيت المقدس (ان) بكسر الهمزة (دعا) أبو جهل (اليه الطوائف) جمع طائفة أي الجماعات (القرشيه) واختار الطوائف القرشيه لكونه صلى الله عليه وسلم منهم فاراد أبو جهل أن يقرر صلى الله عليه وسلم عندهم بما ذكره له من هذا الامر المستبعد عند من لم يوفقه الله تعالى لاجل أن يصدق قريش أبا جهل في قوله ان محمدا كاذب متقول على الله فقال أبو جهل اليه كالذي يريد أن يودعه سرا (وقال) مستخبرا له (ان دعوت) أنا (قومك) من قريش أي طلبتهم الى الحضور عندك وحضروا (أتحدثهم بذلك) بما حدثتني به من خبر الاسراء (قال نعم فناداهم) أبو جهل بأعلى صوته بقوله

فربه أبو جهل رئيس الطائفة القليبيه * وقال كالمستهزئ به هل كان من خبر ودينه بغض النبي وأذاه * فقال الصادق أسري بي الليلة الى رحاب القدس الافيحيه * قال ثم أصبحت بين ظهرانينا قال نعم فاستعظم ذلك واستقصاه * فلم ير أنه يكذبه مخافة أن يجحد الحديث ان دعا اليه الطوائف القرشيه * وقال ان دعوت قومك أتحدثهم بذلك قال نعم فناداهم

يامعشر بنى كعب بن لؤى هلموا الينا (فانقض) بالقاف والضاد المعجمة أى أسرع (اليه كل) بالرفع منونا أى كل واحد (منهم) أى من قومه صلى الله عليه وسلم وهم قريش (من مجلسه) محله الذى كان جالسا فيه (وفناه) بالفاء بوزن كتاب الوصيد وهو سعة أمام البيت وقيل ما امتد من جوانبه (ف) لما اجتمعوا اليهما (قال له) صلى الله عليه وسلم (أبو جهل) فاعل قال مؤخر وله مفعوله مقدم (أخبر) أى حديث يامحمد (أقوامك) جمعه باعتبار شعبهم أى حدث من حضر من طوائف قومك (باخبارك المرويه) أى التى رؤيتها لى ولم يبادر أبو جهل بما قال له اما تحاشيا عن التكلم بما استبعده عقله السقيم أو خشية الانكار فأصغوا له جميعا ليسمعوا الحديث (فحدثهم بما حدث) به (قبل أباجهل الذى أهواه) أى أسقطه من علوالى أسفل (فى الهاوية) اسم من أسماء جهنم وهى سابع الطباق الذى أعد للمنافقين الذى هو الدرك الاسفل من النار (هواه) أى ميل نفسه الى ما زينه له ابليس لعنهما الله فالاول من هوى يهوى بفتح الواو فى الماضى وكسرها فى المضارع والثانى من هوى يهوى بكسرها فى الماضى وفتحها فى المضارع وفى حديث ابن عباس عند أحمد والبزار باسناد حسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان ليلة أسرى بى وأصبحت بمكة مربى عدو الله أبو جهل فقال هل كان من شئ قلت انى أسرى بى الليلة الى بيت المقدس قال ثم أصبحت بين أظهرنا قلت نعم قال فان دعوت قومك أتحدثهم بذلك قلت نعم قال يامعشر بنى كعب ابن لؤى فانفضت اليه المجالس فقال حدث قومك بما حدثتنى به فحدثتهم (فن) بين (مصفق) بفتح الصاد المهملة وكسر الفاء المشددة بيديه أى ضارب بيديه (و) من بين (مستبعد) وقوع ذلك بالشقاوة التى كتب عليهم (اسراء من أعلى) رفع (الله) تعالى (على السبع الطباق) السموات السبع (رقيه) ارتقاءه (ومن) بين (واضع يده على رأسه) أى رأس نفسه (وقد ذهب به العجب) محركة انكار ما يرد عليك كما يؤخذ من القاموس قال فى المصباح وعجبت من الشئ عجبا من باب تعب قال ويستعمل التعجب على وجهين أحدهما ما يحمده الفاعل ومعناه الاستحسان والاخبار عن رضائه به والثانى ما يكرهه ومعناه الانكار والذم له ففى الاستحسان يقال أعجبنى بالالف وفى الذم والانكار عجبت وزان تعبت انتهى (الى منتهاه) غايته وضجوا ضجيجا عظيما وعظموا ذلك الامر واستغربوه (فكذبه) أى كذب النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك (مطعم) بضم الميم وسكون الطاء وكسر العين المهملتين آخره ميم (بن عدى) بفتح العين وكسر الدال المهملتين وشد المثناة التحتية الميت على كفره والد جبير بن مطعم النوفلى الصحابى الشهير (حصب) بفتح الحاء والصاد المهملتين ما هيئ للوقود من الحطب وهى لغظة زنجية فقد أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله تعالى حصب جهنم قال حطب جهنم بالزنجية انتهى قال البيضاوى هو ما يرمى به النار ويهيج به من حصبه يحصبه من باب ضرب اذا رماه بالحصباء انتهى قال السمين ولا يقال له حصب الا وهو فى النار فاما قبل ذلك فحطب وشجر وغير ذلك انتهى وفى المختار والحصب بفتحتين ما تحصب به النار أى ترمى وكلما ألقيته فى النار فقد حصبتها به وبابه ضرب اه ومثله فى القاموس (الطباق) هى سبع (السعيريه) المنسوبة الى السعير اسم من أسماء جهنم أو هو اسم الطبقة الرابعة منها والمراد هنا جهنم من غير نظر الى طباقها (أطعمه الله ضريع) بفتح الضاد المعجمة آخره عين مهملة قال مجاهد هو نبت ذو شوك لاطئ بالارض تسميه قريش

فانقض اليه كل منهم من مجلسه وفناه * فقال له أبو جهل اخبر أقوامك باخبارك المرويه * فحدثهم بما حدث قبل أباجهل الذى أهواه فى الهاوية هواه * فمن مصفق ومستبعد اسراء من أعلى الله على السبع الطباق رقيه * ومن واضع يده على رأسه وقد ذهب به العجب الى منتهاه * فكذبه مطعم ابن عدى حصب الطباق السعيريه * أطعمه الله ضريع

الشبرق فاذا هاج سموه الضريع وهو أخبث طعام وأبشعه قال الشعلبي لا تقربه دابة اذا يبس وقال ابن زيد أما في الدنيا فان الضريع الشوك اليابس الذي ليس له ورق وهو في الآخرة شوك من نار وجاء في الحديث عن ابن عباس يرفعه الضريع شجر في النار يشبه الشوك أمر من الصبر وانتن من الجيفة وأشد حرا من النار (الزقوم) بوزن تنور طعام أهل النار قال الخطيب وهو من أخبث الشجر المر ينبت في الدنيا بتهامة وفي الآخرة ينبته الله في الجحيم وهو في غاية الكراهة وبشاعة المنظر ونتن الريح فالاضافة اما تفسيرية أو بيانية وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم لو أن قطرة من الزقوم قطرت في الدار الدنيا لافسدت على أهل الدنيا معائشهم فكيف بمن تكون طعامه وقد تقدم الكلام عليه عند ذكر المصنف رحمه الله مروره صلى الله عليه وسلم يقوم يغصون بطلع شجرة الزقوم بابسط من هذا (ومن طينة الخبال) بفتح الخاء المعجمة والموحدة عصارة أهل النار وصديدهم (سقاه) وقوله أطعمه الله الخ جملة دعائية أو اخبارية عما سؤل أمره اليه قال ابو الدرداء ان الله تعالى يرسل على اهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضريع وهو ذو غصة فيغصون به فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالماء فيستسقون فيعطشهم ألف سنة ثم يسقون من عين آنية لا هنيئة ولا مريئة فاذا أدنوه من وجوههم سلخ جلود وجوههم وشواها فاذا وصل بطونهم قطعها فذلك قوله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم (وقال) مطعم مخاطبا للنبي صلى الله عليه وسلم (نحن نضرب أكباد الابل) نسب الضرب الى الاكباد لانها محل التعب أو لفظ الاكباد مقحم والمراد نسافر عليها (اليه) أي الى بيت المقدس (ستين ليلة عددية) وهي مدة الذهاب والاياب ونسبة الاياب اليه لادنى ملابسة وهي السببية والا فالاياب منه الى مكة ولفظ الرواية نحن نضرب أكباد الابل الى بيت المقدس مصعدا شهرا ومنحدرا شهرا أي مصعدا ذهابا ومنحدرا اياباً فعن أبي يعلى وغيره عن أم هانئ أنه صلى الله عليه وسلم لما أخبرهم بالاسراء الى بيت المقدس ضجوا وعظموا ذلك فقال مطعم ابن عدي كل أمرك قبل اليوم كان أمما غير قولك اليوم أنا أشهد أنك كاذب نحن نضرب أكباد الابل مصعدا شهرا ومنحدرا شهرا (تزعم أنك أتيته) أي ذهبت اليه ورجعت (الليلة و) أكد كلامه المذكور بان (أقسم) أي حلف (أنه لا يصدقه) فيما قاله (بلاته وعزاه) أي قال واللات والعزى لا أصدقك وهما اسما صنمين الاول معبود ثقيف بالطائف والثاني معبود قريش وبني كنانة وكان خدامها من بني شيبة قال بعضهم والعزى شجرة لغطفان بحركات كانوا يعبدونها فبعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد ابن الوليد رضي الله عنه فقطعها (فقال له) لمطعم المذكور (أبو بكر) وكان قد حضر كما سيأتي وقد امتلأ غيظا (بئس) كلمة ذم (ما قلت لابن أخيك) من حيث القبيلة أو على وجه المدح بالشفقة في معرض الذم (كذبته) فيما قال (وهو سيد الاسرة) بضم الهمزة وسكون السين المهملة على وزن غرفة أصله من الاسر وهو الشد والربط والحبس ثم أطلق على عشيرة الرجل وأهل بيته لانه يتقوى بهم (الهاشمية) اقتصر عليهم لانهم أشرف قومه والا فالمراد سيد قومه بني هاشم وغيرهم (أنا أشهد أنه صادق) فيما قاله (فرضي الله عنه وأرضاه) ثم أخذوا في التعنت عليه لزعمهم كذبه وعلمهم أنه لم ينظر الى بيت المقدس قبل ذلك (فقالوا) أي جماعة من كفار قريش أو مطعم بن عدي على لسانهم

الزقوم ومن طينة الخبال سقاه * وقال نحن نضرب أكباد الابل اليه ستين ليلة عدديه * تزعم أنك أتيته الليلة واقسم لا يصدقه بلاته وعزاه * فقال له أبو بكر بئس ما قلت لابن أخيك كذبته وهو سيد الاسرة الهاشميه * أنا أشهد أنه صادق فرضي الله عنه وأرضاه * فقالوا

أم أبو بكر كما فى الروايات قال الزرقانى ولا تنافى فانه أى المطعم بن عدى سأله استحمانا وأبو بكر ارادة لان يصدقه قومه وقد علم الصديق أنه ان لم يكن أثبته تلك الليلة فالله يطلعه عليه قال ثم لا ينافى اسناد السؤال الى المطعم رواية من روى أن الكفار قالوا يا محمد صف لنا بيت المقدس كيف بناؤه وكيف هيئته وكيف قربه من الجبل فذهب ينعت لهم بناؤه كذا وهيئته كذا وقربه من الجبل كذا فقال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب لاحتمال أن المطعم هو الذى ابتدأ سؤاله من المشركين كما أنه الذى تولى كبر التكذيب يومئذ أى كما تقدم فى رواية أبى يعلى عن أم هانئ وقال القليوبى وقيل قاله أبو بكر رضى الله عنه لقصد اظهار حجته صلى الله عليه وسلم واقامة برهان تصديقه لكنه بعيد وان جرى عليه ابن حجر وغيره انتهى لكن التوفيق أولى من التبعيد ويؤيده ما يأتى من قول أبى بكر أصدقه بخبر السماء الخ (يا محمد صف) أى انعت (لنا بيت المقدس) ان كنت صادقا كيف بناؤه وكيف هيئته وكيف قربه من الجبل وغير ذلك (وأوضح الوصفيه) أى كيفية بنائه هل هو من حجر أو آجر وكيفية طوله وقصره وعرضه وغير ذلك وفى القوم الحاضرين من سافر اليه مرة أو أكثر وأتقن ما سألوه عنه (فذهب) أى شرع صلى الله عليه وسلم (يصفه) ينعته (لهم ويقول كذا وكذا هيئته) من طول وقصر وغيرهما (و) كذا كذا (قربه من الجبل و) كذا كذا (بناه) من حجر أو آجر أو غير ذلك (فما زال) صلى الله عليه وسلم (ينعت) من باب نفع أى يصف (لهم حتى التبس عليه النعت) فى أشياء لم يكن أتقنها كما فى رواية مسلم عن أبى هريرة رفعه لقد رأيتنى فى الحجر وقريش تسألنى عن مسراى فسألتنى عن أشياء لم أثبتها أى لم أعرفها حق المعرفة لانى دخلته ليلا وخرجت منه ليلا (وكرب) كنصر مبنيا للفاعل أو المفعول من الكرب وهو الغم الذى يأخذ بالنفس لشدته (كربا) شديدا وفى رواية كربة بضم الكاف بوزن غرفة (ما كرب) قبله (مثله) بتذكير الضمير على ما هنا وعلى معنى الكربة على روايتها وهو الغم والهم أو الشئ (قط) بفتح القاف وضم الطاء مشددة مخصوص بالماضى أى فيما مضى من الزمان أو فيما انقطع من العمر وهذا المعنى الثانى هو المراد هنا لقوله (منذ برز) أى ظهر صلى الله عليه وسلم (من الصدفة الزهريه) أى صدفة آمنة الزهراء المنسوبة الى زهرة جد أبيها والمراد بالصدفة بطنها ففى الكلام استعارة تصريحية حيث شبهه صلى الله عليه وسلم باللؤلؤة الكامنة فى صدفتها (فجيئ بالمسجد) الاقصى (ووضع دون دار عقيل) وكانت عند الصفا واستعرت فى يد آل عقيل الى عدالة يوسف أخ الحجاج وتسمى الآن بدار الخيزران (أو عقال شك) فى الاسمين (من) أى الراوى الذى (رواه) أى روى الحديث أى فى محل أقرب اليه صلى الله عليه وسلم منها قال الحافظ ابن حجر وهذا يقتضى أنه أزيل مكانه حتى أحضر اليه وما ذلك فى قدرة الله بعزيز وقيل ان جبريل ضرب بجناحه فازال الحاجب بينهما حتى كأنه ينظر اليه من محله ففى حديث ابن عباس عند أحمد والبزار فجيئ بالمسجد وأنا أنظر اليه حتى وضع عند دار عقيل فنعته وأنا أنظر اليه وفى رواية عن الحسن البصرى فرفع لى المسجد حتى نظرت اليه وفى رواية البخارى ومسلم كلاهما عن جابر فجلى الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر اليه وفى رواية مسلم السابقة عن أبى هريرة فرفعه الله لى أنظر اليه ما يسألونى عن شئ الا أنبأتهم به وجمع فى المواهب بين الروايتين باحتمال ان يكون حمل الى أن

يا محمد صف لنا بيت المقدس وأوضح الوصفيه * فذهب يصفه لهم ويقول كذا كذا هيئته وقربه من الجبل وبناه * فما زال ينعت حتى التبس عليه النعت وكرب كربا ما كرب مثله قط منذ برز من الصدفة الزهريه * فجيئ بالمسجد ووضع دون دار عقيل أو عقال شك من رواه *

وضع بحيث يراه ثم أعيد قال وهذا أى نقله من محله والجيء به أبلغ فى المعجزة من كشفه له عن المسجد وهو فى مكانه ولا استحالة فيه فقد أحضر عرش بلقيس فى طرفة عين لسليمان عليه الصلاة والسلام وأما ما وقع فى حديث أم هانئ عند ابن سعد فقيل أى مثل لى بيت المقدس وطفقت أخبرهم عن آياته فان ثبت لفظ خيل ولم يكن مغيرا من قوله فجلى احتمل أن يكون المراد مثل قريبا منه كما قيل فى حديث أربت الجنة والنار ويؤول قوله فى حديث ابن عباس جيء بالمسجد أى بمثاله وفى رواية فأتاه جبريل بصورته فى جناحه وقد فسر قوله فى الحديث جلى بكشف الحجب بينه وبينه حتى رآه قال الحافظ ويؤيده حديث شداد بن أوس عند البزار والطبرانى ففيه ثم أتيت أصحابى قبل الصبح بمكة فأتانى أبو بكر فقال أين كنت الليلة قلت أتيت بيت المقدس فقال انه مسيرة شهر فصفه لى ففتح لى شراك كأنى أنظر اليه لا يسألنى عن شئ الا نبأته عنه وهذا يقتضى أن أبا بكر رضى الله عنه سأله عن بيت المقدس قبل أن يسأله عنه قومه وانما حصل له الكرب عند سؤالهم لكونهم سألوه عن أشياء لم يتقنها ولم يسأله عنها أبو بكر لعلمه أنه صادق وانما سأله استبضاحا لما عنده من اليقين أو ليستحضر لما عسى أن يسأله عنه قريش واقتصر على سؤال بعض الأوصاف اكتفاء لعلمه بأنه سيخبرهم ان سألوه عن جميع أوصافه بخلافهم فانهم انما سألوه استحمانا فتوغلوا وأكثروا السؤال عنه لعدم تصديقهم له عسى أن يقع فى نعت خلاف الواقع ويكون قد جلى الله له بيت المقدس عند سؤال أبى بكر وجيئ به عند سؤال قريش اعتناء بشأنه صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له واطمئنانا لقلبه الشريف المكروب لان النظر الى الشئ من البعد ليس كالنظر اليه من القرب وبهذا يجمع بين اختلاف الروايات فى كون السائل عن بيت المقدس أبو بكر أو غيره وفى أنه جلى له بيت المقدس وهو فى مكانه أو جيئ به الى أن وضع دون دار عقيل وبالله التوفيق ولا زال يذكرهم صلى الله عليه وسلم عن كل ما سألوه حتى وقفوا فرجعوا الى ذكر الابواب (فسألوه عن أبوابه) أى المسجد أى قالوا يا محمد كم للمسجد من باب ولم يكن عدها صلى الله عليه وسلم وهو فيه (فنظر اليه) أى المسجد (و) نظر الى أبوابه و (عدها بابا بابا بالتبعيه) أى بابا بعد باب ويعلمهم بها (وأبو بكر) رضى الله عنه (يقول) له صلى الله عليه وسلم (صدقت صدقت) وكرره لافادة أنه كان يقوله عقب كل كلمة وتصديقه له لكونه رآه قبل فعن عائشة رضى الله عنها لما أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم الى المسجد الاقصى أصبح يحدث الناس بذلك فارتد ناس كانوا آمنوا وسعى رجال من المشركين الى أبى بكر فقالوا هل لك الى صاحبك يزعم أنه أسرى به الليلة الى بيت المقدس قال وقد قال ذلك قالوا نعم قال لئن قال ذلك لقد صدق قالوا أتصدقه أنه ذهب الى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح فقال نعم انى لاصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه فى خبر السماء فى غدوة أو روحة فلذلك سمى الصديق رواه الحاكم فى المستدرك من حديث عائشة وابن اسحاق من حديث الحسن البصرى مرسلا وزاد ثم أقبل حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبى الله أحدثت هؤلاء أنك جئت بيت المقدس هذه الليلة قال نعم فقال يا نبى الله صفه لى فانى قد جئته وهذا لا ينافى ما تقدم فى حديث شداد ثم أتيت أصحابى قبل الصبح بمكة فأتانى أبو بكر وان ذلك يقتضى أن أبا بكر سأله عن بيت المقدس قبل أن يسأله عنه قومه لانه يقال أن أبا بكر

فسألوه عن أبوابه فنظر اليه وعدها بابا بابا بالتبعيه وأبو بكر يقول صدقت صدقت

اجتمع به أولا وأخبره بما أخبر ثم لما فشى خبره بين المشركين وأتوا الى أبي بكر وأخبروه بخبره جاء مسرعا نحوه مع قريش على الحالة المذكورة ليصدقه بين قومه ويتقوى قلبه ويستقر روعه من تكذيب قومه له ويكون قوله عند اخبارهم له بما أخبر وقد قال ذلك وقوله له ثانيا صفه لي بعد أن وصفه له أولا فيما بينه وبينه اهلا لما لا يخفى واستيضاحا لما عنده من اليقين والعلم بانه سيخبرهم عن جميع ما سيسألونه كما مر قال الحسن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع لي المسجد حتى نظرت اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفه لابي بكر فيقول أبو بكر صدقت ثم زاد أبو بكر على تصديقه بقوله كما في رواية (أنا أشهد) أنك صادق أو بقوله كما في رواية أنا أشهد (أنك رسول الله) وكان يقول له ذلك كلما وصف لهم منه شيأ حتى انتهى قال صلى الله عليه وسلم وأنت يا أبا بكر الصديق فيومئذ سماه الصديق (ومنتقاه) أي مختار الله يقال انتقاه بمعنى اختاره كما في القاموس وهو اسم من أسمائه صلى الله عليه وسلم (فقال القوم) لبعضهم بعد ذلك (أصاب والله الوصف والنعتيه) هما بمعنى فيما سألناه وأجاب عنه أي قالوا أما النعت فوالله لقد أصاب فيه ولزيادة تحقيق صدقه قالوا لابي بكر (أفتصدقه يا أبا بكر) أنه ذهب الى بيت المقدس الليلة ثم عاد قبل أن يصبح (قال) أبو بكر نعم اني لاصدقه فيما هو أبعد من ذلك وأزال توهم قصر البعد على الارض بقوله (أصدقه بخبر السماء في روحة) بفتح الراء من الرواح اسم للوقت من الزوال الى الغروب (أو غدوة) بضم الغين ما بين طلوع الشمس كما في القاموس والمختار وفي المصباح وقد يتوهم بعض الناس أن الرواح لا يكون الا في آخر النهار وليس كذلك بل الرواح والغدو عند العرب يستعملان في المسير أي وقت كان من ليل أو نهار وأما راحت الابل فهي رائحة فلا يكون الا بالعشي اذا أراحها راعيها على أهلها يقال سرحت بالغداة الى الرعي وأراحت بالعشي على أهلها أي رجعت من المرعى اليهم قاله الازهري وغيره فيؤخذ من ذلك أن تخصيصها بالوقتين المذكورين بالنسبة الى الابل ونحوها من المواشي ولا مانع من ارادة ذلك باعتبار الوقت أول النهار وآخره كما فسر ذلك بقوله (كل يوم ومساء) أي لو أخبر بأنه عرج به الى السماء وعاد في مدة ما ذكر لاصدقه مع أن مسافة البعد بين السماء والارض خمسمائة عام فكيف لا أصدقه في اسرائه في ليلة واحدة من مكة الى بيت المقدس الذي مسافة البعد بينهما شهر واحد ذكر في انسان العيون ان زمن ذهابه صلى الله عليه وسلم ورجوعه ليلة الاسراء ثلاث ساعات وقيل أربع ساعات لكن في كلام الامام السبكي أن ذلك في قدر لحظة حيث قال رحمه الله في تائيته

* وعدت وكل الامر في قدر لحظة * أي ولا بدع لان الله تعالى قد يطيل الزمن القصير كما يطوي الطويل لمن يشاء وقد فسح الله تعالى في الزمن القصير لبعض أمته ما يستغرق الازمنة الكثيرة وفي ذلك حكايات كثيرة شهيرة انتهى (فمن ثم) هناك (لقب) بالبناء للمجهول للعلم بالملقب له وهو النبي صلى الله عليه وسلم (بالصديق) بكسر الصاد والدال المهملتين مشددة دائم التصديق له صلى الله عليه وسلم كما لقب بعتيق لقوله صلى الله عليه وسلم أنت عتيق الله من النار أو لجماله وخشيته أو لعدم شئ بشينه في نسبه فهما لقبان له وكنيته أبو بكر كني به لابتكاره الخصال الحميدة كما قاله الزمخشري واشتهر بكنيته واسمه عبد الله نقله اليه صلى الله عليه وسلم عن الاسم الاول في الجاهلية وهو عبد الكعبة ولد رضي الله عنه بعد الفيل بسنتين وثلاثة أشهر وقد صحب النبي

أنا أشهد أنك رسول الله ومنتقاه * فقال القوم أصاب والله الوصف والنعتيه * أفتصدقه يا أبا بكر قال أصدقه بخبر السماء في روحة أو غدوة كل يوم ومساه * فمن ثم لقب بالصديق

صلى الله عليه وسلم وعمر النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية عشرة سنة (وفاز) ظفر (من الايمان) المحبوب بالاسلام فالمراد الايمان الكامل وهو لغة مطلق التصديق وشرعا تصديق النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به وعلم من الدين بالضرورة والمراد بالتصديق الاذعان في كل ما جاء به والقبول له وليس المراد وقوع نسبة الصدق اليه من غير اذعان له وقد ذكرنا اختلافهم في زيادة الايمان ونقصه وحررنا ما به يجمع ظواهر النصوص الدالة على الزيادة وأقاويل السلف بذلك وبين أصل وضعه اللغوي وما عليه أكثر المتكلمين والحنفية المنكرين ذلك في شرحنا المسمى شواهد الغفران على جالي الاحزان (بالاوليه) فهو أول من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم من الرجال البالغين الاحرار وأحد الثمانية الذين سبقوا الى الاسلام وأول من صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم وسبب اسلامه أنه كان صديقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر غشيانه في منزله ومحادثته وكان سمع قول ورقة له لما ذهب معه اليه وكان متوقعا لذلك فبينا هو مع حكيم بن حزام في بعض الايام اذ جاءت مولاة لحكيم وقالت له ان عمتك خديجة تزعم في هذا اليوم أن زوجها نبي مرسل مثل موسى فانسل أبو بكر رضي الله عنه حتى أتى رسول الله فسأله عن خبره فقص عليه قصته المتضمنة لمجيء جبريل له بالرسالة فقال صدقت بابي وأمي وأهل الصدق أنت أنا أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فيقال سماه يومئذ الصديق ولا ينافي ما مر لاحتمال تكرر تسميته بذلك منه ولجواز أنه لم يشتهر بذلك حينئذ وقيل سبب مبادرته الى التصديق والايمان ما علمه من دلائل نبوته وبراهين صدق دعوته وقيل لرؤيا رآها قبل ذلك وهو تاجر بالشام أن القمر نزل الى مكة فدخل في كل بيت منه شعبة ثم كان جميعه في حجرته فقصها على بحيرا الراهب فعبرها له بتبع النبي المنتظر الذي قد أظل زمانه وأنه يكون أسعد الناس به وفي لفظ أنه سيبعث نبي من قومك وتكون أنت وزيره في حياته وخليفته بعد وفاته فكتمها أبو بكر حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم وجلس في المسجد يدعو الناس الى الله بالتوحيد فقالوا يا أبا بكر ان صاحبك قد جن فقال وما شأنه فقالوا له يدعي النبوة ويدعو الناس الى دينه فأتاه فقال يا محمد بلغني عنك كذا وكذا فقال نعم فقال والله ما جربت عليك من كذب وانك لحليق بالرسالة لكن ما دليلك على ما تدعيه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم رؤياك التي رأيتها بالشام فقال صدقت لا بايعك فبايعه وأسلم وفي لفظ فعانقه وقبل ما بين عينيه وقال أشهد أنك رسول الله ولا مانع من أن يكون سبب اسلامه جميع ما ذكر مع توفيق الله اياه فيما ذكر وطلبه الدليل انما هو لتقوية ما عنده فلا ينافي ما جاء من قوله صلى الله عليه وسلم ما دعوت أحدا الى الاسلام الا كانت عنده كبوة وتردد ونظر الا أبا بكر ما علم عنده حين ذكرته ولا تردد وهو أول من سمي الخليفة في الاسلام تولى الخلافة في يوم الاثنين الذي توفي فيه النبي صلى الله عليه وسلم وبقي فيها سنتين وثلاثة أشهر وأياما الى أن مات عند الاكثر عشي يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة عن ثلاث وستين سنة ودفن في حجرة عائشة عند النبي صلى الله عليه وسلم ورأسه عند كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أجمع أهل السنة على أنه أفضل الناس بعد الانبياء والمرسلين وأنه لم يتخلف عن رسول الله في مشهد من المشاهد وكان أشد الصحابة رأيا وأكملهم عقلا وكان صلى الله عليه وسلم يشاوره في أموره كلها وكان أعلم الناس

وفاز من الايمان بالاوليه *

بتعبير الرؤيا وكان صدرا معظما فى قريش على سعة من المال وكرم الاخلاق من رؤساء قريش ومحط مشورتهم من أعف الناس محببا فى قومه حسن الجالسة (و) من مناقبه رضى الله عنه أنه كان رئيسا مكرما سخيا يبذل المال حتى أنه (تبرع بماله) أى بذله غير طالب عوضا بل (فى حب الله ورسوله) أى فى مرضاتهما (حتى تدرع) بفتح المثناة الفوقية والدال المهملة والراء المشددة آخره عين مهملة وبين تبرع وتدرع الجناس اللاحق (بعباه) قال فى المصباح العباءة بالمد والعباية بالياء لغة والجمع عباء بحذف الهاء وعبايات أيضا وفى القاموس العباية ضرب من الاكسية كالعباءة انتهى وهو هنا بحذف الهمزة والوقف على هاء التأنيث أى بعباءة أو الهاء ضمير عائد الى أبى بكر أى بعبائه وقد جاء أنه كان له يوم أسلم أربعون ألف دينار أنفقها فى سبيل الله حتى تخلل بالعباءة وكان صلى الله عليه وسلم يقضى فى مال أبى بكر كما يقضى فى مال نفسه وقال صلى الله عليه وسلم ما نفعنى مال قط الا مال أبى بكر فبكى أبو بكر وقال هل أنا الا لك يا رسول الله وقال صلى الله عليه وسلم ما لاحد عندنا يد الا وقد كافأناه الا أبا بكر فان له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة وأجمعوا على أن قوله تعالى وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وله فى الزهد والجود والتواضع أخبار كثيرة تطلب من محلها فى المطولات (ف) لما لم يجدوا سبيلا الى كذبه فى ذلك انتقلوا الى غيره فقالوا لبعضهم ان القوافل فى طريقه لبيت المقدس فى تجارات تتافان كان قد ذهب اليه كما يقول فهو رآها فى طريقه فلنسأله عنها فسألوه و(قالوا يا محمد) كما فى رواية الطبرانى وابن مردويه عن أم هانئ (أخبرنا عن عيرنا) العير أصلها الابل الحاملة لاواحد لها من لفظها ثم غلب اطلاقها على القافلة أى أخبرنا عن قوافلنا التى فى طريقك ذهابا وايابا (وأخبارها الحقيه) أى الماشئة عن رؤية لاحتمال أنه قد رآها (فقص عليهم أمرها) أى الحال الذى رآهم عليه (وذكر) أى أخبر برؤيته لها فى رجوعه وبين (موضع كل منها وسماه) أى العير أو الموضع فقال صلى الله عليه وسلم قد أتيت على عير بنى فلان بالروحاء وقيل بوادى ذى أمر قد ضلوا ناقة لهم وقد طلقوا فى طلبها وانتهيت الى رحالهم وليس بها منهم أحد وقد قدح ماء فشربت منه وفى كلام بعضهم فعترت الدابة يعنى البراق فقلب القدح بحافره وهذا يقتضى اهراق ما كان فيه من الماء على الارض وسيأتى فى رواية أم هانئ ما يخالفه ويؤيد الاول ويمكن الجمع بان يقال ان عثر البراق به وانقلابه كان بعد شربه صلى الله عليه وسلم منه قال ثم انتهيت الى عير بنى فلان بمكان كذا وكذا فيها جمل أحمر عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذيت العير نفرت وصرع ذلك البعير وانكسر قال بعضهم هى التى مر بها بالابواء ثم انتهيت الى عير بنى فلان فى التنعيم يقدمها جمل أورق عليه مسح اسود وغرارتان سوداوان (وقال هاهى ذه) بكسر الذال المعجمة وسكون الهاء اسم اشارة الى المفرد المؤنث (تطلع عليكم من الثنية) كأنكم بها عن قريب (تجيئ يوم الاربعاء) بتثليث الباء والمد واعلم أنه قد اختلفت الروايات فى بعض الالفاظ وتسمية المواضع وفى بعضها اختصار واقتصار والذى تبين لنا من مجموعها مع حمل مطلقها على مقيدها أن العيرات التى مر بها فى ايابه صلى الله عليه وسلم ثلاثة تفتان منها متفق عليهما وهما التى بالابواء والتى بالتنعيم واختلفوا فى الثالثة هل مر بها فى ذهابه وهى مصعدة الى الشام أو فى ايابه وهى راجعة الى مكة فى الروحاء أو وادى أمر فعلى الاول هما غير مرادة

وتبرع بماله فى حب الله ورسوله حتى تدرع بعباه * فقالوا يا محمد أخبرنا عن عيرنا وأخبارها الحقيه * فقص عليهم أمرها وذكر موضع كل منها وسماه * وقال هاهى ذه تطلع عليكم من الثنيه * تجيئ يوم الاربعاه

هنا وعلى الثانى فلا يتصور مجيئها يوم الاربعاء الا على القول بان الاسراء به صلى الله عليه وسلم صادف ليلة الجمعة لان بين كل من الروحاء ووادى ذى أمر وبين مكة نحو ستة مراحل وأما التى مر بها بالابواء فقد يتصور دخولها مكة يوم الاربعاء على القول المذكور وعلى القول بانه كان ليلة الاثنين لان الابواء قريب من الجحفة بينها وبين مكة نحو مرحلتين للسرع فى السير أو أكثر لمن ابطأ وحينئذ فحمل قوله هاهى ذه الخ على التقريب أى كأنكم بها عن قريب اذ كل آت قريب أو اشارة الى أقربهن الى مكة وهى التى بالتنعيم بينها وبين مكة نحو ثلاثة أميال وهو أدنى الحل اليها وقوله تجيئ يوم الاربعاء أراد به التى بالابواء أو التى بالروحاء أو ذى أمر على القول بانه مر بها وهى راجعة الى مكة أو يكون قد اكتفى بالاخبار عن أولهن وآخرهن عن الاخبار بالوسطى وهى التى بالابواء ولعل بهذا يجمع بين الروايات فليتأمل هذا ومقتضى رواية أم هانئ السابقة أن قريشا هم سألوا النبى صلى الله عليه وسلم عن عيرهم وفى رواية ثم أتى محمد مكة قبل الصبح وأخبر قومه بما رأى وقال لهم ان من آية ما أقول لكم انى مررت بعيركم فى مكان كذا وكذا وقد أضلوا بعيرا لهم فدجعه فلان لرجل سماه فنسى الراوى اسمه أى بدلالتى لهم عليه فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد وان مسيرهم ينزلون بمكان كذا وكذا ويأتونكم يوم كذا وكذا يقدمهم جمل آدم عليه مسح أسود وغرارتان وفى رواية سألوه آية فاخبرهم بقدوم العير يوم الاربعاء وفى رواية صبيحة يوم الاربعاء وفى رواية فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينظرون حتى اذا كان قريب من نصف النهار أقبلت العير يقدمها ذلك الجمل كما وصف صلى الله عليه وسلم وفى رواية فلما كان ذلك اليوم لم يقدموا حتى كادت الشمس تغرب فدعا الله تعالى فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف وهو مخالف للرواية قبلها أنها أقبلت قرب نصف النهار قال الزرقانى ولا خلاف لانه مر بعيرين بل بثلاثة فكان احداها تأخرت (ف) لما كان اليوم الموعود بمجئ العير فيه وهو يوم الاربعاء (أشرفوا) خرجوا الى ظاهر مكة (ينظرونها) أى ينظرون قدومها فى ذلك الوقت (ف) تأخرت العير عن ذلك الوقت و (لم تجئ حتى دنى) بفتح الدال المهملة وبالنون أى قرب (من النهار دجاه) بضم الدال المهملة وبالجيم ظلمته أى قرب غروب شمسه وخاف أن يكذبوه (فدعا صلى الله عليه وسلم) أى رغب الى الله وابتهل اليه سرا (فزيد له ساعة) قطعة من الزمان على قدر مجئ العير (فى تلك العصريه) أى عصر ذلك اليوم كما قدروه البيهقى وغيره وأخرج الطبرانى فى الاوسط عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر الشمس أن تتأخر ساعة فتأخرت ساعة من النهار وسنده حسن كما قاله الحافظ أبو الحسن الهيتمى فى مجمع الزوائد والحافظ ابن حجر فى فتح البارى فى باب قوله صلى الله عليه وسلم أحلت لكم الغنائم والحافظ أبو زرعة الولى العراقى فى شرح التقريب قال الحافظ ابن حجر ولا يعارضه ما رواه أحمد بسند صحيح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس لم تحبس الا ليوشع بن نون ليالى سار الى بيت المقدس ووجه الجمع أن الحصر محمول على ما مضى للانبياء قبلنا وليس فيه نهى أنها قد تحبس بعد ذلك لنبينا صلى الله عليه وسلم انتهى وقد وقع له مثل ذلك فى حفر الخندق حتى صلى العصر وعورض بانه صلى الله عليه وسلم صلى العصر بعد الغروب وأجيب بان وقعة الخندق كانت أياما فحبست الشمس فى بعض تلك الايام حتى صلى العصر وفى بعضها لم تحبس أى لم يطلب من الله حبسها فصلى

فاشرفوا ينتظرونها فلم تجئ حتى انتهى من النهار دجاه * فدعا صلى الله عليه وسلم فزيد له ساعة فى تلك العصريه *

بعد الغروب قال بعضهم ويؤيده اختلاف الرواة قال فى انسان العيون وجاء فى بعض الروايات أنها حبست له صلى الله عليه وسلم عن الطلوع ثم ساق الرواية وفيها أنه أخبرهم عن العير التى مر بها بالتنعيم وقال انها تطلع عليكم عند طلوع الشمس فحبس الله الشمس عن الطلوع حتى قدمت العير وأقبلت قال وعلى تقدير صحة هذه الرواية يجاب عنها بمثل ما تقدم وهو قوله ان هذا بالنسبة لبعض العيرات فلا يخالف ما تقدم أى فى كلامه أنه صلى الله عليه وسلم قال فى بعض العيرات أنها الآن تصوب عليكم من التنعيم انتهى ونقل عن البغوى أن الشمس حبست لسيدنا موسى ولسيدنا سليمان عليهما الصلاة والسلام أى وكذا ليوشع بن نون بن يوسف عليه الصلاة والسلام وقد وقع حبس الشمس كرامة لبعض أولياء هذه الامة كما ذكره السبكى فى طبقاته واليافعى فى كفاية المقتدى لانها لو تخلفت أو ردت لاختلت الافلاك ولفسد النظام قلنا حبسها او ردها من باب المعجزات ولا مجال للقياس فى خرق العادات وذكر أنه وقع لبعض الوعاظ ببغداد وهو أبو منصور المظفر العبادى اذ قعد يعظ بعد العصر ثم أخذ فى ذكر فضائل آل البيت فجاءت سحابة غطت الشمس فظن وظن الناس الحاضرون عنده أن الشمس غابت فارادوا الانصراف فاشار اليهم أن لا يتحركوا ثم أدار وجهه الى ناحية المغرب وقال

لا تغربى يا شمس حتى ينتهى * مدحى لآل المصطفى ولنجله
واثنى عنانك ان أردت ثناءهم * أنسيت اذ كان الوقوف لاجله
ان كان للدولى وقوفك فليكن * هذا الوقوف لولده ولنسله

فطلعت الشمس فلا يحصى ما رمى عليه من الحلى والثياب هذا كلامه انتهى وقد وقع للشيخ العارف امام الفقهاء والصوفية فى وقته اسماعيل الحضرمى نفع الله به أنه كان داخلا لزبيد وقد دنت الشمس للغروب فقال لها لا تغربى حتى ندخلها فوقفت ساعة طويلة فلما دخلها أشار اليها فاذا الدنيا مظلمة والنجوم ظاهرة ظهورا تاما ذكره العلامة ابن حجر فى فتاواه الحديثية اه ويناسب هذه المعجزة شق القمر له صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة بنحو خمس سنين لما كذبوه كفار مكة وبالغوا فى عناده فطلبوا منه آية يريها اياهم تدل على صدقه وهى أن يشق لهم القمر نصفين فسأل ربه فانشق له ذلك كما نص عليه القرآن الشريف وتواترت به الاحاديث كما حققه التاج السبكى وغيره وأجمع عليه المفسرون وأهل السنة اعلاما بصدقه فى دعواه الرسالة والوحدانية لله تعالى وان ما يعبدونه باطلا لا يضر ولا ينفع ولم يقع انشقاق القمر لغيره صلى الله عليه وسلم وهو من أمهات معجزاته التى لا يكاد يعدلها شئ من آيات الانبياء لظهوره فى ملكوت السموات خارجا عن جملة طباق ما فى هذا العالم المركب من الطبائع فلم يطمع أحد فى الوصول اليه بحيلة وفى روايات مايوهم وقوع الانشقاق مرتين قال فى المنح وظاهر كلام بعضهم حكاية الاجماع عليه لكن ردبان أحدا من أئمة الحديث لم يجزم بذلك وبان من قال مرتين أراد فرقتين كما فى رواية أو فلقتين كما فى أخرى وفى رواية أن فرقة كانت فوق جبل حراء وأخرى كانت أسفله فرواية أنه كان بمكة المراد منها أن ذلك كان وهم بمكة قبل الهجرة فلا دليل فيه على أنه صلى الله عليه وسلم كان بمكة ليلتين وفى رواية لاحد فصار فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل وفى روايات أنه قال لهم أشهدوا فقالوا سحرنا محمد ثم اتفقوا على أن يسألوا السفار فجاؤا من كل جانب وأخبروا به

فقال بعضهم لبعض لا يستطيع محمد أن يسحر الناس كلهم واذا كان جمهور الفلاسفة ومن وافقهم من المبتدعة ذلك مبنى على انكارهم خرق الاجرام العلوية والتئامها وذلك من جملة كفرهم وتقولهم بمقتضى عقولهم معاندين للشرائع فيما وردت به وما قيل من أن القمر دخل فى جيبه صلى الله عليه وسلم وخرج من كمه باطل لا أصل له انتهى وأما عود الشمس بعد الغروب فقد ورد أن الشمس ردت عليه صلى الله عليه وسلم بعد ما غربت فروى الطبرانى باسانيد رجال بعضها ثقاة عن اسماء بنت عميس قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالصهباء ثم أرسل عليا فى حاجة فرجع وقد صلى النبى صلى الله عليه وسلم العصر فوضع صلى الله عليه وسلم رأسه على حجره فنام فلم يحركه حتى غابت الشمس فقال عليه الصلاة والسلام اللهم ان عبدك عليا احتبس بنفسه على نبيه فرد عليه الشمس قالت أسماء فطلعت الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الارض وقام على فتوضأ وصلى العصر ثم غابت وذلك بالصهباء بخيبر وفى لفظ آخر كان عليه الصلاة والسلام اذا نزل عليه الوحى يغشى عليه فانزل عليه الوحى يوما وهو فى حجر على فقال له النبى صلى الله عليه وسلم صليت العصر قال لا يا رسول الله فدعا الله فرد عليه الشمس حتى صلى العصر قال فرأيت الشمس طلعت بعد ما غربت والحديث رجاله موثوقون وغالبهم من رجال الصحيح وقد حسنه الحافظ الولى العراقى والجلال السيوطى ولا التفات لايراد ابن الجوزى له فى الموضوعات فقد خطأه الحفاظ فى ذلك وفيه أن وقت الصلاة يعود بطلوعها بعد غروبها ويجب اعادة المغرب ان صلاها ويجب على من أفطر فى الصوم الامساك والقضاء لتبين أنه أفطر نهارا ومن لم يكن صلى العصر يصليها أداء وهل يأثم بالتأخير الى الغروب الاول أو يتبين عدم اثمه الظاهر الثانى ويشهد له قصة سيدنا على المتقدم ومثله ما لو تأخر غروبها عن وقته المعتاد فان الوقت باق كما فى حبسها لدخول العير كما تقدم بل التأخير أولى ببقاء الوقت قال ذلك ابن العماد فى التعقبات وقد صرح بذلك القرطبى فى التذكرة ووجهه بعضهم بان الشمس لما عادت كأنها لم تغب وقوله كأنها لم تغب أى ويسقط بهذا ما عساه ان يقال الحرمة ثبتت بمجرد الغيبة

(و) ذلك بان (حبست) بالبناء للمفعول للعلم بالفاعل وهو الله سبحانه وتعالى (الشمس) عن الغروب (حتى) الى أن (دخلت العير وأخبرت بخبره) صلى الله عليه وسلم (ودحر الله) تعالى بفتح الدال والحاء والراء المهملات أى طرد الله وأبعد ودفع وفى نسخة ودمر بالميم المشددة بدل الحاء أى أهلك (من كذبه وأخزاه) بالخاء والزاى المعجمتين أى أذله وأهانه معطوف على قوله دحر والضمير عائد على من أى أذل الله وأهان من كذبه وذلك كما فى رواية أم هانئ فاستقبلوا الابل فقالوا هل ضل لكم بعير قالوا نعم فسألوا العير الآخر فقالوا هل انكسر لكم ناقة قالوا نعم قالوا فهل كان عندكم قصعة من ماء فقال رجل أنا والله وضعتها فاشربها أحد منا ولا أهريقت فى الارض زاد أبو يعلى وابن عساكر (فرموه بالسحر) وقالوا صدق الوليد بن المغيرة أى فى قوله هذا ساحر ومنهم من ارتد ومنهم من نافق ومنهم من عاب وكذبه ومنهم من صدق كلامه وصوبه ومنهم من توقف فى حاله وأمره ومنهم من تردد فى سره (وأنزل الله) تعالى عليه (فى محكم الآيات) من اضافة الصفة للموصوف (القرآنيه) المنسوبة للقرآن (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك) ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان فى المنام ومن قال أنه كان فى اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية ؛ فتسميتها رؤيا

وحبست الشمس حتى دخلت العير وأخبرت بخبره ودحر الله من كذبه وأخزاه * فرموه بالسحر وأنزل الله فى محكم الآيات القرآنيه * وما جعلنا الرؤيا التى أريناك

(قوله) فسر الرؤيا بالرؤية أى فسر الرؤيا بالالف بالرؤية بالتاء وهى البصرية وان كان هذا الاستعمال قليلا اذ الكثير فى التى بالالف هى الحلمية اه

لوقوعها بالليل وسرعة تقضيها كأنها منام قاله الكرخي (الافتنة) أي بلية ومحنة (للناس) أهل مكة اذ كذبوا بها وارتد بعضهم لما أخبرهم بها كما مر قريبا أخرج أبو يعلى عن أم هانئ أنه صلى الله عليه وسلم لما أسري به أصبح يحدث نفرا من قريش يستهزؤن به فطلبوا منه آية فوصف لهم بيت المقدس وذكرهم قصة العير فقال الوليد هذا ساحر فانزل الله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الافتنة للناس وأخرج ابن المنذر عن الحسن نحوه أو في رؤياه عام الحديبية حيث رأى صلى الله فيه وسلم أنه وأصحابه دخلوا مكة محلقين رؤسهم ومقصرين ولم يوجد ذلك بل صدهم المشركون فقال بعض الصحابة له صلى الله عليه وسلم ألم تقل أنك تدخل مكة آمنا قال بلى أفقلت من عامي هذا قالوا لا قال فهو كما قال جبريل فانكم تأتون وتطوفون بالمسجد وفيه أن الآية مكية الا أن يقال رآها بمكة وحكاها حينئذ قال البيضاوي ولعله رؤيا رآها في وقعة بدر لقوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولما روي أنه عليه السلام لما ورد ماءه قال لكأني أنظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فسامعت به قريش واستخروا منه وقيل رأى قوما من بني أمية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة فقال هذا حظهم من الدنيا يعطونهم بإسلافهم وعلى هذا كان المراد بقوله تعالى الافتنة للناس ما حدث في أيامهم قال في انسان العيون ولا مانع من تعدد نزول الآية لتعدد أسبابها قال ابن حجر الهيثمي رحمه الله تعالى على أن تعدد النزول لا ينافي تعدد أسبابه أي وذلك اذا تقدمت الاسباب انتهى قال في الاتقان في النوع التاسع في معرفة سبب النزول المسألة الخامسة كثيرا ما يذكر المفسرون لنزول الآية أسبابا متعددة وطريق الاعتماد في ذلك أن ينظر الى العبارة الواقعة فان عبر أحدهم بقوله نزلت في كذا والآخر نزلت في كذا وذكر أمرا آخر فقد تقدم ان هذا يراد به التفسير لا ذكر سبب النزول فلا منافاة بين قولهما اذا كان اللفظ يتناولها كما سيأتي تحقيقه في النوع الثامن والسبعين وان عبر واحد بقوله نزلت في كذا وصرح الآخر بذكر سبب خلافه فهو المعتمد وذلك استنباط مثاله ما أخرجه البخاري عن ابن عمر قال أنزلت نساؤكم حرث لكم في اتيان النساء في أدبارهن وتقدم عن جابر التصريح بذكر سبب خلافه فالمعتمد حديث جابر لانه نقل وقول ابن عمر استنباط منه وقد وهمه فيه ابن عباس وذكر مثل حديث جابر كما أخرجه أبو داود والحاكم وان كر واحد سببا وآخر سببا غيره فان كان اسناد أحدهما صحيحا دون الآخر فالصحيح المعتمد انتهى وأما اذا كانت الروايات ضعيفة ولم يكن في أحدهما تصريح عن النبي صلى الله عليه وسلم بذكر السبب كما هنا فلا يرجح احداها على الاخرى ويرجع القول فيه الى أن المراد به التفسير فلا منافاة بينهما حيث أن اللفظ تناولهما أو ترجع الى القول بان معرفة سبب النزول أمر يحصل للصحابة بقرائن تحف بالقضايا فيشمل ذا وذا سواء فسرنا الرؤيا بالرؤية المنامية أو البصرية وقد قال ابن حجر لا مانع من تعدد الاسباب أي كما لا مانع من تعدد النزول وتكرره نعم للاول شواهد تقويه وترجحه وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما وأيضا قد جرى ابن عباس على ان الرؤيا في الآية الرؤية بالبصر وتبعه جمع وهو المعتمد قال العلامة القليوبي بعد ان ذكر الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما وهذا صريح في أن الاسراء والمعراج كانا بالروح والجسد اذ ليس في الاسراء بالروح فتنة ولا نزاع ولا تخيله النفوس ولا الطباع ولا ينكره من الناس عاقل لوقوعه من

الافتنة للناس

الناقص والكامل وما أسند اليه المخالف احتمال من حيث كون الرؤيا بالقصر لما يرى في النوم لا بالبصر وقد رأوه أولوا البحث والنظر بانها تطلق على الامرين وانما اختير القصر لان الواقع هنا شبيه به في الاسراع وقصر الزمان فثبت أنه صلى الله عليه وسلم رأى ربه بالعيان كما عليه أولوا التحقيق والاتقان وكذا جميع ما رآه من خوارق العادات ومن الدلائل والآيات انتهى وقد تقدم ما له تعلق بهذا البحث (من غره) بالغين المعجمة والراء أغفله لجهله حتى اجترأ على تكذيبه (الشيطان وأغواه) بالواو والالف أضله وفي دركات الجحيم وأنواع العذاب الاليم أهواه وألقاه باستبعاده لذلك فمنهم من ارتد ومنهم من كذبه ومنهم من نافق ومنهم من تردد في سره كما تقدم (وكان عليه أفضل الصلوات والتسليمات الزكيه) بالزاي المعجمة النامية الكثيرة البركة (منذ أسري به) الى بيت المقدس وعرج به الى مقام المكافحة والمفاجأة (ريحه) بالرفع اسم كان أي ريح جسمه الشريف (ريح) بالنصب خبر كان (عروس) بل (وأطيب) من ريح العروس بل كان ريحه صلى الله عليه وسلم فائحا فائقا راجعا على كل طيب والعروس وصف يستوي فيه الذكر والانثى مادام في أعراسهما أخرج ابن مردويه عن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسري به ريحه ريح عروس وأطيب من ريح العروس قال بعضهم فقد كانت الرائحة الطيبة صفته صلى الله عليه وسلم وان لم يمس طيبا قال النجم الغيطي وروينا عن أنس قال ما شممت ريحا قط ولا مسكا ولا عنبرا أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية البخاري ولا شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية الترمذي ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أنس قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عندنا فعرق وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ صلى الله عليه وسلم فقال يا أم سليم ما هذا قالت عرقك نجعله لطيبنا وهو أطيب الطيب رواه مسلم وقال جابر بن عبد الله كان في رسول الله صلى الله عليه وسلم خصال لم يكن يمر في طريق فيتبعه أحد الا عرف أنه سلكه من طيب عرفه ولم يكن يمر بحجر الا سجد له رواه الدارمي والبيهقي وأبو نعيم وقد أشار الى ذلك جدنا العلامة السيد جعفر بن السيد حسن البرزنجي مفتي الشافعية بالمدينة المنورة في العقد الجوهر بقوله ويصافح المصافح بيده فيجد منها سائر اليوم رائحة عبقرية ويضعها على رأس الصبي فيعرف مسه له من بين الصبية وبدراه انتهى وعن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر بطريق من طرق المدينة وجد وا منه رائحة الطيب وقالوا مر رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الطريق رواه أبو يعلى والبزار باسناد حسن (قد أرج أرجه) أي فاح ريحه يقال أرج المكان أرجا فهو أرج مثل تعب تعبا اذا فاحت منه رائحة طيبة زكية (وهاد) بكسر الواو جمع وهدة بفتحها الارض المنخفضة (الكون) الحدث (ورباه) بضم الراء المهملة جمع ربوة مثلث الراء والضم أكثر المكان المرتفع سميت ربوة لانها ربت فعلت كما في المصباح والمراد تعطرت الكائنات من السموات والارض ومن فيهن بطيب أنفاسه الزكية وهدايته السنية الا من عاند وكفر وألقته الشقاوة في سقر (وهاهنا كف) بفتح الكاف والفاء المشددة أي منع يتعدى ويلزم (انسباب) بكسر الهمزة وسكون النون وكسر السين المهملة ومثناة

ممن غره الشيطان وأغواه وكان عليه أفضل الصلوات والتسليمات الزكيه منذ أسري به ريحه ريح عروس وأطيب قد أرج أرجه وهاد الكون ورباه وهاهنا كف انسباب

تحتية فالف آخره موحدة السيلان والجريان (تيار) بفتح المثناة الفوقية والمثناة التحتية فالف آخره راء مهملة الموج وقيل شدة الجريان وهو فيعال أصله تيوار فاجتمعت الواو والياء فادغم بعد القلب وبعضهم يجعله من تير فهو فعال فان كان المراد هنا الموج فالاضافة من اضافة الصفة للموصوف أي جريان موج وان كان المراد شدة الجريان فالاضافة بالعكس والتقدير شدة انسياب (ينبوع) يطلق على الموضع الذي ينبع منه الماء كالعين وكلما يتفجر منه الماء من خلال الارض ويطلق على نفس الماء الجاري من نهر وغيره وعلى الاول فهو مستعار للقلب بموج بما فيه وعلى الثاني فهو مستعار لما ينطق به من العبارات البليغة بدليل اضافته الى (البيان) المنطق الفصيح المعرب عما في الجنان والاضافة أما بيانية أو من اضافة المشبه به للمشبه (عن) الانصباب في (حياض) جمع حوض الماء وأصلها الواو لكن قلبت ياء للكسرة قبلها مثل ثوب وأثواب وثياب والجار والمجرور متعلق بكف (الرياض) جمع روضة وهو الموضع المعجب بالزهور وقيل سميت بذلك لاستراضة المياه السائلة اليها أي لسكونها بها والرياض ذات حياض (البديعية) المنسوبة للبديع فعيل بمعنى المبدع والمراد المبتدع من الكلام الحسن مع رعاية المطابقة لمقتضى الحال ورعاية وضوح الدلالة أي الخلو عن التعقيد المعنوي في المعنى المراد شبه انكفاف جريان اللسان بما ماج في قلبه المشبه بالنهر من اقتراح وابتداع جواهر المعاني البليغة منه بالعبارات الفصيحة السهلة السلسة الرائقة عن تحرير مباحث القصة الشريفة المعراجية بانكفاف جريان النهر السيال عن حياض الرياض وفيه تشبيه مباحث القصة الشريفة بالرياض الانيقة المعجبة بالزهور بجامع حصول الانشراح بكل والسرور وفيه مدح الكتاب حيث شبه كل فقرة من فقراته ومبحث من مباحثه بروضة من الرياض بجامع ماذكر مع حصول الفوائد الجمة مع التزام التسجيع من أول التأليف الى آخره وتحرى كون ذلك كله على فقرتين فقط أولها بالهاء المسبوقة بالياء المثناة التحتية وثانيتهما بهاء مسبوقة بالف وذلك من أنواع فنون البديع وفيه أيضا مدح المؤلف نفسه عن باب التحدث بنعمة الله تعالى (وألقت) أي رمت (نجائب) بفتح النون جمع نجيب خيار الابل استعير هنا لخيار العبارات واضافته الى (الابداع) بالباء الموحدة أي الاتيان بالقصة الشريفة المعراجية بتلك العبارات البليغة النفيسة الرائقة المعنى والرائقة المبنى من اضافة المشبه به للمشبه أو بيانية (يديها) أي النجائب (في نضير) بالنون والضاد المعجمة بوزن كريم من النضارة وهي الحسن أي في حسين (مرابع) بالموحدة جمع مربع منزل القوم في الربيع خاصة والمراد هنا المحاسن أي في محاسن (من تهواه) أي الذي تحبه ويتعلق قلبك به والمراد صاحب المعراج وهو الخليل الاعظم والحبيب الاكرم سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم واضافة النضير الى المرابع من اضافة الصفة للموصوف فهو صفة كاشفة لان المرابع لا تكون الا نضرة شبه محاسنه صلى الله عليه وسلم الشريفة وأوصافه الحسنة الحميدة بالمرابع النضرة الحسنة بجامع حصول الانشراح والسرور واللذة والارتياح والحبور بكل

﴿ضوع اللهم معهده الشميم * بنشر غوال من صلاة وتسليم﴾

ولما فرغ المؤلف رحمه الله تعالى من تحرير ما رام تحريره من القصة الشريفة المعراجية أعقبه بالدعاء

رجاء

تيار ينبوع البيان عن حياض الرياض البديعيه * وألقت نجائب الابداع يديها في نضير مرابع من تهواه *

﴿ضوع اللهم معهده الشميم * بنشر غوال من صلاة وتسليم﴾

رجاء قبوله لان الدعاء اذا وقع عند تمام عبادة شريفة يرجى منها رضا الرب تعالى و يرجى قبوله ولان الدعاء مناجاة للرب تبارك وتعالى وبث شكوى بين يديه وذلك قد يرجى له الرفع لمحل قبوله تعالى واجابته لاسيما اذا جعل تابعا لعمل صالح وقد وكلت الحفظة الكرام على الذهاب به الى الله تعالى غدوة وعشية فالعمل الصالح كالواسطة فى قبول الدعاء كما ان أهل الشكوى اذا بغوا شكواهم بين يدى الملك يتعلقون فى الدخول وايصال الشكوى اليه باهل دولته المقربين اليه الذين لا حجر عليهم فى الدخول عليه وقد حكى أن رجلا بعث الى الشيخ ابن أبى زيد يطلب منه الدعاء له فبعث اليه الشيخ رضى الله عنه يقول له هب انى دعوت لك فاين لى عمل صالح يرفع دعائى الى الله تعالى يعنى الى قبوله واجابته ويدل على ذلك قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فسر الكلم الطيب بالتوحيد وصعودهما الى الله تعالى مجاز عن قبوله اياهما أو صعود الكتبة بصحيفتها والضمير المستكن فى يرفعه يعود للكلم فان العمل لا يقبل الا بالتوحيد وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة ولان الايمان يتقوى به وقيل الكلم الطيب تتأول الذكر والدعاء وقراءة القرآن وعنه صلى الله عليه وسلم هو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فيبتئ بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل ذكره البيضاوى فى تفسيره ولانه لما رأى أن المولى الكريم من عليه بمحض فضله بان أعطاه ما طلبه منه من اتمام غرضه من نشر هذه القصة الشريفة وترصيف لآلئها وتنسيق جواهرها فى هذا النظم البديع والنسج الرفيع وهذا احسان عظيم منه جل وعلى عليه قوى منه الرجاء أن ينيله كذلك بمحض كرمه كلما يسأل منه لان المولى الكريم اذا فتح باب العطاء والكرم والرضا لشخص فلا نهاية حينئذ لما يمنحه ولا غاية اذ ذاك لما يهبه من خزائن كرمه ومواهب هباته ودقائق نعمه ويفتحه وأنه لا يغضبه الالحاح وكثرة السؤال ولا ينقص من خزائن نعمه ما يفيضه على عبده من عظيم النوال قال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الملحين فى الدعاء أى الملازمين له باخلاص وصدق نية وما أحسن ما قال بعضهم

الله يغضب ان تركت سؤاله * وبنى آدم حين يسأل يغضب

وأتى فى ابتداء دعائه بما يقتضى قوة الهمة فى الطلب والجزم فقال (اللهم) أصله يا الله حذف حرف النداء وعوض عنها الميم وعن النضر بن شميل من قال اللهم سأل الله بجميع أسمائه انتهى وانما جعل هذا الاسم الاعظم فى أوائل الادعية غالبا لانه جامع لجميع معانى الاسماء الكريمة (يا من ترفع اليه) الى جهة العلو ورفع اليدين فى الدعاء سنة وهو من آداب الدعاء ومن آدابها أيضا استقبال القبلة وفى رفعهما الى جهة السماء اشارة الى القبلة العليا وهو البيت المعمور فاذا رفع يديه مستقبلا القبلة كان مستقبل القبلتين والى جهة عرش من يناجيه وذلك أرجى للقبول ويستحب ان لا يحطهما حتى يمسح بهما وجهه تفاؤلا بحصول المراد (العفاة) بضم العين المهملة جمع عاف هو الضعيف وكل طالب فضل أو رزق (أكفها) جمع كف وهى الراحة مع الاصابع سميت بذلك لانها تكف الاذى من البدن والمراد هنا اليد فهو من اطلاق الجزء وارادة الكل أى أيادى الافتقار والاحتياج ﴿فائدة﴾ وقد أخرج الامام أحمد فى مسنده وأبو داود والترمذى وابن ماجه والحاكم عن سلمان ان الله تعالى حى كريم يستحى اذا رفع الرجل اليه يديه أن يردهما صفرا

اللهم يا من ترفع اليه العفاة أكفها

خائبتين واسناده حسن (وهى) أى الاكف (عفيه) بفتح العين المهملة وكسر الفاء وفتح التحتية مشددة أى طالبة محتاجة (فيغدقها) بسكون الغين المعجمة وكسر الدال المهملة من أغدق المطر كثر قطره أى يملؤها رحمة واحسانا (هاطل) السحاب المطر والمطر الدائم اضافته الى (منه) أى انعامه من اضافة الصفة للموصوف أو المشبه به للمشبه يقال من الله على عباده أنعم ابتداء بالنوال قبل السؤال لا لسبب ولا لعلة وهو المنان أى كثير المن يقال منننت عليه منا عددت له ما فعلت له من الصنائع مثل ان تقول أعطيتك وفعلت لك وهو تكدير وتعيير تنكسر منه القلوب فلهذا نهى الشارع عنه بقوله لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ومن هنا يقال المن أخو المن أى الامتنان بتعديل الصنائع أخو القطع والهدم فانه يقال منننت الشئ منا أيضا اذا قطعته والامتنان مذموم الا بالنسبة لله سبحانه وتعالى لانه المتفضل بما يملكه حقيقة وغيره لا يملك له معه فلم يناسبه المن به واستثنى بعضهم الرسول والشيخ والوالد واختلف العلماء فى هذه المسألة على أقوال ثلاثة فقال بعضهم اذا فعل ذلك أى المن فلا أجر له فى صدقته وعليه وزرفيها من على الفقير وقال بعضهم ذهب أجره فلا أجر له ولا وزر عليه وقال بعضهم اذا فعل ذلك فله أجر الصدقة ولكن ذهبت مضاعفته وعليه الوزر بالمن وهذا أوجه ذكره الكرخى (و) هاطل (عطاه) أى عطائه أى احسانه (يامن تعالى) جل (عن الاغيار) جمع غير بمعنى سوى لا اله غيره ولا معبود بحق سواه (و) عن (المثليه) بكسر الميم كالعدل بكسر العين وزنا ومعنى أى تعالى عن كونه له مثل ليس كمثله شئ فى الارض ولا فى السماء وهو السميع البصير (يامن وسعت) أى شملت (رحمته) فى الاصل بمعنى الرقة الطبيعية والميل الجبلى وهذا من صفات الآدميين فهو مؤول من جهة البارى قال العزيزى وللمتكلمين فى تأويل مالا يسوغ نسبته الى الله تعالى وجهان الحمل على الارادة فيكون من صفات الذات والآخر الحمل على فعل الاكرام فيكون من صفات الافعال كالرحمة أى والذى لا يسوغ نسبته اليه تعالى الا بتأويل كالرحمة فمنهم من يحملها على ارادة الخير ومنهم من يحملها على فعل الخير ثم بعد ذلك يتعين أحد التأويلين فى بعض السياقات لمانع يمنع من الآخر كما فى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فامسك عنده تسعا وتسعين رحمة وأرسل فى خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذى عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بالذى عند الله من العذاب لم يأمن من النار وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق يوم خلق السموات والارض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والارض فجعل منها فى الارض رحمة تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض واذا خر عنده تسعا وتسعين فاذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة فهنا يتعين تأويل الرحمة بفعل الخير فتكون صفة فعل فتكون حادثة عند الاشعرى فيتسلط الخلق عليها ولا يصح هنا تأويلها بالارادة لانها اذ ذاك من صفات الذات فتكون قديمة فيمتنع تعلق الخلق بها ويتعين تأويلها بالارادة فى قوله تعالى لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم لانك لو جعلتها على الفعل لكان العصمة بعينها فيكون استثناء الشئ بنفسه فكأنك قلت لا عاصم الا لعاصم فتكون الرحمة الارادة والعصمة على بابها الفضل المنع من المكروهات كأنه قال لا يمتنع من المحذور الا من أراد له السلامة اه وجعل السيوطى الاستثناء منقطعا فقال لكن من رحم الله فهو المعصوم قال بعضهم

وهى عفيه * فيغدقها
هاطل منه وعطاه *
يامن تعالى عن الاغيار
والمثليه * يامن وسعت
رحمته

منشأ الاختلاف ان من رحم شخصا أراد به الخير ثم فعل به فالشيخ الاشعري أخذ المجاز الاقرب وهو الارادة والقاضي أبو بكر أخذ المجاز المقصود وهو الفعل انتهى وعلى القولين يتعين التأويل وهذان القولان هما مذهب الخلف واما مذهب السلف فالايمان بذلك والتسليم فانه كما جاز ان يكون سمع الله وبصره صفتين حقيقتين واطلاق السميع والبصير عليه حقيقة مع عدم لزوم التجسيم لعدم استلزامها ثبوت الجارحة له تعالى كذلك جاز أن تكون الرحمة صفة حقيقية لله تعالى وقد بسطنا الكلام في هذا البحث في الكوكب الانور فارجع عليه (من أطاعه) الطاعة اتباع المطلوب شرعا (وعصاه) العصيان مخالفة أمر الله الواجب (يامن يرى مد أجنحة البعوض) جمع بعوضة وهي البقة (في الدياجير) جمع ديجور الظلام وليلة ديجور مظلمة وفي نسخة الدياجي بحذف الراء وياجي الليل حنادسه وفي الاساس للزمخشري وأقبل الليل بدياجيه وديا جيره وأسود ديجوري انتهى وفي القاموس الديجور التراب والظلام والاغبر الضارب الى السواد والمظلم انتهى (الحلكيه) بفتح اللام قال في القاموس الحالك محركة شدة السواد فالمراد الليالي المظلمة الشديدة السواد (ويسمع دبيب) مصدر دب يدب بالكسر دبا ودبيبا مشى على هينئة والديدب مشى المجرور من النمل (أرجلها) أي البعوض (اذا أرخى) أسبل (الغيهب) بفتح الغين المعجمة وسكون التحتية فهاء مفتوحة آخره موحدة الليل الشديد السواد (ستره) بكسر السين المهملة أي ظلامه لان الظلام كالستر يحجب البصر عن الرؤية (وأضفاه) بالضاد المعجمة والفاء أي جعل الستر ضافيا محيطا به من جوانبه يقال ضفا الثوب يضفو ضفوا فهو ضاف أي تام سابغ كما سيأتي فهو كناية عن شدة الظلام وفيه تشبيه الظلام بالثوب بجامع الاستتار وشاهد ما ذكره المؤلف رحمه الله من قوله يرى ويسمع قوله تعالى انني معكما أسمع وأرى وقوله جل وعلى ألم يعلم بان الله يرى وقوله جل اسمه الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين وقوله تعالى وهو السميع البصير والسميع الذي يسمع كل موجود والبصير هو الذي يبصر الاشياء فيحيط بالمسموعات والمبصرات من غير أن يشغله شأن عن شأن فهما صفتان أزليتان قائمتان بذاته تعالى ثابتتان له لا يتوقفان عقلا على الجارحة ولا على الاتصالات الجسمانية ودل التصريح بهما على انهما صفتا كمال فوجب اعتقاد ما دلت عليه الآي ولا محوج للتأويل لا عقلا ولا سمعا وحمل اللفظ على احتماله البعيد مجاز وشرطه القرينة ومع عدمها لا يجوز المصير اليه لما فيه من اثبات المشروط من غير شرط فتعين البقاء مع تلك الظواهر قال شيخنا الباجوري والاول تتعلق بالموجودات الاصوات وغيرها كالذوات على طريقة السنوسي ومن تبعه وقال السعد تتعلق بالمسموعات ويحتمل ان مراده المسموعات في حقه تعالى وهي الموجودات الاصوات وغيرها فيكون موافقا لطريقة السنوسي فيسمع سبحانه وتعالى كلا من الاصوات والذوات بمعنى ان كلا منهما منكشف لله يسمعه ويجب اعتقاد أن الانكشاف بالسمع غير الانكشاف بالبصر والثاني تتعلق بالموجودات الذوات وغيرها كما هو طريقة السنوسي ومن تبعه وقال السعد تتعلق بالمبصرات قال فيحتمل أن مراده المبصرات في حقنا وهي الذوات والالوان فيكون مخالفا لطريقة السنوسي ويحتمل أن مراده المبصرات في حقه تعالى وهي الموجودات الذوات وغيرها فيكون موافقا لطريقة السنوسي والحاصل ان متعلق السمع والبصر في حقه تعالى كل موجود لا بعض الموجودات كما في حقنا فليس سمعه جل وعلا

من أطاعه وعصاه * يامن يرى مد أجنحة البعوض في الدياجير الحلكيه * ويسمع دبيب أرجلها اذا أرخى الغيهب ستره وأضفاه *

مقصورا على الاصوات بل يسمع جل وعلا ذاته وصفاته في الازل وفيما لا يزال ذوات العوالم وجميع اعراضها فيسمع ويبصر سبحانه وتعالى جميع الموجودات حتى الذرة وان كانت صغيرة جدا وحتى الاصوات ولو خفية جدا كدبيب رجل النملة السوداء في الليل المظلم وطنين أجنحة البعوض ومذاهبي ان ذلك منكشف له ببصره لا يحجبه حاجب ولا يحول بينه وبينها حائل وقد أشار المؤلف رحمه الله تعالى بذلك الى ان الله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه خافية مطلع على أحوال خلقه وقد أحاط بكل شيء علما كيف لا وقد انفرد جل ثناؤه بخلق أنواع المخلوقات كلها صغيرها وكبيرها وجعل لكل ما يبائن غيره من الاوصاف ثم نوع كل نوع الى أصناف مختلفة وأفراد متكاثرة وخص كلا بما شاء من الجائزات وقام بتدبير شؤنه وما يحتاج اليه وأحاط بجميع أحوالها وحركاتها ظاهرها وباطنها خفيها وجليها في كل وقت ولحة ونظرة وطرفة لا يحجبه ظلمة ولا يشغله حال عن حال ولقد أحسن من قال وقد نسب للزمخشري انه أنشده عند الممات واستدل بذلك على توبته من بدعته المشهورة

يا من يرى مد البعوض جناحها * في ظلمة الليل البهيم الاليل
ويرى مناط عروقها في نحرها * والمخ في تلك العظام النحل
ويرى خرير دمائها متسلسلا * في جسمها من مفصل في مفصل
ويرى وصول غذا الجنين ببطنها * في ظلمة الاحشا بغير تمقل
ويرى مكان الوطء من أقدامها * في سيرها وخطى المستعمل
ويرى ويعلم كل ما هو دونها * سبحانه من مالك متفضل
امنن علي بتوبة أمحو بها * ما كان مني في الزمان الاول

نسألك بعظيم أنوارك الجليه * التي أزالت رين القلب وصداه * ونتوسل اليك بصاحب المقامات العنديه *

(نسألك بعظيم أنوارك الجليه) النيرة الواضحة واضافة الانوار الى الله تعالى على معنى الملك من اضافة الفعل الى فاعله وهي على معنى الاضافة في قوله تعالى مثل نوره وقوله تعالى يهدي الله لنوره من يشاء يحتمل أن المراد هدايته ويحتمل ان يراد به النبي صلى الله عليه وسلم او القرآن اذ النور كما يطلق على الله سبحانه وتعالى يطلق على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى القرآن ولا مانع من ارادة الكل بدليل اتيانه بصيغة الجمع والكل يرجع الى الله تعالى انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء (التي أزالت) أي كشفت بنورها ووضاحتها وهدايتها (رين) بفتح الراء المهملة مصدر ران يطلق على الرنس والغطاء قال أبو عبيدة في قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون أي غلب وقال الحسن رضي الله عنه هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب أعوذ بالله من الرين والران وهو ما غطى على القلب وركبه من القسوة للذنب بعد الذنب كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون من قولهم ران عليه الشراب والنعاس اذا غلبه (القلب) أي قلب المجاهدين المفرطين (وصداه) ما علاه وركبه من دنس الذنوب فهو عطف رديف وفيه تشبيه الانوار بالمصقلة التي يجلى بها السيف والمرآة والثوب ونحوها (ونتوسل) نتقرب (اليك) بمحمد (صاحب المقامات) بفتح الميم جمع مقام بفتحها أيضا أصله موضع القيام واستعمل في الرتبة والمنزلة كما هنا فالمراد مقامات الفضل والمجد أو مقامات المكانة وعلو المنزلة (العنديه) أي عند الله وهو عنديه تشريف وتكريم والظرف ليس على حقيقته الا ان يراد المقامات الحسية في الموقف وفي

الجنة والاولى حملها على المقامات الحسية والمعنوية أى فهو صلى الله عليه وسلم فى كل لحظة وطرفة
لا يغفل عن مشاهدة جمال ربه ولا يزال شاخصا اليه لا يغيب ولا يحجب بل هو الحاجب والواسطة
لغيره وقد أعد الله له عنده مقامات يتضمن كل مقام منها محمدة وكرامة قال بعضهم وكلها يرجع الى
المقام المحمود وفيه أقوال فقيل هو الشفاعة العامة وهو المشهور أو مقام الشفاعة وعليه المفسرون
وقيل اعطاؤه لواء الحمد وهو لا ينافى ما قبله وقيل هو ان يجلس صلى الله عليه وسلم عند الله على
الكرسى أو على العرش فعن ابن مسعود انه يقعد الله محمدا عنده على الكرسى وعن مجاهد يجلسه
معه على العرش ودفع الواحدى هذا القول وطعن فى الحديث ومنهم من أوله وصححه الدارقطنى
ورد على منكره ومثله من المتشابه لانه تعالى منزه عن صفات الاجسام كالنزول والجهة فهو
كقوله تعالى الرحمن على العرش استوى وليس اقعاده على الكرسى أو العرش موجبا له صفة
الربوبية بل كاجلاس الملك على سريره من يعظمه ولا يوجب له صفة الملك أو مخرجا له عن صفة
العبودية فهو بمنزلة قوله تعالى الذين عند ربك أى الملائكة وقوله رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة
فالعندية فيهما للتشريف فكذلك المعية والحديث فى المصابيح والكلام عليه مفصل فى شروحه
قال بعضهم فكل هذا ونحوه عائد على الرتبة والمنزلة والحظوة بضم الحاء وكسرها والدرجة الرفيعة
لا الى المكان حتى يلزم منه التناهى وانه ممدود فليس بمدفوع لا من جهة النقل ولا من جهة النظر
وقيل هو شفاعته لاخراج بعض أهل النار منها وقيل هو شفاعته رابع أربعة اذ يقوم له روح
القدس جبريل عليه السلام ثم يقوم ابراهيم ثم يقوم موسى أو عيسى عليهم الصلاة والسلام
ثم يقوم صلى الله عليه وسلم فيشفع ولا يشفع أحد بعده فى أكثر مما يشفع وبه فسرت الآية وقيل
هو مقام يكون أقرب فيه من جبريل والشفاعة ثابتة له بالاجماع ولا مانع أن يعد كل مقام مما ذكر
مقاما محمودا له صلى الله عليه وسلم عند ربه اذ كل مقام من تلك المقامات يجلب له الحمد كما هو
مقتضى كلام أبى حيان وأيده بانه نكرة فدل على أنه ليس المراد مقاما مخصوصا فيشمل ما تقدم
فى قصة الاسراء والمعراج وما انطوت عليه من درجات الرفعة ووصوله الى مقام لم يصله غيره
واختصاصه بمزايا لم ينلها غيره من الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين من ذلك رؤيته لربه سبحانه
وتعالى بعينى رأسه وغير ذلك مما خوله الله به من الزلفى والكرامة والقرب من ربه جل شأنه فى
الجنة ولا شك ان شأنه صلى الله عليه وسلم الارتقاء والارتفاع فى الدرجات دائما فلا حد لمقاماته
ولا نهاية لدرجاته قال صلى الله عليه وسلم ان الله أعطى موسى الكلام وأعطانى الرؤية وفضلنى
بالمقام المحمود والحوض المورود وقال أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وأنا خطيبهم اذا وفدوا
وأنا مبشرهم اذا أيسوا ولواء الحمد يومئذ بيدى وأنا أكرم ولد آدم على ربى ولا فخر وقال أنا أكثر
الانبياء تبعا يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة وقال أنا أول من تنشق عنه الارض فاكسى
حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيرى وقال
أنا قائد المرسلين ولا فخر وأنا خاتم النبيين ولا فخر وأنا أول شافع ومشفع ولا فخر وقال أنا أول من
يدق باب الجنة أنا فرطكم على الحوض وقد نصره الله بالرعب وأعطى جوامع الكلم ومفاتيح خزائن
الارض وختم به الانبياء وأقرن الله اسمه باسمه فى مواضع كثيرة فى الاذان والتشهد وغيرهما
وأعطاه الوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة فى الجنة قال صلى الله عليه وسلم سلوا الله لى

الوسيلة منزلة فى الجنة لا ينبغى الا لعبد من عباد الله فارجو ان أكون أنا هو فمن سأل الله تعالى لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة وتعبيره بالرجاء مع تحقق اختصاصه بارفع المنازل عند ربه تأدبا أو تشريفا لامته بالدعاء له وفى رواية عند الترمذى الوسيلة أعلا درجة فى الجنة وهى مخصوصة به صلى الله عليه وسلم وهى أقرب الى العرش من سائر المنازل وقد أشار المؤلف رحمه الله تعالى الى بعض تلك المقامات بل الى ما يشمل أكثرها بقوله (الممنوح) بالنون من المنح وهو العطاء بالجر وعلى انه صفة بعد صفة لمحمد كما قررناه فيما تقدم وبالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف أى هو الممنوح ويجوز النصب بتقدير أعنى (بالشفاعة) هى لغة الوسيلة والطلب وعرفا سؤال الخير من الغير وشفاعة المولى عبارة عن عفوه (العظمى) وهى الشفاعة العامة وتقدم فى قول انه المقام المحمود (يوم العدل والمقاضاه) بالضاد المعجمة المحاكمة أى يوم المحشر يحكم اليه فيه بين الخلائق بالعدل ويفصل بينهم بالحق ولا يظلم ربك أحدا والعدل وضع الشئ فى محله من غير اعتراض على الفاعل ضد الظلم الذى هو وضع الشئ فى غير محله مع الاعتراض على فاعله وعلى أن المراد بالشفاعة العظمى المقام المحمود أى المقام الذى يحمده فيه الاولون والآخرون أو على لسان أهل الجمع قال الله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وفسروه بانها الشفاعة العظمى الواقعة لفصل القضاء واجراء حكم عدل الله فيهم كما يتجلى الملك لجنده ورعاياه لينظر فى أمورهم ويقرب من شاء منهم وقد وردت فى ذلك أحاديث صحيحة من طرق متعددة ملخصها أن الناس يوم المحشر يصيرون جثى أى جماعات من الثقلين الجن والانس يجمعهم الله فى صعيد واحد وهو أرض المحشر حيث يسمعهم الداعى وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس الا باذن منه وهذا فى موقف قال تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون وفى موقف آخر مخصوص بذوى الاعذار الباطلة قال تعالى وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون وقال تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وتدنو الشمس من رؤس أهل الموقف فيبلغ الناس من الغم مالا يطيقون ولا يحتملون ويغضب الله غضبا لم يغضب قبله مثله ولم يغضب بعده مثله وينزل تبارك وتعالى عن كرسيه ويذكر كل أحد خطيئته التى أصاب فيفزعون الى أنبيائهم كل أمة يطلب نبيها الشفاعة عند ربهم فى الخلاص من هول الموقف فيجيبهم بانه لا يقدر على الشفاعة ويكون هو صلى الله عليه وسلم مع أمته على تل اشارة الى علو مقامه ومقام أمته واللطف بهم فى تخليصهم من زحام الموقف ومشقته ويكسى حلة خضراء فيأتو امحمدا صلى الله عليه وسلم فيقول لهم أنا لها فيستأذن على ربه فى القرب منه والشفاعة للناس فيؤذن له فى الدخول الى مكان لا يقف فيه داع الا أجيب وهو موقف ليس بينه وبين الله فيه حجاب وانما ينقل من موقف العرض والحساب الى موقف آخر لان الموقف الاول محل سياسة وخوف والثانى موقف كرامة ولطف ورحمة فهو أدل على قبول الشفاعة واطمأنانا لقلب الشفيع فيأتى تحت العرش ويخر ساجدا فيفتح الله عليه من محامده وحسن الثناء عليه شيأ لم يفتحه على أحد قبله فيقال له ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع فيرفع رأسه فيقول يارب أمتى أمتى وفى رواية فيقوم عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره يغبطه به الاولون والآخرون وفى رواية يجلس على منبر من يمين العرش فيشفع شفاعات شفاعة للمذنبين الخاطئين المتلوثين وشفاعة لاهل الكبائر من أمته وشفاعة فى تعجيل من لا حساب عليه الى الجنة

الممنوح بالشفاعة العظمى يوم العدل والمقاضاه *

وشفاعته لمن شهد أن لا اله الا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه وشفاعته فى اخراج الجهنميين أى المؤمنين الذين دخلوا النار بعاصيهم وفى رواية يقول لى ربى انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة برأو شعير من ايمان فاخرجه فانطلق فافعل ثم ارجع وأحمد بمحامد فيؤذن لى فى اخراج من فى قلبه مثقال حبة من خردل فافعل فارجع الى ربى كذلك فيؤذن لى فى اخراج من فى قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل وذكر فى المرة الرابعة أنه يقول يارب ائذن لى فى اخراج من قال لا اله الا الله فيقول الله تبارك وتعالى ليس ذلك اليك ولكن وعزتى وجلالى وكبريائى وعظمتى وجبريائى لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله أى وأثبت الرسالة للرسول الذى أرسله اليه ولم يعمل خيرا قط لتفضل الله تعالى عليهم باخراجهم بلا شفاعة أحد وفى هذه الروايات اشكال لان أولها يدل على أن هؤلاء أهل الموقف والمحشر وآخرها يدل على أنهم دخلوا النار فاخرجوا منها بشفاعته وأجيب بانهم صاروا فرقتين فرقة فى المحشر شفع لهم فلم يعذبوا وفرقة دخلوها ثم أخرجوا منها ففى الكلام اختصار وطى وتمام الحديث فاقول يارب ما بقى فى النار الا من حبسه القرآن أى الا من حكم الله فى القرآن بخلوده فى العذاب ولم يؤذن فى الشفاعة لهم وهم المنافقون والكفار كقوله تعالى ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا وقوله ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا أى شفيعا وقوله ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قال القاضى عياض بعد أن ساق الاحاديث الواردة فى هذا المقام فقد اجتمع من اختلاف ألفاظ هذه الآثار أن شفاعته صلى الله عليه وسلم ومقامه المحمود وأول الشفاعات الى آخرها من حين يجتمع الناس للمحشر ويضيق بهم الخناجر ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ لراحة الناس من الموقف ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جاء فى الحديث عن أبى هريرة وحذيفة وهذا الحديث أتقن فيشفع فى تعجيل من لا حساب عليه الى الجنة كما تقدم ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسبما تقتضيه الاحاديث الصحيحة ثم فيمن قال لا اله الا الله وليس هذا سواه انتهى وهذا لا ينافى تقدم من قوله فاقول يارب ائذن لى فيمن قال لا اله الا الله فيقول ليس ذلك اليك لانه ليس فيه الا أن اخراجهم من النار مفوض الى الله لا اليه وهو لا ينافى اخراجهم بشفاعته قال الخفاجى وفيه خفاء وقد يجاب بان هذا فيمن أثمر توحيده زيادة طمأنينة له أى كان قلبه مطمئنا بالايمان والمفوض الى الله من تجرد توحيده عما عداه قال فى المواهب فان قلت اذا قلنا بالمشهور ان المراد بالمقام المحمود الشفاعة فاى شفاعة هى أى لان له صلى الله عليه وسلم عدة شفاعات فالجواب أن الشفاعة التى وردت فى الاحاديث فى المقام المحمود نوعان النوع الاول العامة فى فصل القضاء بين الخلائق والثانى فى الشفاعة فى اخراج المذنبين من النار لكن الذى يتجه رد هذه الاقوال كلها الى الشفاعة العظمى العامة فان أعطاه لواء الحمد وثناءه على ربه وكلامه بين يديه وجلوسه على كرسيه أو عرشه كل ذلك صفات للمقام المحمود الذى يشفع فيه ليقضى بين الخلائق وأما شفاعته فى اخراج المذنبين من النار فمن توابع ذلك وقد أنكر بعض المعتزلة والخوارج الشفاعة فى اخراج من أدخل النار من المذنبين وتمسكوا بقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين وقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع وأجاب أهل السنة بان هذه الآيات فى الكفار

وقد جاءت الاحاديث التي بلغ مجموعها حد التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين فلا معنى لانكارها لحصول القطع بها (ونقسم) بضم النون وكسر السين المهملة هذا من الايمان الشريفة ولفظه الانشاء وظاهره الدعاء والمقصود من القسم به تعظيمه وتقرير المقسم عليه في الذهن وتمكينه (عليك) يارب (بالمخصوص) أي سيدنا محمد الذي شرفته وكرمته وعظمته اورفعته وخصصته ليلة الاسراء (بالفهوانية) بفتح الفاء وسكون الهاء فواو فالف فنون فثناة تحتية مشددة آخره هاء نسبة الى الفهوة فياؤها للنسب والالف والنون للمبالغة كما في الرقباني نسبة الى الرقبة والشعراني نسبة للشعر والواحداني نسبة للوحدة واختار بعضهم جعلها للمصدرية كما في الضاربية وقد ينسب الشئ لنفسه مبالغة والمراد به خطاب الحق بطريق المكالمة في عالم المثال (القابية) او نسبة بتقدير الحال أو مصدرية بتقدير الكون والمراد حالة القرب اليه تعالى أشار بها الى قوله تعالى فكان قاب قوسين أو أدنى وفي كلامه كناية عن سرعة سيره صلى الله عليه وسلم الى ربه ونهاية قربه ودنوه منه سبحانه وتعالى أتى بذلك في الدعاء لان التوسل به صلى الله عليه وسلم في الدعاء مع وصفه باشرف المناقب يكون أرجى للقبول وقد تقدم الكلام على القاب (والمشاهدة) قال الشيخ الجرجاني في تعريفاته المشاهدة تطلق على رؤية الاشياء بدلائل التوحيد وتطلق بازائه على رؤية الحق في الاشياء وذلك هو الوجه الذي له تعالى بحسب ظاهريته في كل شئ وقال شيخ الاسلام زكريا الانصاري رحمه الله تعالى المشاهدة وجود الحق تعالى بلا تهمة والمعاينة تحقيق معرفة الذات التي لا يصح مع وجودها وجود الف ولا ريب أن معاني هذه الالفاظ وراء طور العقل لا يعرفها الا أهل العنايات لانها تتعلق بتوحيد الله تعالى وتوحيده تعالى المتعلق بذاته وصفاته لا يصح أن يكون من مدركات كل العقول انتهى (البصريه) أي المنسوبة للبصر والمراد هنا رؤيته صلى الله عليه وسلم للباري تعالى بلا ريب ولا تهمة بعيني رأسه على القول الاصح وتقدم أن ذلك من خصوصياته صلى الله عليه وسلم اذ لم يقع لاحد غيره المكالمة كفاحا ولا وصل في القرب اليه تعالى الى المقام الذي وصله صلى الله عليه وسلم ولا رأى رب العزة ببصره سواه كما تقدم تحقيق ذلك (المصفى) المختار (من) بيانية (صمحدد) بالحاء المهملة كسفرجل وقذعمل الخالص وأنت في صمحدد قومك أي في صميمهم (سودد) أي سيادة (العز) بكسر العين المهملة وبالزاي المعجمة ضد الذل قال في المصباح عز الرجل عزا بالكسر وعزازة بالفتح قوى وعز بالضم من باب تعب لغة فهو عزيز وجمعه أعزة والاسم العزة وتعززتقوى انتهى (والجاه) بالجيم القدر والمنزلة أي المختار من خالص السيادة العزيزة أو خالص السيادة التي هي العز والجاه فالاضافة بيانية أو من جميع قومه الذين لهم السيادة والعز والجاه فهو صلى الله عليه وسلم مصطفى في ذاته ونسبه فهو أشرف الناس حسبا وأكرمهم نسبا فانه صلى الله عليه وسلم نخبة بني هاشم وسلالة قريش وأشرف العرب وأعزهم نفرا من قبل أبيه وأمه وشاهد ذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم وفي رواية من خير فرقهم ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم وما رواه الترمذي وقال حديث صحيح عن واثلة بن الاسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش

ونقسم عليك بالمخصوص بالفهوانية القابية والمشاهدة البصريه * المصفى من صمحدد سودد العز والجاه *

بني

بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى اختار خلقه فاختار منهم بنى آدم ثم اختار بنى آدم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب
فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا فاختار منهم بنى هاشم ثم اختار بنى هاشم فاختارنى منهم فلم
أزل خيارا من خيار ألا من أحب العرب فبحبى أحبهم ومن أبغض العرب فببغضى أبغضهم ورواه
الطبرانى فى الاوسط بسند حسن الى غير ذلك من الاحاديث الصحيحة والحسنة (وبعترته) قال فى
القاموس العترة بالكسر نسل الرجل ورهطه وعشيرته الادنون ممن مضى وغبر أى بقى وفى
الاساس وعترة النبى صلى الله عليه وسلم عبد المطلب وكل عود تفرعت منه الشعب فهو عترة وفى
العين عترة الرجل اقرباؤه من ولده وولد ولده وبنى عمه دنيا وفى المصباح العترة نسل الانسان قال
الازهرى وروى ثعلب عن ابن الاعرابى أن العترة ولد الرجل وذريته وعقبه من صلبه ولا تعرف
العرب من العترة غير ذلك ويقال رهطه الادنون ومنه قول أبى بكر نحن عترة رسول الله صلى الله
عليه وسلم التى خرج منها وبيضته التى تفقأت عنه وعليه قول ابن سكيت العترة والرهط بمعنى
ورهط الرجل قومه وقبيلته الاقربون انتهى قال الفاسى سئل مالك بن أنس عن عترته صلى الله
عليه وسلم فقال هم أهله الادنون وعشيرته الاقربون والمراد هنا أهل بيته لقوله صلى الله عليه وسلم
عترتى أهل بيتى وهم على الاصح مؤمنو بنى هاشم وبنى المطلب ابنى عبد مناف (المطهرة) بفتح
الهاء المشددة نعت للعترة أى الذين طهرهم الله تعالى (من) بيانية (الاقذار) جمع قذر الوسخ فهو
ضد النظافة ويطلق القذر على القاذورة يقال تنزه عن الاقذار والقاذورات وتطلق القاذورة على
الفاحشة ومنه اجتنبوا القاذورات التى نهى الله عنها كالزنا ونحوه (الرجسية) المنسوبة الى
الرجس هو بمعنى القذر فالاضافة بيانية والمراد بالطهارة هنا النظافة والخلاص من ادناس
الذنوب والشكوك والمعائب واستعار الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير عنها مقتبس
من قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قال المفسرون أى
يدفع عنكم النقائص والعيوب قال بعضهم وهو وصف كاشف شامل لجميع أهل البيت وقد
اشتملت هذه الآية على غرر من مآثرهم والاعتناء بشأنهم حيث ابتدئت بانما المفيدة لحصر
ارادته تعالى اذهاب الرجس عنهم وهو الاثم أو الشك فيما يجب الايمان به والتطهير من سائر
الاخلاق والاحوال المذمومة وقد قال صلى الله عليه وسلم لعلى اما ترضى ان تكون رابع أربعة
أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا من أيماننا وشمائلنا وذرياتنا خلف
أزواجنا وهذا هو فائدة ذلك التطهير وغايته اذ منه الانابة الى الله تعالى وادامة الاعمال الصالحة
ولذا اختصوا بمشاركته صلى الله عليه وسلم فى تحريم صدقة الفرض والزكاة والنذر والكفارة
وغيرها وخالف بعض المتأخرين فبحث أن النذر كالنفل وليس كما قال قيل أهل البيت هم نساء
النبى صلى الله عليه وسلم لانهن فى بيته وذهب أبو سعيد الخدرى وجماعة من التابعين منهم مجاهد
وقتادة وغيرهم الى أنهم على وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم ويدل عليه ما روى عن
عائشة رضى الله تعالى عنها قالت خرج النبى صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل
من شعر أسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء على فادخله فيه ثم جاء الحسن فادخله فيه
ثم جاء الحسين فادخله فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية أخرجه مسلم

وبعترته المطهرة من الاقذار الرجسية *

وعن أم سلمة قالت ان هذه الآية نزلت في بيتها قالت وأنا جالسة عند الباب فقلت يا رسول الله أنا من أهل البيت فقال انك على خير أنت من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت وفي البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين وجللهم بكساء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح حسن وقال زيد بن أرقم أهل البيت من حرمت عليهم الصدقة وهم آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل عباس وقيل هم أزواجه وآله قال الفاسي وهو المختار وقيل غير ذلك وقال في المواهب واعلم أنه قد اشتهر استعمال أربعة ألفاظ يوصفون بها الاول آله عليه الصلاة والسلام والثاني أهل بيته والثالث ذو والقربى والرابع عترته أما الاول فذهب قوم الى انهم أهل بيته وقال آخرون هم الذين حرمت عليهم الصدقة وعوضوا منها خمس الخمس وقال قوم من دان بدينه وتبعه فيه واما أهل بيته فقيل من ناسبه الى جده الادنى وقيل من اجتمع معه في رحم وقيل من اتصل اليه بنسب أو سبب وأما ذو والقربى فروى الواحدي في تفسيره بسنده عن ابن عباس قال لما نزل قوله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين أمرنا الله تعالى بمودتهم قال علي وفاطمة وابناؤهما واما عترته فقيل العشيرة وقيل الذرية فاما العشيرة فهي الاهل الادنون وأما الذرية فنسل الرجل وأولاد بنت الرجل وذريته ويدل عليه قوله تعالى ومن ذريته داود الى قوله وعيسى ولم يتصل عيسى بابراهيم الا من جهة أمه مريم انتهى وورد ابن عرفه الاستدلال لما ذكر بالآية بان ما ثبت فيمن لا أب له لا يلزم ثبوته فيمن له أب انتهى وحكمة ختم الآية بتطهيرا المبالغة في وصولهم لاعلاه ورفع التجوز عنهم وتنوينه تنوين تعظيم وتكثير وايجاب مفيد أنه تطهير بديع ليس من جنس ما يتعارف ويؤلف ثم أكد ذلك بقوله اللهم هؤلاء أهل بيتي الحديث وبادخاله نفسه معهم في العد لتعود بركة اندراجهم في سلكه وقال بعد ذلك ألا من آذى قرابتي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تعالى وفي رواية والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد بي حتى يحبني ولا يحبني حتى يحب ذوي فاقامهم مقام نفسه وصح حديث ان لكل بني أب عصبة ينتمون اليها الا ولد فاطمة فانا وليهم وعصبتهم وهم عترتي خلقوا من طينتي ويل للمكذبين بفضلهم من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله وقد وردت أحاديث كثيرة شهيرة في خصوصيتهم وفضلهم وأنهم سادة أهل الجنة وفي أعلى ذروتها وأن مامنهم أحد الا وله شفاعة يوم القيامة وان الله تعالى وعده أن لا يدخل النار أحدا منهم وصح في فاطمة رضي الله عنها خصوصا أنها سيدة نساء أهل الجنة وفي ولديها أنهما سيدا شباب أهل الجنة وقد أخذ بعض المحققين من هذه الاحاديث وغيرها وهذه الآية الشريفة ان الله تعالى تجاوز عنهم جميع سيآتهم بسابق عنايته لهم وأن مامنهم أحد يموت مصرا على معصية بل لا بد من أن يمن الله عليهم بتوبة صحيحة ولا يقبضهم الا بعدها وقد بينا ذلك وأوضحناه في الكوكب الانور (وجماهير) جمع جمهور وهو في الاصل الرملة المشرفة على ما حولها سميت بذلك لكثرتها وعلوها ومن ذلك قيل للخلق العظيم جمهور لكثرتهم وجمهور الناس جلهم ومعظمهم وجمعه ليشمل جميع (أصحابه) جمع صحب تقدم الكلام عليه (الغر) بضم الغين المعجمة جمع أغر من الغرة وهو بياض في الجبهة والاغر أيضا الابيض من كل شيء والكريم الفعال الواضعها والشريف أو هو جمع غراء طائر أبيض الرأس

وجماهير أصحابه الغر

والمراد

والمراد بيض (المياميين) بفتح الميم الاولى وكسر الثانية فتحتية آخره نون جمع يمين ضد اليسار من اليدين والرجلين ويجمع على أيامين وأيامن أى ميامينهم غرفهو من اضافة الصفة للموصوف وخص الميامين لشرفها وهو على حد قوله صلى الله عليه وسلم أمتى غر من السجود محجلون من الوضوء فالمراد بيض اليدين والرجلين من آثار الوضوء أو بيض الميامين بأخذ كتبهم بأيمانهم أو العرب تجعل الخير من اليمين والشر من الشمال (الهداه) بضم الهاء وفتح الدال المهملة وألف آخره ها جمع هاد يقال هاد من الهداة والهدى الرشاد والدلالة وهداه أرشده أى هداة هذه الامة التى هى خير الامم بشهادة قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس فهم خيار الخيار قال صلى الله عليه وسلم أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم فالله سبحانه مهدبهم الدين وأسس بنيان الشرع المتين (وبورثته) المراد العلماء العاملون الذين هم أهل السنة والجماعة وهم اتباع أبى حسن الاشعرى وأبى منصور الماتريدى رحمهما الله تعالى والضمير البارز الى النبى صلى الله عليه وسلم وتقدم معنى وراثتهم منه صلى الله عليه وسلم أنهم ورثوا منه ماتركه فهم وهو الكتاب والسنة لا الدرهم والدينار ففى الخبر الصحيح انا نحن معاشر الانبياء لا نورث ماتركناه صدقة وقوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء انما ورثوا منهم العلم قال تعالى وورث سليمان داود أى فى العلم والرسالة ومنه فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب (الجامعين للفضائل) أى والفواضل فيهما اكتفاء أو المراد بالفضائل ما يشمل الفواضل والاول جمع فضيلة ضد النقيصة وهى الصفات القاصرة أى التى تلزم صاحبها ولا تتعداه الى غيره والثانى جمع فاضلة ضد الناقص وهى الصفات المتعدية الى غيره قال العلامة البجيرمى فى حواشيه على الخطيب والمراد بالفضائل النعم القاصرة وهى التى لا يتوقف الاتصاف بها على تعدى أثرها للغير كالعلم فان الانسان يوصف بالعلم وان لم يعلم كالطالب الذى يعلم علمه من سؤاله أو من كلامه والفواضل جمع فاضلة وهى التى يتوقف الاتصاف بها على تعدى أثرها للغير كالكرم والشجاعة فان الانسان لا يوصف بالكرم الا بالاعطاء ولا بالشجاعة الا بالاقدام على المهالك انتهى (الحسية) الظاهرة (والمعنوية) الباطنة والياء فيهما للنسبة فهم قد اختصوا بمزايا لم يشاركهم فيها غيرهم كنشر العلم وتبليغ الاحكام الشرعية والمعرفة بالله تعالى (وبكل عبد) من الانبياء والمرسلين والشهداء والاولياء والصالحين (قربه) اليه (مولاه) قربا معنويا (وهداه) دله على طريق الحق والصواب (وبسائر) أى باقى (أمته) أمة الاجابة (المخصوصة بالخيرية) ياؤه للمصدرية فلا بد معها من تاء التأنيث أى كونهم مخصوصين بالخير بشهادة قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس الآية وقد تقدم الكلام على تفسير الآية عند قول المؤلف وسادت أمته بكنتم خير أمة الخ والخيرية فيهم على درجات كما يأتى تحقيق ذلك قال صلى الله عليه وسلم خير القرون قرنى الذى أنا فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ومقتضاه أن تكون الصحابة أفضل من التابعين والتابعون أفضل من اتباع التابعين ومن ثم ذهب جماعة الى تفاوت القرون بالسبقية فكل قرن أفضل من الذى بعده الى يوم القيامة لحديث ما من يوم الا والذى بعده شر منه وانما يرع بخياركم ويعارض هذا ما جاء فى الحديث خير الناس قرنى ثم الثانى ثم الثالث ثم يجيئ أقوام لا خير فيهم وفى رواية ثم يجيئ أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته وفى رواية والآخرون أرذال ونحو ذلك من

المياميين الهداه * وبورثته الجامعين للفضائل الحسية والمعنوية * وبكل عبد قربه مولاه وهداه * وبسائر أمته المخصوصة بالخيرية *

الاحاديث ويعارض هذا الحديث أمتي أمة مباركة لا يدرى أولها خير أو آخرها وحديث مثل هذه الامة مثل المطر لا يدرى أوله خير أو آخره قال القاضي فني تعلق العلم بتفاوت طبقات الامة في الخيرية وأرادبه التفاوت لاختصاص كل طبقة بخاصية وفضيلة توجب خيريتها كما ان كل نوبة من نوب المطر لها فائدة في التي لا يمكن انكارها والحكم بعدم نفعها فان الاولين آمنوا بما شاهدوا من المعجزات وتلقوا دعوة الرسول بالاجابة والايمان والآخرون آمنوا بالغيب بما تواتر عندهم من الآيات واتبعوا من قبلهم بالاحسان وكما اجتهد الاولون في التأسيس والتمهيد اجتهد المتأخرون في التجريد والتلخيص وصرفوا عمرهم في التقرير والتأكيد فكل مغفور وسعيه مشكور وأجره موفور وقال غيره لا يدرى أي لتقارب أوصافهم وتشابه أفعالهم كالعلم والجهاد والذب عن بيضة الاسلام فلا يكاد يميز الناظر بينهم وان تفاوتوا في الفضل في نفس الامر فيحكم بالخير لاولهم وآخرهم ولذا قيل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها قال العلقمي لا محل لهذا الحديث على التردد في فضل الاول على الاخير فان القرون الاول هم المفضلون على سائر القرون من غير مزية ثم الذين يلونهم وانما المراد نفعهم في بث الشريعة فالمراد وصف الامة قاطبة سابقها ولاحقها أولها وآخرها بالخيرية انتهى قال المناوي في شرحه الكبير على الجامع الصغير ثم ان هذا لا ينافي حديث خير الناس قرني لانهم انما كانوا خير الانهم نصروه وآووه وجاهدوا معه وقد توجد نحو هذه الافعال آخر الزمان حين يكثر الهرج وحين لا يقال في الارض الله أو هو خاص بقوم منهم كالعشرة المبشرين بالجنة وأضرابهم وماسواهم فيجوز أن يساويهم أفضل أواخر هذه الامة كالذين ينصرون المسيح ويقاتلون الدجال فهم أنصار النبي واعوانه انتهى وهذا الذي ذكره في معنى الحديث خلاف المعول عليه والمعتمد أن خير الامة الصحابة ثم بعدهم التابعون ثم تابع التابعون وهكذا قرنا بعد قرن وان قال شيخنا الباجوري ظاهر الحديث أي حديث خير القرون قرني الخ أن ما بعد القرون الثلاثة سواء في الفضيلة وأن العيان قاض بذلك انتهى قال العلقمي هل هذه الفضيلة بالنسبة الى المجموع أو الافراد محل بحث والذي فهمته من مجموع كلامهم وهو الوجه الذي لا يعدل عنه أن كل شخص ثبتت له الصحبة أفضل من التابع وان اتصف بالعلم وغيره انتهى وقد نقل العلامة ابن حجر في شرح الهمزية اتفاق الاكثرين على أن الصحابة أفضل من جميع من بعدهم قال وذهب ابن عبد البر الى انه يمكن ان يكون فيمن بعدهم من هو أفضل من بعضهم للخبر الحسن بل قيل انه يرتقي الى درجة الصحة مثل أمتي مثل المطر لا يدرى آخره خير أو أوله وللخبر الصحيح أيضا لا يدرك المسيح اقواما انهم لمثلكم أو خير ثلاثا وفي حديث أبي داود والترمذي تأتي أيام للعامل فيها أجر خمسين قيل منهم أو منا قال منكم ويجاب عن الاول باحتمال أنه قيل قبل ان يعلم أفضلية أصحابه فلما علمها صرح بها بقوله صلى الله عليه وسلم لو انفق أحدكم مل الارض ذهبا لم يبلغ مد أحدهم ولا نصيفه وبقوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني وفيه ان ذلك ليس على عمومه بدليل ما يجمع القرون بين الفاضل والمفضول وقد جمع قرنه صلى الله عليه وسلم جماعة من المنافقين المظهرين الايمان وأهل الكبائر الذين أقام عليهم الحدود وعن الثاني بان أو فيه تحتمل ذلك أيضا وعن الثالث بانهم صرحوا بان مجرد زيادة الثواب لا تقتضي الافضلية على أن فضلية الصحبة لا يعادلها عمل ومن ثم لما سئل ابن المبارك عن

عمر بن عبد العزيز ومعاوية رضى الله عنهما أيهما أفضل قال للغبار الذى دخل فى انف فرس معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من مائة مثل عمر بن عبد العزيز وأشار بعضهم الى ان محل الخلاف فى صحابى لم يحصل له الا مجرد الرؤية واما من زاد على ذلك بنحو رواية أو غزو فلا نزاع فيه انتهى بزيادة ومما يؤيد كلام ابن عبد البر حديث أبى امامة طوبى لمن رآنى وآمن بى مرة وطوبى لمن لم يرنى وآمن بى سبع مرات أخرجه أحمد والبخارى فى تاريخه وابن حبان والحاكم وأخرجه أحمد أيضا عن أنس وحديث أبى عبيدة باسناد حسن يا رسول الله أأحد خيرا منا أسلمنا معك وجاهدنا معك قال قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بى ولم يرونى واسناده حسن رواه أحمد والدارمى والطبرانى والحاكم وصححه وحديث عمرو بن شعيب عن جده قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الخلق أعجب اليكم ايمانا قالوا الملائكة قال ومالهم لا يؤمنون عند ربهم قالوا فالنبيون قال ومالهم لا يؤمنون والوحى ينزل عليهم قالوا فنحن قال فما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم قال فقال رسول الله ان أعجب الخلق ايمانا لقوم يكونون من بعدى يجدون صحفا فيها كتاب يؤمنون بما فيها وروى أن أصحاب ابن مسعود رضى الله عنه ذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وايمانهم فقال أمر محمد عليه الصلاة والسلام كان بينا لمن رآه والذى لا اله غيره ما من أحد أفضل ايمانا من الايمان بالغيب ثم تلا قوله تعالى هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب الآية وعن عبد الرحمن بن العلاء الحضرمى قال حدثنى من سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول انه سيكون فى آخر هذه الامة قوم لهم مثل أجر أولهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقاتلون أهل الفتن فهذه الاحاديث ونحوها تقتضى مع تواتر طرقها وحسنها التسوية بين أول هذه الامة وآخرها فى فضل العمل الا أهل بدر والحديبية وروى أن عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة كتب الى سالم بن عبد الله أن أكتب الى بسيرة عمر بن الخطاب لاعمل بها فكتب اليه سالم ان عملت بسيرة عمر فانت أفضل من عمر لان زمانك ليس كزمان عمر ولا رجالك كرجال عمر وكتب الى فقهاء زمانه فكلهم كتب اليه بمثل ما كتب اليه سالم وقد أجابوا عن هذه الاحاديث ونحوها أيضا بنحو ما أجاب به ابن حجر وان الايمان بالغيب وان كان أعجب لكنه لا يقتضى الافضلية على الصحابة على أنه قد يوجد فى المفضول ما لا يوجد فى الفاضل وأيضا الايمان عن مشاهدة المعجزات أقرب والايمان بالغيب عن ذلك أبعد فالاعجبية من هذا الوجه غاية الامر ان يقال لهم أجر مثل أجرهم كما فى حديث عبد الرحمن بن علاء المذكور لكن لا على طريق العموم كما قيده فى الحديث بلفظ قوم ويجاب عن مامر من قول سالم بن عبد الله فيما كتبه لعمر بن عبد العزيز بما مر عن ابن المبارك ولما تقرر قال بعضهم الاحتجاج بكلها فريب بظاهره أن يكون ترجيحا للآحاد على النص القرآنى والخبر المشهور بل المتواتر اذ الاحاديث فى أفضلية جميع الصحابة متواترة المعنى حتى حكم بعض السلف بكونهم جميعا من أهل الجنة بدليل قوله تعالى لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح الآية ولهذا قالوا فضيلة الصحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعدلها عمل انتهى والحاصل للعلماء فى ذلك مباحث والذى تلخص لى من كلامهم وظهر لى من تباين أقوالهم الناشئة من اختلاف الروايات أن القرون الثلاثة التى شهد النبى صلى الله عليه وسلم بخيريتها سواء فى الفضيلة بالنسبة الى المجموع وان كان بينهم تفاوت فى بعض

المزايا مع النظر الى درجات القرون وان ما بعد القرون الثلاثة سواء فى الفضيلة بالنسبة الى الافراد مع ما بينهم من التفاوت فى بعض المزايا أيضا وان فى آخر الزمان عند ظهور المهدى ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام يرجع يزداد قوة الايمان بعد ما يطرء عليه من الضعف فيعود كما كان فيجتهد أهله فى نصر الدين المحمدى وتأييد النهج المصطفى كما قد فعل ذلك الاولون فامته صلى الله عليه وسلم موصوفة بالخير من حيث هى أمته وان وقع ما وقع فى القرون التى مضت بين الاولين والآخرين من الفتن والهرج والنهج الاعوج وقلة الديانة والامانة لغلبة الجهل الطامس لنور القلب فى أكثرهم كما هو المشاهد فى زماننا هذا من الميل الى النفس الامارة بالسوء وارتكاب هواها فى المعاصى وقد زين لهم الشيطان سوء أعمالهم حتى انهمكوا فى جمع الاموال للتزيين والافتخار والمباهات بها بين الاقران وأوقعهم فى الميل الى سلوك آداب الكفرة والتزيى بزيهم واستحسان أفعالهم وآرائهم المؤدى ذلك الى الكفر والعياذ بالله تعالى مع وجود من ينكر ذلك عليهم أشد الانكار لعمار قلبه بنور الايمان والبصيرة والايقان وبهذا يجمع بين ما ظاهره التنافى من الاحاديث ويدل لذلك قوله صلى الله عليه وسلم خير هذه الامة أولها وآخرها أولها فيهم رسول الله وآخرها فيهم عيسى بن مريم وبين ذلك نهج أعوج ليس منك ولست منهم وقوله صلى الله عليه وسلم لا يزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق الى يوم القيامة وهذا لا يخالف قوله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة الا على أشرار الخلق لان المعنى لا يزالون على الحق الى قرب القيامة وتظاهر أشراطها فاطلق فى الحديث بقاءهم الى قيام الساعة على أشراطها ودنوها المتناهى فى القرب وقوله صلى الله عليه وسلم خيار أمتى فى كل قرن خمسمائة والابدال أربعون فلا الخمسمائة ينقصون ولا الاربعون بل كلما مات رجل أبدل الله من الخمسمائة مكانه وأدخل فى الاربعين مكانه يعفون عمن ظلمهم ويحسنون الى من أساء اليهم ويتواسون فيما آتاهم الله فوصف صلى الله عليه وسلم أمته بالخير ثم ذكر ان فيهم خيارا فى كل قرن فهم خيار من خيار كما ذكر أن فيهم شرارا وقد قيد خيريه أولها فى الحديث السابق بكون لرسول صلى الله عليه وسلم فيهم وآخرها بكون عيسى عليه الصلاة والسلام فيهم وفرق بين الحالين وضربه صحبته صلى الله عليه وسلم لا يعادلها صحبة غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا شك أن عيسى عليه السلام يعمل اذ ذاك بما شرعه النبى صلى الله عليه وسلم وأسس قواعده هو وأصحابه ومن بعدهم من أمته فى كل قرن وحرروها ومهدوها ووضحوها ونشروها قرنا بعد قرن واحدا بعد واحد الى أن يتصل بعيسى وقد قال صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل به الى يوم القيامة وقال من دل على خير فله مثل أجر فاعله قال المناوى لان كل مهدود ال وعالم يحصل له أجر الى يوم القيامة ويتجدد لشيخه فى الهداية مثل ذلك الاجر ولشيخ شيخه مثلاه وللشيخ الثالث أربعة وهكذا الى أن ينتهى الى المصطفى صلى الله عليه وسلم فكلما زاد واحد يتضاعف ما كان قبله أبدا الى يوم القيامة وكلما يحصل لجميع الصحابة حاصل بحملته للنبى صلى الله عليه وسلم وبه يظهر رجحان السلف على الخلف فانه كلما ازداد الخلف ازداد أجر السلف وتضاعف وتقدم توضيح ذلك فى شرح خطبة الكتاب عند قول المؤلف والنور الذى اكتحلت أعين الوجود بمدرؤياه قال ومن تأمل هذا المعنى ورزق التوفيق انبعثت همته الى التعليم ورغب فى نشر العلم ليتضاعف أجره فى الحياة

وبعد الممات على الدوام ويكف عن احداث البدع والمظالم من المكوث وغيرها فانها تضاعف عليه السيآت بالطريق المذكور مادام يعمل بها عامل فليتأمل المسلم هذا المعنى وسعادة الدال على الخير وشقاوة الدال على الشر انتهى ببعض اختصار فمن أجره أكثر كان خيرا من الذى دونه فى الاجر والسابقون فى الخير أكثر أجرا من الذين يلونهم على درجات لان فضلهم قد عم الاشخاص فى الاعصار الى يوم الدين وقولهم لم ترك الاول للآخر لا يصح الاحتجاج به فى هذا المقام مع امكان تأويله بما تركوه فيهم من السنن القويمة التى عملوا بها ومشوا عليها فهو مؤيد لما ذكرناه ولا يعارض ذلك قوله صلى الله عليه وسلم اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث لانه نبه بتلك الثلاث على ما فى معناها من كل ما يدوم النفع به لغيره من الخيرات الجارية والحسنات الباقية أجرها الى يوم القيامة كما قد وردت الاحاديث عنه صلى الله عليه وسلم بذلك (ومهديها) أى مهدى الامة آخر الزمان (الفائز) بالفاء اسم فاعل فاز بمعنى نجى وسلم أتى به تفاؤلا بالسلامة لانه ينجو ببركته من فتن آخر الزمان ويسلم بدينه وعرضه (من) أى الشخص يشمل الذكر والانثى (دنا) أى قرب (منه) أى المهدى عند ظهوره (ودناه) أى قاربه بمعنى تقرب اليه فهو بمعنى سابقه أتى به تأكيدا ولما بينهما من الجناس المحرف وهو ما تماثل أحد اللفظين الآخر فى الحروف لا فى الحركات كالظلم والظلمات والمراد بالدنو منه القرب اليه بايوائه ومبايعته ونصره ومتابعته فى أمره ونهيه واتخاذه وليا واماما يقتدى به ولا شك أن من فعل ذلك يفوز من الله تعالى بالنجاة من جميع الاهوال والآفات فى الحيات وبعد الممات * واعلم أنه قد تعاضدت الاخبار على ظهور المهدى آخر الزمان وتظاهرت الروايات على اشراق نوره للعيان حتى بلغت حد التواتر المعنوى فعاد ضعيف المتن منها صحيح المعنى لتقويتها بغيرها من الاحاديث الصحيحة ولا يلتفت الى كلام من زعم أنه لا مهدى الا عيسى لمخالفته اتفاق أهل السنة أن القائم فى آخر الوقت هو محمد أو أحمد بن عبد الله وأكثر الروايات على أنه من عترة الرسول صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة الزهراء بنت سيد الانبياء من أولاد الحسن أو الحسين وفى قول مردود أنه من ولد العباس أى عباس بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب أمهم زينب بنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم مولده بالمدينة الشريفة وقيل ببلاد المغرب وأنه يأتى من هناك ويجوز على البحر ويبايع وهو ابن أربعين سنة أو أقل بمكة بين الركن والمقام ليلة عاشوراء وقد أفرد العلماء أخباره بالتآليف وعقد العلامة المحقق جدنا السيد محمد بن رسول البرزنجى له بابا فى كتابه الاشاعة فى أشراط الساعة ذكر فيه اسمه ونسبه ومولده وحليته وبيعته وهجرته وسيرته وعلامات ظهوره ومدة ملكه ثم ذكر فى خاتمة كتابه المذكور نقلا عن الحافظ جلال الدين السيوطى رحمه الله فى كتابه الكشف عن مجاوزة هذه الامة الالف أن مدة هذه الامة تزيد على ألف سنة ولا تبلغ الزيادة خمسمائة ومستنده فى ذلك ما ورد أن مدة الدنيا أى من آدم الى قيام الساعة سبعة آلاف سنة وأن النبى صلى الله عليه وسلم بعث فى آخر الالف السادس قال وورد أن الدجال يخرج على رأس مائة سنة وينزل عيسى عليه السلام فيقتله فيمكث فى الارض أربعين سنة وأن الناس يمكثون بعد طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرين سنة وان بين النفختين أربعين سنة فهذه مائتا سنة لا بد منها قال ولا يمكن أن تكون المدة ألفا وخمسمائة سنة أصلا ثم ساق بسنده الاحاديث

ومهديها الفائز من دنا منه ودناه *

الدالة على ماذكره مستوفيا لطرقها قال الجد عقب نقله ذلك أقول الذى فهم مما مر من الاحاديث التى ذكرناها فى القسم الثالث أن المهدى يمكث فى الارض أربعين سنة وان عيسى يمكث بعد الدجال أربعين سنة كما رواه الحاكم فى المستدرك عن ابن مسعود رضى الله عنه ثم ساق الرواية بلفظها وأن بعد عيسى يتولى امراءمنهم القحطان يتولى احدى وعشرين سنة ولنفرض لبقيتهم الى طلوع الشمس من المغرب عشرين سنة أيضا ان لم تكن أكثر فهذه مائة وعشرون سنة ومر أن الدجال يمكث أربعين سنة فان لم يكن سنين فلا أقل من مقدار سنتين لان أيامه طوال وأن بعد طلوع الشمس من مغربها يمكث الناس مائة وعشرين سنة وفى رواية أن الشرار بعد الخيار عشرون ومائة سنة ومر أيضا أن المؤمنين يتمتعون بعد طلوع الشمس من مغربها أربعين سنة ثم يسرع فيهم الموت فهذه ثلاثمائة وعشرون سنة قال وقد مضى بعد الالف قريبا من ثمانين فهذه أربعمائة والى تمام هذه المدة تبلغ أربعمائة وثلاثين وقد مر عن السيوطى أنه لا تبلغ خمسمائة بل أخذ بعضهم من قوله تعالى فهل ينظرون الا أن تأتيهم الساعة بغتة وقوله ولا تأتيكم الا بغتة ان الساعة تقوم سنة سبع بعد أربعمائة فان عدد حروف بغتة ألف وأربعمائة وسبع والعلم عند الله تعالى قال فيحتمل خروج المهدى على رأس هذه المائة اذ الدجال يخرج فى خلافته وهو كما مر يخرج على رأس المائة ويحتمل أن يتأخر للمائة الثانية ولا يفوتها قطعا قال ويؤيد الاحتمال الثانى ما أخرج نعيم بن حماد عن محمد بن الحنفية قال يقوم المهدى سنة مائتين وأخرج مثله عن جعفر الصادق وأخرج عن أبى قبيل قال اجتماع الناس على المهدى سنة اربع ومائتين ثم بعد أن جمع بين الروايات قال وهذه كلها مظنونات وردت باخبار الآحاد بعضها صحاح وبعضها حسان وبعضها ضعاف مع شواهد وبعضها بغير شواهد وغاية ما ثبت بالاخبار الصحيحة الصريحة الكثيرة الشهيرة التى بلغت حد التواتر المعنوى وجود الآيات العظام التى منها بل أولها خروج المهدى وأنه يأتى فى آخر الزمان من ولد فاطمة يملأ الارض عدلا كما ملئت ظلما وأنه يقاتل الروم فى الملحمة ويفتح القسطنطينية ويخرج الدجال فى زمنه وينزل عيسى ويصلى خلفه وماسوى ذلك كله أمور مظنونة أو مشكوكة والله أعلم بحقيقة الحال ونعوذ بالله من الزيغ والضلال والغلو فى المقال والحمد لله على كل حال انتهى أقول ماذكره أخيرا هو أسلم الطرق التى يحسن سلوكها كيف لا وقد استأثر الله سبحانه وتعالى بعلم الساعة وتحديد وقت خروج المهدى يتوقف على علم وقت الساعة ولا يعلم ذلك غيره سبحانه وتعالى فلا يسوغ لاحد الجزم بتحديد ذلك بالسنين والاعوام الا ترى أن كثيرا من علماء الظاهر والباطن قد استنبطوا من تلك الروايات احتمالات فى خروج المهدى وعينوا أوقاتا صرحوا بها قولا وأشاروا اليها رمزا وقالوا يحتمل ان يكون خروجه فى سنة كذا وكلها مضى ولم يصح منها شئ ولولا قولهم ويحتمل لوقعوا فى ورطة عظيمة فالحق تفويض علم وقت خروج المهدى كعلم وقت الساعة الى الله تعالى والامساك عن الخوض فيه بالتحديد كما أمسك الشارع عليه الصلاة والسلام عند ما سأله جبريل عن الساعة فقال ما المسؤل عنها باعلم من السائل اشارة وارشادا وتعليما للامساك عنها فانهم كانوا قد أكثروا منه قال تعالى يسألونك عن الساعة أيان مرساها فلما وقع الجواب بانه لا يعلمها الا الله كفوا عن ذلك وقوله ما المسؤل عنها أى عن وقتها باعلم من

السائل أى أنت لا تعلمها وأنا لا أعلمها فالمراد نفى التساوى فى نفى العلم لا التساوى فى العلم بوقتها فاذا تقرر عدم علمنا بوقت الساعة ترتب عليه عدم علمنا بوقت خروج المهدى نعم الذى دلت عليه الآثار أنه انما يكون خروجه قبل قيام الساعة بسنين يسع فيها مضى مدد الاشراط التى تقع بعده ولا ريب فى أنه قد ظهر أكثر أشراطها التى أخبر بها الصادق صلى الله عليه وسلم التى بعضها علامات أيضا على خروج المهدى الذى هو من جملة أشراطها فلا يبعد خروجه فى أوائل هذا القرن الذى نحن فيه وهو القرن الرابع عشر من الهجرة ان قلنا بما تقدم عن الجلال السيوطى من أن مدة هذه الامة لا تزيد على الخمسمائة بعد ألف وان الدجال يخرج على رأس مائة سنة ويمكث عيسى بعد قتله أربعين سنة وان الناس يمكثون بعد طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرين سنة وان بين النفختين أربعين سنة فهذه مائتا سنة تبلغ بعضها خمسمائة سنة أو قريبا منها فيمكن خروجه فى هذه السنين أو يكون قد خرج لانه قد مضى من أول هذا القرن خمس سنين وتقدم ان الدجال يخرج فى خلافته على رأس المائة وقد ذكروا أن له خرجتان ولا يظهر أمره الا فى الثانية فتكون خرجته الثانية فى هذه السنين الآتية قريبا وهذا التخريج مبنى على ما استخرجه الجلال السيوطى فى الكشف من الحديث السابق أن مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وأنه صلى الله عليه وسلم بعث فى آخر الالف السادسة ولما كان ما بعد النصف الاول منها يطلق عليه آخر وكان يحتمل انه بعث صلى الله عليه وسلم فى المائة السابعة منها فاذا ضممت الباقى الى الالف السابعة يصير ألفا وخمسمائة تقريبا قال لا تبلغ الزيادة خمسمائة بعد الالف وهذا التحرير هو الذى حمل الجد على قوله فيما تقدم ويحتمل ان يتأخر الى المائة الثانية ولا يفوتها قطعا انتهى وقد مضت المائة الثانية بل والمائة الثالثة ولم يظهر حاله وقد روى الحديث المذكور فى جامعه الصغير بلفظ الدنيا سبعة آلاف سنة أنا فى آخرها ألفا وقال فى الكشف وهذا الحديث أخرجه البيهقى فى الدلائل وأورده السهيلى فى الروض الانف قال هذا الحديث وان كان ضعيف الاسناد فقد روى موقوفا على ابن عباس من طريق صحيح أنه قال الدنيا سبعة أيام كل يوم كالف سنة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخرها قال وصح أبو جعفر الطبرى هذا الاصل وعضده بآثار قال وقوله وأنا فى آخرها ألفا أى معظم المسافة فى الالف السابعة ليطابق ما سيأتى من انه بعث فى أواخر السادسة ولو كان بعث فى أول الالف السابعة كانت الاشراط الكبرى كالدجال ونزول عيسى وطلوع الشمس من مغربها وجدت قبل اليوم باكثر من مائة سنة لتقوم الساعة عند تمام الالف ولم يوجد شئ من ذلك تدل على أن الباقى من الالف السابعة أكثر من ثلاثمائة سنة انتهى وقوله فى الحديث وان كان ضعيف الاسناد فقد قال غيره اسناده واه بل قال جمع منهم ابن الاثير ألفاظه موضوعة وتقويته بحديث ابن عباس فيه نظر لانه قد قيل بضعفه أيضا ومن ثم قال المحقق المناوى فى شرح الجامع وهذا الحديث لا مسكة فيه وألفاظه مصنوعة ملفقة والحق أن ذلك لا يعلم حقيقته الا الله تعالى انتهى وأيضا ما تقدم عن ابن عباس من تقدير اليوم بالف سنة قد جاء نظيره فى القرآن من تقدير اليوم بالف سنة كما فى قوله تعالى فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون وبخمسين ألف سنة كما فى قوله تعالى فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وقد اختلف أهل التفسير فى معنى ذلك وهل المراد حقيقة العدد أو هو على التخييل والتمثيل وقد سئل ابن

عباس عن ذلك كما فى الخازن عن ابن أبى مليكة فقال ابن عباس أيام سماها الله تعالى لا أدرى ما هى وأكره ان أقول فى كتاب الله تعالى ما لا أعلم فاذا نظرت الى قول ابن عباس هذا والى اختلاف أهل التفسير فى معنى ذلك يظهر لك انه لا يتم من كل وجه ان يحمل قول ابن عباس فى هذا الحديث بان مدة الدنيا سبعة الاف سنة من سنى الدنيا على التحديد بل يحمل على التقريب لان الدنيا لما كانت لها الانتهاء ولا انتهاء للآخرة كانت الدنيا مهما طالت بالنسبة الى الآخرة كسبعة أيام من أيامها أى كجزء منها اذ جعل الايام للآخرة تقديرية أيضا والا فالآخرة لا أيام لها بل هى يوم واحد لا انتهاء له ففى الخازن عن الحسن فى تفسير قوله تعالى فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة انه قال هو يوم القيامة وأراد أن موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس فى مقدار خمسين ألف سنة من سنى الدنيا وليس المعنى ان مقدار طول ذلك اليوم خمسون ألف سنة دون غيره من الايام لان يوم القيامة له أول وليس له آخر لانه يوم ممدود لا آخر له ولو كان له آخر كان منقطعا قال وهذا الطول فى حق الكفار دون المؤمنين انتهى فالتقدير بالايام والسنين تقريب للاذهان فعليه لا يتم التخريج الذى ذكره الحافظ فى الكشف فى مدة عمر الدنيا ولذا قال المحقق المناوى والحق أن ذلك لا يعلم حقيقته الا الله تعالى كما مر والحاصل ان تلك الاحتمالات كلها ظنية لا تقوم لها حجة على ساق فلا امكان للبشر على تحديد وقت ظهور المهدى على وجه القطع به والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة الحال واليه المرجع والمآل (أن) ينازعه كل من نسأل ونتوسل ونقسم أى نسألك ونتوسل اليك ونقسم عليك أن (تقضى لنا) أى تبلغنا وتنيلنا قال الله تعالى وقضينا الى بنى اسرائيل وقال تعالى وقضينا اليه ذلك الامر أى انهيناه اليه وأبلغناه كما فى المختار والمصباح (مهم المهمات) جمع مهم وهو الامر الشديد أى أشد الامور (الدينيه) أى المنسوبة الى الدين والمهم من الدين ما يعنى به (و) أن (تتمم لكل) بالتنوين عوضا عن المضاف اليه أى لكل أحدمنا (مقصده) بفتح الصاد اسم لما يقصد اتيانه وأما بكسرها اسم للمكان فليس مقصودا هنا والمراد ما يقصده (من) الخير فى أمور (آخرته و) أمور (دنياه) قال العلامة العزيزى قال القرطبى وزنها فعلى والفها للتأنيث وهى من الدنو بمعنى القرب وهى صفة لموصوف محذوف كما قال تعالى وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور غير انه قد كثر استعمالها استعمال الاسماء فاستغنى من موصوفها والمراد الدار الدنيا والحياة الدنيا التى تقابلها الدار الاخرى أو الحياة الاخرى انتهى وقيل هى ما على الارض من الهوى والجو وقيل كل المخلوقات من الجواهر والاعراض وتطلق على كل جزء من ذلك مجازا انتهى واعلم انه قد نطقت الآيات القرآنية وجاءت الاحاديث النبويه بذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هذا هو المقصود بالذات من سائر الشرائع والمراد بالدنيا المذمومة ما فى قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين الآية ويجمع ذلك كل ما الت فيه عاجل حظ أو شهوة من غير أن يعين على عمل أخروى ولا يقصد به ومن جملة ما فى الدنيا المال وقد تعارضت الاحاديث فى ذم المال ومدحه لانه تعالى مع ما جاء فى ذم الدنيا سمى المال خيرا وفى الحديث نعم المال الصالح للمرء الصالح وكل ما جاء فى ثواب الصدقة والضيافة والاحسان والزكاة والحج ونحوها فهو ثناء على المال لانه يتوصل به اليه وفى حديث البيهقى وغيره كاد الفقر أن يكون كفرا وهو ثناء على المال وصح على نزاع فيه ولذلك قال

أن تقضى لنا مهم المهمات الدينيه * وتتمم لكل مقصده من اخرته ودنياه *

بعض الحفاظ أنه حسن وزعم بطلانه غلط صريح خبر اللهم آمن من بي وصدق بي وعلم أن ما جئت به فهو الحق من عندك فاقل ماله وولده وحبب اليه لقاءك وعجل له القضاء ومن لم يؤمن بي ولم يصدقني ويعلم أن ما جئت به فهو الحق من عندك فاكثر ماله وولده وأطل عمره وفي حديث صحيح على شرط الشيخين ان أبا ذر أتى الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني أحبكم أهل البيت فقال له صلى الله عليه وسلم أللفقر فقال فاعد للفقر تجافا فان الفقر أسرع الى من يحبنا من السيل من أعلى الاكمة الى أسفلها مع دعائه صلى الله عليه وسلم لخادمه أنس بن مالك رضي الله عنه بان الله يكثر ماله وولده رواه الشيخان قال في المنح ووجه الجمع أن المدعو له في الاول من قلة المال والولد المراد منه قلة فتنتهما الان الغالب فيهما الفتن كما هو واضح من الآيات والاحاديث وفي الثاني من كثرتهما المراد به كثرة فوائدها وثمراتها الاخروية والمال ليس خيرا محضا من كل وجه ولا شرا محضا من كل وجه وانما هو كالسيف في يد المقاتل يقتل به معصوما تارة ومهددا أخرى أو كحية في يد انسان فيها سم وترياق لكن سمها أكثر وأغلب انتهى ثم لا يخفى أن الدنيا كلها متاع أي شئ يتمتع به أمدا قليلا ومقاصد الانسان فيها كثيرة منها المال وخير المال أن يكون بحيث يمنعه من الوقوع فيما يخل بدينه كما قال كاد الفقر أن يكون كفرا وأن لا يطغيه كثرته قال تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى وحديث الفقر فخري وبه افتخر موضوع وقد صح أنه صلى الله عليه وسلم استعاذ من فتنة الفقر كما استعاذ من فتنة الغنى وأن لا يصرفه الا في محله المطلوب شرعا ومنها الجاه والنصر على الاعداء ومنها المرأة الصالحة قال صلى الله عليه وسلم الدنيا كلها متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة وفسرت في الحديث بقوله التي اذا نظر اليها سرته واذا أمرها بطاعة أطاعته واذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله وبها فسر بعضهم الحسنة في قوله تعالى ربنا آتنا في الدنيا حسنة الآية ومما تقدم علم أن المراد من طلب اتمام مقاصد الدنيا ما كان على خير في خير ومن خير لان من شروط الدعاء الذي يرجى قبوله أن يكون بخير (وتنعش) بضم المثناة الفوقية وسكون النون وكسر العين المهملة آخره شين معجمة أي تقيم وتقوى وتنشئ وتهدى (رضيع) الولد الذي يرضع أمه أي يمص ثديها فهو فعيل بمعنى فاعل أي راضع (الالبان) جمع لبن (بحليب) اللبن المحلوب (حسن الطويه) الضمير ومحله القلب وهو رئيس البدن المعول عليه في صلاحه وفساده ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب فالقلب عنوان لغيره ومحل الصلاح والفساد والهداية والضلال بجعل الله تعالى وخلقه أي الطوية الحسنة فهو من اضافة الصفة للموصوف والمراد ما ينطوي عليه الانسان من حسن النية المشوب بحسن اليقين أو يكون المراد من الرضيع النفس فيكون شبه النفس الانسانية بالطفل وحسن الطوية بالام ويكون اضافة الحليب الى حسن الطوية على معنى من أي بحليب من حسن الطوية ويحتمل أن يكون من اضافة المشبه به للمشبه أي بحسن الطوية المشبه بالحليب أو بيانية أي بحليب هو حسن الطوية واعلم أن للنفس أحوالا تارة تكون أمارة بالسوء وتارة تكون لوامة وتارة ملهمة وتارة مطمئنة وتارة راضية وتارة كاملة والى ذلك أشار بقوله الالبان أراد بها المشتهيات التي تميل اليها النفس من حلال وحرام وطيب وخبيث وأحسن أحوالها حالة الاطمئنان والرجوع الى الله تعالى وذلك متوقف على حسن الطوية المنبعث

وتنعش رضيع الالبان بحليب حسن الطويه *

عن الهداية والتوفيق ولذلك دعا المؤلف رحمه الله تعالى لكل رضيع الالبان الحقيقية والمجازية من كل صغير وكبير أن يجعل الله تعالى غذاءه من حسن الطوية التى هى الهداية الربانية فى القلب المشبهة بالحليب بجامع حصول القوة والنشاط فى القلب والاعضاء بكل لا من غيرها مما تميل اليه النفس من المشتهيات المحرمة كما قال البوصيرى رحمه الله تعالى

واذا حلت الهداية قلبا * نشطت فى العبادة الاعضاء

لانه اذا بقى الانسان مستر وكا يعنى لم يجعل الله فى قلبه الهداية نشأ على الميل الى المشتهيات المهلكة وانهمك فى الضلال وتمادى على المعاصى والفساد فلا يتصور له النجاة وفى كلامه تلويح وايماء الى اختياره صلى الله عليه وسلم اللبن على غيره فى مواضع منها ليلة الاسراء لدلالته على الفطرة الاسلامية كما قاله جبريل عليه السلام (وتساعف) أى تساعد وتعين (سقيم) بوزن كريم من طال مرضه (الهوى) بالقصر ميل النفس الى خلاف الشرع قال فى المصباح والهوى مقصور ومصدر هويته من باب تعب اذا أحببته وعلقت به ثم أطلق على ميل النفس وانحرافها نحو الشئ ثم استعمل فى شئ مذموم فيقال اتبع هواه وهو من أهل الاهواء انتهى (من مقام) بفتح الميم وضمها اسم الموضع الذى يقام فيه وقد يكون بمعنى الاقامة وتقدم الكلام عليه أوائل الكتاب والمراد هنا أما المكانة الذى استعده للذنوب أو الذنوب نفسها كأنه اتخذ ما ابتلاه الله به من الذنوب وطنا وأقام فيها بكثرة الانهماك (بلواه) هو البلية والبلاء والجمع البلايا قال فى المصباح وابتلاه ابتلاء بمعنى أمتحنه والاسم بلاء مثل سلام والبلوى والبلية مثله انتهى والمعنى تعين وتحيى من أمرضه هوى النفس الامارة بالسوء وأوقعه فى البلاء العظيم حتى صار البلاء مقاما له من مقامه ذلك وفى نسخة وتشفى سقيم الهوى من سقام بلواه (وتنشق) أى تشم يتعدى الى مفعولين (من عرار) بفتح العين المهملة قال فى القاموس بهار البر قال فى المختار وهو نبت طيب الريح الواحدة العرارة مفعول أول لتنشق (الانابة) بالكسر الرجوع عن الذنوب والندامة عليها فهو بمعنى التوبة قال الجرجانى الانابة اخراج القلب من ظلمات الشبهات وقيل الانابة الرجوع من الكل الى من له الكل وقيل الانابة الرجوع من الغفلة الى الذكر ومن الوحشة الى الانس واضافة عرار اليه من اضافة المشبه به للمشبه فالاصل الانابة الشبيهة بالعرار فى الطيب ويكون فى كلامه استعارة مكنية حيث شبه ما ينتج من الانابة من الاجر والثواب بالطيب واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه (مشام) بفتح الميم فى الاصل لما يدرك به الريح داخل الانف ثم أطلق على الانف مفعول ثانى لتنشق (الافهام) بفتح الهمزة جمع فهم العلم يقال فهم الشئ بكسر الهاء فهما وفهامة أى علم وتفهم الكلام أى فهم شيأ بعد شئ ومفهوم الشئ معناه قال فى المصباح فهمته فهما من باب تعب وتسكين المصدر لغة وقيل الساكن اسم للمصدر اذا علمته قال ابن فارس هكذا قاله أهل اللغة ويعدى بالهمزة والتضعيف انتهى (الذكية) بالذال المعجمة أى السريعة فى الفهم فهو من اضافة الموصوف الى صفته قال ابن الجوزى فى التفسير الذكاء فى اللغة تمام الشئ ومنه الذكاء فى الفهم اذا كان تام العقل سريع القبول وفى نسخة بالزاى أى نامية أو صالحة فى الفهم ممدوحة فهو يرجع الى معنى الاول والمعنى وتنشق مشام الافهام السريعة الفهم والقبول أو النامية الممدوحة كذلك

وتساعف سقيم الهوى من مقام بلواه * وتنشق من عرار الانابة مشام الافهام الذكية *

لتمام

لتمام عقل ذو بها طيب ريح الانابة أى التوبة الى الله تعالى والمراد من الانشاق القبول والمجازاة أى تقبل وتجازى كل تائب بقبول الانابة المشبهة بالعرار لجامع حصول الانشراح والتطيب والاسترواح بكل فان العبد كما يسترو ح ويتنشط بشم الرائحة الطيبة كذلك يتنشط ويسترو ح عند قبول توبته وفى قوله مشام الافهام الذكيه استعارة مكنية تخييلية حيث شبه الافهام بالانسان وطوى ذكر المشبه به وهو الانسان ورمز له بشئ من لوازمه وهو المشام واثبات المشام للافهام تخييلى وهو القرينة والذكية ترشيح (وتقى) أى تحفظ يتعدى بنفسه الى المفعولين (ركبان) مفعوله الاول جمع راكب (الاذهان) جمع ذهن الذكاء والفطنة والمراد أصحابها أى أصحاب الاذهان الراكبة فهو من اضافة الصفة للموصوف (قاطع السبيل) مفعوله الثانى والسبيل الطريق يذكر ويؤنث المراد سبيل أنواع الخير والبر أو أسبابها قال تعالى يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا أى سببا ووصلة يقال قطع الرجل الطريق اذا أخافه لاخذ أموال الناس والجمع قطاع الطريق وهم اللصوص الذين يعتمدون على قوتهم فهو مجاز ومثله قطع المفازة وقطع النهر (أن يظهر) أى قاطع السبيل (قطيعته) أى هجره قال فى القاموس القطيعة كشريفة الهجران أى وهو قطع المواصلة يقال قطع أخاه وقاطعه واحذر قطيعة أخيك والهجر مقطعة للود (وجفاه) بالجيم أى فعله ما يسوء وغلظته وفظاظته قال فى القاموس والجفا بالمد نقيض الصلة ويقصر انتهى والمعنى تحفظ أصحاب الاذهان السارية فى طريق العلوم الدينية السريعة الانتقال الى درك المعانى مما يمنعها ويعوقها عن درك ذلك من الاشتغال بالامور الدنيوية المشبهة بقاطع الطريق المؤدية الى الملل والكسل فى اكتساب العلوم الشريفة النافعة نفعا خاصا أو عاما ومن جملة ذلك ضيق المعيشة المؤدية الى ارتكاب الدين المذهب من العقل ما لا يعود اليه أبدا وما أشبه ذلك فان ذلك يقطع الانسان عن الاشتغال بالعلوم الدينية ويحول بينه وبين ادراك المقصود منها وفى قوله ركبان اشارة الى ما ورد من الاحاديث فى حق طالب العلم من وضع الملائكة أجنحتها لهم عند مشيهم وسعيهم الى طلب العلم فهم ركبان بهذا المعنى وفى كلامه استعارة بالكناية حيث شبه أذهان أصحاب الذكاء والفطنة بالخيل الجياد السريعة فى السير بجامع الوصول الى المقصود بكل وطوى ذكر المشبه به وهو الخيل الجياد ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو الركوب وهو القرينة وفى كلامه أيضا تشبيه الموانع المؤدية الى هجر العلم وتركه بقاطع السبيل بجامع الانقطاع بكل اذ كل منهما مانع لسلوك الطريق المقصود (و) أن (تقصم) بكون القاف وكسر الصاد المهملة من القصم الكسر والابانة ويستعمل فى الدعاء بمعنى الاهانة والاذلال فقيل قصمه الله أى أهانه وأذله وقيل قرب موته وفى الاساس ومن المجاز تقصم الله ظهر الظالم أنزل به البلية والمراد هنا الاول أى تقطع (عرى) بضم العين المهملة وكسرها جمع عروة قال فى المصباح وعروة الكوز اذنه والجمع عرى مثل مدية ومدى وقوله عليه الصلاة والسلام وذلك أوثق عرى الايمان على التشبيه بالعروة التى يستمسك بها ويستوثق انتهى أى تقطع وتبين وتزيح ما يستمسك به الجسد والقلب من (التكاسل) التثاقل عن الشئ والفتور فيه والمراد التكاسل والتراخى عما لا ينبغى التثاقل عنه ويكون ذلك لعدم انبعاث النفس للخير وقلة الرغبة فيه مع امكانه وقيل هو من الفتور والتوانى ولو كان ذلك للهرم الذى يعجز بسببه عن القيام بكثير من

وتقى ركبان الاذهان قاطع السبيل أن يظهر قطيعته وجفاه * وتقصم عرى التكاسل

الطاعات والتساهل فى بعضها وقد استعاذ صلى الله عليه وسلم منه ومن الحسد كما يأتى قريبا
(و) عرى (الحسد) هو تمنى زوال نعمة المحسود الى الحاسد يتمنى ان يتحول اليه نعمته مع زوالها عن
المحسود أو حصول مصيبة له وسببه الكبر أو العداوة أو خبث النفس أو بخل بنعمة الله على عباده
وأما ان تمناها لنفسه مع عدم تمنى زوالها عن المحسود فهو غبطة والاول حرام لما فيه من نسبة
الرب تعالى الى الجهل والسفه ووضع الشئ فى غير محله وفيه معاندة الحق قال صلى الله عليه وسلم
الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وفى حديث الحسد يفسد الايمان كما يفسد الصبر
العسل وفى حديث آخر ان ابليس يقول أبغوا من بنى آدم البغى والحسد فانهما يعدلان الشرك
ولذا عدوه من الكبائر (و) عرى (النفسانيه) المنسوبة الى النفس والمراد ما تميل اليه النفس من
العظمة والانفة والارادة والعقوبة والحسد والبخل ولذا أطلقت على جميع ذلك ففى القاموس
النفس العظمة والعزة والهمة والانفة والعيب والارادة والعقوبة قيل ومنه ويحذركم الله نفسه
قال فى المصباح ونفست به مثل ضننت به لنفاسته وزنا ومعنى انتهى وقال فى الاساس ونفست
على خيرا حسدتنى عليه ولم ترنى أهلا له انتهى وبهذا المعنى يرجع الى معنى الحسد قال ومن المجاز
واصابته نفس عين وفلان نفوس ونفسانى انتهى ولما كان كل من التكاسل والحسد والنفسانية
منشأ لنوع من المعاصى والذنوب الظاهرة والباطنة طلب من الله تعالى ازاحتها وابانتها مطلقا
سواء كان فى نفس الداعى أم غيره وسواء فى حقه وحق غيره لانه بازاحتها عن الانسان يكف عن
ارتكاب كثير من الذنوب والمعاصى التى هى منشؤها ولذا استعاذ صلى الله عليه وسلم منها
تشريعا لامته بقوله اللهم انى أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم والقسوة وبقوله
اللهم انى أعوذ بك من الكسل والهرم والمأثم والمغرم والى غير ذلك وقد عد بعض أئمتنا الحسد
والحقد والرياء والسمعة والكبر والعجب والنفاق والخيلاء والغل والغش من الكبائر الباطنية
ومثلها النفسانية بالمعنى المار والغضب للنفس والانتصار لها بالباطل قال وأمثال هذه يذم
العبد عليها أكثر مما يذم على الزنا والسرقة وشرب الخمر ونحوها من كبائر البدن وذلك لعظم
مفسدتها وسوء أثرها ودوامها فان آثار هذه الكبائر تدوم بحيث تصير حالا وهيئة راسخة فى
القلب بخلاف آثار معاصى الجوارح فانها سريعة الزوال تزول بالتوبة والاستغفار والحسنات
الماحية والمصائب المكفرة قال صلى الله عليه وسلم ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد
كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب قال فمن أعطى قلبا سليما من هذه الامراض
فليحمد الله تعالى ومن وجد فى قلبه مرضا من هذه الامراض وجب عليه أن يعالجه حتى
يزول فان لم يعالجه أثم وانما يأثم على هذه الامراض على ما نواه وقصده بقلبه دون ما خطر بقلبه
أو سبق اليه لسانه ودهمه انتهى وفى كلام المؤلف رحمه الله استعارة بالكناية حيث شبه
ما يلبسه ابليس الانسان الوساوس فى الدين والدسائس لازاحة الوقار والتمكين والانهماك
فى الحظوظ النفسية كالخيلاء والفخر والتكبر والاستطالة على الاقران والميل الى جمع
الحطام الدنية الملجئة الى التكاسل فيما خلق لاجله من العبادات القولية والفعلية الحامل له
على الحسد والبخل واجرا الاغراض النفسية وأعطائها هواها بارتكابها الامور المخالفة لرضا
خالقه بما يلبسه الانسان من الثياب التى يستمسك بالعرى بجامع التبطن بكل وطوى ذكر

والحسد والنفسانية *

المشبه به وهو الشباب ورمز اليها بشئ من لوازمها وهو العرى وهى القرينة (و) أن (تشفى مخيف) بضم الميم اسم فاعل أى مايخوف فانه يخيف من يصيبه أو هو بالفتح أى مايخاف أن يصيبه من (عضال) بعين مهملة وضاد معجمة بوزن غراب (الادواء) جمع داء يقال داء عضال أى معى غالب شديد من اضافة الصفة للموصوف (القلبيه) أى المنسوبة للقلب وهذا كالتأكيد لما قبله اذ يشمل مامر ذكره وغيره من الامراض القلبية بل والبدنية ولذا خص القلب بالذكر لما مر أنه رئيس البدن المعول عليه صلاحه وفساده فاذا سلم القلب من الامراض سلم بقية الجسد منها أيضا (وتجعل فى علاج) أى مداواة (طبيب) هو من يتعاهد الامراض ولا يضع الدواء الا فى محله (الانكسار) أى الانقطاع عما سوى الله تعالى والانخفاض والتواضع ولين الجانب (دواه) شبه الانكسار بالطبيب فهو من اضافة المشبه به للمشبه أو الاضافة بيانية أى طبيب هو الانكسار فكما أن الامراض الجسمية تداوى بالطبيب كذلك تداوى الامراض القلبية بالتواضع ولين الجانب فالانكسار كالطبيب فى معالجة الادواء بالدواء (و) أن (تكف) تمنع (كف) أى يد والمراد سطوة وغلبة (شجاع) بضم الشين المعجمة وبنوعقيل بفتح الشين حملا على نقيضه وهو الجبان وبعضهم بكسر للتخفيف (شهوات) جمع شهوة اشتياق النفس الى شئ (النفس) أى الروح قال تعالى خلقكم من نفس واحدة (الدنيه) الحقيرة الخسيسة والناقصة وهو مهموز خفف بقلب الهمزة والادغام لاجل السجع قال فى المختار الدنى ء بالمد الخسيس الدون والدنيئة بالمد النقيصة وفى الاساس هو دنى ء من الادنياء هو دقيق الخلق الحقير شبه النفس الدنيئة فى اشتياقها وميلها وتجاسرها على الامور الخسيسة الحقيرة برجل متجاسر فى الاقدام والهجوم على الامور الغير المرضية بجامع عدم التمييز بين الطيب والخبيث وعدم النظر والتفكر فى العاقبة ولذا قيل الشجاعة نوع من الجنون وطوى ذكر المشبه به وهو الرجل المتجاسر ورمز له بشئ من لوازمه وهو الكف وهو القرينة وذكر الشجاع الملائم للمشبه به ترشيح وهذا من باب تشبيه المعقول بالمحسوس لافادة أن النفس لو تجسم لكان انسانا يقدر على ايصال مايريده باى وجه كان ثم أتبعه ماهو من لوازم المشبه به وهو الكف التى يتناول بها سائر المضار التى يريدها على سبيل الاستعارة المكنية تتمتها استعارة تخييلية والمعنى وتمنع غلبة النفس الدنيئة الامارة بالسوء المتجاسرة على ارتكاب المعاصى عن ميلها الى مشتهياتها الدنيوية التى لا تميل اليها النفوس الذكية وبين تكف وكف الجناس التام وهو أن يتفق اللفظان حروفا وعددا وهيئة بشرطه اختلاف المعنى وان لا يكون أحدهما حقيقة والآخر مجازا بل حقيقتين لانه وان كان الثانى بالنسبة الى النفس مجازا لكنه بالنسبة الى المشبه به وهو الرجل حقيقة (بكف سلطان) هو من كل شئ شدته (الخوف) الفزع أى الخوف الشديد فهو من اضافة الصفة للموصوف بان يدخل فى قلبه الخوف وفى قوله بكف سلطان الخوف استعارة بالكناية حيث شبه الخوف الشديد برجل ذى بأس شديد بجامع ان كلا منهما قامع رادع وطوى ذكره ورمز له بشئ من لوازمه وهو الكف (من) بيانية (عقابك) أى أخذك له بذنبه ومجازاته بفعله (ولأواه) بالهمزة ويخفف أى شدته والضمير للعقاب طلب ذلك لان مخافة الله رأس كل حكمة لانها تمنع النفس عن المنهيات والشهات وهى الدافعة لامن مكر الله تعالى قال الغزالى وقد جمع الله للخائفين الهدى

وتشفى مخيف عضال الادواء القلبيه * وتجعل فى علاج طبيب الانكسار دواه * وتكف كف شجاع شهوات النفس الدنيه * بكف سلطان الخوف من عقابك ولأواه *

والرحمة والعلم والرضوان وناهيك بذلك فقال تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقال انما يخشى الله من عباده العلماء رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه انتهى فينبغى للانسان أن يكون خوفه أكثر من رجائه (وترحم منسجم) أى منسكب (وابل) فى اللغة المطر الشديد الضخم القطر ويقال له أيضا الوبل استعارة لدموع العين (العبرات) جمع عبر بفتح العين الدمعة قبل أن يفيض أو تردد البكاء فى الصدر أو الحزن بلا بكاء (العينيه) المنسوبة للعين والمعنى وترحم انسكاب دموع العين الشبيهة بالمطر انسكابها وتقطرها خوفا من عقاب الله تعالى والمراد صاحب العين التى صفتها كذلك وقد روى أبو نعيم فى الحلية عن أبى هريرة رضى الله عنه باسناد حسن رحم الله عينا بكت من خشية الله ورحم عينا سهرت فى سبيل الله وعن معاذ بن حيدة ثلاثة لا ترى أعينهم النار يوم القيامة عين بكت من خشية الله وعين حرست فى سبيل الله وعين غضت عن محارم الله أى ما حرمه الله لما فى البكاء من خشية الله من التذلل والخضوع والندم على ما وقع من المذنوب (وتبل) بضم الموحدة (أوام) بضم الهمزة بعدها واو وزان غراب العطش أو حره (كبد حراء) شديدة الحرارة والكبد من الامعاء معروفة وهى أنثى وقال الفراء تذكر وتؤنث ويجوز التخفيف بكسر الكاف وسكون الباء وحراء بفتح الحاء والراء المهملتين مشددة (أضرمت) ألهبت بثار الشوق الى لقائك (لابعادها عن جمالك) أى قربك (اللامع) المضىء (ضياه) أى نوره (اللهم امنحنا) اعطنا (فى الاقوال والافعال) المراد الطاعات والعبادات القولية والعملية (الاعانة) القوة يقال استعان به فاعانه أى قواه وشد ظهره وفى الدعاء رب اعنى ولا تعن على (والخلوصيه) يؤتى للمصدرية أى بان تكون تلك الاقوال والافعال مقرونة بالخلوص قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا يقبل من العمل الا ما كان له خالصا وابتغى به وجهه أى خالصا عن الرياء والسمعة قال المناوى ومن أراد بعمله الدنيا وزينتها دون الله والآخرة فحظه ما أراد وليس له غيره والرياء من أكبر الكبائر وأخبث السرائر شهدت بمقته الآيات والآثار وتواترت بذمه القصص والاخبار ومن استحى من الناس ولم يستح من الله فقد استهان به وويل لمن أرضى الله بلسانه وأسخطه بجنانه اه قال العلقمى الاخلاص الكامل هو افراد الحق فى الطاعة بالقصد وهو أن يريد بطاعته التقرب الى الله دون شئ آخر ودرجات الاخلاص ثلاثة عليا وهو أن يعمل العبد لله وحده امتثالا لامره وقياما بحق عبوديته ووسطى وهو أن يعمل لثواب الآخرة والدنيا وهو أن يعمل للاكرام فى الدنيا والسلامة من آفاتها وما عدا الثلاث من الرياء وعن معاذ ابن جبل قال صلى الله عليه وسلم أخلص دينك يكفيك القليل من العمل وعن الضحاك بن قيس أخلصوا أعمالكم لله فان الله لا يقبل الا ما خلص له والمراد بالدين الطاعة والطاعة هى العبادة والمعنى أخلص فى جميع عباداتك بان تعبد ربك امتثالا لامره وقياما بحق عبوديته لا خوفا من ناره ولا طمعا فى جنته ولا للسلامة من غصة الدهر ونكبته فحينئذ يكفيك القليل من الاعمال الصالحة وتكون تجارتك رابحة وفى التوراة ما أريد به وجهى فقليله كثير وما أريد به غير وجهى فكثيره قليل ومن كلامهم لا تسع فى اكثار الطاعة بل فى اخلاصها (وسلمنا من خواطر) جمع خاطر ما يخطر فى القلب من تدبير أمر فيقال خطر ببالى وعلى بالى خطرا وخطورا من باب ضرب وقعد والمراد ما يخطر بالبال من الامور التى توقع الانسان فى الهلاك فهو يرجع الى

الخطر

وترحم منسجم وابل
العبرات العينيه * وتبل
أوام كبد حراء أضرمت
لابعادها عن جمالك
اللامع ضياه * اللهم امنحنا
فى الاقوال والافعال
الاعانة والخلوصيه *
وسلمنا من خواطر

الخطر بمعنى الاشراف على الهلاك وايقاع النفس فيه قال الامام القشيرى فى رسالته والخواطر خطاب يرد على الضمائر فقد يكون بالقاء ملك وقد يكون بالقاء الشيطان ويكون أحاديث النفس ويكون من قبل الحق فاذا كان من الملك فهو الالهام واذا كان من قبل النفس قيل له الهواجس واذا كان من قبل الشيطان فهو الوسواس واذا كان من قبل الله سبحانه والقائه فى القلب فهو خاطر حق وجملة ذلك من قبيل الكلام فاذا كان من قبل الملك فانما يعلم صدقه بموافقة العلم ولهذا قالوا كل خاطر لا يشهد له ظاهر فهو باطل واذا كان من قبل الشيطان فاكثره يدعو الى المعاصى واذا كان من قبل النفس فاكثره يدعو الى اتباع شهوة أو استشعار كبر أو ما هو من خصائص أوصاف النفس ثم ان النفس اذا طالبتك بشئ ألحت فلا تزال تعاودك ولو بعد حين حتى تصل الى مرادها ويحصل مقصودها اللهم الا ان يدوم صدق المجاهدة اما الشيطان اذا دعاك الى زلة فخالفته بترك ذلك يوسوس بزلة أخرى لان جميع المخالفات له سواء وانما يريد ان يكون داعيا أبدا الى زلة ولا غرض له فى تخصيص واحد دون واحد والمراد هنا ما يكون من قبل النفس أو الشيطان (الاعجاب) ما يأخذ الانسان من العجب بضم العين الزهو والكبر واعجاب المرء بنفسه ملاحظته اياها بعين الكمال مع نسيان نعمة الله تعالى قال الغزالى حقيقة العجب استعظام النفس وخصالها التى هى من النعم والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم والامن من زوالها (والمراآه) بضم الميم وفتح الراء فهمزة ممدودة وقد تقلب ياء قال فى المختار رآى فلان الناس يراأيهم مراآة ورياء هم مراياة على القلب بمعنى وفى الاساس وهو يرائى الناس مراآة ورياء فعل الخير رئاء الناس انتهى أى آراهم على خلاف ما هو عليه طلب أى المؤلف فى الجملة قبلها الاعانة فى جميع العبادات القولية والعملية والخلاص من الرياء والسمعة ثم أعقبها بهذه الجملة طلب السلامة حتى من خطور ذلك بالبال فلا يقال كل من الاعجاب والمراآة داخل فى قوله الخلوصة لان الاعمال لا تكون خالصة الا اذا كانت خالية نقية عن ذلك اذ فيهما بيان ما أجمله أولا (وخص) بضم الخاء المعجمة (مجرى) بضم الميم وسكون الجيم وكسر الراء المهملة أى فاعل (هذه الحسنات) جمع حسنة صفة مشبهة من الحسن ضد القبيح وهو فى الاصل وصف ثم استعمل لكل خصلة موافقة لامر الله مستجلبة لرضاه معقبة لثوابه والمراد اقراء هذه القصة الشريفة المعراجية وما يفعل عندها من بذل المال واطعام الطعام للفقراء والمساكين وغير ذلك من البر والاحسان (بالحفظ) الحراسة والوقاية من المكروهات الدنيوية والاخروية (والرعاية) الملاحظة بالاحسان يقال رعاك الله وأحسن رعايتك رعى الامير رعيته رعاية (السرمدية) السرمد الدائم (وبوئه) بفتح الموحدة وكسر الواو مشددة اى انزله وأسكنه يقال بوأته دارا أسكنته اياها كما فى المصباح (من كثيب) هو فى اللغة الاجتماع ثم أطلق على كثيب الرمل لاجتماعه وارتفاعه (الفردوس) بكسر الفاء قال فى القاموس الفردوس الاودية التى تنبت ضروبا من النبت والبستان يجمع كل ما يكون فى البساتين يكون فيه الكروم وقد يؤنث عربية أو رومية نقلت أو سريانية الى أن قال والفردوس السعة وصدر مفردس واسع ومنه الفردوس انتهى وفى الحديث اذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس فانه سر الجنة بكسر السين وشد الراء المراد انه وسط الجنة وأعلاها وهذا غير الوسيلة فانها أعلى درجات الجنة وهى خاصة به صلى الله عليه وسلم فهى أعلى من الفردوس

الاعجاب والمراآه * وخص مجرى هذه الحسنات بالحفظ والرعاية السرمديه * وبوئه من كثيب الفردوس

والحديث رواه البخاري بلفظ اذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة أي في الارتفاع وفوقه عرش الرحمن قال الفاسي في مطالعه وقيل الفردوس حديقة في الجنة وهي جنة الاعناب وهو مأخوذ من الفردسة التي هي السعة ويقال صدر مفردس اذا كان واسعا وجنة الفردوس هي أوسط الجنان التي دون جنة عدن وأفضلها وأعلاها وربوتها وسرتها وفوقها عرش الرحمن أي بالنسبة الى غير الوسيلة لما مر أي في كلامه من ان الوسيلة هي أعلى درجة في الجنة هكذا في الحديث وفي حديث آخر عند ابن عساكر عن الحسن بن علي فان وسيلتي عند ربي شفاعة لكم وقيل الوسيلة هي القربة وقال الشيخ أبو محمد عبد الجليل القصري في شعب الايمان ان وسيلته صلى الله عليه وسلم هو أن يكون في الجنة في قربه من الله تعالى بمنزلة الوزير من الملك بغير تمثيل لا يصل لاحد شئ الا بواسطته انتهى وهذا موافق لما تقدم من تفسيرها بالشفاعة لامته وتفسير العلو في أنها أعلى درجة في الجنة بالعلو المعنوي ومقتضى ما لابن كثير أنه فسره بالعلو الحسي وهو قوله الوسيلة علم على أعلى منزلة في الجنة وهي منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وداره في الجنة وهي أقرب أمكنة الجنة الى العرش انتهى وكلاهما صحيح والله أعلم انتهى (أعلاه) الذي يؤخذ من كلامهم أن للفردوس غرف فالمراد أنزله في أعلى غرفة من غرفات الفردوس أو أنزله من غرفات الفردوس التي هي الدرجات الدرجة التي تليق به أي أنزله في أحد درجاتها العالية وأما الدرجة التي لا درجة فوقها التي هي الوسيلة على أحد التفاسير فيها فقد تقدم انها خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم (وأصلح) بفتح الهمزة (الرعاة) بضم الراء جمع راع مثل قاض وقضاة وهو كل من ولي أمر قوم أي نصب عليهم فالمراد ولاة الامر ويدخل فيه المنفق على زوجة أو قريب أو رقيق أو بهيمة بالمعنى الاعم قال صلى الله عليه وسلم كل راع مسؤل عن رعيته والمراد بالاصلاح العدل والانصاف وارادة الخير للرعية بالصلاح والنصح فقد قال صلى الله عليه وسلم أيما راع استرعى رعية فلم يحطها أي لم يحفظها بالامانة والنصيحة ضاقت عليه رحمة الله التي وسعت كل شئ وقال صلى الله عليه وسلم أيما وال ولي شيأ من أمر أمتي فلم ينصح لهم ويجتهد لهم كنصيحته وجهده لنفسه كبه الله تعالى على وجهه يوم القيامة في النار وقال صلى الله عليه وسلم أيما وال ولي على قوم فلان لهم ورفق بهم رفق الله به يوم القيامة أي لم يناقشه بالحساب ولم يوبخه بالعتاب (خصوصا) مصدر خصه بالشئ فضله وميزه أي أخص بعد العموم (ملوك الدولة) الدولة انقلاب الزمان والعقبة في المال وبضم أو الضم فيه والفتح في الحرب أو هما سواء أو الضم في الآخرة والفتح في الدنيا جعله دول مثلث انتهى من القاموس قال تعالى تلك الايام نداولها بين الناس أي مرة لهم ومرة عليهم يوم لهؤلاء ويوم لهؤلاء يقال دالت له الدولة ودالت الايام بكذا وأدال الله بني فلان من عدوهم جعل الكرة لهم عليهم فالمداولة المناوبة على شئ والمعاودة وتعهده مرة بعد أخرى يقال داول بينهم الشئ فتداولوه كان فاعل بمعنى فعل كما في السمين وفي الخازن المداولة نقل الشئ من واحد الى واحد آخر يقال تداولته الايدي اذا انتقل من واحد الى آخر والمراد هنا من انتقل الملك اليهم من بني عثمان بانقلاب الزمان على غيرهم ممن كان قبلهم من الملوك (العثمانيه) يريد آل عثمان بن ارطغريل شاه بن سليمان شاه وهم ملوك العصر والاوان نصرهم الرحيم الرحمن والمراد من يتولى الملك منهم وكتب التواريخ ناطقة بآثارهم

أعلاه * وأصلح الرعاة خصوصا ملوك الدولة العثمانيه *

ومنافيهم (وألهم) بفتح الهمزة ألقن يقال ألهمه الله خيرا لقنه الله اياه (الجميع) أى كل من يتولى منهم أمر المسلمين (العدل) القصد فى الامور وهو خلاف الجور أى ألهمه العدل حتى يلزم طريق الحق من غير ميل ولا انحراف ووضع الشئ فى محله ومعاملتهم بالنصح والنصيحة والامانة والرفق ومافيه خير وضده الجور وهو الميل والخروج عن ذلك فالعادل الذى لا يميل به الهوى فيجور فى الحكم (والقسط) بكسر القاف العدل فهو عطف مرادف وقد يأتى بمعنى الجور فهو من الاضداد وليس مرادا هنا والجمع أقساط مثل جمل وأحمال (فى رعاياه) بفتح الراء جمع رعية سموا رعية لان الراعى يحفظ أمرهم فهم مرعيون محفوظون واعلم ان المؤلف رحمه الله تعالى أتى فيما تقدم بجمل دعائية عامة تشمله وغيره من المسلمين ثم شرع يدعو بجمل أخرى بدأ فيها بنفسه لان من حسن أدب الدعاء أن يبدأ الداعى أولا بنفسه لما ورد فى ذلك قرآنا وسنة ثم ثنى بوالديه لما يستحب للداعى أن يثنى فى دعائه بوالديه تأسيا بقول الله سبحانه وتعالى رب اغفر لى ولوالدى ثم عمم بقوله ووالديهم والحاضرين لاستماع القصة الشريفة ووالديهم ولاشياخهم وأحبابهم وأهاليهم ولكاتب القصة الشريفة وقارئها فقال (واسمح) أى اعف كرما وجودا (عن البرزنجى) نسبة الى برزنجه قرية فى ولاية شهرزور بسواد العراق وقد ذكرنا سبب تسميتها برزنجه وسبب نسبتهم اليها فى كتابنا الشجرة الاترجيه فى سلالة السادة البرزنجيه وغيره (محبر) أى ناسج أو موشى أو محسن أو مزين من التحبير والتحسين (حبر) بكسر الحاء المهملة وفتح الموحدة جمع حبرة ضرب من برود اليمن (أخبار) أحاديث (الليلة المعراجيه) المنسوبة الى المعراج وفى بعض النسخ ناسج الحلل الموشية المعراجية والمعنى ناسج أخبار الليلة المعراجية نسجا تشبه فى النفع والرغبة البرود اليمانية فى الحسن والظرافة الكاملة التى لا خلل فيها ولا قصور وفى الكلام تشبيه مابتعلق بالمعراج الشريف من الاخبار بالبرود اليمانية وفيه تشبيه المؤلف نفسه فى جمعه ورصفه لمعانى تلك الاخبار الحسنة الصحيحة على وجه الترتيب بمن يحبك الاكسية الحسينة الظريفة وبين محبر وحبر الجناس المحرف (عبدك) آثر العبودية على سائر الاوصاف اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم حيث اختار العبودية على غيرها لما فيها من التواضع والتذلل والخضوع والافتقار والاعتراف بنقص نفسه ورقيته وضعفه عند شهود عظمة ربه قال المحقق الامير العبد يشمل غير العاقل لقوله تعالى ان الذين تدعون من دون الله عبادا انتهى قال المحقق العدوى العبد له معان أربعة عبد الايجاد وعبد العبودية وعبد الدنيا وعبد الرق ويصح ارادة كل من الاولين كالآخرين بارادة اللازم مجازا وهو دوام الاحتياج أو كثرته انتهى أما صحة ارادة عبد الايجاد ظاهرة لقوله تعالى ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا وأما الثانى وهو عبد العبودية وهى اظهار التذلل والخضوع ولبعض العارفين هى الوفاء بالعهود وحفظ الحدود والرضا بالموجود والصبر على المفقود فصحة ارادته ظاهرة أيضا وأما الثالث وهو عبد الدنيا أى المنهمك فى تحصيلها المعرض عن آخرته ولا يليق بمقام المؤلف ارادته ولو باعتبار لازمه لدعائه صلى الله عليه وسلم على صاحب هذا الوصف بالتعس والخيبة وأما الرابع أعنى عبد الرق فلا مانع من صحة ارادته باعتبار لازمه أعنى الذل والافتقار وأن الله مالكه يتصرف فيه كيف يشاء (زين العابدين) البرزنجى (بن) السيد (محمد) الهادى بن السيد زين العابدين بن السيد حسن بن السيد عبد الكريم بن السيد محمد بن السيد

وألهم الجميع العدل والقسط فى رعاياه * واسمح عن البرزنجى محبر حبر أخبار الليلة المعراجيه * عبدك زين العابدين بن محمد

رسول بن السيد عبد السيد بن السيد عبد الرسول بن السيد قلندر بن السيد عبد السيد بن السيد عيسى الاحدب بن السيد حسن بن السيد بايزيد بن السيد عبد الكريم بن القطب الغوث السيد عيسى بن الولى الشهير السيد باباعلى الهمدانى بن السيد شهاب الدين بابايوسف الهمدانى بن السيد محمد منصور الهمدانى بن السيد عبد العزيز بن السيد عبد الله بن السيد اسماعيل المحدث بن الامام موسى الكاظم وبقية النسب معروفة وقد ذكرنا مناقبه ومآله من الآثار الحسنة فى ترجمتنا له فى الشجرة الاترجية (المعترف) أى المقر على نفسه (بتقصيره) أى عجزه عن القيام بواجب الطاعة والعباده (وخطاياه) جمع خطيئة أى والمعترف بخطاياه أى ذنوبه (وانظمه) أى وأجمعه (فى سلك من اخترتهم من خلص) بضم الخاء وفتح اللام المشددة أى الذين أخلصوا لله دينهم أو استخلصهم لنفسه (عبادك) أى العاملين بطاعتك (ذوى الخصوصيه) قال فى المصباح وخصصته بكذا أخصه خصوصا من باب قعد وخصوصية بالفتح والضم لغة اذا جعلته له دون غيره انتهى أى كونهم مخصوصين بالله أى جعلهم الله خاصة لنفسه بان اختارهم من بين عباده كالانبياء والصالحين (واجعل مع الذين أنعمت عليهم) بما أعددته فى الجنة من النعيم من جملتها بل أعظمها وأهمها رؤيتك ومجالستك ووجدان قربك وطعم رضوانك (من النبيين) من لبيان الجنس (والصديقين) أى أفاضل اتباع النبيين لمبالغتهم فى الصدق والتصديق (والشهداء) أى القتلاء فى سبيل الله تعالى أو هم ومن جرى مجراهم من سائر الشهداء المذكورين فى الاحاديث (والصالحين) أى غير من ذكر (مقره) مكانه الذى يقر فيه من الجنة (ومثواه) أى منزله فهو بمعنى ما قبله طلب الاجتماع بهؤلاء الاصناف الاربعة فى الجنة لان الاستمتاع فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضور معهم من أحسن ما يتنعم به فى الجنة وان كان مقر هؤلاء الاصناف فى الجنة فى درجات عالية بالنسبة الى غيرهم (وامنن عليه ووالديه والحاضرين) لاستماع هذه القصة الشريفة (ووالديهم بالفوز) أى النجاة والظفر (والامان) ضد الخوف (والشهوديه) الشهود رؤية الحق بالحق وهو بمعنى الحضور قال الامام القشيرى فى رسالته وأما الحضور فقد يكون حاضرا بالحق لانه اذا غاب عن الخلق حضر بالحق على معنى أنه يكون كأنه حاضر وذلك لاستيلاء ذكر الحق على قلبه فهو حاضر بقلبه بين يدى ربه تعالى فعلى غيبته عن الخلق يكون حضوره بالحق فان غاب بالكلية كان الحضور على حسب الغيبة فاذا قيل فلان حاضر فمعناه أنه حاضر بقلبه لربه غير غافل عنه ولا ينساه مستديم لذكره ثم يكون مكاشفا فى حضوره على حسب رتبته بعيان يخصه الحق سبحانه وتعالى بها وقد يقال لرجوع العبد الى احساسه بأحوال نفسه وأحوال الخلق أنه حضر أى رجع عن غيبته فهذا يكون حضورا بالخلق والاول حضورا بالحق وقد تختلف أحوالهم فى الغيبة فمنهم من لا تمتد غيبته ومنهم من تدوم غيبته انتهى وفى كلام شيخ الاسلام زكريا الانصارى أن التجليات الجمالية وشهود الصفات الكمالية اذا استولت على العبد بحيث لا يشهد سوى الحق هام قلبه وسقط عنه التمييز بين ما يؤلمه وما يلذه وتصير الاشياء بالنسبة اليه شيأ واحدا فحينئذ لا يميز بين الاشياء لغلبة رؤية ما للحق عليه انتهى (واجعل مقعد الصدق) المكان المرضى فى الجنة وهو من اضافة الموصوف لصفته ومجالس الحق لا لغو فيه ولا تأثيم اذ مجالس الجنات سالمة من اللغو والتأثيم بخلاف مجالس الدنيا فقل أن تسلم من ذلك (منزل كل) بالتنوين أى كل واحد (منهم

المعترف بتقصيره وخطاياه * وانظمه فى سلك من اخترتهم من خلص عبادك ذوى الخصوصيه * واجعل مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين مقره ومثواه * وامنن عليه ووالديه والحاضرين ووالديهم بالفوز والامان والشهوديه * واجعل مقعد الصدق منزل كل منهم

ومرقاه * واغفر لاشياخهم وأحبابهم والاهليه * يامن ملأ الوجود جوده وجدواه * وأسبل ضافى الاستار على راقم هذه الخصائص النبويه * وكن لسامعها وقارئها منعما بنائله رجواه وصل وسلم على المحبو بالمعراجية الجسدية الرفرفيه * وعلى آله وصحبه الولاة الدعاه * مامد سماء الندور يف ظلالها

ومرقاه) محل رقيه (واغفر) من الغفر وهو الستر وعدم المؤاخذة بالذنوب فى الدنيا والآخرة (لاشياخهم) جمع شيخ (وأحبابهم) جمع حب بكسر الحاء المحبوب من تودده (والاهليه) والاهل الآل وآل الشخص ذو قرابته وقد أطلق على أهل بيته على الاتباع قال فى المصباح قال بعضهم أصل الآل أهل لكن دخله الابدال واستدل عليه بعود الهاء فى التصغير فيقال أهيل انتهى (يامن) زعم بعضهم أنه لم يرد اذن شرعى فى اطلاق المهمات عليه تعالى وأجاب غيره بما ورد من قوله يامن هو احسانه فوق كل احسان لا يحجزه شئ أورده النووى فى الاذكار وقد جاء فى احاديث نبوية يامن اظهر الجميل وستر القبيح يامن لا يؤاخذ بالجريرة يامن لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ويامن قل عند تعنته شكرى ويا ذا المعروف الذى لا ينقضى أبدا ويا ذا النعماء التى لا تحصى عددا ويا ذا الجلال والاكرام ونداؤه بدى المعارج وذى الملك والملكوت وتحصنت بذى العزة والجبروت وغير ذلك انتهى من مطالع المسرات مختصرا (ملأ الوجود) بضم الواو والجيم الكائنات وما فيها من المخلوقات مفعول مقدم (جود) بفتح الجيم فاعل مؤخر وهو المطر الغزير كناية عن سعة عطائه كما يقتضيه اضافته الى (جوده) بضم الجيم كرمه واحسانه وبينه وبين ما قبله الجناس التام المحرف (وجدواه) بفتحها يطلق على المطر العام أو الذى لا يعرف أقصاه وعلى العطية والمراد عم الكائنات وما فيها احسانه الوفير وبره الغزير وكرمه الكثير الذى لا نهاية له (وأسبل) أرخى (ضافى) بالضاد المعجمة قال فى المصباح ضفا الثوب يضفو ضفوا فهو ضاف أى تام سابغ وضفا العيش اتسع انتهى وفى الاساس ثوب ضاف سابغ ورجل ضافى الشعر وفرس ضافى العرف والذنب ومن المجاز له نعمة ضافية أخصبت لها الارض وضفا الحوض فهو ضاف فاض من جوانبه (الاستار) جمع ستر بكسر السين ما يستر به والمراد أسبل (على راقم) أى كاتب (هذه الخصائص النبويه) المنسوبة للنبى صلى الله عليه وسلم ستر اضافيا يستره من جوانبه كناية عن ستر عيوبه وذنوبه بحيث لا يظهر منها شئ ولا يفتضح فى الدنيا والآخرة (وكن لسامعها) أى لمستمع تلك الخصائص (وقارئها) الذى يقرؤها (منعما) متفضلا (بانالة رجواه) والرجا والرجوى بمعنى والمعنى تفضل عليه بنيل ما يرجوه ويتمناه (وصل وسلم على المحبو) قال فى الاساس وحباه العطاء وبالعطاء وهو مكرم محبو انتهى أى المتفضل عليه والمكرم (بالمعراجية الجسدية الرفرفيه) وقد تقدم الكلام فى بيان ذلك على وجه الايضاح فلا حاجة الى اعادته هنا قال بعضهم الرفرفية نسبة الى الرفرف وهو الذى منه لقى الله تعالى بحضرة القدس وقام بمقام الانس ورفع الحجاب وسمع الخطاب وكان قاب قوسين أو أدنى لا بالصورة ولكن بالمعنى انتهى (وعلى آله وصحبه الولاة) وقد تقدم الكلام على كل من الآل والصحب والولاة (الدعاه) بضم الدال جمع داع والمراد بهم هنا الذين يدعون الناس الى الحق كالعلماء (ما) مصدرية ظرفية (مد) أى بسط (سماء) أى سحاب (الند) بالفتح عود يتبخر به وفى القاموس طيب معروف أو العنبر وفى المختار أنه غير عربى وفى شفاء الغليل الند مصنوع وهو العود المطرى بالمسك والعنبر واللبان قاله الزمخشرى فى ربيع الابرار انتهى (وريف) مصدر رف الظل يرف ورفا ورفيفا اتسع وطال وامتد أى امتداد (ظلالها) جمع ظل وهو ما تنسخه الشمس أو ينسخها هو وأخص منه الفيء لانه اسم لما بعد الزوال من الظل فهو ما نسخ الشمس وقيل كل ما نسخته فهو فيء وكل ما لم تنسخه

فهو ظل لا فيء وعبارة المصباح قال ابن قتيبة يذهب الناس الى أن الظل والفيء بمعنى واحد وليس كذلك بل الظل يكون غدوة وعشية والفيء لا يكون الا بعد الزوال فلا يقال لما قبل الزوال فيء وانما سمي بعد الزوال فيأ لانه ظل فاء من جانب المغرب الى جانب المشرق والفيء الرجوع وقال ابن السكيت الظل من الطلوع الى الزول والفيء من الزوال الى الغروب وقال ثعلب الظل للشجرة وغيرها بالغداة والفيء بالعشي وقال رؤبة بن العجاج كل ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو ظل وفيء ومالم يكن عليه الشمس فهو ظل ومن هنا قيل الشمس تنسخ الظل والفيء ينسخ الشمس انتهى والضمير يعود الى السماء (من نفحات عرف مجامع) جمع مجمع بفتح الميم وكسرها مثل المطلع والمطلع والمراد هنا ما يجعل في الاواني التي يجمع فيها الطيب من نحو عود وعنبر من اطلاق المحل وارادة الحال فيه فهو مجاز مرسل (مجامرها) جمع مجمر كمنبر الذي يوضع فيه الجمر بالدخنة ويؤنث كالجمرة والعود نفسه والضمير الى السماء (المندليه) المنسوبة الى المندل بفتح الميم والدال المهملة بينهما نون ساكنة قال في القاموس بلد بالهند والعود أجوده كالمندلي أو هو منسوب الى البلد في كلامه تشبيه ما يعلو ويصعد من دخان ما يحرق في المجامر من الند ونحوه بالسحاب وما يستنشق من ذلك من الروائح الطيبة بالظل الوريف فكما أن السحاب يعلو ويصعد وله ظل ممدود فكذلك الدخان وكما أن في ظل السحاب تحصل الراحة والتلذذ والانبساط فكذلك تحصل الراحة والتلذذ والانشراح عند شم عرف الروائح الطيبة وبين مجامع ومجامر مراعاة النظير (و) ما (سح) بالسين والحاء المهملتين أي سال وصب (سحاب أخباره) في كلامه استعارة مكنية تخييلية حيث شبه الاخبار بالمطر بجامع النفع وطوى ذكر المشبه به وهو المطر ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو السحاب وهو القرينة ورشحها بسح واثبات السح لها تخييل والضمير عائد الى قوله المحبو بالمعراج صلى الله عليه وسلم (الكريمة) صفة أخباره الشريفة (على ثغور) جمع ثغر المبسم والثنايا أي أفواه (زهور الافكار) جمع فكر وهو تردد القلب بالنظر والتدبر لطلب المعاني (بغزير) بفتح الغين وكسر الزاي المعجمتين أي كثير (انواه) الضمير راجع الى السحاب أي أمطاره جمع نوء وهو سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق يقابله من ساعته في كل ثلاثة عشر يوما ما خلا الجبهة فان لها أربعة عشر يوما وكانت العرب تضيف الامطار والرياح والحر والبرد الى الساقط منها وقيل الى الطالع منها لانه في سلطانه وجمعه انواء ونوآن كعبد وعبدان ذكره في المختار وفي كلامه استعارة مكنية تخييلية حيث شبه الافكار السليمة بالشجرة المزهرة بالزهور الطيبة بجامع أن كلا منها يثمر الثمرة الطيبة الحسنة النافعة وطوى ذكرها ورمز اليها بشيء من لوازمها وهو الزهور وهو القرينة ورشحها بالثغور واثباتها للافكار تخييل (و) ما (قلدت) بضم القاف وكسر اللام مشددة مبنيا للمجهول (أجياد) جمع جيد العنق مثل جمل وأجمال (عرائس) جمع عروس (البراعة) مصدر بدع الرجل بمعنى فاق أصحابه وفضل عليهم في العلم وغيره أو تم في كل فضيلة وجمال واضافة عرائس الى البراعة من اضافة المشبه به للمشبه وفيه تشبيه العرائس المجازية التي هي كناية عن كل فقرة من فقرات كتابه بالعرائس الحقيقية والجامع حصول الاستئناس والانشراح بكل على سبيل الاستعارة المكنية والقرينة الاجياد ورشحها بالباسمة واثبتها لها تخييلا (الباسمة) اسم فاعل من بسم يبسم من باب ضرب أي الضاحكة ضحكا قليلا من

من نفحات عرف مجامع مجامرها المندليه * وسح سحاب أخباره الكريمة على ثغور زهور الافكار وبغزير أنواه * وقلدت أجياد عرائس البراعة الباسمة

غير صوت والتبسم أقل الضحك وأحسنه (بنظيم) فعيل بمعنى مفعول أى منظوم (نثير) أى منثور النظم جعل الشئ فى سلك والنثر الرمى بالشئ وتفرقه (سموطها) أى سموط البراعة وهو بضم السين جمع سمط بكسرها القلادة (الدريه) المنسوبة الى الدر جمع درة بالضم اللؤلؤة العظيمة الكبيرة وفيه تشبيه ما جمعه فى كتابه هذا من منثور الاحاديث الواردة فى قصة الاسراء والمعراج التى كل واحد منها فى نفاسته كاللؤلؤة الكبيرة الحسينة بالقلادة المنظومة من اللآلئ المجعولة قلادة فى عنق العرائس بجامع النفاسة والانشراح بكل على سبيل الاستعارة بالكناية أيضا (و) ما (نجح) أى نجز وقضى وتم على وجه الصحة والصواب (بغاية الانتهاء) الباء بمعنى مع (تاريخ حسن الخاتمة) أى مدة ما كان حسن الخاتمة مع غاية الانتهاء تاريخا النجاح وتمام المقصود والمراد أن تاريخ اتمامه لجمع هذه القصة الشريفة طابق عدد حسن الخاتمة بحساب الجمل مع ضم غاية الانتهاء وهو الهمزة اليه فان عدد تلك الحروف بالحساب المذكور ألف ومائة وست وتسعون وقد وافق سنة اتمامه وبيان ذلك أن الهمزة التى فى غاية الانتهاء يعد بواحد وكلمة حسن مائة وثمانية عشر والخاتمة ألف وسبع وسبعون فيصير الجميع بحساب الجمل ما ذكرنا وفيه براعة الختام وبعضهم يسميه حسن المقطع وبعضهم حسن الخاتمة وفيه التفاول بحسن الخاتمة والاعتبار فى الامور بعواقبها (و) ما (ديج) بفتح الدال المهملة والباء الموحدة والجيم أى زين قال فى الاساس ومن المجاز ديج المطر الارض يديجها بالضم ديجا ودبجها زينها بالرياض وأصبحت الارض مدبجة انتهى (عراص) بكسر العين المهملة جمع عرصة هى كل بقعة من الدور واسعة ليس فيها بناء (المشاهد) جمع مشهد محضر الناس قال فى المصباح والمشهد المحضر وزنا ومعنى (نفح) بالحاء المهملة أى رائحة طيب (كباه) بضم الكاف وبالباء الموحدة جمع كباء بكسرها قال فى القاموس عود البخور أو ضرب منه والمعنى مازين أى عطر نفح رائحة طيب عود البخور المحافل التى يجتمع فيها الناس لاجل قراءة هذه القصة الشريفة وأمثالها واستماعها * هذا آخر ما قصدناه من الشرح وقدره المولى لنا ويسره بكرمه لا رب غيره ولا يرجى الا خيره نسأله سبحانه وتعالى ان ينفع به كما نفع باصله وان يجعله لوجهه خالصا وسببا فى حصول رضوانه دنيا وأخرى اللهم انا نتوسل اليك بشرف الذات المحمدية وعظيم جاهه السرمدية ان تمحنا الى الممات توبة صادقة تمحو بها ما اقترفناه من المعاصى والذنوب التى تذل النواصى فانك بالفضل معروف وبالعفو موصوف وأن تثبتنا بكرمك على صراطك صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأن تمن علينا فى دار كرامتك بالنظر الى جمالك وجلال عظمتك والى وجه حبيبك المصطفى صلى الله عليه وسلم والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات حمدا يوافى نعمه ويكافئ مزيده والصلاة والسلام الاتمان الاكملان على سيدنا ومولانا محمد سيد ولد عدنان وعلى آله وأصحابه فى كل وقت وأوان وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقد انتهى ما من الله به من المعانى المحررة والالفاظ المحبرة يوم الثلاثاء سابع عشر شهر رجب الفرد الذى هو من شهور سنة ألف وثلثمائة وست على يد جامعها الفقير السيد جعفر بن السيد اسمعيل المدنى البرزنجى غفر الله له ولوالديه وللمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات آمين

بنظيم نثير سموطها الدريه * ونجح بغاية الانتهاء تاريخ حسن الخاتمة وديج عراص المشاهد نفح كباه *

﴿تنبيه﴾ قد ذكر فى طرة الكتاب (على نظم مولده المبارك) والصواب على نظم مولد جده

﴿يقول راجي غفران المساوي يوسف صالح محمد الجزماوي﴾

الحمد لله الذي أيد سيدنا محمدا بالاسراء والمعراج باحسن سلوك وأتم طريقه وبين له ذلك بنصوص آياته الانيقه بقوله سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وخصه بذلك ليقربه واليريه من آياته الكبرى وليمنحه بمزايا لا تحصى صلى الله عليه وسلم صلاة وسلاما دائمين الى يوم الدين وعلى آله وأصحابه الذين هم أهل الهداية والتمكين ﴿أما بعد﴾ فقد تم طبع كتاب تاج الابتهاج على النور الوهاج في الاسراء والمعراج لعلامة عصره ووحيد دهره خاتمة المحققين ونهاية المدققين كاشف لثام المعضلات وشمس ليل المدلهمات السيد جعفر بن السيد اسماعيل البرزنجي متع الله الانام بوجوده وأجزل له عظيم فضله وجوده وهو لعمري كتاب أشرقت في سماء التحقيق نجوم آياته وبزغت في أفق ايضاح المشكلات بليغ عباراته كشف أسرار قصة الاسراء والمعراج بلفظ رائق وانتقى لبيان هذا الصدد من النقول كل مفيد فائق فاضحى برشاقة عباراته عنوانا للسهل الممتنع وبتحقيق مسائله دليلا على الفضل المرتفع وجمع من المسائل المهمة المعول عليها فاضحى مورد الكل مغترف وأنار هذه القصة الشريفة فغدت به دانية لكل جان مقتطف وقد تحلى هامش هذا الكتاب بالمتن المسمى بالنور الوهاج في قصة الاسراء والمعراج وهو لجد المؤلف السيد زين العابدين البرزنجي رحمه الله وأثابه رضاه وذلك بالمطبعة (الحميدية المصريه) لازالت ملحوظة بعين العناية الربانيه بجوار الجامع الازهر دام لواء العلم به بنشر ادارة الراجي من الله محو الاوزار محمود الحلبي الكتبي الشهير بابن البيطار في شهر محرم الحرام غرة سنة ١٣١٤ من هجرة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام